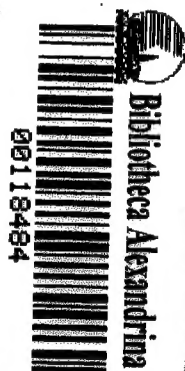


مكتبة مدبولي
القاهرة

أحمد حمروش
قصّة ثورة
٢٣ يوليو



خريف عبد الناصر

خريف عبد الناصر

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية : ١٩٨٤

أحمد حمروش

قصة ثورة ٢٣ يوليو

غريف عبد الناصر

الجزء الخامس

مكتبة مدبولي - القاهرة

الاهداء

الى كل من أيد جمال عبد الناصر أو
عارضه .. حيا
وكل من بكاه أو هاجمه .. ميتا
والى الاجيال الجديدة التي لم تعش
فترة عبد الناصر ..
ولكنها سوف تملك في المستقبل ..
الكلمة في حكم مصر

مقدمة

اكاد اشعر اليوم اننى قد اديت بعض الواجب نحو ثورة يوليو ، عندما انتهيت من كتابة الجزء الخامس (خريف عبد الناصر) وبه تكتمل قصة عبد الناصر مع الثورة ولكن قصة الثورة نفسها لم تكتمل بعد والمحاولة في هذا الكتاب تتعرض اساسا للقضية الوطنية التي تعرضت لعدد من الهجمات منذ وثبتت الحركة العسكرية الى السلطة ، واتخذت تحت قيادة جمال عبد الناصر مسارا وطنيا وقوميا تقدميا

وركيذة الهجمات كانت اسرائيل الدولة التي زرعت في الارض العربية عام ١٩٤٨ ثم تحولت مع الوقت ومع مساعدات الدول الامبريالية انجلترا وفرنسا ثم الولايات المتحدة الى مجتمع عسكري متوثب لاداء دور رجل الشرطة في المنطقة

واصبحت المشكلة الفلسطينية من هموم اى نظام عربى فرضت نفسها على قادة ثورة يوليو الذين حرصوا منذ البداية على عدم التورط في معركة مع اسرائيل قبل ان تتوطد اقدامهم في مصر ، ويتم جلاء قوات الاحتلال البريطانية عن منطقة قناة السويس

وارتفع في هذه المرحلة شعار (السلام والصلح) بين مصر واسرائيل وتمت اتصالات سرية بين قادة ثورة يوليو وبين حكومات اسرائيل في محاولة لاستقرار الاوضاع في المنطقة والتفرغ لبناء المجتمعات على اسس عصرية

ولكن حكومات اسرائيل اثبتت خلال هذه الاتصالات التي يكشف هذا الكتاب كثيرا من اسرارها ، انها لا تريد

السلام ٠٠٠ ولعبت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية دورا بارزا في تحطيم اتصالات السلام وأيضا في تحطيم الشخصيات السياسية الاسرائيلية التي لجأت الى هذا السبيل .

وتأكدت هذه الحقيقة عندما اشتركت اسرائيل في غزو مصر مع الدولتين الكبيرتين فرنسا وانجلترا عام ١٩٥٦ قبل أن تمضي خمسة أشهر على جلاء آخر جندي بريطاني عن أرض مصر .

وبدأت منذ هذه اللحظة صفحة توتر جديدة في حياة ثورة يوليو ٠٠٠ تفرض نفسها على كافة الأحداث ٠٠٠ لأنها أثبتت أن في اسرائيل قوة معادية تتحرك في تناسق تام مع الامبريالية لضرب النظام الوطني التقدمي في مصر الذي لم يقبل الركوع واضر على تثبيت الاستقلال الوطني واشغال روح القومية والعمل من أجل الوحدة العربية وبناء المجتمع الاشتراكي .

وكان عدوان يونيو ١٩٦٧ الذي انزلت ثورة يوليو الى مصيبتها التي اعدتها في اتقان أجهزة الصهيونية التوسعية والمخابرات الامريكية .

ويسلط هذا الكتاب الضوء على هذه الفترة الهامة من تاريخ شعبنا التي اعقبت الهزيمة القاسية والتي أصر فيها الشعب على تثبيت جمال عبد الناصر في موقعه قائدا وزعيما رغم فداحة الهزيمة وما كشفته من أخطاء وانحرافات لبعض رجال الثورة وقادتها .

ويظهر الكتاب الدور الخطير الذي لعبه جمال عبد الناصر منذ ١١ يونيو ١٩٦٧ عندما عاد بعد التنحي تحت ضغط الارادة الشعبية وليست هناك قوات مسلحة يمكن أن تحول بين الجيش الاسرائيلي وبين الوصول الى القاهرة .

مسئولية خطيرة لا يتحملها الا زعيم وطني قادر على الاستفادة من أخطائه وتجاريه ، مغمرس على المقاومة ، مخلص لشعبه ، مدرك لحقائق اللعبة السياسية مستفيد الى اقصى حد من علاقاته الدولية ، مؤمن بدور القوة العسكرية واثق من أن المستقبل مع حرية الشعوب .

نهض جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بما يعجز عنه
الإنسان الفرد ... وحقق بعض ما يعتبر من الاحلام ...
ووصل بالقوات المسلحة الى حرب الاستنزاف التي يضيء
هذا الكتاب جوانبها الرائعة التي تستحق تمجيد التاريخ
وفخر الشعب .

وبينما كان جمال عبد الناصر على قيد خطوة من
النصر ... وعلى بعد أسابيع من تنفيذ خطة الدفاع ٢٠٠
لتحرير كافة الأرض المحتلة .. وعقب أيام من قبول مبادرة
روجرز التي قبلها لدفع الصواريخ الى ضفة القنال الغربية
استعدادا للهجوم الشامل ... شاء القدر أن يختطفه من
سبع مصر ومن الأمة العربية ، وأن ينهى دوره التاريخي ،
وأن تكتب الكلمة الأخيرة لزعامته الحية في قصة ثورة
٢٣ يوليو .

مات جمال عبد الناصر في الخريف - ٢٨ سبتمبر
١٩٧٠ - وفي خريف العمر أيضا - ٥٢ عاما .
مات ... وهو في قمة الأداء وروعة العطاء .
مات ... قبل أن تكتحل عيناه بالأرض المحررة ...
وقبل أن يقلده الشعب الكايل النصر .
مات ... ولكن دوره لم يمت ... ولن يموت .

أحمد حمروش

الباب الأول

مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧

(اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش باحد ، شريطة الا
تسمى اسرائيل للخروج من حدودها)

صاغ صلاح سالم وزير الارشاد
القومي في حديث مع الصحفي
الفرنسي بيير دي بيتمان عام ١٩٥٣

الفصل الأول

ثورة يوليو واسرائيل

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب
الفتايج التي اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس
صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة
التي راح ضحيتها جنود وضباط ، وابتعد من ذلك
عن الصحة ان يقال ان السبب كان في ازمة
انتخابات نادي الضباط ٠٠ ان الامر في رأيي كان
ابتعد من هذا واعمق اغوارا) ٠٠
جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة

كانت حرب فلسطين سببا من الاسباب الرئيسية التي دفعت الى
تنظيم الضباط الاحرار الذي قاده جمال عبد الناصر بعد انتهاء القتال ،
وتوقيع الهدنة عام ١٩٤٩ ، وظهور اسرائيل قسرا كدولة جديدة غير معترف
بها فوق ارض الوطن العربي .

تم اندفاع الجيش المصرى الى حرب فلسطين بغير حسابات دقيقة ،
ويتغير مفاجيء فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى ، بعد ان
صدر قرار الملك فاروق للجيش بالتحرك .

عندما عرض النقراشى الموضوع فى مجلس الشيوخ سألته فؤاد
سراج الدين سكرتير الوفد - كما قال لى - (هل قدرت موقف الانجليز و وعد
بلفور ؟) .

وكان جواب النقراشى غريبا ومعبرا فى نفس الوقت اذ قال :
- انا احب اطمئنتك على ان الانجليز ايضا .. هم الذين يشجعوننى
عنى ذلك !!

وهكذا زال تردد النقراشى الذى عبر عنه فى البداية .. بتشجيع
الانجليز وأوامر الملك ..

وانتقل الجيش من حالة الجمود والسكون التى فرضها الاستعمار
البريطانى بعد توقيع اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ واستمرت نصف قرن ،
الى حالة الحركة والحرب .

قال الفريق عثمان المهدي رئيس اركان حرب الجيش للضباط وهو
يودعهم :
- انكم تدخلون نزهة فى فلسطين !

وكان الجيش بعيدا تماما عن تشكيلات الحرب .. كل سلاح منفصل
بذاته ، وليست هناك مجاميع للمقاتل ، والاسلحة متخلفة ، ولا توجد مناورات
والتقدم النسبى الوحيد كان قاصرا على اسلحة الدفاع الجوى
والمهندسين التى شاركت الى حد ما فى خطة الدفاع عن مصر اثناء الحرب
العالمية الثانية .

كانت طوابير الجيش لا تخرج الا لتوديع المحمل وهو فى طريقه الى
مكة ، او لتشييع الجنازات العسكرية .. وفيما عدا ذلك كانت أسوار
الثكنات مغلقة على الجنود فى حياة رتيبة قاسية .. مدة التجنيد خمس
سنوات ، ومرتب الجندي ٥٤ قرشا فى الشهر فقط ، يتناول وجبات العدس
مرتين كل يوم ، وثلاث مرات فى الايام الثلاثة التى لا يباع فيها اللحم !

تغير واجب الجيش فجأة .. فأصبح للقتال ، بعد ان كان يستخدم
احيانا كأداة للقمع والارهاب ضد الحركات الوطنية ، مثلما حدث فى تزييف
أحزاب الاقلية للانتخابات لحرمان الوفد من التعبير عن ارادة الشعب ، وفى
استخدام اسماعيل صدقى له كقوة طوارئ احتياطية لقمع مظاهرات الطلبة
والعمال عام ١٩٤٦ ، وفى القيام بأعمال البوليس عندما قام ضباط البوليس
باضرابهم الشهير عام ١٩٤٧ الذى اعتصموا فيه بحديقة الازبكية بالقاهرة .

كان التغيير مفاجئا وغير مدروس .
اطلق الجنود فى العريش يوم ٦ مايو ١٩٤٨ طلقات رصاص بلغت
١٠٠٠٠ طلقة دون أى انضباط او سيطرة ، تحت وهم هجوم للصهيونيين
على المدينة لانهم لم يدربوا على القتال من قبل .

قال لى ذلك أحد ضباط الكتيبة الاولى مشاة محمد احمد البلتاجى
عضو مجلس الشعب ، ومحافظ الجيزة الاسبق ، وهو بروى لى صورة
دخول كتيبته الى فلسطين يوم ١٥ مايو باعتبارها مقدمة للجيش .
(دخلت الكتيبة فى عربات اوتوبيس احضرها مغاول انفار اسمه
(بامية) ، وعبرت الحدود فى الخامسة فجرا ثم توقفت حوالى العاشرة
صباحا وهم فى الطريق الى غزة امام بعض طلقات من جيب صهيونى فى
كفار دروم . ولم تدخل غزة الا فى السابعة مساء بعد الغروب) .

لم تكن هناك خرائط عسكرية . وكل المعلومات هى ما توافرت من
دراسة تاريخ المعارك فى الحرب العالمية الاولى . والاعتماد فى الحركة
والتوجيه كان على سؤال الفلسطينيين .

وفى استجواب قدمه فؤاد سراج الدين فى مجلس الشيوخ الذى كان
يضم ٢٠ وفديا ، ١٣٨ من انصار الحكومة ، ونظر فى جلسة سرية ، اثناء
الهدنة الاولى ، قال سراج الدين للنقراشى انه تبين منذ الايام الاولى ان
الجيش لا تتوافر عنده الحملة الكافية ، وان الحكومة تستولى على وسائل
النقل المدنية لحساب الجيش .

وتبين من رد النقراشى انه رفض اقتراحا لنورى السعيد بتشكيل قيادة
مشتركة تتولى مصر قيادتها بدعوى (انه لا يتحمل متاعبهم ، ولا يضع رقبته
فى ايديهم) !!

لم يقرر المجلس عدم الثقة بالحكومة . واطال حبال الصبر .
وقد اجبرت الظروف محمود فهمى النقراشى على مصارحة الملك
عبد الله ملك شرقى الاردن اثناء اجتماع زعماء العرب فى شتورا بلبنان بان
الجيش العربى قد تخلى عن واجبه .

ومن علامات الارتجال ايضا ان حيدر باشا قائد الجيش قد طلب اثناء
حضره اجتماع مجلس الوزراء قبل ١٥ مايو ضرب تل ابيب بالقنابل
لوجود الزعماء الصهيونيين هناك !

ولكن هذه الصورة لا تشمل كل ضباط الجيش المصرى ، ولا تعبر
تعبرا كاملا عن روح النضال التى كانت كامنة فى صدور بعضهم .

نطوع بعض الضباط فى حرب فلسطين ، مدفوعين اساسا بروح وطنية
وصلات خاصة مع الاخوان المسلمين الذين كانوا من اكثر التنظيمات نشاطا
فى الدعوة للحرب تحت شعار التعاون الاسلامى .

وكانت هذه الظاهرة ردا حاسما على بعض الذين تصوروا ان الجيش
هو هؤلاء الضباط الكبار الخاضعون خضوعا مطلقا للسراى ، مترهلو
الكروش ، جامدو العقلية ، البعيدون تماما عن اية روح ثورية .

ومنذ اللحظة الاولى فى القتال ، اثبت الجنود والضباط انهم ورغم
نقص الاسلحة والتدريب والوعى بطبيعة الحرب - لم تكن تنقصهم روح
البذل والتضحية . واستشهد الكثيرون من الجنود والضباط وهم يحاربون
ببساطة نادرة .

وخلال القتال توهج الوعى ، واكتشف البعض ان خلا ما فى القاهرة

هو الذى وضعهم فى هذه المأساة .. وكانت هذه هى بداية نسج خيوط تنظيم الضباط الاحرار .

وكانت بريطانيا ترقب المعارك وقواتها تحتل مصر .. وهى فى رضا تام عن كل ما يدور فوق ارض فلسطين .

مصر تستهلك ارصدها الاسترلينية التى كانت تدب بها بريطانيا خلال انحراب العالمية الثانية والتى بلغت حوالى ٤٠٠ مليون جنيه .. معسكرات الاعتقال فتحت فى صحابة (هاكستيب) اسم المعسكر السابق للجيش الامريكى - وضمت الوطنيين والشيوخ الذين قادوا حركة الجماهير منذ عام ١٩٤٦ ، حيث تزايدت المظاهرات واضرابات الطوائف ، واشتعل الصراع الطبقي ، وتجمعت العداوة للاستعمار البريطانى .. والجيش المصرى يتعرض لضربات وهزائم ، تحولها الصحافة الى انتصارات ، ولكنها تكسر افئدة الجنود وصغار الضباط .. والاحكام العرفية تؤدى دورها فى خدمة الاستعمار والسراى واحزاب الاقلية .

ليس هذا فقط ، بل ان بريطانيا كانت تحرك اتباعها فى الدول العربية لتنفيذ مخطط يستهدف الحاق العار بجيش مصر .

خلال حصار القوات المصرية فى الفالوجا ، تقدمت شرقى الاردن بمشروع اعدده جلوب لفك حصار القوات .. ويقضى بأن تقوم القوات العراقية والاردنية بهجوم يشغل الاسرائيليين بينما تدمر القوات المصرية اسلحتها الثقيلة ، وتتسلل هاربة على الاقدام خلال طريق سرى فى الصحراء يعرفه ضابط بريطانى من ضباط جلوب .

رفضت القيادة المصرية اقتراح جلوب لما يحيط بصاحبه من شكوك .. وطلبت الى الضابط والجنود المصريين ان يدافعوا حتى آخر طلقة . وكان جمال عبد الناصر واحدا من ضباط هذه القوة المحاصرة .. الذين رفضوا الانسحاب .

وقال جمال عبد الناصر لزملائه ان الانسحاب من الفالوجا يضعف المفاوضات المصرية فى مفاوضات رودس التى اسفرت عن اتفاقية الهدنة . بقيت القوات المصرية محاصرة ، تقاوم فى صمود وشجاعة .. وفشلت خطة ايقاعها فى كمين مشروع جلوب - الذى جاء فى كتاب صهيونى صدر بعد الحرب - ان اسرائيل كانت على علم بالخطة وانها كانت تنتظر القوات المصرية لايادتها .

ولم تدمر الاسلحة المصرية الثقيلة ، لتكسب بريطانيا من وراء ذلك ، ضعفا لقوات الجيش ، وشراء لاسلحة جديدة باعتبارها المصدر الرئيسى لتسلح الجيش .

كانت المرارة التى استولت على قلوب رجال الجيش من هزيمة قواتهم راجعة الى نظام الحكم فى مصر ، حيث كانت للاستعمار اليد العليا فى تعريك الامور .. واكتشف الانكباء منهم الدور الذى لعبته السياسة البريطانية فى دفع الجيش للقتال ، واكتشفوا ايضا ان الذين اثاروا قضية فلسطين على اساس روح التمصب الدينى قد قدموها للجماهير بشكل خاطئ وضار .

اسرائيل وحركة الجيش :

ونضجت الظروف لقيام تنظيم موحد بين رجال الجيش ، وظهرت المنشورات الاولى للضباط الاحرار ، تأكيدا لقيام جبهة من الضباط المنتمين لتنظيمات مختلفة .. الاخوان المسلمين والشبيوعيين ومصر الفتاة والمستقلين .

ركزت منشورات الضباط الاحرار على القضية الوطنية ، والفساد الذي استشرى في الجيش والمجتمع .. ولم تتعرض كثيرا لمشكلة زرع اسرائيل كدولة عنصرية في أرض الوطن العربي .

والاهداف الستة للضباط الاحرار انطوت اساسا على مشاكل مصرية محلية تستهدف القضاء على ثلاثة .. الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين ثم الاقطاع واخيرا الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم .. وتستهدف اقامة ثلاثة .. عدالة اجتماعية وجيش وطني قوى وحياة ديموقراطية سليمة .. ولم تذكر شيئا عن اخطار الصهيونية التوسعية ، ولم تتحدث عن موقف معين تجاه اسرائيل .

وعندما انتصرت حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو انشغلت بتحقيق اهدافها (المصرية) وواجهت من القضايا والمشاكل ما استفد طاقته قادتها الثبان ، ولم يكن هناك وقت او تطلع الى ما يدور خلف الحدود .

عبر جمال عبد الناصر عن ذلك في كتابه الذي سجل فيه خواطره واصدره باسم (فلسفة الثورة) .. اذ قال :

(ليس صحيحا ان ثورة ٢٣ يوليو قامت بسبب النتائج التي اسفرت عنها حرب فلسطين ، وليس صحيحا كذلك انها قامت بسبب الاسلحة الفاسدة التي راح ضحيتها جنود وضباط ، وأبعد من ذلك عن الصحة ما يقال ان السبب كان أزمة انتخابات نادي ضباط الجيش .
انما الامر في رأيي كان اسعد من هذا واعمق اغوارا) ..

ويجسد جمال عبد الناصر افكاره المعبرة عن هذا الاتجاه قائلا :
(كنا نحارب في فلسطين ، ولكن احلامنا كلها كانت في مصر ..
وكان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض امامنا في خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذي تركناه للذئاب ترعاه) ..
ويستطرد جمال عبد الناصر قائلا : انه وجد من خبرته وتجربته في فلسطين ان مصر (فالوجا اخرى على نطاق كبير) .

ويروي ما كتبه ضابط اسرائيلي اسمه (يردهان كوهين) في جريدة (جويش اويزرغر) كيرهان على صحة ما يقول ، فقد كتب الضابط الاسرائيلي الذي ذكر انه التقى بجمال عبد الناصر اثناء مباحثات واتصالات الهدنة قائلا :

(لقد كان الموضوع الذي يطرقه جمال عبد الناصر معي دائما هو كفاح اسرائيل ضد الانجليز ، وكيف نظمنا حركة مقاومتنا السرية لهم في فلسطين ، وكيف استطعنا ان نجند الرأي العام في العالم وراينا في كفاحنا ضدهم) .

ولم يكن جمال عبد الناصر هو الوحيد من قادة الضباط الاحرار الذي شارك واستبسل في حرب فلسطين ٥٥ زكريا محيي الدين كان معه في القالوجا ، وكمال الدين حسين كان من أول المتطوعين ، وصالح سالم وعبد الحكيم عامر كانا في قيادة القوات ، وقد قتل القائمقام احمد عبد العزيز الذي كان من اوائل المتطوعين ايضا وهو يركب بجوار صلاح سالم في عربة جيب ٥٥ واشترك ضباط الطيران ، عبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم في القتال . وتعاونوا مع فوزى الفاوقى ٥٥ واغلبية الضباط الاحرار كان لهم دور في حرب فلسطين وكثير منهم حصلوا على اوسمة للبطولة والشجاعة .

اما محمد نجيب الذي عين بعد الحركة رئيسا لمجلس قيادة الثورة ورئيسا للجمهورية ، فقد كان من ابطال حرب فلسطين ٥٥ جرح ثلاث مرات وامضى ٣٩ يوما في مستشفى القتال ثم العجوزة ، وتولى في عهد قيادة اللواء احمد فؤاد صادق قياده المجموعه الضاربة من اللواين العاشر والرابع مشاة ، وكان عبد الحكيم عامر قد عين اركان حرب هذا اللواء ، ويوسف صديقي الذي كان في احدى كتائب المقدمة ولم يعد للقاهرة الا بعد ان اصابه نزيف الرئة .

كان رأى محمد نجيب في هذه الحرب الا تكون صيداها بين جيوش نظامية ، وانما تكون قتالا شبيها بحرب العصابات التى يقوم بها المتطوعون فى مواجهة العصابات الصهيونية .

ولم تصدر تصريحات عدوانية ضد اسرائيل فى سنوات الثورة الاولى .

عندما زار محمد نجيب غزة فى ٢٣ اغسطس ١٩٥٢ اكتفى بتمنى (الاستقلال لفلسطين) .

وقال صالح سالم فى حديث مع الصحفى الفرنسى بيري دى بثمان (اسرائيل ؟ نحن لا نتحرش بأحد / شريطة الا تسعى اسرائيل للخروج من حدودها) .

وأذاعت اذاعة قبرص التى كان يشرف عليها البريطانيون ان المباحثات مع جون فوستردالاس التى تمت فى مايو ١٩٥٢ لم تتناول قضية فلسطين .

وفى الاحتمال بالبعد الاول للحركة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ قال صالح سالم فى مؤتمر صحفى حضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر الذى بقى صامتا حيث كانت قد اجريت له عملية استئصال الزائدة الدودية ٥٥ قال صالح سالم (ان مصر ترفض الشرط الذى تضعه بريطانيا للانضمام الى حلف دفاعى لان ذلك يشمل بريطانيا التى يجب ان تسوى خلافاتها معها بحلول السويس ، واسرائيل التى لا تزال فى حالة حرب معها من الوجهة الفنىة بسبب ارض محتلة ومتنازع عليها) .

المشكلة مع اسرائيل لم تصبح بعد ملفا فى ادراج المحفوظات ٥٥ ولكنها ايضا ليست قضية ملتهبة ، ولا تسجل احاديث وتصريحات قادة الثورة هجوما على اسرائيل ولا رغبة فى ندمها .

ولعل الضباط الاحرار كانوا يعملون - كما يقول جان لاکوتير في كتابه
عبد الناصر - بشـمار غامبيتا حول الازاس واللورين (لنفكر في ذلك
باستمرار ، ونمتنع عن الكلام فيه) .

وفي الجانب المقابل وجه بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل تحية
لحركة الجيش في اليوم التالي لانتصارها متمنيا النجاح للواء محمد نجيب .
وفي ١٨ اغسطس ١٩٥٢ جاهر رئيس حكومة اسرائيل بسياسة
الانفتاح على مصر (الجديدة) ، وراحت صحافة نل ايبب تتحدث عن
امكانية تحقيق السلام .

وكانت جريدة المصري قد نشرت يوم ١٤ مارس ١٩٥٢ تقول ان موسى
شاريت وزير خارجية اسرائيل يبذل مساعي لدى انطوني ايدن لتحقيق امنيته
في الوصول الى صلح بين اسرائيل والدول العربية ، لاعتقاده ان هذا يخلق
صلة رسمية بين بلاده ودول الشرق الاوسط .

كان هذا امتدادا لما سبق ان اعلنه وزير الخارجية الوفدي محمد
صلاح الدين في هيئة الامم بنيويورك عام ١٩٥٠ عندما قال (ان مستر
اتشيسون يعرب عن رأى جميع الوفود العربية الاخرى حين يقول ان
الحكومات العربية تود ان توقف الولايات المتحدة مساعيها لدى هذه
الحكومات لعقد الصلح مع دولة معتدية ضربت عرض الحائط بجميع قرارات
الامم المتحدة) .

ولكن احمد الشقيري يقترح ان تجرى محادثات بين اسرائيل والدول
العربية تحت اشراف الامم المتحدة .

فرصة سلام :

انتصار حركة الجيش المصري يفتح صفحة جديدة في العلاقات
العربية - الاسرائيلية .. وتصريحات المسؤولين من الجانبين تتسم بالهدوء
والحرص على عدم التورط في موقف عدواني .
وفي هذا الجو الهادئ تجسـاوزت الامور حدود التصريحات الى
الاتصالات السرية او شبه العلنية .

يقول جان لاکوتير في كتابه (عبد الناصر) ان الصحافة الاسرائيلية
وبصفة خاصة جريدة (هآرتس) كانت تتحدث عن امكانيات الحل السلمي
(مستندة الى مواقف لمحود فوزي سفير مصر في لندن في ذلك الوقت والى
محمد نجيب نفسه الذي قيل انه اعترف في مجالسه الخاصة بوجود
اتصالات سرية) .

ويقول جان لاکوتير الذي عمل هو وزوجته سيمون مندوبين للمصحافة
الفرنسية في مصر خلال سنوات الثورة الاولى (من المؤكد انه في نهـاية
عام ١٩٥٢ دارت اتصالات بين ممثلين شبه رسميين عن كلا البلدين لكنها
لم تدم طويلا) .

ويشير لاکوتير الى حديث تم مع بن جوريون غداة وفاة جمال
عبد الناصر صرح فيه بن جوريون بقوله : (نجيب كان شخصا ممتازا وكان
نكيا وناعما واعتقد انه كان بإمكاننا ان نعقد صلحا معه) .

ولكن محمد نجيب قد اكد لى انه لم تجر معه أية اتصالات سرية للصلح مع اسرائيل ٠٠ ومع هذا فانه رغم اصابته ثلاث مرات فى حرب فلسطين لم يكن عنيفا فى موقفه من اسرائيل ، وشغلته مثل بقية زملائه قضية تحرير مصر من جنود الاحتلال البريطانيين ٠

ولم تعرف حركة الجيش موقف العداء من اليهود المصريين مطلقا ، فقد ذهب احمد انور قائد البوليس الحربي - على سبيل المثال - مندوبا عن اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية فى ٢ نوفمبر ١٩٥٢ لحضور افتتاح محلات شيكوريل فى شارع ٢٦ يوليو او - فؤاد سابقا ...

ويذكر التاريخ ان عددا من الرأسماليين اليهود المصريين امثال شيكوريل ومزراحى و ٠٠ كانوا ضد الصهيونية لما كانت تمثله احلامها من خطر على مصالحهم الخاصة ٠

يؤكد هذا الاتجاه ما نشرته مجلة دير شبيجل الالمانية فى عدد ١٩ ديسمبر ١٩٦٦ عندما قالت (لقد كان انتصار الالمان المعادين للمسامية مصدر فرحة غير عادية للصهاينة ، فقد اعتبروا ذلك هزيمة لليهود الغربيين المتتورين الذين لم يعيروا الصهيونية أى اهتمام وفضلوا ان يتطوروا وسط الامم الاخرى) ٠

الفترة الاولى للثورة تبدو مناسبة تماما لحل مشكلة اسرائيل بطريقة سلمية ، ولكن مجلس قيادة الثورة لا يستطيع ان يقفز فوق قضية التحرير والجلء ولا يستطيع ان يهمل مشكلة شعب فلسطين ٠٠ ومع ذلك فهناك اتصالات تتم فى سرية ٠٠ تستهدف توضيح وجهات النظر وصولا الى السلام لشعب فلسطين للمنطقة ٠

ساعد على ذلك وجود موسى شاريت وهو يهودى شرقى فى موقع المسئولية ، وحرصه على وجود علاقة طيبة مع العرب ، ضمانا لامن اسرائيل ٠

كان موسى شاريت وزيرا لخارجية اسرائيل الى ان خلف بن جوريون رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ وكان معارضا لاتجاهاته الاستفزازية الرافضة للحلول الوسطية مع العرب ، والتي ادت الى هجوم اسرائيلى على معسكر للاجئين الفلسطينيين فى غزة فى أغسطس ١٩٥٣ ومصرع ٢٠ عربيا وجرح ٦٠ منهم عدد كبير من النساء والاطفال ثم هجوم اسرائيلى اخر فى اكتوبر ١٩٥٣ على قرية (كيبية) الاردنية ومصرع ٦٢ شخصا من غير المقاتلين ٠

ولذا كان فى تعيين موسى شاريت رئيسا للوزراء بادرة امل فى الوصول الى حل سلمى معقول ٠

قال لى ثروت عكاشة انه كان يلتقى ببعض الاسرائيليين اثناء عمله ملحقا عسكريا فى باريس - ضمن اتصالاته العديدة التى يفرضها عليه منصبه - وانه فهم منهم ان الفرصة متاحة لوجود حل سلمى وخاصة بعد وصول شاريت لمنصب رئيس الوزراء ٠٠ وقد استمرت هذه الاتصالات خلال ثروت وغيره من الرسميين فى سفارة مصر ، وخاصة عبد الرحمن صادق ثول عن المكتب الصحفى ٠

ولم تكن اتصالات ثروت عكاشة بالاسرائيليين وحسدهم ، ولكنه كان يتصل ايضا ببعض الشيوعيين المصريين من اليهود الذين اخرجوا من مصر ، وعلى رأسهم هنري كوربيل .

لعبت هذه المجموعة دورا بارزا في اعداد ثروت عكاشة بالمعلومات ، والسعى لتقريب وجهات النظر والوصول الى حل سلمي لمشكلة الشرق الاوسط . . وقد استمرت علاقة ثروت عكاشة بهذه المجموعة بسنوات طويلة ، حتى بعد ان عين سفيرا لمصر في ايطاليا ، ثم وزيرا للثقافة .

وفي مجال الوصول الى سلام عادل وحقيقي تحرك ايضا المناضل المصري البارز يوسف حلمي المحامي عضو اللجنة العليا للحزب الوطني الجديد ثم عضو الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) الذي غادر مصر بعد الافراج عنه عقب اعتقاله عام ١٩٥٢ وكان سكرتيرا عاما للمجلس المصري للسلام .

وفي باريس تشكلت لجنة عربية اسرائيلية عام ١٩٥٤ ضمت يوسف حلمي ودكتور مراد خلاف ، والكاتب الاسرائيلي آموس كينان ، وابل لابل عضو تنظيم (ماتسبين) فيما بعد . . واتصل يوسف حلمي بوزير الصحة الاسرائيلي مازريلاي العضو في مجلس وزراء موسى شاريت . ورغم اختيار يوسف حلمي البقاء في باريس في ظروف معيشية قاسية الا انه كان على صلة ايضا بثروت عكاشة ، يناقش معه القضية المصرية الاسرائيلية ، ويكتب له وجهة نظره الهادفة الى تحقيق السلام لرفعها الى المسؤولين .

وتجاوب يوسف حلمي في ذلك مع رأي مجلس السلام العالمي الذي صرح احد قادته البارزين انطوان ثابت رئيس مجلس السلم اللبناني عقب اجتماعه في بودابست خلال يونيو ١٩٥٣ بقوله .
(لقد عاش العرب واليهود بسلام حينما لم يثر المستعمرون النزاع بينهم وسيعيشون بسلام اذا منع تدخل الاجنبي) .

كما صرح المندوب السوفيتي في مجلس الامن اندريه فيشنسكي بقوله في ابريل ١٩٥٤ : (لقد تجاهلت الدول الغربية القضايا الرئيسية . . وهذا يدل على ضرورة ايجاد حل سريع لقضية فلسطين فهذه قضية تؤدي الى نزاعات وعدم تفاهم مما يعكر العلاقات ويعقد الوضع في المنطقة . . ان هذا التعقيد لا يتفق مع مصالح المواطنين الاسرائيليين والعرب المحبين للسلام) . وكانت الحكومة السوفيتية قد استأنفت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في يوليو ١٩٥٣ بعد ان كانت قد قطعتها نتيجة لنسيف بعض الارهابيين للسفارة السوفيتية في تل ابيب ، وذلك بعد اعتذار الحكومة الاسرائيلية وتمهدها بعدم تأييد أي حلف معاد للاتحاد السوفيتي . وكان جورجى مالنكوف رئيس الوزراء السوفيتي في ذلك الوقت قد صرح امام مجلس السوفيت الاعلى عندما حاولت بعض الصحف الاستعمارية تفسير استئناف العلاقات بين البلدين بأنه موجه ضد الدول العربية بقوله :

(ان هذا الزعم لا اساس له من الصحة ، فاننا نرغب فى توطيد علاقات الصداقة مع الدول العربية) .

وكانت هناك الى جانب هذه الاتجاهات خطوات اخرى مباشرة . . . فقد ساعد موقف جمال عبد الناصر المتزن على نجاح مهمة المبعوث الامريكى اريك جونستون الذى حضر الى مصر مبعوثا من ايزنهاور عام ١٩٥٣ لحل مشكلة مياه نهر الاردن بين اسرائيل وجاراتها العربية . . . وذلك خلال المفاوضات المصرية البريطانية لتحقيق الجلاء والتي كانت قد توقفت يوم ٨ مايو ١٩٥٣ .

واثناء ذلك صرح موسى ششاريت فى الذكرى الخامسة لقيام اسرائيل ١٥ مايو ١٩٥٣ ، بأن اسرائيل على استعداد للانضمام الى نظام دفاعى او اقليمى اذا عقد العرب صلحا معها .

هذا فى الوقت الذى صرح فيه تشرشل كما جاء فى جريدة المصرى يوم ١١ مايو ١٩٥٣ بأنه يريد ان يرى اسرائيل اقوى دولة فى شرقى البحر الابيض المتوسط .

ولكن قادة حركة الجيش لم يكونوا على استعداد مطلقا لقبول أى نوع من انواع الاحلاف العسكرية . . . كما ان محمد نجيب رد على تشرشل ردا غير مباشر نشرته الصحف فى اليوم التالى بقوله : (ان معاهدة ١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) .

واثناء مرور رالف بانثى الامين المساعد للامم المتحدة بالقاهرة عام ١٩٥٣ وضع على مائدة البحث فكرة عقد صلح مقابل قطاع يسمح بربط مصر بالاردن ، مع اعطاء الاسرائيليين حق المرور الى ايلات .

ومنذ اصبح موسى ششاريت رئيسا للوزراء فى يناير ١٩٥٤ توقفت الاعمال العدوانية الاسرائيلية على الدول العربية المجاورة ، ولكن على غير رضا من رجال المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

وما ان وقعت مصر اتفاقية الجلاء مع بريطانيا حتى هاجت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ضد سياسة ششاريت السلمية ، وانفردت باتخاذ مواقف عدائية مضادة .

كان بن جوريون زعيم هذه المؤسسة قد خرج من منصب رئيس الوزراء مجبرا بعد ان فشلت سياسته المستقزة ، واعلن انه سوف يعتزل فى مستعمرة (سد بوكو) المنعزلة فى صحراء النقب للتعبد والتأمل ، ولكنه اشترط ان يخلفه فى وزارة الدفاع بنحاس لاغون ، وان يكون موسى دبان رئيسا لاركان جيش الدفاع الاسرائيلى . . . والاثنان من اخلص تلاميذه الاوفياء .

ولكن بن جوريون لم يعتزل فى الصحراء ليتعبد ويتأمل . . . وانما ليراقب ويدير . . . ووضع خطته على اساس تخريب المفاوضات المصرية البريطانية بارسال فريق من العملاء فى يوليو ١٩٥٤ لتفجير القنابل فى دور سينما مملوكة للبريطانيين فى الاسكندرية ، ومكتب الاستعلامات الامريكى ، لاثار حركة الجيش فى مظهر العجز وعدم القدرة على تثبيت

قواعد الامن فى المجتمع .

ولكن المؤامرة لم تنجح وضبطت خلية العملاء التى اعترفت ، وكان ماعرف باسم (فضيحة لامون) وزير الدفاع الذى دبر العملية واعترف بدوره على بن جوريون باعتباره العقل المفكر والمدير للمؤامرة .. ومع ذلك ظل موسى شاريت فى موقعه ، واستمرت الاتصالات به بعد ان ثبت عدم صلته بهذا الحادث بل وادانته له .

ولم يبدأ بن جوريون ، بل واصل تنفيذ خطته ، فأرسل فى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٤ بوساطة اتباعه فى الحكومة ووزارة الدفاع مركبا اسراذيا (بات حالييم) يرفع العلم الاسرائيلى فى محاولة لعبور القنال ، ولكن السلطات المصرية احتجزت الباخرة واعتقلت بحارتهما للتحقيق بدعوى اطلاقهم النار على مراكب صيد مصرية فى خليج السويس .. وقد استندت السلطة المصرية فى موقفها الى اتفاقية القسطنطينية التى تعطيها الحق فى ذلك ، ومع ذلك وافقت على تشكيل لجنة تحقيق دولية اثباتا لحسن نيتها .

ولم تفلح هذه المحاولة ايضا فى خلع شاريت من موقعه ، كما لم تفلح فى تخريب فرص البحث عن طريق السلام .

فى هذه الفترة مر بالقاهرة نائبان بريطانيان من حزب العمال .. ريتشارد كروسمان المعروف بميوله الصهيونية والذى ألف كتابا فيما بعد باسم (مصر وعبد الناصر) ، وموريس اورباخ الذى حضر ليدافع عن الجواسيس الاسرائيليين المعتقلين .

وقد استغل اورباخ فرصة وجوده فى القاهرة فجعل من نفسه وسيطا بين جمال عبد الناصر وموسى شاريت ، الذى وصل به الامر الى اقتراح اعادة ١٠٠.٠٠٠ مائة الف لاجئ فلسطينى الى ديارهم ، مما اعتبر على حد قول جان لاکوتير (اشجع بادرة قام بها مسئول اسرائيلى كبير) .

كانت المحادثات والاتصالات السرية تدور كما يقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) حول موضوع اللاجئين الذين قبل شاريت تعويضهم وعودة عدد منهم دون السماح بعودتهم جميعا حتى لا يكتسحوا الاسرائيليين على حد تعبيره .. كما ان شاريت لم يستطع ان يلتقى مع رغبة جمال عبد الناصر فى ايجاد حدود ملاصقة او مشتركة بين مصر والاردن ، حيث قال شاريت : ان صحراء النقب قد وضعت لاسرائيل بناء على قرار التقسيم الذى وافقت عليه هيئة الامم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وقد رد جمال عبد الناصر برفض ذلك حيث ان هذا يضاف الى ماكانت اسرائيل تحتله وقت الهدنة عام ١٩٤٩ ، وكانت القوات الاسرائيلية لم تحتل جنوب النقب بعد .. وقال عبد الناصر ان المباحثات يجب ان تكون على طريقة (خذ وهات) وليس على طريقة ابول الامر الواقع حيث تأخذ اسرائيل النقب لانها ضمن حدود التقسيم وتأخذ منطقة الجليل الاعلى لانها غزته بقواتها .

ولكن شاريت ومؤامرات بن جوربون تحيط به وتخرجه لم يكن في وضع يسمح له بأى تنازلات عن أراض قامت عليها دولة اسرائيل .
ومع ذلك فقد خلقت صلاته جوا من الهدوء بين اسرائيل والدول العربية كان يمكن أن يؤدي مع الوقت الى اتفاق سلام مقبول .
ولكن عاملا خارجيا فرض نفسه على الموقف أيضا ، فبعد أن كان دين اتشيسون وزير خارجية الولايات المتحدة قد أعلن بعد حركة الجيش مباشرة أن هناك شرطين أساسيين لتأييد ومساعدة الولايات المتحدة للنظام الجديد في مصر وهما : الاتفاق مع بريطانيا والصلح مع اسرائيل .
بعد ذلك تغير الموقف عندما اكتشف جون فوستر دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة بعد ذلك أن مصر ترفض الانضمام للاحلاف العسكرية تحت المظلة الامريكية ، وأن توقيع اتفاقية الجلاء مع البريطانيين لم يحقق كل احلامهم في المنطقة . . . وأن الصلح مع اسرائيل مازال سرايا .

تغير موقف دالاس من مصر بعد أن قررت مصر الاشتراك في مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الافريقية رغم معارضة الولايات المتحدة لذلك في اتصالاتها السرية وتصريحاتها العلنية . . . ورغم عدم ترحيب عدد من المصريين بهذا الاتجاه في وقتها ومنهم محمد حسنين هيكل الذي اعترف في مقالاته بعد ذلك بأنه كان مخطئا في رأيه لما لقينه ثورة يوليو من ترحيب وما لقيه جمال عبد الناصر من احترام وتقدير .

وأراد دالاس أن يلحق مصر درسا ، فأعاد بن جوربون الى منصب وزير الدفاع الاسرائيلي في منتصف فبراير ١٩٥٥ ، وبن جوربون هو السياسي الاسرائيلي الذي تبني ربط سياسة اسرائيل بالولايات المتحدة في مؤتمر بليمور ، بعد أن كان حاييم وايزمان هو مهندس ربط علاقة اسرائيل ببريطانيا أيام كان نفوذها في الشرق الاوسط هو الاقوى .

تغريب، فرصة السلام :

أراد دالاس أن يوجه ضربة للجيش المصري تهز هيئته ووحدته ، وتشعره أن الدولة التي تسفدها الولايات المتحدة قادرة على إلحاق ضربات مهينة بمصر ، وأنه لا سبيل الا الخضوع للسياسة الامريكية والابتعاد عن هذه التيارات الوطنية في آسيا وافريقيا .

وشرع بن جوربون ينفذ خطته في حماس متسرع على غزاة التي كان جمال عبد الناصر يزورها في أوائل فبراير ١٩٥٥ وأعلن للجنود هناك بناء على ثقته بالهدوء الذي صاحب وجود شاريت في قمة المسئولية بأن احتمالات الهجوم الاسرائيلي عليهم غير واردة .

ولكن لم تكد تمضي عدة أيام على عودة بن جوربون الى وزارة الدفاع حتى قام الجنود الاسرائيليون في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ بغارة وحشية على غزاة قتلوا فيها ٢٩ من رجال الجيش حسب الرقم الذي أعلنه جمال عبد الناصر بعد ذلك في حديث مع مراسل جريدة النيويورك تايمز في ٦ أكتوبر ١٩٥٥ ، وقتلوا أيضا عددا من المدنيين الفلسطينيين ، وأدان الجنرال بيرنز

كبير مراقبي قوات الهدنة عملية اسرائيل واعتبرها اعتداء مدبرا متعمدا .
خربت هذه الغارة التي دبرها بن جوريون محاولات السلام بين مصر
واسرائيل ووضعت جمال عبد الناصر في وضع حرج أمام الجنود وأمام
الشعب .

ويقول المقربون من جمال عبد الناصر في هذه الفترة انه ظل عدة ليال
ساهرا يكاد لا ينفو ، يفكر في حل يواجه به هذا الموقف الجديد .

وقد حرص على الا يتورط في معارك تصادية لم يهيئ نفسه لها
بعد فحظر الاسلحة مازال مفروضا على مصر ورغم الطلبات
المتكررة من أمريكا فانها لم تمد مصر بقطعة سلاح واحدة ، سوى المسدس
المذهب الذي حملة دالاس هدية لمحمد نجيب من ايزنهاور وكان مسدسا
بلا ذخيرة .

والقاعدة البريطانية في الفنا مازالت تحت سيطرة البريطانيين وجلاء
الجنود البريطانيين لم يتم بعد ، ومنع الاسلحة كان هو الفضة التي يمكن بها
ختم مصر .

وأصبح جمال عبد الناصر مثل الاسد المحاصر وهو على قيد
أسابيع من السفر الى باندونج .

نسفت هذه الغارة محاولات السلام وحالة الهدوء ، وفرضت على جمال
عبد الناصر اتخاذ عدة قرارات .

أولا ضرورة شراء الاسلحة من أي دولة لمواجهة التهديد والعدوان
الاسرائيلي حماية للوطن وكرامة الجيش .

ثانيا السماح للفرنسيين بالانطلاق من قطاع غزة الى داخل
اسرائيل ولكن تحت القيادة المصرية وتوجيهها وكان جمال
عبد الناصر حريصا على منع ذلك خلال فترة الامل في الوصول الى
اتفاق سلمي .

ثالثا ارنبطت هذه الغارة في ذهن عبد الناصر بدخول العراق
الى حلف بغداد قبلها بأسابيع فاحد فرارا من شعبي أولهما شديد الهجوم
على نوري السعيد خلال صوت العرب وبانيهما محاولة تقوية ميثاق الضمان
الجماعي لجامعة الدول العربية ليواجه به حلف بغداد .

يقول جمال عبد الناصر (كان هذا الاعداء هو ناقوس الخطر الذي
جعلنا نبحث وندقق في تعريف السلام ومعنى السلام وتوازن القوى في
المنطقة) وذلك في خطبه أمام طلبة الكلية الحربية في ٢ أكتوبر ١٩٥٥ ،
والتي أشار فيها لأول مرة الى أن المخابرات المصرية قد استطاعت أن تحصل
على وثيقة نسبت ان أمريكا وبريطانيا تمدان اسرائيل بالسلاح .

وكانت فرنسا حتى ذلك الوقت هي المصدر الرئيسي لامداد اسرائيل
بالسلاح .

وفي بحثه عن طريق جديد للامداد بالسلاح بعد الغارة ، لم يتردد في
مطالبة كل من الدولتين أمريكا وبريطانيا بأسلحة جديدة ، بعد أن كانت

القوات المسلحة المصرية قد وصلت الى حالة متخلفة تماما عن أسلحة العصر ، فلم يكن عندهما سوى ست طائرات صالحة للعمل وذخيرة تكفي لمعركة مدتها ساعة واحدة وذلك كما ذكر ناتنج في كتابه (ناصر) . وكانت صحف الغرب قد نشرت ان اسرائيل تستطيع حشد ٢٥٠.٠٠٠ عسكري خلال ٤٨ ساعة بينما قوات مصر لم تكن تتجاوز ١٠٠.٠٠٠ اذا اضيفت لقوات الدول العربية وصلت الى حوالي ٢٠٠.٠٠٠ وقد رفض جمال عبد الناصر قائلا (هذا هو التوازن الذي يموهون به علينا) .

وعدد جمال عبد الناصر أنواع الأسلحة التي حصلت عليها اسرائيل من بريطانيا بناء على الوثيقة الفرنسية التي وقعت في يد المخابرات المصرية والملحق العسكري المصري ثروت عكاشة ، كما عدد أيضا الأسلحة الفرنسية والأمريكية ، وذلك في نفس خطبته أمام طلبة الكلية الحربية .

حققت غارة غزة هدفها المنشود في تخريب فرص السلام ، ولكنها لم تحققه فيما يتعلق بأضعاف حركة الجيش أمام الشعب والجنود . ولم ينبجج دالاس وبن جوريون في اذلال مصر . وكان القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر باطلاق الفدائيين من غزة ، عاملا من العوامل التي ساعدت الصقور المتشددون في اسرائيل ، وأعطتهم فرصة مواصلة غاراتهم العدوانية .

ووقع موسى شاريت في حرج شديد اذ كان مضطرا للصمت على الغارات الاسرائيلية التي تكررت على دير البلح وخان يونس والصبيحة والحدود الاردنية والسورية والتي اضطرت همرشولد للقول (هذه بربرية لا مبرر لها) وأعلن الجنرال بيرنز انها (تثير لدى كل القلق والخطر حول المستقبل) .

وتشكلت من الفلسطينيين فرق (الفدائيين ردا على بن جوريون) . ولكن حركتهم داخل اسرائيل كانت تقابل بغارات على المدنيين . ويتوتر الموقف ويضجأ أمل السلام ، وتزداد سيطرة بن جوريون والمؤسسة العسكرية .

وأصبح وجود موسى شاريت رئيسا للوزراء نشازا ، هذا الجو العاصف . واتهمته الصحف بالضعف .

ولم يكن رد مصر على غارة غزة بالفدائيين فقط . ولكنه كان أيضا بعقد صفقة الأسلحة التشيكية ، التي أعلن عنها يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ . وكانت مصر قد اتخذت قبل اعلان الصفقة قرارا يقضي بتشديد الحصار على ميناء ايلات يوم ١٢ سبتمبر ومنع الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة سواء في البحر أو الجو ، واضطرت شركة الطيران الاسرائيلية (المال) الى ايقاف رحلاتها الجوية الى جنوب أفريقيا .

وكانت الامور قد وصلت بذلك الى غايتها في تحديد موقف موسى شاريت الذي علق على صفقة الأسلحة بقوله (انها خطر لا مثيل له ومن

المحتم أن تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل. كما انها غيرت ميزان القوى تغيرا حاسما وضع حدا لتفوق اسرائيل النوعي على مصر ٠٠٠ انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

وصمت المؤسسة العسكرية شاريت بالضعف ، واضطرته الى الاستقالة فى نوفمبر ١٩٥٥ والعودة ليكون وزيرا للخارجية فقط فى وزارة يرأسها بن جوريون ٠٠٠ ولكنه لم يبق فى منصبه سوى سبعة شهور خلفته بعدها مسز جولدا مائير .

عاد بن جوريون رئيسا للوزراء مطلقا الصلاحيات ، معلنا ان اسرائيل سوف تستخدم القوة لفتح خليج العقبة أمام الملاحة البحرية والجوية . انتصر الصقور المتشددون فى اسرائيل ، وبدأوا يهاجمون نقط الحدود المصرية ويستولون عليها ، ويستفزون مصر للتورط معهم فى معركة . ولكن جمال عبد الناصر كان حريصا على موازنة موقفه فى هذه المرحلة ، وتحاشى الوقوع فى مصيدة القتال ، فى وقت لم تكن الاسلحة التشيكية قد وصلت فيه وأصبحت صالحة للاستخدام ، وعلاقاته مع الدول الغربية تدخل دائرة التوتر ، والدول العظمى تحرص على المحافظة على روح مؤتمر قمة جنيف الذى عقد فى الفترة من ١٨ الى ٢٤ يوليو ١٩٥٥ وحضره اينهاور وايدن وبولجاني وخروشوف وادجار فور .

الحد من القتال :

كانت صورة معارك ١٩٤٨ مازالت ماثلة فى أذهان القيادة العسكرية الجديدة ، فلم تكن قد مضت خمس سنوات على توقيع الهدنة ، وأسلحة الجيش مازالت كما هى بغير تجديد واضح ، رغم البعثات العسكرية المتعددة التى ذهبت الى إنجلترا وأمريكا .

وكان واقع الجيش وطبيعة النظام فيه قد تغيرت بعد ترقية الصاغ أركان حرب عبد الحكيم عامر الى رتبة اللواء وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة ، فقد كان هذا التغيير بمثابة قفزة فوق الواقع لم تحدث فى تاريخ الجيش المصرى من قبل .

ولم يعد احترام الاقدمية واردا ، فقد تحطم ذلك مع قيام حركة الجيش واستبعاد كبار الضباط ، وظهور فئة جديدة من صفار الضباط المقربة من القيادات الجديدة ، الذين شكلوا نفوذا أضعف من سلطة وشخصية قادة الوحدات ، وفك ترابط وثبات الانضباط العسكرى ، وانطلق بعض الضباط خارج الحياة العسكرية اما بالعمل السياسى مع هيئة التحرير ، أو الانطلاق فى الحياة المدنية تحت رداء ما سمي فى ذلك الوقت (مندوب القيادة) .

وعندما عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما اختار لادارة مكتبه مجموعة من الضباط أركان الحرب حسنى السمعة يرأسهم حافظ اسماعيل ومعه محمد على عبد الكريم ومحسن ادريس ونور الدين قره وصلاح نصر وتوفيق عبد الفتاح وعباس رضوان ٠٠٠ والثلاثة الاخرون كانوا من الضباط الاحرار الذين أوكلت اليهم مهام سياسية أكثر منها عسكرية .

ومنذ عين عبد الحكيم عامر قائدا عاما انقطعت صلة أعضاء مجلس قيادة الثورة بضباط الجيش - كما قال لي زكريا محيي الدين - وكان هذا هدفا غير مباشر استهدفه جمال عبد الناصر بعد تحركات ضباط المدفعية في يناير ١٩٥٣ الى جانب ثفته الكبيرة في عبد الحكيم عامر .
ورغم أن عبد الحكيم عامر كان انسانا كبيرا ، الا انه لم يكن مؤهلا بحكم طبيعته لقيادة عسكرية كبيرة تحتاج الى المهوبة والطاقة والدأب على الدراسة والتدريب .

وكانت غارة غزوة أول مواجهة عسكرية تستقبله في مسئوليته الجديدة . . . ولذا حرص عبد الناصر في ظل هذه الظروف على تفادي الصدام العسكري ، واقترح على الجنرال بيرنز قائد قوات الطوارئ الدولية أن تنسحب القوات الاسرائيلية والمصرية لمسافة كيلو متر على جانبي خط الهدنة ، وبعد رفض اسرائيلي استمر شهورا ، سحب عبد الناصر القوات المصرية وحدها في محاولة منه لاثبات حسن نيته وتفادي قتال غير مطلوب .

ومع ذلك كان عبد الحكيم عامر يتصرف بطريقة انفعالية غير مسئولة . . . قال لي الفريق عبد المحسن مرتجي انه أثناء زيارة عبد الحكيم عامر للقسيمة تسلق جبل الصابحة وشاهد عسكريين اسرائيليين على مدى البصر فقال (مفيش راجل يجيب الاثنين دول) . . . وفعلنا شنت القوات هجوما على الصابحة واستولت عليها ثم تركتها بعد قتل وجرح عدد كبير من السرية الاسرائيلية التي كانت تحتلها .

وقد أعطت هذه العمليات المتعجلة غير المدروسة فرصة لبن جوريون والصقور الاسرائيليين لتنفيذ خططهم المعادية للسلام .

وفي سبتمبر ١٩٥٥ تعرض جمال عبد الناصر لضربة اسرائيلية جديدة هزت معنوياته عندما احتلت القوات الاسرائيلية منطقة (العوجا) المنزوعة السلاح والتي كان يتبادل حراستها قوات مصرية وأخرى اسرائيلية كل منها مدة ١٥ يوما . . . ودفعته الى تأكيد شراء السلاح السوفيتي واعلان ذلك بعد محاولات متعددة لتفادي هذا الموقف الصدامي مع الامبريالية .

واعقب ذلك هجوم على الكونتلا في شهر أكتوبر ثم هجوم آخر في نوفمبر انطلق من العوجا الموقع الاستراتيجي الذي قاموا باحتلاله وقتل فيه ٧٠ جنديا مصرية ، وكان ذلك بعد ساعات فقط من تصريح معلى لبن جوريون ابدى فيه استعدادة لمقابلة جمال عبد الناصر لعقد تسوية معه . . . وكانما كان هذا التصريح هو (مدفعية تخدير) تسبق الهجوم .
ولم يستطع جمال عبد الناصر أن يفعل شيئا في وجه هذه الاستفزازات سوى الاعلان بأن الجيش المصري قد قام بهجوم مضاد ناجح أجلى فيه الاسرائيليين عن مواقعهم . . . وهو هجوم وهمي لم يحدث أبدا .
كانت القيادة العسكرية الجديدة محصورة في قفص يجبرها اما على الركوع للامبريالية الامريكية وفقدان الاستقلال الوطني والخضوع لنفوذ

اسرائيل ٠٠٠ وأما الشبب بالاستغلال الوطنى مع الصبر وابتلاع العمليات الاستفرازية .

واختارت القيادة العسكرية الطريق الثانى ٠٠٠ وبعد أن صدرت تعليمات للواء السادس خفيف الحركة بهجوم نحدد موعده على الفرقة فعلا وصرف النظر عن ذلك كما يقول الفريقى عبد المحسن مريجي ٠٠٠ وبعد أن وضعت خطة لاستعادة (العوجا) نقرر الغاؤها فى آخر لحظة .
واعترض صدقي محمود قائد القوات الجوية على طلب عبد الحكيم عامر بأن يقوم الطيران المصرى بطلعات فوى غزة وبئر سبع .

وقال لى زكريا العادلى امام سفيرنا السابق فى الهند والقائد فى القوات المسلحة ، الذى أعد مشروع المناورة (انتصار) أكبر مناورة عسكرية قامت بها القوات المصرية على طريق مصر — الاسكندرية الصحراوى ، وكانت أول مناورة تشترك فيها القوات على أسس قتالية فعلا ٠٠٠ قال لى انه عندما سأله اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الحرب فى ذلك الوقت (هل يمكن القيام بأعمال تعرضية للاسرائيليين ؟ فأجابه بتقرير من ١٧ صفحة مضمونه كلمة (لا) ، وذلك تفاديا لكثرة محتملة ، وكانت النتيجة نقله ملحقا عسكريا فى تركيا .

كانت فترة من فترات القلق التى انتابت قادة الحركة العسكرية ، الذين شعروا أن محاولات السلام مع اسرائيل على أسس واقعية عادلة لم تكن أكثر من سراب ، وأن تفاعلات السياسة الدولية ، وخطط القوى الامبريالية تفرض على المنطقة توترا مستمرا يحاول حصار هؤلاء القادة الشبان الوطنيين .

واقترح جمال عبد الناصر على نروت عكاشة فى هذه الفترة من عام ١٩٥٥ أن يعود قائدا لسلاح الفرسان بعد أن كان ملحقا عسكريا فى باريس ٠٠٠ ولعله شعر انه بحاجة الى وجود بعض من ينق فيهم من الضباط الاحرار فى مراكز قيادية بالقوات المسلحة .

وفى ورقة أصدرتها (مجموعة من أنصار السلام المصريين) فى باريس عام ١٩٥٧ رصد للموقف السلامى الواضح لجمال عبد الناصر .

قال لمراسل الدليل هيرالد فى ٦ نوفمبر ١٩٥٥ (لا يوجد عند مصر أية نية لمهاجمة اسرائيل) .

وصرح لمجلة لايف فى ١ نوفمبر ١٩٥٥ (مصر لن تستخدم الاسلحة التشيكوسلوفاكية للحرب مع اسرائيل) .

وفى تصريح الى جريدة (نيويورك ورلد تلجرام) فى ١٢ نوفمبر ١٩٥٥ (ان مصر مستعدة للبحث عن حل وسط مع اسرائيل) .

وقال لجريدة فرانسى سوار فى ديسمبر ١٩٥٥ (ان هدفنا ليس تدمير اسرائيل ، ولكن مناقشة تقسود الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة منذ عام ١٩٤٧) .

وصرخ جمال عبد الناصر لاذاعة وتليفزيون كولومبيا فى يناير ١٩٥٦ (لقد صرحت فى باندونج ووافقتنى الدول العربية لأل مرة ، على اننا نريد

تطبيق قرارات الأمم المتحدة التي اتخذت عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ وأقرت مشروع التقسيم) ٠٠٠ وصدر بيان يؤيد هذا الاتجاه الذي أقره مؤتمر باندونج عقب زيارة جمال عبد الناصر لتيتو في بريوني .
وهكذا كان موقف جمال عبد الناصر ، حتى بعد غارة غزة ، يتجه الى تحقيق السلام ٠٠٠ ولكنه في نفس الوقت كان حريصا على عدم الخضوع أو الركوع ملقيا مسئولية دعم اسرائيل على الاستعمار .
اتصالات السلام لم نتوقف حتى مع بن جوريون ٠٠ ويقول جان لاکوتير في كتابه (عبد الناصر) انه قابل بن جوريون في شهر يونيو ١٩٧٠ (في الفيللا المثقلة بالذكريات في تل أبيب) ويكتب :

حدثنا بن جوريون وهو يهز رأسه الابيض أمام تمثال داود ليكل انجلو عن جمال عبد الناصر فقال (انه رجل دولة ٠٠ نعم ٠٠ ولكنه يظهر غير ما يضر) وراح يراجع في ذاكرته المحاولات لاجراء محادثات من عام ١٩٥٥ حتى عام ١٩٧٠ ، وأطرف هذه المحاولات كانت الواقعة بين يناير وأبريل ١٩٥٦ قام وسيط محايد بأربع رحلات بينه وبينى ٠٠٠ لكننى أقسمت الا أبوح بالكثير ٠٠٠ كل ما يمكننى اضافته هو انه بعد رابع زيارة قام بها الوسيط الى القاهرة قال له عبد الناصر (فلتقف اتصالاتنا عند هذا الحد لاننى غير مقتنع بجودى الذهاب الى أبعد) .

ويواصل لاکوتير رواية هذه القصة مشيرا الى لقاء تم بين بن جوريون والمراسل الصحفي (فيليب غارنيه ريمون) بعد وفاة عبد الناصر في مستعمرة (سوى - يوكو) وسأله الصحفي :
- ألم يكن وسيط ١٩٥٦ هو روبرت اندرسون وزير الخارجية السابق فى الحكومة الامريكية والصدى الشخصى لايزنهاور ؟
قال بن جوريون :
- أنت الذى نطقت اسمه ولست أنا .

ويقول لاکوتير (وكأنما تحرر بن جوريون من عبئه فحكى كيف قام اندرسون بالوساطة دون تكليف من أحد ، وزعم بن جوريون ان الوسيط قد أكد له أن عبد الناصر كان ايجابيا فى البداية ٠٠ وأنه كان يتردد بين القاهرة والقدس ٠٠٠ ينزل فى فنادق الدرجة الثانية بالعاصمة المصرية ويقابل جمال عبد الناصر ليلا فى أماكن سرية ، لا يتكرر ارتيادها) .
ثم يقول بن جوريون ان الاتصالات قد توقفت فى السابع عشر أو الثامن عشر من أبريل ١٩٥٦ عندما فاتح اندرسون عبد الناصر فى عقد معاهدة عدم اعتداء بين البلدين ٠٠ وكان جواب عبد الناصر .
- اذا ما أعطيت الامر بذلك ٠٠ فان النار سوف تطلق على .
ويعلق بن جوريون قائلا :
- لا شك انه كان على حق فى ذلك .

ويعلق لاکوتير قائلا بأنه اذا صدقنا بعض ما قاله بن جوريون ، فليس أكيدا أن عبد الناصر كان ينتظر اية نتيجة من اتصالاته غير المباشرة مع

دائيد بن جوريون ، لان ناصر كان يعتبره (كذوبا وعدوا تستحيل مصالحته) .

ويقول لاکوتير أيضا (يجدر بنا الاعتراف بأن السلام لم يكن واردا في ذهن عبد الناصر لا في عهد شاريت ولا في عهد بن جوريون لانه كان مخلصا في العمل على تحرير الأرض المصرية واعادة فلسطين الى أهلها) .
ولكى نستكمل جوانب القصة وأسرار المباحثات أعود الى كتاب بن جوريون (العرب والفلسطينيون وأنا) الذي يتحدث في الجزء الأول منه عن هذه الاتصالات التي قام بها روبرت اندرسون في يناير ١٩٥٦ .
يسجل بن جوريون بعض احاديثه مع المندوب الأمريكى الذى قابلته في حضور موسى شاريت وزير الخارجية وعمدة القدس تيدى كوليک ومدير مكتب رئيس الوزراء فى ذلك الوقت باکوف هرتزوج ، وسفير الولايات المتحدة فى اسرائيل وأحد ممثلى دوائر الامن الأمريكية . فيقول :

كثيرون من أبناء شعبنا لا يقبلون الحل السلمى لاسباب ثلاثة :

١ - أن شعبنا عاش خلال قرون فى المدن فقط ولا يستطيع أن يعيش فى الريف .

٢ - فى فلسطين لابد من القبول بخفض مستوى المعيشة .

٣ - البلد الذى عدنا اليه كان صحراويا وفى الواقع بدت المهمة فى بادئ الامر مستحيلة لكن القوة تغلبت على المصاعب .

ويقول (ان رئيسا عربيا واحدا فقط كان يريد السلام ، ولم يكن يخاف من اعلان ذلك جهارا .. هذا الرئيس هو الملك عبد الله ملك الاردن وقد اغتيل) .

ويقول أيضا (ان تغير النظام فى مصر ايقظ فى قلوبنا السلام ، وقد اتصلنا بمحمد نجيب فطلب الينا الانتظار ، ولما خلفه عبد الناصر جددنا اتصالاتنا معه دون نتيجة ثم تدهور الموقف) .

لم يذكر بن جوريون طبعاً انه هو شخصيا المسئول عن تدهور الموقف بشارة غزة .

ويقول المبعوث الأمريكى انه كان يقابل جمال عبد الناصر ليلا ومعه زكريا محيى الدين وعلى صبرى ويذكر أن عبد الناصر قال له عن المباحثات (ان الموقف هو من الدقة بحيث لو عرف الناس بالمبادرة التى اتخذها للقياس بهذه المباحثات فانه على الا أواجه مازقا سياسيا فحسب بل ربما يضع رصاصات) ثم قال ان عبد الناصر كان حريصا جدا على سرية المحادثات وقد قال (لو عرف الناس بمحادثاتنا فسأجد نفسى مضطرا لتكذيبها) .

ويجذب بن جوريون استمرار الاتصالات ويشير الى الاتصالات السابقة مع شاريت فيقول (تمت فى السابق اتصالات مع شاريت ولم يذع سرها ، أما دون اتصالات فلن نتوصل الى شيء) .

ويدور الحديث الذى يسجله بن جوريون فى كتابه عن محاولة اقرار وقف إطلاق النار ، ويقول شاريت (يجب أن يكون هناك وقف إطلاق نار ليس عسكريا فحسب بل وسياسيا أيضا) .

ويؤيد شاريت أيضا استمرار الاتصالات ويطالب بأن تكون على أعلى مستوى كمحاولة منه للبرهنة لعبد الناصر على أن التنازل عن أية قطعة أرض من اسرائيل تعتبر عملية صعبة أو مستحيلة .
ويذكر روبرت اندرسون أن كيرميت روزفلت كان حاضرا بعض اجتماعاته مع جمال عبد الناصر .

ويحاول شاريت تفسير عملية غزة على انها كانت ردا على احكام الاعدام التي صدرت في مصر ضد مرتكبي حادثة لافون ، ولكن المندوب الامريكى الذى حاول الدفاع عن بن جوريون أمام عبد الناصر باعتباره ليس المتسبب في هذا الحادث ، قال ان عبد الناصر أبلغه (أن الموقف بدأ ينهار فعلا منذ تلك اللحظة أما في الماضي فلم يكن الشعب المصرى يهتم بقضية فلسطين .

والعودة الى تفاصيل ما ورد في كتاب بن جوريون عن محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر يثبت انه كان حريصا على السلام في المنطقة حتى يتيح للدول العربية أن تبني مجتمعاتها الجديدة بعيدا عن مأساة الحرب وانه من جهته لم يسهم مطلقا في هدم هذه المحاولات ، ولكن المؤسسة العسكرية الاسرائيلية والخطط الامبريالية هي التي سعت الى تحطيم هذه الجهود وإشاعة القلق والتوتر في المنطقة ، ومحاولة السيطرة على شعب اسرائيل عن طريق تخويفه من جيرانه العرب .

خطب عبد الناصر في الجبهة الشرقية يوم ١٤ مايو ١٩٥٦ وبعد أن روى قصة تسليم الغرب لاسرائيل قال (اننى لا أقول ان فرنسا هي التي أعطت اسرائيل السلاح وحدها . وانما اعتبر أن الغرب كله تأمر في هذا مع فرنسا لمصلحة اسرائيل ضد العرب) وأكرر (نحن لانقبل استغلالا ولا سيطرة ولا تحكما ، اذن فهناك حرب بيننا وبين الاستعمار ورغم ارادتنا ، لاننا نحارب هذه الحرب من أجل الدفاع عن كياننا واستقلالنا وشرفنا وحريتنا وكرامتنا) .

نعم كانت الحرب مفروضة على النظام العسكري العنيد في مصر الذى لا يقبل أن تكون يد الاستعمار هي العليا والمسيطرة .
وعبد الناصر الذى لم يخطب خطبة واحدة ضد اسرائيل قبل حادث غزة اكتشف (ان اسرائيل التي يسندها الاستعمار الذى لا يريد لهذه المنطقة أية حرية ويعتبرها مزرعة لمصالحه كما هي خطة الاستعمار في القضاء على الامة العربية جميعا) .

تحركات الغرب :

كانت صفقة الأسلحة التشيكية ضرورة اجبارية فرضتها الظروف على النظام الجديد في مصر لم يكن هناك مجال لتفاديها .
وكانت تحركات اسرائيل العدوانية قد وضعت القادة العسكريين الجدد في موقع الدفاع وقد بلعوا كثيرا من الاستفزازات التي ذكرناها والتي تبادت فصرعت ضابطين مصريين وصلتهما طرود اسرائيلية متفجرة ،

اولهما البكباشى صلاح مصطفى أحد الصباط الاحرار فى مدينة الاسكندرية
والذى كان الأول فى دفعة عبد الحكيم عامر ، والذى قتله الطرد المنفجر فى
عمان وهو يعمل ملحقا عسكريا هناك ، والنانى الصاغ مصطفى حافظ
ضابط المخابرات العسكرية فى قطاع غزة .

ولم يقف الغرب مكتوف اليدين أمام محاولة جمال عبد الناصر الخروج
من المأزق الذى فرض عليه ٠٠٠ قرر دالاس ارسال كيرميت روزفلت الذى
زار مصر بعد حريق القاهرة وحاول أن يصلح من شأن الملك فاروق عينا ٠٠
والذى توطدت صلته بجمال عبد الناصر فى الشهور الأولى بعد حركة الجيش
بأمل أن تضغط أمريكا على بريطانيا للجلء ، وبأمل أن تحصل مصر على أسلحة
من أمريكا .

وعندما علم جمال عبد الناصر ، بحضور كيرميت روزفلت قرر أن يعلن
على العالم نبأ صفقة الأسلحة ، لأنه كما قال حسنين هيكى فى كتابه
(عبد الناصر والعالم) لا يستطيع الامتناع عن مقابلة كيرميت روزفلت (ولكنه
لا يريد أن يكون موضع استجواب ، ولا يرغب فى أن يسأل اذا كان النبأ
صحيحا أو لا) .

قطع عبد الناصر الطريق على كيرميت روزفلت وأعلن نبأ الصفقة يوم
٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ بعد توقيع الاتفاق بأسبوع وقبل وصول أية شحنة من
الأسلحة التشيكية وذلك أثناء افتتاحه لمعرض صور فوتوغرافية أقامته ادارة
الشئون العامة للقوات المسلحة .

ويروى حسنين هيكى أن أحمد حسين سفير مصر فى واشنطن عندما
علم بالنبأ من جمال عبد الناصر أفلتت أعصابه وأخذ يردد فى انفعال بالغ
(جواتيمالا ٠٠ يا سيادة الرئيس ٠٠٠ جواتيمالا) .

وكان الأمريكيون ومخبراتهم المركزية قد فرغوا لتوهم من تنظيم
عملية انقلاب ضد حكومة أرهينيز اليسارية فى جواتيمالا .

وقال عبد الناصر وقد فرغ صبره (فلتنذهب جواتيمالا الى الجحيم) .
ووصل كيرميت روزفلت حاملا تهديدات دالاس التى تتلخص فى
ايقاف المساعدات الأمريكية والتجارة مع مصر وقطع العلاقات الدبلوماسية
ومحاصرة مصر ومنع السفن حاملة السلاح من الوصول إليها .

ولكن السفير الأمريكى هنرى بايرود استطاع أن يقنع كيرميت روزفلت
بأن يكون دبلوماسيا مع عبد الناصر ، واستغفرت المحادثات يومين بين
عبد الناصر وروزفلت الذى لم يعلن تهديدات دالاس ، ولكنها كانت محادثات
بغير نتيجة فلم يتراجع عبد الناصر عن موقفه .

وأطلق دالاس مبعوثا ثانيا هو جورج آلن مساعد وزير الخارجية
الأمريكية ، الذى سبقته أخبار من وكالات الأنباء تشير بأنه يحمل انذارا
آخر ، فأسرع عبد الناصر باستدعاء كيرميت روزفلت وأبلغه بأنه لو صح
ذلك فانه سيأمر رئيس التشريفات بطرد الزائر الأمريكى وسيلغ مراسلى
الصحف بأنه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا ، لأنه لا يقبل أن
يمش أو يحكم تحت ضغط التهديد .

وفى نفس الوقت قرر جمال عبد الناصر أن يستعد لنوع من المقاومة الشعبية ، واتصل بى كل من أحمد فؤاد الذى كان قد أصبح عضوا فى مجلس الانتاج والذى كان مازال مقربا من جمال عبد الناصر والصاغ لطفى واكد الذى كان مديرا لمكتبه فى ذلك الوقت وأبلغنى كل منهما على حده رسالة من جمال عبد الناصر تطلب منى الاتصال بمن أعرفهم من اليساريين استعدادا لحمل السلاح والعمل سرا فى وجه أى محاولة للتدخل الأمريكى غير المحسوب .

ولكن جورج الن لم يقدم رسالة دالاس بعد أن أقتنع كرميت روزفلت والسفير الأمريكى بايروود بفقادی الكارثة ، وخلال المواجهة بين آلن وعبد الناصر حاول الاول أن يقنع عبد الناصر - كما يقول حسنين هيكل - فى كتابه (عبد الناصر والعالم) بأن الغاء الصفقة يمكن أن يجعل الولايات المتحدة تنظر الى قضية امداد مصر بالسلاح نظرة ايجابية .

ولكن عبد الناصر قال له (لقد فات الاوان) .

فات الاوان فعلا ووصلت شحنات الأسلحة الى ميناء الاسكندرية وخطب انطونى ايدن فى نوفمبر ١٩٥٥ فى قاعة البلدية المعروفة باسم (جيلد هول) واقترح حلا للنزاع العربى الاسرائيلى ، يستند الى حدود جديدة لاسرائيل تكون بين حدود الهدنة القائمة وحدود قرار التقسيم الصادر عام ١٩٤٧ .

وقد قوبل هذا الخطاب بارتياح عبر عنه جمال عبد الناصر بقوله فى بيان (انه يحتوى على عناصر بناءة يمكن أن تكون أساسا للبحث) .

كان موقف بريطانيا قد تغير نسبيا من اسرائيل بعد تحول بن جوريون الى المظلة الامريكية ، عندما أصبحت الولايات المتحدة أقوى الدول الامبريالية وأكثرها قدرة ونفوذا .

ولكن موقف ايدن لم يكن تعبيرا عن تغير استراتيجى فى موقف بريطانيا ، فقد كانت تواصل سعيها لاقامة حلف بغداد ووصل الفيلد مارشال جرال د تمبلر رئيس أركان حرب الامبراطورية الى عمان فى محاولة لضم الاردن الى الحلف .

وكذلك حاول ايدن اقناع خروشوف أثناء زيارته هو وبولجانين الى بريطانيا فى ١٨ أبريل ١٩٥٦ بأن يوقف صفقات السلاح لمصر ، فكان رد خروشوف انه مستعد لتنفيذ ذلك اذا شمل الحظر امداد الأسلحة لكل الدول حتى المرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا .

وأسرع عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية ليتفادى أى محاولة لحظر وصول السلاح تبعا لقرار قد تتخذه الأمم المتحدة التى لم تكن الصين قد أصبحت بعد عضوا فيها .

ولم يوقف اللياس خطوات دالاس ، بل انه أرسل روبرت اندرسون الى جمال عبد الناصر حاملا رسالة من الرئيس ايزنهاور تطلب حل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، وهو الشخصية التى ذكر بن جوريون انها كانت همزة الوصل بينه وبين عبد الناصر من يناير الى أبريل ١٩٥٦ .

وكان رأى جمال عبد الناصر أن يستند أى حل الى مشروع التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، مما يظهر ويؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن ضد اسرائيل ولم يكن من دعاة تدميرها .

ورغم دخول الامريكيين كما يقول محمد حسنين هيكل في تفاصيل صغيرة لتنفيذ المشروع ، ورغم مباحثات اندرسون ، فان المشروع كان محكوما عليه بالفشل ، لان الاسرائيليين لم يكونوا ينوون الرجوع الى الحدود المقررة فى مشروع التقسيم .

كان تراجع الاسرائيليين عن الارض التى ثبتوا أقدامهم فيها أمرا غير وارد عندهم .

وتوقفت محاولات الغرب ، وتضاعفت مساعداتهم لاسرائيل التى بقيت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى لا تحكمها حدود قانونية معروفة .

وأصبحت ثورة يوليو مطالبة بمواجهة هذه الدولة التى زرعت فى الأرض العربية .

الفصل الثاني

عدوان اسرائيل ١٩٥٦

(ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عنوان
١٩٥٦ أكثر مما خسرا ٠٠٠ فقد تأكدت وثبتت
سيطرة مصر على قناة السويس) •

انطوني ناتنج
وزير الدولة البريطاني اثناء العدوان

لم تصل محاولات السلام بين الحركة العسكرية في مصر وحكومة
اسرائيل الى نتيجة ايجابية ، وتعقدت الامور تحت ضغط الامبريالية
الامريكية والعالمية ومحاولة فرض نفوذها وسيطرتها على المنطقة ، والدور
الذي لعبته المؤسسة العسكرية الاسرائيلية المتواطئة مع الحكومة
الامريكية •

وكان حصول جمال عبد الناصر على السلاح من المعسكر الاشتراكي

نقلة واضحة للقوات المسلحة المصرية خطت بها الى عصر النفايات ووضعت أحد أهداف النورة الرئيسية (تكوين جيش وطني) موضع تنفيذ عملي من جهة التسليح والتدريب ، وفرضت على حكومة اسرائيل أسلوبا جديدا في المواجهة .

وفي العيد الرابع للنورة بالتحديد يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ أعلن جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ردا على قرار جون فوسنر دالاس بسحب تمويل السد العالي ، وذلك قبل أن يمضي أربعون يوما على جلاء قوات الاحتلال البريطاني لمنطقة القنال يوم ١٨ يونية ١٩٥٦ .

وتحركات أفكار العدوان في صدر بن جوريون الذي لم تؤد غاراته المتكررة على الجيش المصري غرضها بوقوع الحركة العسكرية في مصيدة الاستفزاز والانزلاق الى الحرب في وقت لم تكتمل فيه أسلحة الجيش فلم يكن لدى مصر في ذلك الوقت سوى ست طائرات صالحة للعمل ، وتلاثين طائرة معطلة وليس هناك قطع غيار ، والذخيرة كانت محدودة .

ويفسر موسى ديان في مذكراته أسباب تحولهم من سياسة الغارات المفاجئة أو الردع المحدود الى التفكير في حرب شاملة فيقول :

(ان السبب الرئيسي كان في استخدامنا المتواصل لاسلوب العمليات الانتقامية ، فان العمليات التي فاجأت المصريين والاردنيين في البداية وهم غير مستعدين لها ، أصبحت الآن مسألة تقليدية ، لذلك فحينما تخرج وحدتنا في عملية ضد مبنى للشرطة أو معسكر للجند فأنها تجد جنوده مستعدين للقتال اننا لن نستطيع الاستمرار في حالة لاهي (بالسلام ولا هي بالحرب) ان علينا أن نرغم جيراننا العرب على الاختيار بين وقف الارهاب ضد اسرائيل وبين الدخول في حرب ضدنا بطريقتين :

١ - أن تنزل الضربات الانتقامية اثناء النهار ونستخدم من اجل ذلك المدرعات والطائرات ، وحينئذ تقل خسائرننا في الارواح فضلا عن أن الدول العربية (وأولها مصر قبل كل شيء) لن تستطيع تجاهل أثر هذا على رعاياها .

٢ - أن نجتاز الحدود ونحتل المواقع الرئيسية التي تسيطر على المنطقة ونشترط للجلاء عنها وقف الارهاب .

وهكذا اختارت اسرائيل طريق الحرب لقطع الطريق على وصول الأسلحة لمصر ، ووقف غارات الفدائيين ، وفتح الملاحة الاسرائيلية في صايق تيران كما انه كان هناك موقف داخلي يدفع للحرب ، وهو الحالة المعنوية المتوترة من القتال المتقطع ، وفشل فضيحة لافون ومحاكمة الجواسيس لاسرائيليين في مصر ، ولذا وجد بن جوريون أنه في حاجة الى عمل كبير يعيد ثقة الشعب في جيش اسرائيل . ويعطى للجيش دفعة معنوية جديدة .

وبن جوريون لا يطبق أن ترتبط مصر مع الاتحاد السوفيتي بأية رابطة وخاصة اذا كانت هذه الرابطة هي السلاح .

قال بن جوريون عام ١٩٤٦ بأنه (اذا وافقت بريطانيا على انشاء دولة يهودية في فلسطين فنحن على استعداد أن نضمن أن تكون هذه الدولة

تاعدة ضد روسيا) . . هذا في الوقت الذي اعتب الحرب العالمية الثانية التي ضحى فيها الاتحاد السوفيتي بعشرين مليوناً من أبنائه في حرب ضد النازية التي قتلت ٦ ملايين يهودي .

وجد بن جوريون أمامه فرصة لتحقيق ما نادى به من ضرورة الحرب قبل أن تصل الأسلحة السوفيتية الى مصر فقد قال صراحة (لابد أن يسقط النظام في مصر قبل أن تصل الأسلحة الروسية) .

وكان بن جوريون قد استدعى أخلص مريديه (موسى ديان) من فرنسا التي كانت تفتح أبوابها للقادة الاسرائيليين ، ونمذ اسرائيل بالأسلحة المتطورة ، وذلك للحقد الذي كانت تشعر به تجاه قادة ثورة يوليو الذين كانوا يساعدون ثوار الجزائر بكل ما يطلبون منذ أعلنوا ثورتهم في أول نوفمبر ١٩٥٤ وذلك بعد شهور من هزيمة الفرنسيين في معركة (ديان بيان فو) التي انتهت وجودهم في فيتنام بعد توقيع اتفاقية جنيف . كلف بن جوريون (دايان) بأن يعد خطة حربية لغزو مصر بعد أن كان قد استطاع أن يقنع أمريكا بالتصريح لفرنسا ببيع طائرات المستير ٤ التي كانت تنتجها خاصة لحلف الاطلسي . . . وذلك في رسالة حملها (هربرت همفري) الى الحكومة الفرنسية من ايزنهاور ووزير خارجيته دالاس .

ولكن اعداد الخطة وحدها لم يكن كافيا لاشعال الحرب . . . كان لابد من وجود سبب مقنع يكون تبريرا للعدوان . . . وقال دايان في مذكراته (كان من السهل خلق المبرر) . . . وصرح بن جوريون لمراسل النيويورك تايمز : (سوف نكون في العقبة في العام القادم وسوف نستولى عليها من البر والبحر والجو معا) .

وفي غمرة هذا التوتر لم يكن معقولا أن يحتفظ بن جوريون رئيس الوزراء بموشى شاريت - رجل السلام النسبي - وزيرا للخارجية ، فتخلص منه في ١٨ يونيو ١٩٥٦ عندما أرسل له خطابا يقول فيه (ان وجودك في وزارة الخارجية ليس في مصلحة الدولة) وعين جولدا مائير بديلا له .

صرح شاريت بعد ذلك بقوله (أرغمني بن جوريون على الاستقالة لانه كان يعتقد انني العقبة في سبيل ما كان قد استقر عليه وهو انه لابد من حرب قريبة جدا مع مصر ، كانت الحرب قادمة ويجب ألا أعارضها ، ولابد أن أخرج . وأنا لم أكن لأعارض الحرب تحت أي الظروف ، ولكن حكمتي كانت تختلف عن حكمتي) .

ويبدو أن دالاس قد أسهم في إيجاد المبرر لاسرائيل بسحبه تمويل السد العالي ، ووضعه مصر تحت ضغط رد الفعل ، الذي تترتب به اسرائيل .

كتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون يقول (كانت الحرب ضد مصر مقررة لدى بن جوريون فقد عاد الى وزارة الدفاع في فبراير ١٩٥٥) . وكتب أيضا (كانت أزمة السويس بعدئذ طارئة وهي لم تغير في شيء

من خطط اسرائيل التي كانت تستهدف على اية حال ، ولكنها سهلت لها
أصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

التحضير للعدوان :

وجدت حكومة بن جوريون في تأميم القناة فرصتها فالى جانب السلاح
والحلفاء كما كتب بن زوهار . كان هناك المبرر ايضا .
وعندما وقف جمال عبد الناصر في ميدان المنشية بالاسكندرية يوم
٢٦ يوليو ١٩٥٦ يخاطب الجماهير في خطبته التاريخية الخالدة اهتزت
اعصاب كثير من الساسة الغربيين ، وبدأت تدرس الخطط على أساس حسابات
جديدة ، وظهرت احتمالات الحرب في الافق .

والتقت رغبة الساسة البريطانيين والفرنسيين في تعطيم القائد
المصرى الذى جرؤ على تأميم القناة ، مع رغبة بن جوريون فى اسقاط النظام
قبل وصول الاسلحة للجيش المصرى .

ولم تعد فرنسا تلعب دور مورد السلاح لاسرائيل ، ولكنها بدأت تلعب
دور المخطط والمنفذ لخطة العدوان بعد أن أصبحت طرفا مباشرا فى المشكلة .
وبدأت خطة العدوان تنسج خيوطها بين انجلترا وفرنسا أولا ، ثم
اقتربت فرنسا أن تشترك اسرائيل فى خطة الغزو . . . ولكن ايدن تردد
عندما نصحه الدبلوماسيون البريطانيون بقولهم ان فرنسا واسرائيل هما
أكثر الدول جاذبية لكراهية العرب ، لدور فرنسا فى مقاومة ثورة الجزائر ،
لدور اسرائيل المعروف . . . وان اشترك اسرائيل سوف يعقد الموقف ،
ويخرج الحكام المواليين للغرب ، ويعطى لعبد الناصر فرصة اشعال العدواة
على امتداد الوطن العربى .

وكان ايدن يعلم تماما أن حكومة اسرائيل تتحرك فى توافق تام مع
جون فوستر دالاس . . . وكانت بريطانيا لم تسقط بعد تماما فى شرك
الخنوع والتبعية للسياسة الامريكية .

وفى (مجتمع جمال عبد الناصر) الجزء الثانى (قصة ثورة ٢٣ يوليو)
تفصيل وتوضيح لكل ما دار من تدبير للعدوان بعد تأميم القناة ، ولذا اكتفى
هنا بتسليط الضوء على الدور الذى لعبته اسرائيل ، بعد أن وافق ايدن
اخيرا على اشتراكها فى خطة العدوان .

وضع الجنرال شال الفرنسى خطة تقضى بأن تهاجم اسرائيل مصر عبر
سيناء ، وحينما تعبرها تندخل بريطانيا وفرنسا وتدعو الدولتان الى ايقاف
الحرب . . . وإذا لم تقف تحتلان القناة ، حتى لا تتوقف الملاحة فيها .
ووضعت الخطة على مائدة المناقشة والتعديل هى وخطة (موسكيتير)
البريطانية ، وخطة (موسى ديان) الاسرائيلية . . . وانتهى الامر بعد
اجتماع سرى عقد فى ضاحية (سيفر) بباريس وحضره بن جوريون ودايان
وسلوين لويد وجى موليه وكربسنيان بينو .

وتحدد دور اسرائيل شريكة مع الدولتين الكبريين : تبدأ الهجوم اثناء
تدمير سلاح الطيران البريطانى لسلاح الطيران المصرى على الأرض ، ثم تتقدم

بريطانيا وفرنسا بانذار لكل من اسرائيل ومصر بوقف الحرب والانسحاب
عشرة كيلو مترات بعيدا عن ضفتي القناة ، والا تتدخل قواتهما لحماية
القناة .

ولم يكن ممكنا لمثل هذه الخطة ان تتم بعيدا عن عيون الحكومة
الامريكية أو وكالة المخابرات المركزية ، وصلة بن جوريون ودايان بأمريكا
لا تسمح لهما بالقيام بمثل هذه الخطوة دون ابلأغ ، وفرنسا كانت قاعدة
المخابرات الامريكية في أوروبا .

وأخيرا دخلت الخطة دائرة العلاقات الرسمية ، فقد ذهب جاك شابان
دالماس الوزير وقتها في حكومة جى مولييه وأبلغ السفير الامريكى دوجلاس
ديلون بالعملية المشتركة ضد مصر ، ولم يعلق السفير الامريكى سوى بقوله
(ألا يمكن تأجيل العملية حتى ما بعد الانتخابات الامريكية) . . . ثم أرسل
السفير تفاصيل ما سمعه الى واشنطن .

وقال آلان دلاس رئيس المخابرات المركزية الامريكية وشقيق جسون
فوستر دالاس وزير الخارجية (حصلت المخابرات المركزية على المعلومات من
عدة مصادر ، وتوافرت لها حقائق وتكهنت دقيقة عن التواطؤ النلاني ،
وخاصة من تقارير جاءت من قبرص) وقد كان أمرا شائعا ومعروفا
للمخابرات الامريكية ان اعلان اسرائيل للتعبة يوم ٢٧ أكتوبر هو
علامة الهجوم .

وقال كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا بعد حدوث العدوان
ما يأتى :

(أحسنا فى تلك الايام ان الولايات المتحدة لا تريد أن تعرف
وأنها لا تطلب معلومات عما يحدث ، وكنا مطمئنين الى أن أجهزة المخابرات
على اتصال وثيق بعضها ببعض ، وخاصة البريطانية والامريكية ، وعلى أية
حال كانت هناك اتصالات معروفة بقيادة الاسطول السادس طلبنا اليهم فيها
أن يبتعدوا بالاسطول عن تحركات أساطيلنا .

كان أمرا مؤكدا أن الولايات المتحدة تعرف خطة الغزو لانها طلبت
من جميع رعاياها مغادرة المنطقة قبل الغزو بيومين .
ولم تكن الخطة معروفة عند الولايات المتحدة فقط ، ولكنها كانت
معروفة عند مصر أيضا .

كانت المعلومات التى تجمعت كافية لتوضيح خطة العدوان ، وقد جاء
ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى (مجنم جمال عبد الناصر - الباب الأول)
فقد أرسل الملحق العسكرى المصرى بتركيا الأميرالاي زكريا العادلى أمام
معلومات تفصيلية عن تحركات بريطانيا فرنسية اسرائيلية للهجوم . وحضر
بنفسه الى القاهرة حيث أبلغها لعبد الحكيم عامر .

واتصلت مجموعة اليهود من الشيوعيين المصريين المفيين فى باريس ،
بالملحق العسكرى المصرى فى ذلك الوقت نروت عكاشة ، وأبلغته بأنباء
الغزو المحتمل . . . وعندما تجمعت له أنباء وافية عن ذلك من هذا
المصدر ومصادر أخرى قرر إرسال عبد الرحمن صادق المستشار الصحفى
برسالة خاصة الى جمال عبد الناصر .

قال لى عبد الرحمن صادق إنه حفظ الرسالة وما بها من معلومات عن ظهر قلب ، ولم يحمل معه أية أوراق ، وغادر باريس الى بروكسل كما لو كان فى نزعة عطلة نهاية الاسبوع ، ومنها اتجه فوراً الى القاهرة ، حيث قابل على صبرى فى مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، وسمع منه الرسالة ، ثم قابل جمال عبد الناصر فى مكتبه ، وأعاد عليه الرسالة مرة أخرى .

ويقول عبد الرحمن صادق ان جمال عبد الناصر تشكك فى صحة المعلومات ، فطلب منه أن يعيد الرسالة مرة أخرى ، وسأله عن مصدرها ، ثم قال (ان هذا يتناقض مع ما عندنا من معلومات) .
لم يكن جمال عبد الناصر يتوقع أن نقف إسرائيل مع الدول الكبرى على مستوى واحد فى تنفيذ خطة الغزو .
وتوافرت معلومات أخرى من مصادر مختلفة .

قال لى زكريا محيى الدين انه توافرت لديهم معلومات كافية عن الحشود ، ولكنهم استبعدوا احتمالات التدخل لعدم وضوحها اذ كانوا يعتبرون ذلك نوعاً من الضغط السياسى . . . كما انهم استبعدوا فكرة الربط بين هجوم إسرائيل وملاحقته بهجوم بريطانى فرنسى مشترك .
ويؤيد زكريا محيى الدين أيضاً انه لم يكن هناك استبعاد لفكرة العدوان الثلاثى الفرنسى وانما اتخذ ذلك فى تقديرهم كخطة خداع لصالح الاسرائيليين .

ويؤكد زكريا انه لم يؤثر على الحطة الدفاعية المصرية احتمالات الانزال فى بور سعيد والاسكندرية . . . ولكن الحديعة الحقيقية كانت فى هجوم الاسرائيليين ، لان الجيش كان قد وضع خطته الدفاعية على أساس الانزال الانجليزى الفرنسى ، ولذا فانه لم يتحرك لسيناء الا يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ .

كان جمال عبد الناصر قد اعتقد ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠٪ بل انه استبعد احتمالات الغزو بعد موافقه وزراء خارجية فرنسا وانجلترا ومصر على المبادئ الستة وهى :

- ١ — أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة دون تمييز .
- ٢ — أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ — أن تكون إدارة القناة منفصلة عن سياسات الدولة كانت .
- ٤ — أن تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتمين بالقناة .
- ٥ — أن تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .
- ٦ — فى حالات النزاع يجب تسوية الامر بالتحكيم .

كان جمال عبد الناصر متطلعا الى مرور الازمة وتسويتها سلمياً ، وكان فيما يبدو حسن النية الى حد ما بخطط الامبريالية الشرسة ، فانه عندما بلغه صلاح سالم بعد عودته من مؤتمر لندن ان الغزو — فى رايه — أصبح مؤكداً ، لم يأخذ جمال عبد الناصر قوله مأخذ الجد الذى يحمل بوادر الخطر .

لم يتصور جمال عبد الناصر ان ايدن يمكن ان يقدم على هذه المفامرة التي قد تطيح باسمه ومستقبله . . ولم يكن يتصور ايضا ان اسرائيل يمكن ان تدفع قواتها لتصل الى قناة السويس بعد اقل من سبع سنوات على قيامها ، وأقل من سنة ونصف على عودة بن جوريون الى رئاسة الوزراء ، وخاصة ان معدل الاحتكاكات والغارات الاسرائيلية الفجائية على القوات المصرية كانت قد خفت . . بل انه كان قد تقرر سحب قوات من سيناء لتدافع ضد غزو محتمل للقناة ، ويؤكد ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى الذى كان يعمل وقتها فى مكتب (اللواء) عبد الحكيم عامر قائلا انه لم يكن فى غزة والعريش سوى فرقة مشاة واللواء السادس فقط .

السدوان :

لم تكن هذه القوة المشكلة من فرقته ولواء كافية . . . ليس للدفاع عن سيناء ، وانما حتى لمراقبة تحركات العدو فى هذه الارض الشاسعة التى تبلغ مساحتها (ثمن) مساحة مصر .

ولذا فانه عندما أعلن الاسرائيليون يوم ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ انهم قد ارسلوا طابورا مدرعا الى سيناء ، لم تكن قد وردت بعد أية أنباء عن ذلك من القوات المصرية . . . وعلم جمال عبد الناصر بذلك من أجهزة الاستماع فى مكتبه .

وسرعان ما اذاع الاسرائيليون فى العاشرة مساء ان قواتهم قد أصبحت على مقربة من قناة السويس ، وكانوا يقصدون بذلك قوات المظلات التى هبطت فوق ممر متلا .

ويقول زكريا محيى الدين ان هذه الانباء قد دفعتهم الى وضع خطة لمجابهة غزو اسرائيل فقط ، ذلك ان أحدا فى القيادة العسكرية لم يكن قد تصور أبعاد الخطة كاملة ، وان هناك تدبرا عدوانيا مشتركا بين الدول الثلاث اسرائيل وفرنسا وانجلترا .

هذا بينما يؤكد حافظ اسماعيل مدير مكتب القائد العام فى ذلك الوقت انه كانت هناك خطة عسكرية لمواجهة كل الاحتمالات .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) - (ومع ان عبد الناصر كان شديد الريبة فى امر انزال المظليين الاسرائيليين فى منطقة ممر متلا - نظرا الى بعدها السحيق عن القوات البرية الاسرائيلية - فقد كان لا يزال مقتنعا بأن المشاركة فى العمليات الحربية بين اسرائيل وبريطانيا وفرنسا هى من المحرمات غير الواردة ، وكان لا يزال مقتنعا بأنه ليس فى وسع ايدن أن يتعاون مع الاسرائيليين بهذه الطريقة) .

ولكن فجر اليوم التالى بدد كل الشكوك وأظهر حقيقة الخطة عندما تبين أن طائرات سلاح الجو الملكى البريطانى (كانبرا) قد حلت فى سماء مصر . . . وتم ابلاغ السفير الأمريكى الجديد فى القاهرة (ريموند هير) بذلك .

وفى الساعة الرابعة استدعى السفير المصرى فى لندن (سامى أبو الفتوح) الى وزارة الخارجية البريطانية ، كما استدعى كمال عبد النبى

سفير مصر في باريس الى وزارة الخارجية الفرنسية في نفس الوقت ، حيث سلما الانذار المشترك الصادر عن الحكومتين البريطانية والفرنسية الى مصر واسرائيل .

كان الانذار يطلب من كل من اسرائيل ومصر أن توقف اطلاق النار وتنسحب عشرة اميال من كل جانب من طرفي القناة ، ويطلب من مصر القبول باحتلال القوات الانجلو فرنسية للمواقع الرئيسية في بور سعيد والاسماعيلية والسويس .

كانت المهلة المحددة في الانذار ١٢ ساعة فاذا ما انتهت هذه المهلة — على ما جاء في الانذار — دون أن تنصاع اى من الحكومتين او كلاهما الى المطالب السابقة ، فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل باية قوة تحتها الضرورة لتأمين الانصاع .

وفي نفس الليلة اجتمعت الحكومة المصرية لتقرر ما يجب عمله ... وكان الرأي هو أن قبول الانذار سوف يعتبر كارثة ولذا تقرر رفض الانذار ، بينما قبلته اسرائيل تبعا للخطة المشتركة . واتجهت القيادة لمواجهة العدوان والغزو الثلاثي .

قال الفريق مرتجى ان جمال عبد الناصر كان هو صاحب القرار بسحب القوات المصرية من سيناء بعد أن كشفت الخطة المعادية حتى لا تقع بين فكى الكماشة القادمة من اسرائيل عبر سيناء والغازية لمصر من طريق بور سعيد على مجرى القناة .

وحدث أول خلاف في وجهات النظر بين جمال عبد الناصر الذى اخذ هذا القرار ، وبين عبد الحكيم عامر الذى اصدر اوامره للمدركات بالتوجه الى سيناء لمقاومة الغزو الاسرائيلي ... ويقول حسنين هيكل ان النقاش قد استمر بين الرجلين طوال الليل مما اخر سحب الدبابات من سيناء .

وفي اليوم التالى ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ اختلف عبد الناصر مرة أخرى مع القيادة العامة للجيش التى وجدت ان انسحاب الدبابات الى الدلتا يتيح لها فرصة خوض معركة بالدبابات ضد القوات البريطانية والفرنسية الغازية ، ولذا نقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق ... وكان هذا مخالفا لتصور عبد الناصر الذى نظر الى الامر بظرة استراتيجية وسياسية تقضى بضرورة الدفاع عن القناة والتشبث بها حتى لا يحقق لقوات الغزو المعادية غرضها الذى يتركز في العودة لاحتلال منطقة القناة ، وليس الزحف الى القاهرة . كانت هذه هى بداية الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر .

وكان مجلس قيادة الثورة قد انتهى دوره ، ولم يعد له وجود شرعى بعد مرحلة الانتقال ، وحصل اعضاؤه على ثلاثة ايام للتفكير فى البروتوكول اسبقية على الوزراء واستقال من اعضائه يوسف صديق وصلاح سالم وابعد كل من عبد المنعم أمين وخالد محيي الدين ، كما رفض جمال سالم الاشتراك فى الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال .

قال جمال عبد الناصر ان اقرب اثنين اليه خلال فترة العدوان كانا عبد اللطيف البغدادي وذكريا محيي الدين .
ويقول عبد اللطيف البغدادي انه لازم جمال عبد الناصر ملازمة الظل خلال فترة العدوان ٢٠٠٠ . وقد واجه عبد الناصر بنفسه الجماهير في خطبة الجمعة الشهيرة بمسجد الازهر الشريف معلنا انه سيحارب وسيبقى مع اولاده في القاهرة لن يغادرها ... وكان صوته متحشرا لمرضه بالانفلونزا .

ولم يكن خلاف جمال عبد الناصر مع عبد الحكيم عامر هو الخلاف الوحيد ... نشأ خلاف ثان بينه وبين صلاح سالم الذي جسم الخطر الذي يمكن ان ينجم عن العدوان والانتذار ، وطلب من عبد الناصر ان يسلم نفسه الى السفير البريطاني سير همفري تريفلان طالما هو المستهدف شخصيا ، كما نشطت الاذاعات المعادية في تصوير الامر بهذه الصورة ، اذ بدأت اذاعة بريطانية من قبرص باسم (صوت بريطانيا) كان غايتها اثارة الشعب المصري ومحاولة التفرقة بينه وبين جمال عبد الناصر .

قال جمال عبد الناصر لصلاح سالم انه لو كان يعتقد ان البريطانيين يريدون شخصه فقط لاستسلم لهم راضيا ، ولكنهم يريدون مصر وشعب مصر وثورة مصر ولذا قال له (اننى افضل ان اضحى بنفسى وانما اقاتل ، ولكننى لن استسلم) .

وتراجع صلاح سالم عن موقفه ، وأدرك خطاه ، واراد أن يتبنت حسن نيته في لقاء له مع عبد الحكيم عامر بالقيادة العامة فلبس ملابس جندي كان مكلفا بحراسة المكتب ، وطلب ان يعود في خدمة القوات المسلحة ، فكلفه عامر بالدفاع عن السويس ، وكان زميله كمال الدين حسين قد كلف أيضا بالدفاع عن الاسماعيلية ... وبذل الاثنان جهدا ايجابيا واضحا في اعداد المقاومة الشعبية ... وتركز الدفاع على القناة من البحر الابيض الى خليج السويس ، واغرقت فيها بعض البواخر لسد الملاحة واعاقة تحركات الاساطيل البريطانية والفرنسية .

وفي الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) تفاصيل قصة المقاومة الشعبية فى بور سعيد وغيرها والتي كان يشرف عليها ذكريا محيي الدين وزير الداخلية .

وفى يوم اول نوفمبر وضع للعالم ان مصر لا تقف وحدها فى المعركة ، وان دخول اسرائيل ضمن خطة العدوان ، قد حشد الدول العربية حول القاهرة ... فاذاغة دمشق وعمان بدأت تذيع قائلة (هنا القاهرة) بعد ضرب محطات الارسال فى ابي زعبل ... وابلغ الملك حسين عبد الناصر باستعداد الاردن للهجوم على اسرائيل ، ولكن عبد الناصر طلب منه عدم اقدام على هذه الخطوة حتى يظل الجيش الاردنى سليما .

وكان شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا فى موسكو وقتها وطلب من المسئولين هناك ان يتدخلوا لحماية مصر ... كما نسف الضباط الوطنيون ومعهم عبد الحميد السراج مدير الشعبة الثانية (المخابرات)

محطات ضخ البترول الموجودة في الاراضي السورية والتابعة للشركة البريطانية في العراق .

وقطعت سوريا والملكة السعودية علاقاتهما الدبلوماسية مع كل من إنجلترا وفرنسا ، واكتفت الأردن والعراق بقطع العلاقات مع فرنسا حيث كانت تربطها ببريطانيا علاقات صداقة خاصة الى جانب حلف بغداد الذي ارتبطت به العراق .

الامة العربية كلها وقفت الى جانب مصر ٠٠٠ وكل قوى التحرر الوطني ، والدول الاشتراكية جميعها . . وجماهير ملحوظة من الشعب البريطاني والفرنسي تظاهرت ضد العدوان الذي كان يتطور يوما بعد آخر ، قالوا : ان البريطانيين تقذف القوات المصرية المنسحبة من سيناء ، وتدمر المطارات المصرية وهي جاثمة فوق أرض المطارات خلال يوم واحد . ويقول عبد اللطيف البغدادي ان الرأي كان قد استقر على عزل قائد الطيران صدقي محمود ، ولكن عبد الحكيم عامر تشبث ببقائه ٠٠٠ بينما يقول ذكريا محيي الدين انه كان قد تقرر عزل قادة الجيش والبحرية والطيران ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث .

الحرب مستمرة وكفة العدوان راجحة ، ويستشعر جمال عبد الناصر الخطر ولا يطيق البقاء في القاهرة ، فيحاول السفر الى بورسعيد وفي مدينته (أنشاص) التي عانت من الغارات البريطانية يعلم لحظة وصوله يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ خبر نزول قوات المظلات البريطانية في بورسعيد ، والفرنسية في بور فؤاد ، فاضطر للعودة الى القاهرة ليدبر العمليات من مبنى مجلس قيادة الثورة في الجزيرة .

واجهت مصر العدوان الثلاثي والكل يردد (خنحارب) ، واغنيات (الله أكبر) (والله زمان يا سلاحي) ترتفع كل مكان .

ومضت المعركة الحربية والسياسية كما ظهرت تفصيلا في الباب الاول من الجزء الثاني (مجمع جمال عبد الناصر) الى ان صدر قرار وقف إطلاق النار عقب نشر الصحف البريطانية والفرنسية لانداز بولجانين الشهر واجتماع مجلس العموم في صباح نفس اليوم لاتخاذ القرار .

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان مصر وعبد الناصر قد كسبا من عدوان ١٩٥٦ أكثر مما خسرا ، فقد تاكدت وثبتت سيطرة مصر على قناة السويس .

ومع ذلك فان القوات المسلحة المصرية قد انسحبت من سيناء دون الدخول في مهادنة تصادية مع القوات الاسرائيلية ، ولم يصمد القادة العسكريون في وجه الغزاة البريطانيين في بورسعيد كما صمدت المقاومة الشعبية ٠٠٠ وضربت المطارات المصرية وهي جاثمة على الارض في المطارات دون حركة أو مقاومة ٠٠٠ ولم تثبت القيادة العامة للقوات المسلحة (عبد الحكيم عامر) حرة حقيقية على التوجيه والقتال .

صادف العدوان فترة حساسة للقوات المصرية المسلحة ، فالتسلح السوفيتي والتدريب عليه لم يكتمل بعد ٠٠٠ والاسلحة البريطانية عاجزة

ومتخلفة ... عقيدة القتال وبدرسته مرتبطة بالاسلوب البريطاني ...
وعديد من الضباط حصلوا على بعثات في أمريكا ... وكان هناك خبراء
من فلول النازيين في ألمانيا بحث اشرف الجبرائيل فون باخر .
كانت نتيجة العدوان الثلاثي على مصر بمعيار العمليات العسكرية
هزيمة لا شك فيها ... فقد فرض القتال فرضا في توفيت غير مناسب لم
تتخذ او تتوافر فيه الاحتياطات اللازمة للقتال ... ومع ذلك فقد اضعف
اشتراك ثلاث دول في العدوان مرارة الهزيمة .

ولا ينفي هذا ان بعض الوحدات قد قامت بدور باسل وشجاع ..
ولكن الاغلبية العظمى من الوحدات لم تخبر اختبارا جادا في القتال .
قال لي الفريق مرتجي ان اللواء السادس مشاة عطل دخول القوات
الاسرائيلية الى سيناء مدة ثلاثة ايام الى ان صدر له الامر بالانسحاب ...
ولم تهجم القوات الاسرائيلية مع ذلك الا بعدها بيوم كامل ، ولم يحدث أى
اختراق الا في رفح حيث ضرب اللواء الذي كان يعود الاميرالي جعفر العبد
من البحر بالسفن الاسرائيلية .

وقد بلغت خسائر الجيش المصري الف قتيل ، واستشهد عدة مئات
في عمليات المقاومة الشعبية في بور سعيد ، وأسر ستة آلاف مصري
وفلسطيني معظمهم من قطاع غزة ولكن افرج عنهم تدريجيا بعد وقف
القتال ... ولم تبلغ خسائر المعتدي الا ١٧١ قتيل اسرائيليا ، ٢٦ جنديا
فرنسيا وبريطانيا عند الانزال ثم ارتفع الرقم خلال عمليات المقاومة
الشعبية .

وأمام هذا الموقف الواضح ، اقترح اللواء عبد الحكيم عامر أن يقدم
استقالته من قيادة القوات المسلحة ، ولكن جمال عبد الناصر لم يوافق على
ابتعاد صديق عمره ، واصر على بقاءه رغم تعارض ذلك مع فكرته عنه وخلافه
معه أثناء وضع خطة المعركة ... وكان التشبث به سببا في بقاء صديقي
محمود في مركزه رغم مسئوليته عن كارثة الطيران حيث وافق جمال
عبد الناصر على أن يعطيه فرصة أخرى .

ورغم الهزيمة العسكرية ، كان هناك نصر سياسي لا شك فيه .
اكتسبت ثورة يوليو وزعامة جمال عبد الناصر شعبية هائلة في الأمة
العربية جعلته يصل الى قمة لم يعرفها زعيم عربي من قبل ، حيث كانت
صوره ترتفع في كل مكان ، وخطبه يحفظها البعض عن ظهر قلب .
تحركت في الدول العربية روح المقاومة للانظمة الرجعية التي لم
يسعدها قرار جمال عبد الناصر بتأميم القناة ، ولا تحقيقه للنصر السياسي
الذي انتهت اليه معركة العدوان ، وبدأ ذلك في العراق المرتبط بحلف
بفداد .

كان قرار جمال عبد الناصر برفض الانذار والصمود والحرب سببا في
تقدير دول العالم الثالث والدول الاشتراكية للدور الواقعي البارز الذي
تلعبه مصر في مقاومتها للامبريالية ودعمها للثورة الوطنية .
انكشف نهائيا الدور الذي تلعبه اسرائيل في المنطقة لحمة الامبريالية
والاستعمار ... وفقدت بريطانيا وفرنسا كثيرا من المكتسبات والعلاقات

- التي حصلت عليها خلال تاريخ طويل نتيجة لربط خططهما مع اسرائيل .
- وبعد أن توقف إطلاق النار ، بدأت فترة انسحاب القوات المعتدية .

بعد العدوان :

انسحبت القوات البريطانية والفرنسية قبل أن تنسحب القوات الاسرائيلية ، وكان يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ هو يوم الجلاء الثاني في عام واحد للقوات البريطانية عن مصر ومعها حليفاتها القوات الفرنسية . كانت فرنسا تحرض اسرائيل على البقاء في سيناء ، ولذا أسرع شيمون بيريز بالتوجه الى باريس في فبراير ١٩٥٧ لبحث مدى المصونات التي يمكن أن تقدمها فرنسا لاسرائيل في حالة فرض عقوبات عليها أو استئناف الاعمال الحربية ، وقد أبدت فرنسا استعدادها للوقوف الى جانب اسرائيل .

ومع ذلك فإن قوات اسرائيل انسحبت تدريجيا بعد محاولة مستهترة لشبث بالأرض التي احتلتها ... ولكن الظروف السياسية العالمية وقرارات الأمم المتحدة ، وتريص حكومة الولايات المتحدة بالمنطقة بعد انسحاب القوات البريطانية والفرنسية ... كل ذلك دفع اسرائيل للتراجع ... ولكنها لم تتراجع نراجعا كاملا كما فعلت الدولتان الكبيرتان .

كانت الاتفاقية التي أمكن التوصل اليها تفرض شروطا رأى جمال عبد الناصر انه من المصلحة الا يرفضها رفضا تاما في هذا الوقت تفاديا لتعقيد الامور ، وهو لا يملك قوات مسلحة قادرة على الردع ، ومشاكل المجتمع الجديد تنتظر من يضع لها حولا .

وتحت مظلة الأمم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا تقرر الجلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا ... وضع ستار دفاعي من قوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ثانيا ... فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات للملاحة والتجارة الاسرائيلية .

ثالثا ... اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعا ... الاتفاق على أنواع محددة من الاسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق .

كانت هذه الشروط في واقعها تنازلات أكيدة من الجانب المصري ... ولكنها اذا قورنت بالانتصار السياسي الذي تحقق بعد العدوان ، واجبار قوى ثلاث دول على الانسحاب قبل أن تضي سنة أشهر على العدوان ، تعتبر ضئيلة ، وخاصة اذا وثقنا أن فكرة العدوان على اسرائيل وتدميرها كانت أبعد ما تكون عن فكر جمال عبد الناصر .

يعتبر جان لاكوتير قبول عبد الناصر (دليلا على التخلف العسكري

الذى وجد انه قد انتهى اليه) .

ويقول انطونى ناتنج (رغم نجاح عبد الناصر فى جذب الرأى العام العالمى الى صفه ، ونجاحه فى الحصول على التأييد المعنوى للدولتين العظيمةين أمريكا وروسيا الا أنه عرف وقيل نقطة ضعفه ، ولذا رضى فى مباحثاته مع همرشولد حلولاً وسطاً) .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يدرك أن انحسار النفوذ البريطانى الفرنسى عن المنطقة ، لا يعنى انحصاراً كاملاً لنفوذ الامبريالية العالمية ، ولكنه يفتح شهية الامبريالية الامريكية لورثة نفوذ الدولتين ، وان اسرائيل قد بادرت بوضع نفسها تحت عباءة النفوذ الامريكى . . . ولذا فان التناطح الكامل ورفض هذه (التنازلات) المحدودة ربما كان كفيلاً بتغيير اتجاه الموقف الامريكى ، وزيادة عناد اسرائيل ورفضها للانسحاب .

ولذا فانه يصعب القول بأن ذلك كان (تهاونا وطنياً) من جمال عبد الناصر . . . ولكنه كان يعنى ادراكاً واعياً بطبيعة الظروف التى كانت قائمة خلال هذه الفترة .

انسحبت اسرائيل تماماً فى شهر مارس ١٩٥٧ بعد أن حررت الطرق ويثت الالغام ودمرت آبار البترول وفى نفس هذا الشهر وفى يوم ٩ بالتحديد أصدر الكونجرس الامريكى قراره بشأن مشروع ايزنهاور تحت اسم (دعم السلام وتوطيد السلام فى الشرق الاوسط) وهو يخول ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة ، وانفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشتركة .

أومد ايزنهاور ممثله الشخصى جيمس ريتشاردز فى جولة استطلاعية بالمنطقة لبحث حولها على قبول (مبدأ ايزنهاور) وسارعت اسرائيل باعلان ترحيبها وموافقتها على مساعدة الولايات المتحدة لدول المنطقة فى الاحتفاظ باستقلالها ووحدتها اراضيها ، وخاصة بعد أن ضاعت هبة بريطانيا وفرنسا بعد فشلها فى العدوان على مصر (مما خلق فراغ القوة فى هذه المنطقة الاستراتيجية) .

ونشطت اسرائيل فى الدعوة لمشروع ايزنهاور وتجسيم الخطر الشيوعى كما صرح بذلك شيمون بيريز مدير وزارة الدفاع فى ذلك الوقت عندما أكد (ان وجود اسرائيل يشكل حاجزاً ضد انتشار الشيوعية لا فى الشرق الاوسط فحسب . بل وفى افريقيا كذلك . . . وان - تقوية - اسرائيل انما هو ضمان لاستقلال كثير من شعوب المنطقة) .

ولكن مشروع ايزنهاور لم يجد عند مصر من الترحيب ما وجده عند اسرائيل ، فقد أدرك عبد الناصر أن الامريكين يريدون أن ينشروا مظلهم على المنطقة ، وأن يرثوا المصالح البريطانية والفرنسية فيها . . . ولكنه لم يكن مستعداً لقبول ذلك ، وخاصة بعد أن انسحبت القوات المعتدية فعلاً ، وأصبحت قوات الأمم المتحدة تشكل ستاراً دفاعياً وحاجزاً سلمياً بينه وبين اسرائيل .

ولم تجرؤ دولة عربية فى هذه المد القومى على قبول (مشروع

ايزنهاور) فقد كانت مصر قد أكدت دورها الطليعى المتميز ، وكان جمال عبد الناصر قد أصبح الاسم والشخصية التى تخفق لها قلوب الجماهير على امتداد الوطن العربى ، والتى لا يجرؤ حاكم على اتخاذ موقف مضاد له ، وهو الذى خرج منتصرا من معركة العدوان ، مستمرا فى تأييد ثورة الجزائر ، قاسيا فى مهاجمته لحلف بغداد ومشاريع الامبريالية المشبوهة . فشل مشروع ايزنهاور فعلا ٠٠٠ وبدأت حكومه الولايات المتحدة تدرس استراتيجيتها وسياسنها الجديدة فى المنطقة .

والفشل فى مواجهة الحصر لا يعنى عدم محاولة السرب الى صفوفه وتمزيق وحدته ، وهكذا فعلت حكومة الولايات المتحدة عندما قررت تفتيت الجبهة العربية التى خرجت من حرب ١٩٥٦ شديدة القه والنماسك .

أخذت الحكومة الامريكية فى الشهر التالى مباشرة لرفض مشروع ايزنهاور - أبريل ١٩٥٧ ، تركز أنظارها على الاردن وتعلن عن قلدها من امتداد السيطرة الشيوعية على البلاد ٠٠٠ ونجحت الدوائر الامريكية فى فتح ثغرة قلبت فيها الحكومة الوطنية وعزلت قيادة الجيش ، واضافت الاردن الى قائمة الدول التى تحصل على مساعدات عسكرية (انظر الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو « عبد الناصر والعرب » الباب السابع) .

وما أن نجحت الحطة الامريكية فى الاردن حتى حولت انظارها الى سوريا ، ولكن الخطة التى تقرر لها أن تنفذ فى اكتوبر ١٩٥٧ بتدخل تركى واسرائيل لم تنجح لوعى الشعب السورى ووطنية قيادته واسراع جمال عبد الناصر بارسال قوات الى اللاذقية .

وأمام هذه المؤامرات لم يكن جمال عبد الناصر قد توارى فى الظل أو ارتضى لنفسه وحكومته الهدوء والسكون ٠٠٠ بل انه بدأ هو الآخر فى تنفيذ استراتيجيته التى تحقق لمصر الاستقلال الوطنى ، وتحقق للعرب تضامنا قوميا مؤثرا .

المشكلة الاولى كانت توحيد تسليح الجيش وتدريبه وتحويله الى جيش مقاتل يمكن أن يكون سندا عند وضع اية خطة وطنية .

اول ضباط مصريين سافروا الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٥٧ بأسماء مستعارة تحاشيا لنشاط المخابرات الامريكية ، وكانت الاسلحة السوفيتية قد بدأت تتدفق منذ أكثر من سنة ٠٠ ووصل الخبراء السوفيت كما يقول الفريق عبد المحسن مرتجى فى أواخر عام ١٩٥٨ بأعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط ، حيث اشتركوا فى إعادة تنظيم القوات على أساس المدرسة والعقيدة الشرقية .

اسرائيل تجد ان وسيلتها الوحيدة للحياة والبقاء هى الارتباط بالدولة الامبريالية - الولايات المتحدة - وتعرض عليها دور المنفذ لسياستها فى المنطقة .

ومصر تجد أن وسيلتها الوحيدة أيضا للمحافظة على استقلالها الوطنى وبناء مجتمعها بإرادة الشعب ، هو أن توطد علاقتها مع الدول الاشتراكية التى أبدت استعدادا لتزويدها بالسلاح ثم المصانع فيما بعد .

مواقف سياسية جديدة :

فرض العدوان الثلاثي على المنطقة واقعا جديدا ... وبدأت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي يلعبان دورا متزايدا في المنطقة ... وتحدد موقف الدول العربية من اسرائيل باعتبارها دولة معتدية ... تحتل جانبا من أرض فلسطين ، ولاكتفى بذلك فتهجم على مصر وتحتل جانبا من أرضها . ومع ذلك فانه عندما سألت المسز دوروثي طومسون جمال عبد الناصر في يناير ١٩٥٧ خلال حديث نشرته (مجموعة أنصار السلام المصريين) منقولاً عن مجلة (البوليس المصرية) قائلة :

(سألت الرئيس صراحة هذا السؤال : هل تنوى تدمير اسرائيل ؟
انهم يقولون ان هذا هو هدفك) .

أجاب (اننى اتحدى مسيو موليه ومسنر سلوين لويدي ان يجدا في كافة خطبى وتصريحاتى كلمة تشير الى اننى أنوى تدمير اسرائيل) .
ونشرت وثيقة أنصار السلام أيضا فقرة أذيعت من إذاعة القاهرة يوم ٢٧ مارس ١٩٥٧ توضح المواقف السلامى لمصر وتقول :

(ان الجلاء عن غزة وشرم الشيخ يضع نهاية لعملية غزو مصر ، ومصر الآن مستعدة لحل أى مشكلة معلقة بوسائل سلمية ... وللحقيقة فان موقف مصر كان سلاميا قبل واثناء وبعد العدوان) .

واذا كان بن جوريون قد أفلح في تخريب محاولات السلام الاولى مع موسى شاريت ، فان الوقت والظروف لا تعتبر متأخرة .

عندما وقع العدوان على مصر حلت (اللجنة العربية الاسرائيلية) التى شكلت في باريس من يوسف حلمى وآخرين كما أوضحنا في الفصل الاول ، وارسل يوسف حلمى برقية تأييد لجمال عبد الناصر في حربه العادلة ضد المعتدين كما أرسل نداء للشعب الاسرائيل يفسر فيه تورط الحكومة الاسرائيلية في العدوان ، ويوسف حلمى كان يفرق كثيرا بين شعب اسرائيل وبين سياسة حكومته ... كما أرسل خطابا حادا مفتوحا للحكومة الاسرائيلية يدين تصرفاتها العدوانية نشرته الصحف الفرنسية .

وقد عاد يوسف حلمى اول سكرتير للمجلس المصرى للسلام الى القاهرة عقب العدوان عام ١٩٥٧ بعد أن كان قد غادر القاهرة خلال أزمة مارس ١٩٥٤ ، عاد يوسف حلمى ليواجه موقفا جديدا في مصر .

كان يوسف حلمى أحد المؤسسين الرئيسيين لحركة السلام في مصر وانتخب سكرتيرا لها بارادة أعضاء المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه محمد كامل البندارى سفير مصر في موسكو .

وكانت حركة السلام تصدر منذ انشائها قبل النورة مجله (الكاتب) الاسبوعية التى نافست في التوزيع المحلى معظم المجلات التقليدية ، وسبقت غيرها في السودان .. كما كانت حركة تستمد وجودها وقوتها من الجماهير التى تناضل ضد الحرب الباردة واططار السياسة الامريكية التى تبناها جون فوستر دالاس وزير الخارجية وعرفت بسياسة حافة الهاوية .

ورغم تعطيل الحكومة لمجلة (الكاتب) ضمن عدد من المجلات والجرائد أثناء سنوات الصدام بين حركة الجيش والقوى السياسية المختلفة كما ذكرت تفصيلا في الجزء الاول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) .. فقد ظلت حركة السلام

قائمة تناضل من أجل أهدافها الانسانية .. ولم تتوقف رغم خروج يوسف حلمى من مصر بعد ملاحقة السلطة له ، ودخول سعد كامل الى السجن . وكان عبد الرحمن الشرفاوى قد تولى أعمال السكرتير بالنيابة خلال تواجد يوسف حلمى فى الخارج .

ويقول عبد الرحمن الشرفاوى انه قد أسلم العمل ليوسف حلمى فور عودته ليكون سكرتيرا عاما للسلام كما كان وكما عرفه الناس . ولكن تيارات جديدة بدأت تتحرك ضد يوسف حلمى باصابع السلطة التى لم تكن لتسمح بوجود هذه الحركة التى ولوانها ليست حزبا سياسيا الا أنها تجمع الناس حول قضايا سياسيه يأتى السلام فى مقدمتها .

وكان محمد كامل البندارى قد اسلم رئاسة المجلس للدكتور ابراهيم رشاد أبو التعاون فى مصر ووكيل وزارة الشؤون الاجتماعيه السابق . أرادت الحكومة أن يفرض العسكريين ايضا على هذه الحركة الشعبية واختارت خالد محبى الدين ، وهو الذى كان قد عاد من الخارج . واعطيت له رئاسة تحرير جريدة المساء .. ولكنه لم يستطع ان يصل الى منصب السكرتير العام عن طريق الانتخاب . لانه لم يكن فى الاصل عضوا فى المجلس المصرى للسلام . كما أن أعضاء المجلس كانوا يريدون تحاشي فرض السلطة لشخص معين عليهم رغم أن خالد محبى الدين كان ذا وجه تقدمي .

ولم يعد باقيا سوى التدخل السافر من جانب الحكومة بصورة قرار بتشكيل المجلس المصرى للسلام ، ظل الدكتور ابراهيم رشاد رئيسا له واصبح خالد محبى الدين سكرتيرا عاما .. وابتعد عن المجلس عدد من رواده ومؤسسيه الاوائل مثل يوسف حلمى وسعد الدين كامل وعبد الرحمن الشرفاوى والشاعر كمال عبد الحليم والفنان حسن فؤاد .

وهكذا لم يعد فى مصر أى نشاط يمكن ان يقترب من السياسة ، وهى تسيطر عليه أو تخضعه لارادتها عن طريق فرض أعضاء مجلس الإدارة عليه . وابتعد يوسف حلمى عن المجلس المصرى للسلام ، بعد ان ابتعد عنه ، وعاش يرقب فى صمت سلوك بعض الذين وضعوا أيديهم فى يده خلال نضال مشترك .. ولم يشأ القدر له أن يعاني مزيدا من العذاب النفسى ، فافتحم عليه حياته مرض خطير انتهى به الى الموت وهو اكمل ما يكون شبابا وأعلى ما يكون همة ، وأصفى ما يكون نفسية .

مات يوسف حلمى .. بعد ان اثرت مواقفه الشجاعة فى تغيير رؤية الكثيرين من اعداء السلام داخل اسرائيل .. وبعد ان وقف فى حزم ووضوح الى جانب جمال عبد الناصر بعد ان نجحت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية فى تخريب محاولات السلام .

وتوضيحا لروح السلام اجاب جمال عبد الناصر على سؤال محدد للكاتب الأمريكى وليام أتورد نشر فى الدبلى اكسبريس يوم ١١ يونيو ١٩٥٧ : سواء دمرت اسرائيل أو طلبت السلام ، ماهو الحل الذى تختار ؟ وتحت أى شروط توافق لوضع نهاية لحالة الحرب مع اسرائيل ؟ وقال جمال عبد الناصر :

— أننى لم اتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل .. واى تسوية شاملة يجب ان تأخذ فى الحسبان حقوق العرب اللاجئين ومشاكل الحدود ...

ومن الجانب الاسرائيلي فانها يجب ان تأخذ في الاعتبار حقوقها في استخدام القناة وخليج العقبة، اننى لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة . وعبد الناصر في ذلك يؤكد قناعته في الاعتراف باسرائيل كدولة فرضتها الظروف وزرعها في المنطقة .

وفي احدى جلسات جمال عبد الناصر مع اعضاء امانة الاتحاد الاشتراكي في تاريخ لاحق (٢٣ فبراير ١٩٦٥) أثار أحد الاعضاء قضية متعلقة بتداول كتاب يدرس الاوضاع النقبية في اسرائيل وينتقد ذلك ، وعبد الناصر يلح على ضرورة دراسة الاوضاع في اسرائيل على اساس علمي دقيق . واستنكف العضو ايراد اسم اسرائيل مسبقا بكلمة دولة ، وكنا قد اعتدنا بعد عام ١٩٤٨ أن نقرن اسم اسرائيل في الكتابة والاذاعة بلقب (المزعومة) ورد عليه جمال عبد الناصر باستفاضة ووضوح :

اننا لانستطيع في الواقع القول بأن اسرائيل ليست دولة . . ان اسرائيل دولة تعترف بها الدول ، واما اذا كنا نحن لا نعترف بها فان ذلك لا يمنعنا من التعرف على كل انظمتها ، وحين نتكلم عن اسرائيل فاننا يجب أن نعتبرها دولة . . وأرد ان أشير الى اننى دائما لأقول اسرائيل المزعومة أو دولة العصابات لاننا في هذا نكون اكمن يضحك على نفسه)

• واستشعرت اسرائيل التي أجبرت على الانسحاب ان مزاجها خلق استراتيجية جديدة تزداد فيها التصاقا بالولايات المتحدة بعد فشل (مشروع ايزنهاور) وفشل خطة الاعتداء على سوريا في اكتوبر ١٩٥٧ كما ذكرنا ، والتي انتهت برد فعل عكسي اثر الوحدة بين مصر وسوريا في (الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨) .

وكانت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق ، وتدخل الاسطول السادس الامريكى في لبنان ، ووصول قوات بريطانية الى الاردن ، فرصة لاسرائيل للضغط من اجل زيادة ارتباطها بحكومة الولايات المتحدة والحصول على الاسلحة منها ، حيث لعبت على التناقض بين السياسة الامريكى والعربية . أسرع شيمون بيريز في اغسطس ١٩٥٨ الى الولايات المتحدة يحصل قائمة بالاسلحة والمعدات المطلوبة لاسرائيل ، غير ان الولايات المتحدة طلبت مهلة للدراسة .

وفي مارس ١٩٦٠ عقب الازمة التي نشأت بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة حول المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود السورية ، سافر بن جوريون الى الولايات المتحدة طالبا من ايزنهاور صواريخ هوك (لتحمل اسرائيل من الوحدة العربية التي حاصرتها من الشمال والجنوب ، وجعلت سماءها مطوقة بدولة واحدة هي الجمهورية العربية المتحدة) .

ولكن ايزنهاور لم يبت ايضا في هذا الطلب حيث كانت مدة رئاسته على وشك الانتهاء . وأشار الكتاب السنوى لحكومة اسرائيل عام ١٩٦٠/٦١ الى مدى الدعم الامريكى لاسرائيل في فقرة جاء فيها :

(ان الولايات المتحدة تؤكد في بيانها من جديد موقفها من اسرائيل وتنوه بأن وجود اسرائيل وازدهارها جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية الامريكى كما تقدر حكومة الولايات المتحدة محاولة اسرائيل تدعيم سياستها

وضمان مستقبلها السياسي . وهي مستعدة لزيادة مساعدتها الفعالة من أجل تحقيق هذين الهدفين)

هذا التوجه الاسرائيلي نحو امريكا كان محسوبا بعد تغيير نظام الحكم في فرنسا خلال مايو ١٩٥٧ ووصول ديغول الى الحكم بعد ثورة الجنرالات، واختفاء معظم اصدقاء اسرائيل القدامى من العسكريين والسياسيين الذين شاركوا في مؤامرة العدوان الثلاثي .

أنهى ديغول وجود ممثل اسرائيل خاص في وزارة الدفاع الفرنسية قائلا : (ان فرنسا دولة مستقلة ولن تسمح لبعثات خاصة بأن ترابط في وزارة الدفاع الفرنسية) ، وطلب في رسالة الى عبد الناصر اقامه علاقات جديدة مع العالم العربي .

ومع ذلك فان بن جوريون زار فرنسا في يونيو ١٩٦٠ لاثام صفقة شراء طائرات ميراج جديدة بدأ التفاوض من اجلها عام ١٩٥٩ .

واعتمدت اسرائيل أيضا على التسليح من ألمانيا الغربية بتصريح خاص من الولايات المتحدة عقب زيارة بن جوريون لواشنطن في مارس ١٩٦٠ .

وكانت أول صفقة أمريكية تقرر إرسالها الى اسرائيل ، صفقة من صواريخ (هوك) المضادة للطائرات عقب زيارة بن جوريون الى امريكا واتفاقة مع الرئيس جون كينيدي على ذلك صيف عام ١٩٦١ .

وبدأت سلسلة من الخطابات المتبادلة بين كينيدي وعبد الناصر . يمكن الاطلاع عليها في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) . ولكن تبادل هذه الخطابات التي تعرضت من جهة عبد الناصر لحقنوق اللاجئين الفلسطينيين كما ورد في خطابه بتاريخ ١٨ اغسطس ١٩٦١ الذي جاء فيه : (كان هدفي أن اشرح لكم ان حق اللاجئين الفلسطينيين مرتبط بحق الوطن الفلسطيني وأن بقية الاركان العربية لا يمكن ان تمزل نفسها عن العدوان الذي انقض على واحد منها بسبب واضح هو أن هذا العدوان - فضلا عن كل مايعنيه التضامن العربي - يهدد الاقطار العربية الباقية بالخطر نفسه والمصير نفسه) .

وقد حاول بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل خلال هذه الفترة ان يعيد من جديد محاولات الاتصال مع جمال عبد الناصر عن طريق المارشال تيتو ، فarsل اليه خطابا بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٩٦٢ كما ورد في كتابه (العرب والفلسطينيون وأنا) يدعو فيه الى الوساطة لبدء مفاوضات بين مصر واسرائيل تستهدف عقد اتفاق سلام . . ولكن تيتو رد عليه بعد أربعة اشهر بتاريخ ١٤ أبريل ١٩٦٢ يقول (اننى اذا اخذت بعين الاعتبار الظروف الحالية في هذا الجزء من العالم ، والتوتر الذي يسود فيه ، أجد أن التدخل الخارجى لايمكن حسب رأى أن يتوصل الى النتائج المرغوب فيها) .

اعتذر تيتو واستقال بن جوريون في ١٦ يونيو ١٩٦٣ . وفى تبادل الخطابات بين كينيدي وعبد الناصر اتضحت سياسة الاخير غير العدوانية، ولكنها لم تمنع كينيدي من الموافقة على امداد اسرائيل فى نفس الصيف - كما ورد فى كتاب العسكرية الصهيونية، المجلد الاول - الذى وصله فيه هذا الخطاب بصواريخ هوك ، وفتح باب عرض لامداد اسرائيل بالاسلحة ، وكان ذلك بداية موقف سياسى جديد فى المنطقة .

الفصل الثالث

ضغوط على النظام

(تالم عبد الناصر أشد الالم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة
أول تعبير على مستوى دولى عن حلمه بالوحدة العربية ، ولم
يكتب لها أن تبعث فى حياته ، ومن هنا فإنه عندما سمع
بتورط وكالة المخابرات المركزية فى المؤامرة ، أحس بالتأثر
والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كيندى يتقرب منه فما الذى
يدفع وكالة المخابرات المركزية للعمل ضده ؟)

محمد حسنين هيكل
عبد الناصر - والعالم

لم تعرف ثورة يوليو فترة ازدهار واستقرار ، مثلما عرفت بعد العدوان
الثلاثى ، وانسحاب القوات المعتدية .. ولم يحظ جمال عبد الناصر بتأييد
شعبى جارف كما حظى عام ١٩٥٧ وما بعد ذلك .
كانت سنوات صعود خارقة .. رغم الهزيمة العسكرية التى تحولت
الى نصر سياسى باهر .
لم يقف الناس كثيرا عند التنازلات التى قدمت ثمنا لجلاء القوات
الاسرائيلية .. ولم تسلط الدعاية أية أضواء عليها ، اذ اعتبرت امرا ثانويا
لا يفسد روعة النتيجة النهائية .

وانفرد جمال عبد الناصر في قمة السلطة يشكل مجتمعه الجديد ، ومن حوله اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .. وقد بعد الفارق بينه وبينهم ، بعد ان اصبح شخصية عالمية يفخر بها العرب ، وتتطلع اليها حركات التحرر الوطنى في العالم الثالث ، وتتوطد الصداقة بينه وبين قادة الدول .
ولم تمض عدة شهور على محاولة الامريكيين اخضاع النظام في سوريا - اكتوبر ١٩٥٦ - حتى اعلنت الوحدة بين مصر وسوريا ، وظهرت الجمهورية العربية المتحدة الى الوجود في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ .

ولم تكمل خمسة أشهر على قيام الجمهورية العربية المتحدة حتى قامت ثورة ١٤ يوليو - ١٩٥٨ في العراق ، وبادر جمال عبد الناصر بزيارة موسكو لضمان تأييد الاتحاد السوفيتي للقوى الوطنية في المنطقة .
وبدا الاستقطاب في المنطقة يأخذ شكلا واضحا .

وتحركات قوى الامبريالية لمساندة الانظمة الرجعية خوفا من امتداد آثار ثورة العراق .. فنزلت قوات الاسطول السادس الامريكي في لبنان ، وتحركت القوات البريطانية من قبرص الى الاردن .. وكانت هذه هي بداية (الضغوط المباشرة) التي تتعرض لها المنطقة .
ولكن القوات الامريكية لم تبقى طويلا ، فقد انسحبت من لبنان عقب انتخاب فؤاد شهاب رئيسا للجمهورية بعد شمعون . ولم يكن قد مضى عليها اكثر من اربعة شهور .

وجلت بعد ذلك القوات البريطانية عن الاردن .
وعندما سأل الصحفي الهندي (كارانجيا) جمال عبد الناصر في ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ قائلا .

— يبدو ان الاردن التي احتلتها القوات البريطانية هي في الحقيقة الضحية الكبرى للغرب .. فما هو حل هذه المشكلة ؟
اجاب عبد الناصر :

من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد ان الشعب الاردنى هو الذى يستطيع بوطنيته وحكمته ان يرسم الطريق ، ولكن الامر الذى اتضح ويزداد كل يوم وضوحا هو ان الحديث عن عملاء عبد الناصر او هيئات او منظمات تعمل لحساب عبد الناصر .. او الحديث عن عدوان مباشر او غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد اصبح اكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخبرعوها انفسهم بل لعل العالم كله يرى الآن من الذى يستخدم العملاء ومن الذى يدير الاموال في الاردن .. ان ملك الاردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليونا من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطنى ، منذ اكثر من عام ، هذا الملك الآن في حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لى يحموه من شعبه) .

ولكن عملية الاستقطاب لم تمض في المنطقة الى غايتها ، فسرعان ما تغيرت الظروف عقب الخلافات التي نشأت بين ثورة يوليو المصرية وثورة يوليو العراقية .. والتي امتدت آثارها الى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى عام ١٩٥٩ ، وهو العام الذى تميز بظهور

الخلاف بين عبد الناصر والشيوعيين العرب تم اعتقال الشيوعيين المصريين ، وتبادل الاتهامات بين جمال عبد الناصر وخروشوف .

وتلقت حكومة الولايات المتحدة هذه الخلافات محاولة توسيعها والاستفادة منها في محاولة للنفوذ الى مصر من جديد ، بعد ان ارتكب بالاس خطاه الكبير بسحب تمويل السد العالي ، ومحاولة أمريكا فرض مشروع ايزنهاور .

ووصل الخلاف مع الاتحاد السوفيتي من جهة ، والتقارب بين مصر وأمريكا من جهة أخرى الى حد تحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي الى الولايات المتحدة .

واستصدر الأمريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذي أتاح لهم فرصة امداد مصر بالقمح وغيره من المساعدات الأخرى .. واستمر الأمر كذلك بعيدا عن صخب الدعاية مدة عامين كاملين ١٩٥٩ ، ١٩٦٠ تسلم بعدها جون كينيدي رئاسة الولايات المتحدة الأمريكية ، وبدأت بين جمال عبد الناصر سلسلة من الخطابات المتبادلة تناقش المشاكل المحلية والعالمية .

وكانت مشكلة إسرائيل محورا من محاور النقاش كما يتضح في الخطاب الذي كتبه جمال عبد الناصر يوم ١٨ أغسطس ١٩٦١ والنشور في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) ، ردا على خطاب كينيدي في مايو ١٩٦١ الذي قال فيه :

(اننا لعل استعداد للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين المساوية على أساس مبدأ إعادة التوطين أو التعويض عن الممتلكات ، وعلى المساعدة في إيجاد حل منصف لمشكلة تنمية مصادر مياه نهر الأردن ، وان نقدم عوننا لأحرار التقدم في الجوانب الأخرى من هذه المشكلة المعقدة) .

ويبدو ان حكومة مصر قد تصورت أن هناك بابا قد فتح لحل مشكلة فلسطين ، فبادرت وزارة الخارجية بارسال النشرة رقم ٢٧ / ت لسنة ١٩٦١ بتاريخ ١٠ أغسطس الى بعثات التمثيل الدبلوماسية والقنصلية للجمهورية العربية المتحدة بالخارج الحاقا لنشرة سابقة صدرت في أول أغسطس . تقول النشرة :

نود الاحاطة بما يلي :

١ — لم يطرأ أى تغيير فيما سبق وجاء فى النشرة المذكورة اعلاه ، وتود الوزارة أن تؤكد مرة أخرى ضرورة مراعاة عدم الخوض فى موضوع اللاجئين الفلسطينيين قدر الامكان ، وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية والدول المرتبطة بها . وتدون النشرة فى نهايتها ملاحظة تقول :

ان وزارة الخارجية تتشرف بافادتكم انها اذ ترسل اليكم هذه التعليمات انما تهدف من وراء ذلك الى التسهيل على سير المفاوضات التى تدور الآن فى جو هادئ وبالطرق الدبلوماسية مع حكومتنا وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية لحل قضية اللاجئين الفلسطينيين .

ان هذه المفاوضات تتقدم بصورة مرضية وقد اظهرت الحكومة الامريكية نيتها الحسنة نحونا وذلك بتوقيعها على اتفاقية تبادل فوائض السلع التموينية معنا ، وعدم اثاره موضوع اللاجئين ساعد كثيرا على سير المفاوضات فى الطريق المرغوب .

التوقيع : وكيل الخارجية - محمد حافظ اسماعيل .

كان هذا التقارب يتم بعد صدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، واثناء صدور الميثاق ، ووضوح اتجاه التحول الاجتماعى نحو الاشتراكية ، وهى أمور لا ترضى فى مضمونها الامبريالية الامريكية ، ولا الرجعية العربية .

وسرعان ما انتهت فترة الهدوء التى نعم بها جمال عبد الناصر ونظامه ، بعد انسحاب القوات المعتدية عام ١٩٥٦ ، وتمصير الممتلكات البريطانية والفرنسية ، ورفض الدول العربية جميعا لمشروع ايزنهاور ، وعلان الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحدة ، وعدم تردى الامور مع الاتحاد السوفيتى الى الحضيض رغم خلافات ١٩٥٩ فقد عبرت الدولتان الجفوة بالاتفاق على اتمام المرحلة الثانية للسد العالى ، ومواصلة التعاون الفنى والاقتصادي ، وكذلك عودة العلاقات مع الولايات المتحدة الامريكية الى طبيعتها بعيدا عن التوتر ، واستقرار الهدوء على الحدود المصرية الاسرائيلية . سرعان ما انقضت هذه الفترة من الهدوء والانتصار ، ووقعت الجمهورية العربية المتحدة ونظامها التقدمى تحت ضغوط شديدة مختلفة .

الانفصال :

كان انفصال سوريا عن مصر ، وفشل أول تجربة للوحدة ، أول هزيمة سياسية تلحق بجمال عبد الناصر ، بعد سنوات صعود خارقة .

وقع الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ بعد شهرين تقريبا من اعلان قوانين يوليو الاشتراكية ، وكان ذلك تأكيدا بان الرجعيين الذين عارضوا هذه القرارات ، قد قرروا رفض الاستكانة للنظام الذى حقق للبرجوازية فى سوريا نموا واستقرارا لم نشهده فى سنوات الانقلاب المتعددة (أربع انقلابات فى خمس سنوات من ١٩٤٩ الى ١٩٥٤) .

نجحت أول محاولة انقلابية تمت فى عهد الوحدة . فلم تكن هناك محاولات جادة سابقة ، ولم يحاكم ضابط سورى بتهمة تدبير انقلاب . كان السبب الرئيسى فى ذلك هو تفرغ الجيش من الضباط الذين توافرت لهم ميول أو ارتباطات سياسية سواء من البعثيين أو الشيوعيين أو أصحاب الميول الأخرى ، بعد أن قطعت ثورة يوليو خيوط الاتصال بينها وبين الأحزاب السياسية التى لعبت دورا وطنيا فى حياة الشعب السورى . وقد اعترف جمال عبد الناصر بهذا الخطأ اثناء محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ عندما قال (ان حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صح) على حد تعبيره .

وقال أيضا فى نفس المحادثات (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا اسلوب آخر وهو حل الأحزاب التى لا تتفق فى الهدف ، ثم تجميع الأحزاب

الآخري التي تجمعها وحدة الهدف .. الاحزاب القومية تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية تسير على هدف واحد) .

لم يبق في الجيش السوري الا الضباط الذين لم تكن لهم ارتباطات سياسية نشطة في الماضي .. وكانت تجربة تفريغ الجيش المصري من العناصر المهمة بالسياسة بما فيهم معظم الضباط الاحرار ، قد طبقت في الجيش السوري ايضا .

وكانت الرجعية السورية قد استكانت لنظام الوحدة لما وفره لها من استقرار وارياح .. ولابعاده شبح حدوث تغيرات اجتماعية حادة يتعاون في قيادتها البعثيون والشيوعيون والديمقراطيون التقدميون ..

ولكن صدور قوانين يوليو فجر كل التناقضات التي كانت نائمة تحت السطح ، ودفع العناصر الرجعية في الجيش وخارجه الى التحرك والمغامرة ، في وقت كان أسلوب الحكم فيه قد خلق مقاومة ضد تصرفات القيادات المسئولة في القوات المسلحة ، ووزارة الداخلية التي اتسمت برفاتها بالبعد عن الانسانية فيما اشتهر عنها من اعتقالات وتصفيات بدنية للمعارضين ، كما حدث مع الشهيد فرج الله الحلوسكرتير الحزب الشيوعي اللبناني الذي اعتقل وقتل واذيب جسده في الاحماض لضحياع معالم الجريمة .

وانتهزت العناصر الرجعية وقوع خلاف بين المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية وعبد الحميد السراج وعجز جمال عبد الناصر عن التوفيق بينهما ، ثم استقالة السراج من منصبه وهو الذي كان قد وفر أجهزة امن تسربت الى معظم قطاعات المجتمع ، وفجأة لم تعد لها قيادة .. وتحركت هذه العناصر لتوجيه ضربتها لأول تجربة للوحدة في تاريخ العرب الحديث .

كان عبد الحكيم عامر موجودا في دمشق وقت وقوع الانقلاب .. وبعض الذين شاركوا فيه كانوا أعضاء في هيئة مكتبه (عبد الكريم النحلاوي) ، وكان هذا دليلا على قصر نظره ، وعدم ادراكه بالاضطراب المحيطة به ، وانتهاجه اسلوبا بعيدا عن الثورية والقدرة على توجيه الامور .

عدد الضباط الذين شاركوا في الانقلاب كانوا ٢٧ ضابطا فقط .. وهي قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها ان تنجح لو كان في الجيش ضباط ثوريون من ذوي المبادئ والحدودية والتقدمية .

وثبت ان احد زعماء الانقلاب (حيدر الكزبري) كان على صلة وثيقة بالنظام الاردني والملك حسين الذي امدّه بالمال والتأييد ..

وكان الملك حسين والملك سعود قد اتفقا على ضرب الوحدة .. وثبت فيما بعد ان الملك سعود قد مول الانقلاب بمبلغ ١٢ مليون جنيه كما صرح الملك نفسه بعد عزله من عرشه ولجؤه الى مصر ، وثبت ايضا بعد سقوط حكومة الانقلاب الاولى وتقديم بعض اعضائها للمحاكمة فيما عرف باسم

(قضية الدندشى) ان عملاء المخابرات المركزية الامريكية قد لعبوا دورا فى مؤامرة الانفصال .

كانت قمة الاتحاد القومى قد اسهمت فى المؤامرة أيضا ، فقد عين مأمون الكزبرى سكرتير الاتحاد القومى فى دمشق رئيسا لوزراء حكومة الانفصال ، وله سابقة معروفة فى تاريخه فقد عين رئيسا للجمهورية السورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلى فى محاولة لاستمرار خطه واسلوبه ، ولكنه ابعد امام ضغط الاحزاب الوطنية التى استولت على الحكم بعد ابعاد الشيشكلى .

والغريب ان مأمون الكزبرى كان صديقا شخصيا لعبد الحميد السراج . وعندما عرف بعض الضباط الوطنيين الذين شاركوا فى عملية الانفصال الدور الذى قام به حيدر الكزبرى متعاوننا مع النظام الملكى فى الاردن قاموا باعتقاله فى سجن المزة .

اثبتت عملية الانفصال التى تمت بسرعة خارقة خلال ٢٤ ساعة ان هناك تدبيرا عريضا شمل المخابرات المركزية الامريكية ، والنظاميين الملكيين فى السعودية والاردن ، والعناصر الرجعية داخل اجهزة الحكم وقواته المسلحة .

وفقد جمال عبد الناصر سوريا فى غمضة عين ، وهو الذى كان يعيشها عشقا خاصا ، ولا تضيغ من ذاك رته استقبالات الشعب السورى له وحمل عربته فوق الاكتاف فى حلب . . . وحاول فى اللحظات الاخيرة ان يتدخل عسكريا لمنع اتمام الانقلاب ولكنه تراجع عن ذلك امام وضوح الموقف له بعد انتقاله الى مكتب مدير الاذاعة لاول مرة فى حياته .

كانت صدمة شديدة لعبد الناصر . .

ويعر محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) عن حالة جمال عبد الناصر فى هذه الفترة بقوله :

(تالم عبد الناصر أشد الألم من الانفصال ، فقد كانت الوحدة أول تعبير على مستوى دولى عن حلمه بالوحدة العربية ولم يكتب لها ان تبعث فى حياته ، ومن هنا فانه عندما سمع بتورط وكالة المخابرات المركزية الامريكية فى المؤامرة ، احس بالتأثر والدهشة معا ، ذلك انه اذا كان كنيدي يتقرب منه فما الذى يدفع وكالة المخابرات المركزية الى العمل ضده ؟)

الضغوط على النظام كانت تنبعث أساسا من المخابرات المركزية الامريكية رغم العلاقات الحسنة ظاهريا بين جمال عبد الناصر وكنيدى .

ولا شك ان أول هزيمة سياسية يتعرض لها جمال عبد الناصر قد أفقدته الكثير من شعبيته المدعومة بانتصارات مقتالية ، وأوضحت له ان طبيعة نظامه ليست مستقرة على أسس راسخة . .

وفى هذه الفترة الحرجة التى اعقبت الانفصال تلقى عبد الناصر فى نوفمبر رسالة شفوية من كنيدي عن طريق السفير جون بادو يشير فيها الى ما اسماء (سباق التسليح) فى المنطقة ، والى ان بعض

اعضاء مجلس الشيوخ الامريكى يدعون ان امريكا تساعد عبد الناصر على شراء الاسلحة ، وحجتهم فى ذلك ان اعطاء القمح لمصر بناء على القانون الامريكى ٤٨٠ يمكن عبد الناصر من توفير عملة صعبة لشراء الاسلحة .

وكانت مدة الاتفاق على القانون قد أوشكت على نهايتها (ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٥٩) .

بدأ عبد الناصر يرتاب فى صلق نوايا كيندى ، كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) حيث مرت لحظات (كان يعتقد خلالها ان القوضى مقصودة لتتبع لذرار من ذراعى حكومة الولايات المتحدة ان تتبع سياسة ودية يقصد منها ان تكون ستارا ، بينما تعمل الذراع الاخرى ضد مصر) .

ولم يكن الانفصال هزيمة لحلم الوحدة العربية فقط ، ولكنه كان ضربة شديدة للموقف العربى تجاه اسرائيل .

قبل ايام من الانفصال كان جمال عبد الناصر يخطب فى شباب وعمال سوريا يوم ١٧ اغسطس ١٩٦١ ويقول لهم انه يقرأ ما تذيعه محطة اسرائيل ويجد كل توجيهها وهدفها هو اثاره الاقليمية (لان اسرائيل تعتبر الوحدة خطرا عليها ، وان معنى الوحدة العربية فناؤها ، وان بقاءها قد يطول اذا استمر الخلاف فى داخل الامة العربية) .

ولكن الخلاف وصل الى الانفصال فعلا ، وتحطمت الكماشة العربية التى كانت تحيط باسرائيل ، وتستطيع ان تطبق عليها عسكريا .
وظهرت الى السطح الخلافات المصرية السورية حول الموقف من اسرائيل خلال اجتماع الجامعة العربية فى شتورا صباح ٢٢ اغسطس ١٩٦٢ والذى حضرته وفود ١٢ دولة ، وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا .

انضم امين النافورى الضابط ووزير الوحدة السابق الى الوفد السورى فى الجلسة السادسة لىواجه زملاءه اكرم دبرى وجادو عز الدين اعضاء وفد الجمهورية العربية المتحدة ، وبدأ حديثه باتهام مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارئ الدولية ، مسفها قول المشير عامر بان هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى ان تستعد مصر تماما لمناطحة اسرائيل .

ويتمادى امين النافورى فى هجومه فيتهم مصر بانها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس فى الهجوم عليها ، وتدخل فى ذلك حساسات عبر عنها انها - غير صحيحة - ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوى باحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا اكتر من ه فى المائة فى المطارات وفى الاجهزة ، واذا ما تدخلت الطائرات المقاتلة اندممت فعالية القذف الجوى لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لافراد القاذفات) . ويؤكد امين النافورى رايه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتى ان قوات الجمهورية العربية المتحدة تستطيع سحق اسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التى كانت عام ١٩٥٦ ، وهى

فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى)^٤ وانطلاقاً من هذا المنطق الذى نشرته كاملاً فى الجزء الثالث من قصة ثورة ٢٣ يوليو (عبد الناصر والعرب) ٠٠ هاجم أسعد محاسن عضو الوفد السوري مصر وقال (ان حياد القاهرة الايجابى هو بين اسرائيل والعرب فقط) ٠٠ وتتأسق ذلك مع حملة الدعاية السورية المضادة لحكم القاهرة والتي وصلت قمته باتهام اكرم الحوراني لجمال عبد الناصر (بالتخاذل وتنفيذ المخططات الامريكية فى المنطقة ومساعدة اسرائيل بطريق غير مباشر)^٥

كانت قضية الخلاف هى محاولة اسرائيل تحويل مجرى نهر الاردن ، وقد نقلت فى (عبد الناصر ٠٠ والعرب) بعض ما دار فى جلسة المناقشة كما وردت على لسان امين النافورى فى البيان الذى اُدى به فى مؤتمر شتورا^٦

وأعيد نشر بعض ما سبق ذكره لأدلك على انه كان هناك خلاف عميق فى اسلوب التعامل مع اسرائيل بين حكام مصر والمسئولين فى سوريا^٧ قال المشير عامر (ان الذى يخشاه ليس اسرائيل ، بل القوات الغربية التى تدعم اسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات اسرائيل^٨

فأجبت - اى امين النافورى - (اننا نعرف قوات اسرائيل معرفة دقيقة ، ونعرف جيداً العدد الصحيح الذى تستطيع تجنيده من النساء والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات اسرائيل العددية ، ولا يتجاوز الخطأ فيها نسبة ٥ فى المائة ، وليس هناك ما يقلق ابداً من جهة اسرائيل ، سواء كان من حيث عدد القطعات او من حيث التجهيز والمعدات)^٩ وهكذا يتبين ان التبسيط كان طابع المناقشة ، وان الرغبة فى التجريح كانت الدافع الحقيقى لاثارة هذه القضية الشديدة الحساسية والبالغة السرية فى اجتماعات علنية عامة ، لا ينجم عنها سوى الاساءة لنظام مصر ، ورضعه تحت ضغط المزايدة والمبالغة^{١٠}

ولكن العقلاء فى سوريا لم يتركوا الامور تتردى الى الحضيض ، ولم تدفعهم شهوة الاساءة لعبد الناصر الى اشاعة البلبلة لدى النفوس ، فقد نشر صلاح البيطار فى جريدة البعث يوم ١٨ اغسطس ١٩٦٢ مقالا عن تحويل مجرى نهر الاردن قال فيه :

(من حق الناس ان يسألونى : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات ومن خلال الحوادث التى تعاقبت فيما بعد شهور ان عبد الناصر او المشير او الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يخطط لتصفية القضية الفلسطينية ؟

وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت اعلنه فى عهد الوحدة والذى اعلنته فى عهد الانفصال)^{١١}

وانتهى تناطح شتورا بانقلاب مارس ١٩٦٣ الذى قاده البعث وتولى فيه صلاح البيطار رئاسة الوزارة السورية والذى بادر بارسال كتاب الى امين الجامعة العربية يطلب فيه باسم حكومة الجمهورية العربية السورية اعتبار شكواها السابقة ضد مصر كأنها لم تكن وترجو حذفها من جدول

أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية .
طويت صفحة الذين دبروا الانفصال ، وتحسنت علاقات القاهرة مع دمشق ، ولكنها أبدا لم تعد الى ما كانت عليه قبل الوحدة من حيث تزواج القوات المسلحة ، وتوحيد الخط ، ووحدة القيادة في المعركة ضد الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية .
واستمر الانفصال ندبا غائرا في جبهة الجمهورية العربية المتحدة التي احتفظت بالاسم تعبيرا عن سمو الهدف ، ولكنها في الحقيقة كانت مصر فقط .

وعندما سقط عبد الكريم قاسم في العراق (فبراير ١٩٦٣) وسقط حكم الانفصال في سوريا بعد شهر واحد ، بدأت محادثات الوحدة الثلاثية التي لم تصل الى نتيجة ايجابية ، لما تركته تجربة التعامل بين ثورة يوليو وحزب البعث من اثار نفسية وسياسية في كلا الطرفين .
ولم يؤد الانتصار في الجبهة الشرقية الى تلاحم حقيفي مع مصر . .
وظل الانفصال شبعا يهدد أى خطوة وحدوية جديدة . . وقيدا يعرقل حركة ثورة يوليو في هذا الاتجاه . . وضغطا سياسيا يعانى منه النظام .

ثورة اليمن . .

قبل ان يكتمل العام بيومين على انفصال سوريا من الجمهورية العربية المتحدة ، اذاع راديو صنعاء في الخامسة مساء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ بيانا اول تعلن فيه قيادة الجيش سقوط الملكية في اليمن وقيام الجمهورية العربية اليمنية .
ولم يكن الامر مفاجئا لجمال عبد الناصر وعدد من ضباط المخابرات ، فقد كانت هناك صلات بين بعض الثوار اليمنيين وبعض المسئولين في القاهرة .

وارسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبد الناصر في الايام الاولى للثورة . . ويقول حسن ابراهيم ان جميع اعضاء مجلس قيادة الثورة لم يعترضوا على فكرة مساعدة الثورة اليمنية عندما عرض جمال عبد الناصر الامر عليهم بصفتهم الشخصية .
كانت قيادة الثورة بعد مראה النكسة تبحث عن انتصار سياسي يعيد لها التآلق ، والكلمة المؤثرة في الوطن العربي . . ولذا كان التردد أمام مساعدة ، لثورة اليمنية أمرا غير مفهوم ولا مقبول ، وخاصة انه لم يكن امام الحركة الانقلابية في صنعاء من سبيل لدعم موقفها سوى ثورة يوليو ، فقد كان البريطانيون في الجنوب والسعوديون في الشمال .

وصل انور السادات الى اليمن في الاسبوع الثاني من اكتوبر حيث وقع معاهدة نفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٢ طائرات حربية وقوات من الصاعقة تحركت من السويس يوم ٥ اكتوبر وافرادها يلبسون قمصانا بيضاء وبنطلونات رمادية . . (وفي الباب الرابع من الجزء الثالث لقصة ثورة ٢٣ يوليو) تفصيل للحركة السياسية بين القاهرة وصنعاء .

كان نجاح الحركة الانقلابية في اليمن ، ومبادرة مصر لمساعدتها ، نقطة تحول في المنطقة ، بعد ان انشقت الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ، فقد ظهرت فرصة لوقف المد الرجعي في المنطقة ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربي ، وتنظيم نظام رجعي متهاك ، وحماية ظهر الثوار في جنوب اليمن ضد الاحتلال البريطاني .

ويقول زكريا محيي الدين انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول مبدأ مساعدة الثورة اليمنية بارسال قوات مصرية ، وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط في الحرب .

ولم يكن جمال عبد الناصر بالتاكيد راغبا في تورط القوات المسلحة المصرية فوق جبال اليمن وفي اعماق الوديان ، ولكنه دفع الى ذلك دفعا ، واتخذت القوى المعادية من اليمن جرحا تستهدف به طاقات ثورة يوليو ، وتضع النظام في القاهرة تحت ضغط شديد .

ولم تكن علاقة مصر مع الولايات المتحدة سيئة عندما قاست ثورة اليمن . فالخطابات كانت مازالت متبادلة بين كنيدي وعبد الناصر رغم شكوك الاخير في اشتراك المخابرات المركزية الامريكية في انفصال سوريا بالتعاون مع النظم الملكية والرجعية العربية ، قبل ان تظهر قضية الدندشي صدق هذه الحقيقة بعد انهيار انقلاب الانفصال .

كتب انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الامريكي جون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير الا ملفا قديما من السفارة الامريكية في صنعاء . وكانت اول رسالة يتعرض فيها كنيدي للموقف في اليمن مؤرخة في ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ ويقترح فيها الانى كما وردت في كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر .. والعالم) .

١ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات الاجنبية من اليمن .
٢ — انتهاء العون الخارجي للملكيين .
٣ — الاجلاء المرحلي والسريع للقوات التي ادخلت — بعد الثورة في اليمن — الى منطقة الحدود السعودية اليمنية .

واقترح كذلك ان تصدر الجمهورية العربية المتحدة بيانا تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على اساس المقابلة بالمثل ولسحب قواتها بسرعة وعلى مراحل اذا انسحبت القوات السعودية والاردنية من الحدود وأوقف العون السعودي والاردني عن الملكيين اليمنيين .

وقد رد عليه جمال عبد الناصر في نفس اليوم حرصا منه فيما يبدو على تأكيد اهمية الوصول الى حل لهذه المشكلة التي كانت قد بدأت تقرض نفسها على الوطن العربي .

وقال جمال عبد الناصر انه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلي لاول مرة ، ويسنجيب لرسالته نظرا لما يعرفه واكده له السفير الامريكي جون بادو من ارتباطات كنيدي الوثيقة بالملكة العربية السعودية .

وأشار في خطابه إلى البيان الذي أذيع من القاهرة في الساعات الأولى من يوم ٢٧ سبتمبر (بضرورة عدم التدخل الخارجي في شئون اليمن ، وترك الشعب العربي اليمني حراً في أعمال إرادته وصياغتها نهائياً على النحو الذي يريده) .

وفتح جمال عبد الناصر صفحة التدخل السعودي الاردنى المشترك لمساندة الملكيين ضد النظام الجمهورى فى اليمن قاتلاً انهما قد اندفعاً بهذا - التصور غير الصحيح - وخاصة الملك سعود فى محاولة لفزو اليمن . . . وأشار عبد الناصر الى الطيارين السعوديين الاحرار الذين كلفوا بأعمال عدوانية ضد ثورة اليمن فقادوا طائراتهم الامريكية الى القاهرة وحولنها من الاسلحة والذخيرة معبأة فى صناديق المعونة الامريكية .

كما صرح جمال عبد الناصر كئيدى بان الجمهورية العربية المتحدة تملك وثائق تثبت ان بعض الطيارين الامريكيين قد اشتركوا فى عمليات نقل العتاد ما بين الاردن والسعودية الى حدود اليمن ، ومع ذلك فقد التمس عبد الناصر العذر لهم لعملهم (تحت عقود ملزمة ، وفى اطار ظروف فرضت عليهم ، وربما لم تكن إبعاد المسؤولية فيه واضحة امامهم) . ويحرص جمال عبد الناصر على توضيح رغبته فى السلام ، ومحاولته بالوسائل الدبلوماسية تحقيق ابتعاد خارجى عن اليمن ، وانه اضطر الى ارسال قوات عسكرية بناء على طلب حكومة اليمن .

ويقول فى خطابه (ان الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تريد حرباً مع السعودية على حدود اليمن ، فان الخلاف التاريخى بين حكومة المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة ، ليس خلافاً من نوع يحسمه الصدام المسلح ، انما الخلاف أعمق من ذلك ، فان جذوره ضاربة فى أعماق الأوضاع الاجتماعية السائدة فى العالم العربى) .

لم تصل الخطابات المتبادلة الى نتيجة عملية ، ولم توفر السلام للمنطقة . . . ومع ذلك اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ بينما رفضت بريطانيا الاعتراف لان ثورة اليمن كانت تشكل تهديداً للاحتلال البريطانى فى عدن ، فى وقت كانت الولايات المتحدة فيه تحاول تثبيت أقدامها فى المنطقة .

واستمر القتال دائراً لم يتوقف بين قوات الجمهورية اليمنية تساندها القوات المصرية ، وبين قوات الامام المدعومة بالقوات السعودية والاردنية والمرتبزة ورجال المخابرات الامريكية .

فشلت محاولات جمال عبد الناصر المتكررة لوقف القتال وسحب القوات من اليمن ، أمام الخطة المشتركة التى نفذتها السعودية فى عهد الملك سعود ثم فى عهد فيصل من بعده .

وكان مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد أخذ توصية بتصفية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات

قد تحسنت بين القاهرة وعمان ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات ايجابية في هذا السبيل .

كان فيصل أميراً أو ملكاً شديد التثبيت بموقفه ٠٠٠ عندما قررت الجامعة العربية ارسال بعثة خاصة في أكتوبر ١٩٦٢ لمقابلة أنصار الامام ، اقام فيصل العراقي في طريقهم . وعجزت البعثة عن مقابلتهم .

واستضافت السعودية بقايا الاخوان المسلمين المعارضين للنظام في مصر ٠٠ وبعض المصريين الهاربين والمنعولين مع وكالات المخابرات الغربية ٠٠٠ واستضافت مصر لفترة الامير طلال بن عبد العزيز الذي كان يطالب بحد أدنى من الديمقراطية في السعودية ، وذلك بعد لجوء بعض الطيارين السعوديين والاردنيين الى القاهرة .

وخلال عام ١٩٦٣ أعلنت السعودية رفضها قبول المحمل وكسوة الكعبة وهو تقليد مصرى قديم ٠٠٠ محاولة بذلك اشارة المشاعر الدينية ضد جمال عبد الناصر .

وكان موقف مصر من السياسة العربية قد تحسن قليلا ، بعد سقوط عبد الكريم قاسم في العراق ، وانهيار حكم الانفصال في دمشق ، وبدء محادثات الوحدة الثلاثية والتحضير لمؤتمرات القمة العربية في القاهرة .

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من مؤتمر القمة الأول فساد في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ ومعه عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وأثور السادات .

قال لي زكريا محيي الدين انه لاحظ أهمية الدور الذي تلعبه القوات المسلحة المصرية في تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطباعاً عنده بان انسحاب القوات دفعة واحدة قد يؤدي الى انهيار الجمهورية .

وكان من نتائج مؤتمر القمة أن قام عبد الحكيم عامر بزيارة عمان في شهر يوليو ١٩٦٤ وخلالها أعلن الملك حسين أنه سوف يسحب مساعداته للملكيين . وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية في نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها ليس متأخراً عن عام ١٩٦٨ .

وقام الملك حسين بزيارة مصر في شهر أغسطس :

وهنا قدر الامير فيصل حرج موقف السعودية بعد انسحاب الاردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين فاستجاب لروح وتوصية مؤتمر القمة التي كانت تتعارض مع ارادة الملك سعود ، فأرسل رسالة الى عبد الناصر في سبتمبر يبدى فيها استعدادة لمناقشة وقف إطلاق النيران .

وفي مؤتمر القمة الثاني رأس الامير فيصل الوفد السعودي بعد أن كان الملك سعود قد رأسه في المؤتمر الأول ٠٠٠ والتقى فيصل والسلال ٠٠٠ وأبلغ فيصل عبد الناصر قرب عزل الملك سعود ، الأمر الذي نفذ فعلاً في ٣ نوفمبر ١٩٦٤ وأصبح فيصل ملكاً للسعودية ، وسافر زكريا محيي الدين

لتهنئته بمنصبه وكانت خطوة في سبيل تهدئة الموقف ... أسفرت عن صدور قرار أعلن فيه الطرفان يوم ٥ نوفمبر قبول وقف إطلاق النار ، عقب اجتماعات كانت قد تمت بين الملكيين والجمهوريين في أركويت بالسودان خلال شهر أكتوبر .

ولكن الاتفاق لم ينفذ ... خرج عليه أنصار الإمام وأطلقوا النار من الجبال على الجيش المصري ... وما كان ذلك ممكنا لولا مباركة السعوديين له ... وحدثت وساطات للتهدئة قامت بها الأردن والكويت والجزائر .

ويادر جمال عبد الناصر - رغم كل شيء - بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل ومعه زكريا محيي الدين .

قال لي زكريا محيي الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصا على عودة السلام الى اليمن ، وأنه لم يتردد مطلقا في الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك يحقق هدفه الكبير .

وقال لي أيضا أن جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء الذي كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها في جدول الاعمال ، ولا في مناقشات المؤتمر الجانبية ... ولذا فانه رغبة منه في ازالة اية مصاعب تعترض الاتفاق استدعى السلال الى القاهرة في أكتوبر ١٩٦٥ ليرطب نفسية السعوديين ويقلل من ثغرة الخلافات .

قال لي اللواء طلعت حسن القائد العام للقوات المصرية والذي عين في يوليو ١٩٦٦ ان المجموعة الحاكمة بعد السلال كانت تتأمر على الوجود المصري بصلوات سرية مع السعوديين والامريكيين ، وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلال .

ويمكن الرجوع الى تفاصيل الموقف داخل اليمن في الفصل الثالث من باب اليمن في كتاب (عبد الناصر ... والعرب) .

القتال لم يتوقف رغم مؤتمر حرض ... ورغم ذهاب جمال عبد الناصر لمقابلة فيصل في جدة .

استنزاف طاقة مصر كان خطة امبريالية مدبرة ، أسهمت فيها القوى الملكية والرجعية في المنطقة .

قال لي جمال عبد الناصر في مقابلة معه بعد عدوان ١٩٦٧ (لقد أرسلت سرية الى اليمن اضطرت الى تعزيزها بسبعين ألف جندي) .

حاول جمال عبد الناصر كثيرا أن يتفادى الانزلاق الى هذا الشرك ولكنه كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل .

أولا ... تدخل بريطانيا خوفا على مواقعها في عدن ، وارسالها بعثة عسكرية لتنظيم الجيش السعودي .

ثانيا ... تدخل حكومة الولايات المتحدة تدخلا مباشرا فيما عرف باسم (حرب كומר) وهو ضابط المخابرات الامريكي السابق (روبرت كומר) الذي عينه جون كينيدي قائدا لما عرف باسم (قوة واجب) قاد فيها المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين ... كما قامت بامدادها بالأسلحة والذخيرة والتأييد .

ثالثا ٠٠٠ تخوف حكام السعودية على نظامهم الملكى وتورطهم مع القوى الاستعمارية لمساندة فلول الاماميين من اتباع البدر ٠٠٠ وعدم استجابتهم الى محاولات جمال عبد الناصر الصادرة لاقرار السلام وسحب القوات الأجنبية .

رابعا ٠٠٠ الاخطاء التى ارتكبتها بعض القيادات المصرية خلال القتال نتيجة نقص المعلومات وضعف التدريب على حرب الجبال ، والتسبب الذى فرضته ظروف البعد عن مصر وأسلوب المشير عامر وهينة مكتبه فى معاملة الضباط .

خامسا ٠٠٠ التزام جمال عبد الناصر بموقفه الثورى فى تأييد حركات التحرر الوطنى بكل ما يملكه من طاقات رغم ما يحفل به ذلك أحيانا من نواقص وتناقضات تتمثل فى الاعتماد على ضباط المخابرات وعدم وجود كادر سياسى قادر ، وغيبية التنظيم .

استمر القتال فى اليمن خمس سنوات تقريبا اثرت على القدرة القتالية للقوات المسلحة حيث ضعف التدريب وتراخى ، واستهلكت طاقة الجنود فى حرب عصافى لم يألوها ٠٠ نشرت النيويورك تايمز يوم ٢٤ مايو ١٩٦٧ ان ٥٠٠٠٠ جندي قاموا بالهجوم على الملكيين وخسرت القوات المصرية ما يقرب من ١٠٠٠٠ جندي .

كما استنزفت حرب اليمن اقتصاد مصر ٠٠ ولكن هذا لم يكن امرا اختياريا ٠٠ كانت هذه هى خطة الامبريالية لحصار النظام فى مصر واجباره على الخضوع .

هذا الضغط الشديد الذى تعرض له النظام لم يؤد الى ركوعه وخضوعه للامبريالية ، ولكنه استطاع المقاومة ٠٠٠ والقول بان مساعده ثورة اليمن قد استنزفت مصر تماما وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة هو قول مبالغ فيه كثيرا ٠٠٠ فان مساعدات الأسلحة ووسائل النقل السريع كانت من الاتحاد السوفيتى وقد اعطيت مجانا ٠٠٠ والأمور لم تصل فى مصر الى حافة الازمة لنمو خطة التنمية ٠٠٠ والذين يثيرون القول بان ما صرف من اموال فى التنمية كان كافيا لرفع مستوى الشعب يعيشون فى وهم التصور بان النظام المصرى كان يمكن له ان يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق ابوابه على نفسه .

ويقول زكريا محيى الدين احد دعاة الاهتمام بالامور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية ان صعوبة الموقف الاقتصادى لم تكن كلها كامنة فى اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن ليحقق انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصرى .

ومع ذلك فان حرب اليمن كانت ضغطا من الضغوط الشديدة التى تعرض لها النظام فى مصر ٠٠٠ والتى كسبت منها اسرائيل اساسا ٠٠٠ فان القوات المسلحة بعد ان كانت قد وصلت الى ذروة التدريب والكفاءة من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٣ كما اكد لى الفريق عبد المحسن مرتجى حيث كان قد تلمس تسليحها واكمل تنظيمها وارتفع تدريبها على

مبادئ القتال المصرية ثم عادت فتراجعت تحت ضغط الظروف الطبوغرافية في اليمن ، وطبيعة الارض التي لا تقتشايه مع ارض سيناء ، وظروف المعركة التي كانت تدفع الوحدات الى الثبات والاستقرار لتعذر تدريجها او قيامها بمناورات ، وعدم مواجهتها العدو في معركة تصادمية .

كل ذلك اضعف من تدريب الوحدات وقدرتها القتالية في وقت زاد فيه عددها حتى بلغ ٧٠٠٠ جندي كما قال لى جمال عبد الناصري ما يعادل ثلث القوات المسلحة المصرية تقريبا .

ولذا شكلت حرب اليمن ضغطا اقتصاديا على النظام ، واثرت ايضا في قدرة القوات المسلحة على مجابهة اى غزو اسرائيلى ٠٠٠ كما ان عدم تسجيل اى انتصار سياسى او عسكري لمدة خمس سنوات تقريبا قد اثر على النظام وعلى سحر شخصية عبد الناصر .

المشاكل الداخلية :

لا يوجد نظام بعيد عن المشاكل الداخلية ٠٠٠ ولا يمكن تحقيق الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى قفزا فوق هذه المشاكل .
ولكن اسلوب ثورة يوليو في تشكيل المجتمع والتجارب التي خاضتها للوصول الى (صيغة ديمقراطية) ، والتغيير المتكرر في تكوين تنظيم سياسى (هيئة التحرير - الاتحاد الوطنى - الاتحاد الاشتراكى) ، واقتضاء قوى سياسية وطنية وتقدمية عن مجال العمل السياسى ، وعدم الاعتماد على تخطيط علمى مدروس (خطة خمسية واحدة) ، وعدم اعطاء الثقافة دفعة قوية تصل بها الى الجماهير في شتى انحاء الجمهورية .

كل هذه العوامل وغيرها اُنبتت كثيرا من المشاكل الداخلية التي لا يمكن القول بانه كان يمكن تجنبها تجنبيا كاملا ، وانما كان يمكن ان تظهر بصورة بسيطة لا تهن المجتمع او تؤثر فيه تأثيرا عميقا .
وقد افرخت كل هذه المشاكل من نقص الديمقراطية والاعتماد شبه المطلق على تقارير أجهزة الأمن وما قد تحويه احيانا من صواب واحيانا من اخطاء .

انجازات ثورة يوليو في مجال الديمقراطية كانت فقيرة ٠٠٠ مجلس الامة الاول انتخب عام ١٩٥٧ بعد خمس سنوات من الثورة ، ثم سرعان ما انفض مع قيام الوحدة (فبراير ١٩٥٨) ليشكل مجلس جديد بالاقتدار عام ١٩٦٠ من ٤٠٠ عضو مصرى ، ٢٠٠ سوري ٠٠ وبعد الانفصال تكون مجلس جديد عام ١٩٦٤ .

مجلس ١٩٥٧ كان من حق الاتحاد القومى ان يشطب اَسْماء المرشحين ، وأن يخلى الدوائر لاسماء معينة ، ولذا فان ما قاله لى زكريا محيى الدين من ان الانتخابات كانت حرة ووزية الى الحد الذى اسقطت فيه والد كمال الدين حسين ، وشقيق زوجته هو شخصيا ، لايعنى أن الثورة قد انتخبت مجلسا ديموقراطيا سليما .

ومجلس ١٩٦٤ كان خطوة الى الامام فى طريق الديموقراطية ، فلم يحدث اعتراض أو شطب للمرشحين ، ولكن عضوية الاتحاد الاشتراكى كانت قيداً وحاجزاً فى الطريق .
ومع ذلك فان هذه المجالس لم تتفاعل مع المجتمع تفاعلاً ديمقراطياً يكسبها ثقة الجماهير ولم تعرف نظام المعارضة ولم تؤد دور الرقابة الشعبية السليمة ، التى تكشف الاخطاء والانحرافات وتقدم العلاج
قليلة هى الاصوات التى ارتفعت بالنقد . . . بل لم تناقش أو تحط علماً بقرارات خطيرة مثل دخول القوات المصرية لليمن أو مسار محادثات الوحدة الثلاثية مع سوريا والعراق ، أو تفاصيل اتفاق المال العام .

ومجالس الامة لا يمكن أن تكون - وحدها - هى الصورة النهائية للديموقراطية ، اذا كانت هذه الديموقراطية مفقودة داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى العربى ، التنظيم الذى يفترض فيه أن يحتوى كل الآراء ووجهات النظر المختلفة ، وقياداته كانت تفرض ولا تنتخب . . . وقراراته كانت تصدر ولا تنفذ . . . وأجهزته المختلفة كان واجبها الرئيسى هو التعرف على نبض الحياة فى سائر الانحاء ، وهو واجب رغم أهميته لا يصح أن يكون هو الواجب الرئيسى .

وعندما بدأت تجربة تكوين جهازه السياسى الطليعى (طليعة الاشتراكية) لم تتم بصورة تنظيمية سليمة ، بل انها تحت ضغوط الرابضين فى مركز السلطة تحولت الى صورة من صور الاتحاد الاشتراكى
ولكن بطريقة أفضل قليلاً كما أشرنا الى ذلك وغيره فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

وكان طبيعياً - من وجهة نظر العسكريين الذين وثبوا الى السلطة - أن يقوموا بتصفية خصومهم السياسيين ، وقد قاموا بالقضاء الاحزاب والدستور وتأكيد سلطة مجلس قيادة الثورة حتى نهاية فترة الانتقال . . .
وخلال ذلك تعرضوا لمصادمات مع الاحزاب ورجال السياسة السابقين . . .
وكان أخطر صدام لهم مع الاخوان المسلمين الذين تميزوا بتنظيم متماسك يملك السلاح ، والارهاب ليس نظرية مرفوضة عنده .

لم يكن الاخوان المسلمون حزباً ديمقراطياً . . . ولكن الاسلوب الذى استخدم معهم أيضاً لم يكن ديمقراطياً . . . مفهوم أن يحصل الاخوان المسلمون وأن يقدم قادتهم للمحاكمة ، ولكنه غير مفهوم أن يفرض عليهم تعذيب جماعى غير انساني .

كانت حركة الجيش قد قامت بأكبر عملية اعتقال فى تاريخها عام ١٩٥٤ اذ اعتقل عدة آلاف فى ليلة واحدة ، تعرض بعضهم فى السجن الحربى لاساليب مهينة ، وقامت محكمة الثورة التى رأسها جمال سالم بمحاكمة أعضاء جماعة الاخوان المسلمين بأسلوب يهبط من كرامة القضاء ويحط من مستوى الحكم فى مصر . . . ومع ذلك فقد اعتقد جمال عبد الناصر انه قد قضى على الاخوان المسلمين بعد هذه التصفية الادارية الشاملة ولكن ذلك لم يكن صحيحاً فالتصفية الادارية وحدها لا يمكن أن تنفع مع

أصحاب المبادئ - حتى ولو كانت خاطئة - ذلك لان القهر والعنف لا ينزح الافكار من الرؤوس .

لم تبدل الثورة جهدا حقيقيا في تصفية الاخوان المسلمين فكريا عن طريق توعية الناس وتثقيفهم واثاحة فرصة الاختيار الديموقراطى للجماهير واكتفت باحكام الاعدام التى اضررتها محكمة الثورة ، وقضبان السجن الحبرى وجدران المعتقلات .

ولم يكن كل ذلك كافيا . فقد عاد الاخوان المسلمون للظهور مرة اخرى بعد عشر سنوات فى عام ١٩٦٥ ، بنفس الاسلوب القديم . . . تنظيم جهاز سرى وديبر محاولات للاغتيال . . . شجعهم على ذلك احتضان بعض الدول لافرادهم الهاريين من مصر مثل السعودية وبلاد الخليج ، وارتباط عناصر منهم مع جهات اجنبية مشبوهة ، وبقاء (الدعوة) راسخة فى صدور بعضهم ، لا يلبثها او يضعفها وجود تنظيم سياسى مقنع للثورة .

ولذا فشل النظام فى أن يكتسب شرعية بين جماهير الاخوان الذين هم من الطبقة الوسطى الجديدة التى نمت مع الثورة ، فقد كان معظم المتهمين الرئيسيين من المهندسين والكيميائيين وخريجي الجامعات والطلبة ، ولم يكن يتهم أحد من العمال أو الفلاحين . . . هذه الطبقة الجديدة التى قضت الثورة على تطلعاتها واحلامها الذاتية ، وحاصرتها داخل الحدود فى اوضاع اقتصادية متواضعة . . . ولم تضع حلا لمشكلة الاغراء المادى الكبير الذى يجذب بريقه خريجي الجامعات من البلاد البترولية .

كانت (دعوة الاخوان) دليلا على فشل النظام فى ايجاد تنظيم بديل يجذب الجماهير . . . ودليلا على أن تصفية الاخوان لم تتجاوز الحدود الادارية الى الحدود الفكرية ، بل انه حتى فى الحدود الادارية كان هناك تقصير ، فلم تنشط الشرطة لمعرفة خلايا جهازهم السرى وفشلت أجهزة الشرطة التقليدية الامر الذى أدى الى الاستعانة بالمباحث العسكرية ، وانتهى الى اخراج بعض كبار ضباط الشرطة من الخدمة ، وتغيير عدد كبير من المحافظين .

ورغم كل ما قامت به الثورة من تأكيد لاتجاهها الدينى ، بزيادة عدد المساجد زيادة هائلة ، وبث اذاعة خاصة للقرآن والحديث ، واقرار الدين مادة رئيسية فى المدارس ، والحرص على التقاليد والشعائر الدينية ، فان الاخوان قد وجدوا سبيلا لاجتذاب بعض الناس ، مستغنيين الى الفراغ السياسى ، واثارة العواطف ضد احكام الاعدام واجراءات التعذيب التى تعرض لها الاخوان ، ومهاجمة بعض اجراءات الثورة الصالحة مثل الغاء المحاكم الشرعية والمجالس المليية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٥ واحلال المحاكم الوطنية بدلا منها للنظر فى دعاوى الاحوال الشخصية والاقواف اعتبارا من أول يناير ١٩٥٦ .

ولم تبدأ الثورة دورها الحقيقى فى محاولة تصفية الاخوان تصفية فكرية الا بعد اعتقالات ومحاكمات ١٩٦٥ التى أشرت اليها فى لجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) ، فقد بدأت أجهزة الاعلام تكشف دور

الاخوان تاريخيا ، وتسلبت الاضواء على حوادثهم الارهابية ، مع توضيح المعنى الحقيقي لسماحة الاسلام وسلامة نظريته الاجتماعية العادلة التي لا تتنافر مطلقا مع تطبيق الاشتراكية ، واسهمت في ذلك جامعة الازهر ووزارة الأوقاف .

كانت خطوة متأخرة ولكنها نافعة ومع ذلك فقد كانت (عودة الاخوان) ضربة موجبة لشرعية النظام ولزعامة جمال عبد الناصر التي لم تتعرض منذ عام ١٩٥٤ لمثل هذه المؤامرات أو المحاولات الداخلية ولا شك أنها أحدثت هزة دفعت النظام الى مزيد من البحث عن أسباب الضغوط أو الانفجارات الداخلية .

وخلال هذه الفترة وما بعدها وقع حادث كمشيش الذي اثبت ايضا ان فلول الاقطاعيين مازالوا يمثلون قوة انقضا على النظام ، وأن خطوات الثورة في محاربتهم لم تتجاوز ايضا الاجراءات الادارية وحدها فلم تقم الثورة تجربة اطلاق حرية التنظيم للفلاحين والاجراء .

وفي مواجهة ماوقع في كمشيش تشكلت لجنة تصفية الاقطاع التي راسها المشير عبد الحكيم عامر ، والتي اعتمدت في حركتها على رجال القوات المسلحة والاسلوب الاداري العنيف ، ولم ترأسلوا آخر لتصفية الاقطاع بعد ١٤ عاما تقريبا من صدور قانون اصلاح الزراعي في سبتمبر ١٩٥٢ .

الاجراءات الادارية المصحوبة بالعنف ، كانت اقرب السبل لقادة الثورة الذين نبثوا في وسط عسكري ، ولم يسهل عليهم التحرر من طبيعتهم أو عيوب مهنتهم .

لم تكن هناك محاولة جادة أو غير جادة لتصفية الفكر الاقطاعي سوى خطب ومناقشات جمال عبد الناصر التي كانت تقوم بتنظيمات الاتحاد الاشتراكي بدراستها وتحليلها ثم تطوى صفحتها دون تأثير حقيقي في الجماهير .

وأضرب مثلا لذلك بما دار في جلسة امانة الاتحاد الاشتراكي يوم ١١ مايو ١٩٦٢ عندما قال جمال عبد الناصر :

(أخشى أن نجد أننا كثلنا الرأسمالية الوطنية فقط لانها متكبلّة وجاهزة فعلا ومن السهل تجميعها اما بقية القطاعات أو قوى الشعب . فسنجد أننا لا نستطيع تجميعها ان عملية الاخ سيد مرعى سهلة جدا) وكان سيد مرعى هو مسئول الرأسمالية الوطنية .

عبد الحكيم عامر : أي ان الرجعية جاهزة
جمال عبد الناصر : يجب أن نفرق بين الرأسمالية الوطنية والرجعية
سيد مرعى : أرجو أن يقتنع سيادة المشير بهذا .
جمال عبد الناصر : أنت - أي سيد مرعى - الذي يجب أن تثبت ذلك

ومع هذه الخشية الواضحة من تكتل الرأسمالية الوطنية والمعجز عن تكتيل القوى العاملة فان قيادة الثورة كانت على حذر دائم من ناحية حرية

العمل السياسى والتنظيمى للعمال والفلاحين ٥٠ فقيادات العمال استمرت في اماكنها عدة سنوات دون انتخابات للتجديد خشية من ظهور عناصر تكون اقل التزاما وخضوعا للثورة واكثر حيوية وتعبيرا عن مصالح الطبقة العاملة .

وكذلك ترك الفلاحون يمارسون دورهم التاريخى الذى امتد آلاف السنين في زراعة الارض ، دون أن تتاح لهم فرصة التجمع في تنظيمات ونقابات واتحادات معبرة عن مصالحهم الحقيقية ، تحت قيادات شرعية منتخبة منهم في ديمقراطية كاملة .

ورغم حرص قيادة الثورة على وجود نسبة ٥٠٪ من العمال والفلاحين في مجلس الامة وبعض مستويات الاتحاد الاشتراكي التنظيمية الا ان هذه العناصر لم تكن مفرزة بطريقة ديمقراطية ، ولم تكن تحتل مواقعها بإرادة الجماهير ، وانما برضاء السلطات العليا في الاتحاد الاشتراكي او أجهزة الدولة ، وبذا فهي لم تكن تؤدي دورا معبرا عن مصالح طبقتها ، كما أنه يلاحظ أن جميع قيادات الاتحاد الاشتراكي الحقيقية في المكاتب التنفيذية بالمحافظات ، أو في اللجنة التنفيذية العليا عندما شكلت لم تكن من العمال أو الفلاحين بل من أبناء البرجوازية الصغيرة ... واللجنة التنفيذية العليا لم يكن فيها فلاح أو عامل .

ويلاحظ أيضا أن الاتحاد الاشتراكي قد بقى منذ تشكيله عام ١٩٦٢ الى ما بعد صدور بيان ٣٠ مارس ١٩٦٨ وهو بغير لجنة مركزية أو لجنة تنفيذية عليا ... كانت هناك امانة فقط لا تصدر أى نوع من القرارات ... بل تثير أسئلة فقط يرد عليها جمال عبد الناصر وينتهى الموضوع ، كما قال لى الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة ، وكما هو معروف ... وكذلك كان الامر في امانة طليعة الاشتراكيين كما أوضحت في الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

كانت خطب ومناقشات جمال عبد الناصر هي مؤشر التوجيه ، ولكنها وحدها لم تكن كافية دون تفاعل مع أجهزة تنظيمية قادرة على الاستيعاب والتوجيه واكتساب ثقة الجماهير بالقوة والنضال ونكران الذات .

ولذا كانت ردود فعل النظام في مواجهة ما يظهر من ضغوط نابعية من المشاكل الداخلية المتراكمة بلا حلول ... مثل تصفية الاخوان المسلمين وفلول الاقطاع تصفية فكرية وليست ادارية ... كانت ردود الفعل متسمة أيضا بالاغراق في مزيد من الاجراءات الادارية ، وقليل من المناقشات والدعاية الفكرية المؤثرة .

كان عجز التنظيم السياسى وضعف قدرته القيادية عاملا من أهم العوامل التي جعلت النظام يستشعر الضغوط الداخلية بحساسية زائدة ، واجراءات ادارية عنيفة .

وكان هذا العجز والضعف نابعا أساسا من نقص الديمقراطية داخل التنظيم ، وحق الفرد في التعبير بحرية واطمئنان ... وما يتبع ذلك

من غياب الديمقراطية الحقيقية فى المجتمع ... الديمقراطية التى تسمح بالمعارضة والنقد والنضال من أجل التغيير .

وفى مسار هذا الاتجاه كان الموقف من الشيوعيين أيضا والسذى أوضحناه فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) .

وعندما قرر النظام الإفراج عن الشيوعيين وأخلت المعتقلات تماما عام ١٩٦٤ ، لم يفتح النظام أبوابه لاستيعاب هؤلاء المناضلين الذين أمضوا فى السجن سنوات مليئة بالقهر والعذاب ، رغم وجود فرصة متاحة لذلك تمثلت فيما أباده جمال عبد الناصر من رغبة فى ضمهم الى طليعة الاشتراكيين . وما اتخذته التنظيمان الرئيسيان (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، والحزب الشيوعى) من قرار بإنهاء وجودهما التنظيمى استعدادا للنضال فى صفوف النظام .

وبقى الشيوعيون خارج دائرة النظام ... البعض منهم يدخل إليها ، ولكن تسلط عليه الاضواء لتقييد حركته ومنعه من التأثير فى الآخرين ... اما اذا انصهر فى بوتقة النظام وقبل كل الظروف القائمة بلا نقد أو تعليق ، فانه عندئذ يمكن أن يصل الى بعض المناصب المسئولة ... ولذا بقيت الكثرة الغالبة من الشيوعيين بعيدا عن مواقع المسئولية ، بل وبقي البعض منهم محروما من حق العمل رغم صدور قرار بتشغيل الخارجين من المعتقلات والسجون .

وعبر جمال عبد الناصر عن موقفه هذا صراحة عندما زار الاهرام واجتمع مع محررى الطليعة وقال لهم انهم يجب ان يؤدوا دور التضحية مثل (سان بيتر) .

كما لم يسمح النظام للطبقة العاملة والفلاحين بتنظيم أنفسهم نقابيا وسياسيا ، فانه أيضا لم يسمح لحزب الطبقة العاملة بالوجود ، ولم يسمح لأعضائه السابقين بأن يمارسوا نضالهم على نفس المستوى الذى يمارسه فيه الآخرون ... وظلت كلمة (الشيوعية تلاحق بعضهم وتطاردهم ، بل وتدخلهم المعتقلات والسجون ، كما حدث عام ١٩٦٦ عندما اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق لحدثو ومعه عناصر أخرى لفترة شهور .

صحيح أن الشيوعيين لم يأخذوا موقف المعارضة ، ولم يشكّلوا أى نوع من أنواع الضغوط على النظام ... ولكنهم حوصروا بمنعهم من النشاط السياسى المسئول فى طليعة الاشتراكيين أو الاتحاد الاشتراكي ... كما أن انفراط مسيحة تنظيمهم قد دفع البعض منهم الى الاهتمام بأمور حياتهم الخاصة بعيدا عن دفع الانتماء وحرارته ، وما يتبع ذلك من صقل للمعى ، وتغليب للأمور العامة على الخاصة ، وتأكيد للقضية ونكران الذات .

وهكذا فقد النظام فرصة فريدة كان يمكن له فيها ان يستوعب خلاصة المناضلين المصريين لأكثر من عشرين عاما ، خاصة وان قيادة جمال عبد الناصر للمجتمع خلال هذه المرحلة لم تكن محل مناقشة مطلقا ، بل اعترف الجميع بزعامته ووطنيته وتقدميته .

ومن المؤسف أن كثيرا من الذين تولوا مناصب المسؤولية في مرحلة التحول نحو الاشتراكية كانوا أبعد الناس عن فهم الاشتراكية أو الاقتناع بها. بينما وضعت الحواجز أمام الاشتراكيين الحقيقيين لتحول دون أداء دورهم الطبيعي في المساهمة لجراح خطط التنمية .

ربما لا يكون عدد الاشتراكيين الحقيقيين كافيا للخروج من أزمة نقص الكادر الاشتراكي الفنى في دول العالم الثالث ٠٠٠ ولكن مجرد بقاء (الحساسيه من الماركسية) والتهجم على كل من ينتقد أو يعارض بانه شيوعى ، كان هداما في ذاته لامكانية استيعاب العناصر الصالحة ، وستارا يختفى خلفه أعداء التقدم من الرجعيين والمحافظين بدعوى انهم اشتراكيون محليون ، وفي نفس الوقت لا يحبون الشيوعية .

ومصر لم تطبق الا خطة تنمية واحدة هي التي تمت اثناء رئاسة على صبرى للوزارة وانتهت في يونيو ١٩٦٥ وأصدر على صبرى عنها كتابا خاصا ٠٠٠ ويمكن القول بانها الخطة الوحيدة التي طبقت وانه رغم انها لم تحقق ٢٢٪ من اهدافها الا انها كانت بداية التوجه العلمى لبناء المجتمع . كانت التنمية مشكلة من المشاكل الضاغطة على النظام ٠٠ وكانت ثورة يوليو من ثورات التحرر الوطنى الدائرة في هذا المضمار ٠٠٠ ولذا اقترنت خطوات التقدم بمصاعب جديدة ٠٠٠ فالالتزام بتشغيل الخريجين في المدارس والمعاهد والجامعات فرض نوعا من العمالة الزائدة على وحدات الانتاج في وقت كانت تعاني فيه بعض المشاريع ووحدات الخدمات في الاقاليم نقصا مبالغا فيه .

وعلى قدر ما أتاحته قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية من فرص إقامة مجتمع يسود فيه القطاع العام ، على قدر ما تحملت الدولة نسبة عالية من الاجور .

الاحصائيات تشير الى ان الاجور قد ارتفعت من ٥٠ ٪ الى ٥٢٫٩ ٪ خلال التسعينات التسع الاولى للثورة ، ثم حدث ارتفاع حاد بعد ذلك من عام ١٩٦٥ فوصلت الاجور الى ٧٣ ٪ اذ تضاعفت من ١٠١ مليون جنيه حتى أصبحت ٢٢٤ مليون جنيه كما هو موضح في البيان التالى الذى صدر في عهد وزارة زكريا محيى الدين في كتيب (اهداف المرحلة القادمة) .

الانفاق الحكومي

١٩٦٥ - ٦٦	١٩٦٦ - ٦٢	١٩٥٢ - ٥٣	
٢٣٤ مليون	١٠١ مليون	٥٤٫٨ مليون	جملة المرتبات الحكومية
٣١٨ مليون	١٩١ مليون	١٠٨ مليون	جملة المصروفات الحكومية

وشكلت لجنة في يناير ١٩٦٥ برئاسة زكريا محيى الدين وعضوية عباس رضوان وكمال رفعت ومصطفى خليل لدراسة اخطاء البيروقراطية ووضع الحلول لها ٠٠ ولكنها مثل كل اللجان وقعت في مصيدة البيروقراطية نفسها .

ضاعفت هذه الحالة البيروقراطية في مصر مع الزيادة المستمرة في

عدد السكان ونقص التخطيط من متاعب النظام وشكلت ضغطا فرض عليه محاولة التهذئة حتى يعبر مرحلة الانتقال غير المستقرة في سلام ، خاصة وهو يواجه مشكلة اسرائيل التي لم تصل بعد الى حل .

القوات المسلحة . .

لم تكن القوات المسلحة قوة من القوى الضاغطة على النظام . . . العكس هو الصحيح . . . كانت القوات المسلحة هي درع النظام وحاميته وسنده الرئيسي في البقاء وفي تفريخ معظم الكادر القيادي في مجالات كثيرة (العمل السياسي - الخارجية - الاقتصاد - الصناعة وغيرها) . ولكن بعض ما كان يدور في كواليس القوات المسلحة ، كان يشكل فعلا نوعا من الضغط على النظام وقيادته السياسية .

كان جمال عبد الناصر هو الذي رشع عبد الحكيم عامر ليرقى من رتبة صاغ الى لواء ، ويتولى قيادة القوات المسلحة في ١٨ يونيو ١٩٥٣ ، وذلك ثقة منه فيه لعلاقة الصداقة التي كانت تربطهما معا خلال العمل في الجيش كانا يقيمان معا قبل الزواج في شقة واحدة . . . وبذا كان عامر هو القبض التي يقبض بها جمال عبد الناصر على القوات المسلحة ، وهو السياج العازل الذي يحول دون وصول أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين الى صفوف الجيش وما قد يتبع ذلك من محاولات انقلابية .

ولكن العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ كشف خلافا بين الصديقين حول اسلوب مقاومة المعتدين ، ومع ذلك لم يصل الخلاف الى حد الفرقة ، وما قاله لى عبد اللطيف البغدادي وذكريا محيي الدين من انه كان هناك قرار بعزل قائد القوات الجوية صدقي محمود بعد تدمير الطائرات المصرية على أرض المطارات واصرار عامر على بقائه فلم ينفذ القرار ، انما يدل على ان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت كان محتضنا لعبد الحكيم عامر ومفضلا تسليم القوات المسلحة على نزعه منها ، وقد غلب علاقته الخاصة به وثقته الشخصية فيه على قضية وطنية تتعلق باهمال قائد عسكري ومسئوليته عن تدمير قوات مصر الجوية .

وظهر خلاف جديد بين عبد الناصر وعامر عند ما حدث انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ في وقت كان فيه عبد الحكيم عامر موجودا في دمشق ، وله كل صلاحيات رئيس الجمهورية .

فرخ الانقلاب في مكتب عبد الحكيم عامر عددا من الضباط وضع ثقته فيهم فكان ذلك دليلا على غفلته وعدم احساسه بالفيلان الذي كان يفور في صفوف المجتمع والقوات المسلحة . . وكان عبد الناصر قد ساند عبد الحكيم عامر في خلافه مع عبد الحميد السراج الذي استقال وهو قابض على كل خيوط الامن الداخلي بصفته وزيرا للداخلية .

وكانت صدفة الانفصال اقصى على جمال عبد الناصر وعلى النظام من صدمة هزيمة ١٩٥٦ العسكرية والتي تحولت كما ذكرنا الى نصر سياسي .

لم يستطع جمال عبد الناصر ان يبلع مأساة الانفصال دون محاسبة عامر الذي كان مسئولاً مفوضاً في سوريا ، فشكل مجلس الرئاسة وعين عبد الحكيم عامر نائباً للقائد الاعلى للقوات المسلحة بدلا من منصبه السابق كقائد عام للقوات المسلحة ، وقدم مشروعه المعروف بتحديد اختصاصات المشير في تعيين قادة الوحدات المسلحة الى درجة كتيبة ، وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة ، وقد تضمن المشروع الذي عرضه عبد اللطيف البغدادى في جلسة غاب فيها عبد الناصر ، حدا من سلطة وزير الداخلية ايضا في تعيين كبار المسئولين في الشرطة الى درجة مأمور مركز .

ولكن المشروع لم يعتمد لاسباب ذكرناها تفصيلا في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وأدى الى غضب المشير وسفره الى مرسى مطروح بعد تقديم استقالته ثم عدوله عنها بعد الحاج زملائه واصدقائه عليه مثل صلاح نصر وعباس رضوان .

لم تكن استقالة المشير عامر عملاً فردياً ، ولكنها اخذت شكلاً جماعياً في صورة برقيات من كبار قادة القوات المسلحة تطالب بعدم قبول الاستقالة والتلويح باستقالة جماعية لكبار الضباط . وكان عامر خلال قيادته للقوات المسلحة يفتقد على الضباط ويلبى طلبات كل من يطرق بابيه من أموال الدولة ، ولهذا كان محبوباً كشخصية انسانية ، وكان انتزاعه من القوات المسلحة في ذلك الوقت يمكن ان يخلق المتاعب لجمال عبد الناصر .

والغريب ان بعض المقربين من عبد الحكيم عامر قد تصرفوا امام مأساة الانفصال تصرفات مشيئة تجلب له العار ، مثل جلال هريدى قائد قوات الصاعقة الذي هاجم النظام وعبد الناصر في تليفزيون دمشق ، وزغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى في بيروت والشخص المدلل من المشير عامر الذى لجأ الى سوريا خلال أزمة شتورا ، وعقد مؤتمراً صحفياً في دمشق هاجم فيه النظام وعبد الناصر ايضا ، وهو الذى لجأ بعد ان كان المشير عامر قد سدد مئات الالوف من الليرات خسرهما زغلول على موائد القمار في كازينو بيروت .

ورغم ذلك فلم يفعل جمال عبد الناصر شيئاً سوى تجريد بعض الضباط المصريين من مكتب المشير في دمشق عن العمل لمدة عام مثل الفريق انور القاضى وثلاثة آخرين . وعندما عدل المشير عن استقالته تراجع عبد الناصر عن مشروعه المعروض على مجلس الرئاسة للحد من اختصاصاته . وغلب علاقته مع عامر مرة اخرى على علاقته بزملائه الاخرين في مجلس الثورة مثل عبد اللطيف البغدادى الذى كان اكثرهم غضباً من المشير لعدم اخراجه صدقى محمود من قيادة القوات الجوية منذ عام ١٩٥٦ .

ولكن الانفصال والاستقالة ثم المدول عنها كانا نقطة تحول في علاقة جمال عبد الناصر او النظام بالقوات المسلحة . قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى ان جمال عبد الناصر كان شديد الاهتمام بمتابعة تسليح القوات المسلحة بالاسلحة السوفيتية الحديثة والتدريب عليها والمناورات بها ، ويفسر ذلك قوله بان الجيش كان في ذروة

كفائه من اعوام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٣ . ولكنه يستطرد فيقول ان عبد الناصر قد فقد اهتمامه بالقوات المسلحة ومتابعة تقدمها وتطورها بعد الانفصال . وكان المشير ايضا قد بدأ يتهج نهجا جديدا في حياته الخاصة دفع به الى الحياة الناعمة كما اوضحت في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) ، وضعت بذلك قبضته على القوات المسلحة من الناحية الفنية والتدريبية ، والتقط الصاغ شمس بدران هذه القرصة ففرض نفسه كشخصية مسئولة ، يلجأ اليها جمال عبد الناصر لمعرفة تفاصيل ما يدور في القوات المسلحة ، ويعتمد عليها عبد الحكيم عامر في تسيير الامور بلا حساب . واقتربت هذه الحالة بحرب اليمن التي اضعفت القوات المسلحة من ناحية التدريب ومن ناحية الانضباط . . وزاد ذلك من ابتعاد جمال عبد الناصر عن مباشرة احدى مسئولياته كزعيم للدولة ، وهي القيادة العليا للقوات المسلحة .

وهنا بدأت القوات المسلحة تظهر بما في كواليسها من تناقضات ، وما في قيادتها من تسيب ، كقوة ضاغطة على النظام وعلى جمال عبد الناصر شخصيا الى الحد الذي جعله يعين الصاغ شمس بدران وزيرا للحربية وهو غير مؤهل عسكريا لذلك فلم تتجاوز دراسته الكلية الحربية ، ولم يشترك في أية عمليات حربية ، ولم يعرف عنه الاهتمام بالثقافة العسكرية ، رغم شخصيته التي فرض نفسه بها على ضباط القوات المسلحة ، فلم يشتهر بانحرافات أعضاء مكتب المشير الآخرين الذين كان يقودهم سكرتيره الخاص على شفيق ، ولم يندمج مع المشير في حياته الخاصة اللاهية التي انتهت بزواجه من الممثلة برلنتي عبد الحميد .

ومن مظاهر بروز القوات المسلحة كقوة ضاغطة على النظام ، الواجبات التي عهد اليها بها مثل الاشراف على مرفق النقل العام ، والجمعيات الاستهلاكية والتموين ، ومطاردة الاخوان المسلمين ، واخيرا لجنة تصفية الاقطاع . ومن مظاهر ريادة سلطة المشير عامر انه أصدر عقب تعيين شمس بدران وزيرا للحربية تحدد اختصاصاته بمعرفة الدستور او القرارات الجمهورية . . أصدر قرارا بصفته نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة يحدد اختصاصات وزير الحربية وهو عضو في مجلس الوزراء .

ويعلق أمين هويدى وزير الحربية ورئيس المضابرات العامة في اول وزارة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ على ذلك في كتابه (اضاء على اسباب نكسة ١٩٦٧) قائلا (هذه سابقة لم تحدث على الاطلاق) .

كان المشير عامر سلطة فوق مجلس الوزراء . . صدور هذا القرار منه حتى ولو كان بمعرفة عبد الناصر انما يشكل اعتداء على تحديد المسئوليات التي رسمها الدستور ، ويظهر ايضا ان المشير عامر كان مطلق الصلاحية في كل ما يتصل بالقوات المسلحة .

واثبت النظام بذلك انه مازال اسيرا للقوات المسلحة التي ينبع منها

وان اعتماده عليها يشكل عنصرا رئيسيا فى حياته واستقراره .
ومعروف ان المشير والقوات المسلحة كان لهم رأى فى تعيين ومساندة
كثير من رؤساء مجالس الادارة والمديرين والسفراء وغيرهم فى المناصب
المستولة .

اذكر اثناء رئاستى لتحرير مجلة روز اليوسف ان قمنا بحملة شديدة
ضد رئيس مؤسسة التعاون الانتاجى لما شـباب تصرفاته من انحرافات
مؤكدة . . . واثناء اجتماع لامانة طلعية الاشتراكيين قال لى سامى شرف
سكرتير الرئيس جمال عبد الناصر للمعلومات انه معجب جدا بهذه الحملة ،
وان عنده معلومات تؤكد صحة كل حرف فيها . . . واخذتلى الدهشة لسماعى
هذا الحديث من شخص مسئول عرف الجميع عنه قربه من جمال عبد الناصر
فقلت له ختسائلا (ولماذا لا تقدمون هذا الشخص للتحقيق والمحاكمة ؟) . .
وقال سامى شرف همسا (هو احنا نقدر . . ده سائده المشير) !!

الى هذا الحد وصلت الامور . . مساندة المنحرفين وعجز جمال
عبد الناصر عن محاسبتهم . . ولا استطيع الادعاء بانها كانت صورة عامة
. . كما لا استطيع الادعاء بان كل المنحرفين كانوا يختبئون تحت عباءة
المشير . . ولكنى اشير فقط الى ان جمال عبد الناصر لم يعد مطلق السراح
فى توجيه القوات المسلحة او معرفة تفاصيل ما يدور فيها الا عن طريق
المشير اذا اراد او شمس بدران اذا سئل . . كما ان القوات المسلحة قد
تجاوزت دورها المعروف وهو حماية الوطن والانكباب على ذلك من ناحية
التدريب والانضباط العسكرى الى اداء مهمات مدنية ما كان يجوز لها ان
تقترب منها لو ان النظام كان قد استقر على اسس سليمة تحدد لكل جهة
اختصاصها .

ولعل هذا هو ما دفع جمال عبد الناصر الى التراجع عن تنفيذ ما ورد
فى الميثاق من ربط القوات المسلحة والشرطة ورجال القضاء بالاتحاد
الاشتراكى . . . فان تسييس القوات المسلحة يقتضى ان تكون قبضته عليها
كاملة ، دون وجود تناقضات او وجهات نظر متباينة بينه وبين المشير .

كما أن المشير لم يكن حريصا على نمو الاتحاد الاشتراكى ، ولم يكن
مؤمنا بأهمية تسييس الجيش ، فهو محبوب ومطاع بغير سياسة ، وليس
هناك من مبرر يدفع الى تفتيح عقول الجنود والضبباط بدراسة السياسة
وما تفتح من آفاق وتخلقه من افكار .

ولذا بقى نظام ثورة يوليو مثل نظم العالم الثالث التى تندفع من
صفوف القوات المسلحة فى حركات انقلابية . . . تعتمد عليها وحدها
لمساندة النظام ولا تخلق حزبا سياسيا قادرا على اكتساب ثقة الجماهير وثقة
الضبباط والجنود أيضا .

وعلى قدر الخطوات الهائلة التى خطتها ثورة يوليو فى طريق
الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى . . . وعلى قدر الانجازات الرائعة
التي أرست أسسا متينة لمجتمع جديد ، وعلى قدر المكاسب التى أحرزها
أفراد البرجوازية الصغيرة والطبقة العاملة والفلانين . . . فانها أبقت

القوات المسلحة أكثر المؤسسات تماسكا وتنظيما وقدرة في المجتمع .
ولذا شكل هذا الانفراد والتميز للقوات المسلحة قوة ضغط على
النظام ، جعلت قيادته السياسية أعجز من السيطرة عليها لتكون قوة
محاربة قادرة على أداء مسئوليتها الوطنية . . . وكانت اسرائيل ترقب
وتعرف التناقضات الموجودة في قمة السلطة والتي لم تكن خافية على
المراقبين والراصدين . . . الذين وجدوا اهتمام القوات المسلحة يتشعب
بين التموين والنقل ومحاربة قلول الاقطاع والاخوان المسلمين . . . بالاضافة
الى وجود ٧٠٠٠٠ من شباب الجيل باليمن .

خيوط الامبريالية الامريكية

منذ رفضت مصر والدول العربية مشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ،
والامبريالية الامريكية تتربص بالمنطقة لفرض سيطرتها ونفوذها عليها . .
ذلك ، بعد الهزيمة السياسية التي لحقت ببريطانيا وفرنسا بعد عدوان
١٩٥٦ ، وهما الدولتان صاحبتا النفوذ التاريخي .
لم تنتهج الامبريالية الامريكية نهج التدخل المباشر ، وانما اخذت
تتحين الفرص المناسبة لاقامة انظمة موالية وخاضعة .

وكان الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ فرصة
من هذه الفرص التي حاولت خلالها حكومة الولايات المتحدة أن تغير معالم
الوجه الامريكي الذي شوهه التدخل في كوريا والهند الصينية والكونجو
وغيرها .

ولم يكن جمال عبد الناصر من الراغبين في مناطحة السياسة الامريكية
. . . بل كان حريصا على علاقات هادئة بين الدولتين . . . ورغم تجاربه
في السنوات الاولى للثورة لمحاولة الحصول على أسلحة للجيش ، وعجزه
عن تحقيق ذلك ، الا أنه لم ييأس من محاولة خلق علاقة طبيعية بين الدولتين .

وكانت الخطابات المتبادلة بين كنيدي وعبد الناصر دليلا على هذه
الرغبة ، ولكنها لم تمنع الامبريالية الامريكية من تنفيذ مخططاتها مثل
مساعدة السعوديين في اليمن ، وشن ما عرف باسم (حرب كور) التي
أشرفنا اليها ، وتقديم صواريخ هوك لاسرائيل ، وفي تشجيع ألمانيا الاتحادية
على امداد اسرائيل بالاسلحة والذبابات ثم قرارات اليونسكاج (البرلمان)
باقامة علاقات مع اسرائيل في ١٢ مايو ١٩٦٥ الامر الذي أدى الى قطع
جميع الدول العربية (عدا تونس والمغرب ولبنان) لعلاقاتها الدبلوماسية
مع ألمانيا الغربية .

وقد علق شيمون بيريز على صفقة الاسلحة الالمانية بقوله :

(لقد تلقينا من المانيا الغربية خلال عدة سنوات أسلحة دون أن ندفع
ثمنها قدرها العرب بما قيمته ٥٠٠ مليون دولار . . . ان هذه الاسلحة
قد سدت مجالا هاما في الدفاع عن البلاد وفي حملاتها العسكرية التي
تضمنت حرب الايام الستة) .

كانت مساعدات المانيا الغربية لاسرائيل والتي بلغت ٣٤٥٠ مليون مارك كاتفاقية تعويضات تتم بموافقة ومباركة حكومة الولايات المتحدة وتشجيعها .

ولم تلبث حكومة الولايات المتحدة أن أسفرت عن موقفها فى امداد اسرائيل مباشرة بالأسلحة متجاوزة صواريخ هوك الدفاعية بعد اجتماع ليفى اشكول مع جونسون فى أول يونيو ١٩٦٤ حيث تقرر امداد اسرائيل بالدبابات الامريكية مباشرة دون وساطة دولة أخرى .

ولم يكن اهتمام اسرائيل منصبا على الدبابات كأسلحة بقدر ما كان منصبا على فكرة الامداد المباشر وما تحمله من (مضمون سياسى) . ويمكن تلخيص نتائج تلك الزيارة كما ورد فى كتاب (العسكرية الصهيونية - المجلد الاول)

١ — ان الولايات المتحدة سوف تقف خلف اسرائيل فى الدفاع عن نفسها وانها لن تبقى مكتوفة الايدي اذا ما تعرضت للهجوم .

٢ — ان الولايات المتحدة سوف تساعد اسرائيل فى حصولها على ما تحتاجه من دبابات وانها سوف تزودها بها مباشرة اذا لم تتمكن من الحصول عليها من مصادر أخرى .

٣ — الموافقة على اتخاذ الخطوات اللازمة بشأن المشروع المشترك الخاص بتحلية المياه بالطاقة الذرية ، كما انها تؤيد انجاز مشروع جونسون الخاص بتقسيم المياه (نهر الاردن واليرموك) بين اسرائيل والاردن .

ويعلق شيمون بريس على نتائج هذه الزيارة بقوله (ان زيارة واشنطن قد فعلت الكثير فى سبيل تمزيق الحظر الامريكى على الاسلحة لاسرائيل ، وكما شاهدنا فانها بعد فترة قليلة مهدت الطريق لامداد أمريكا لنا بمعظم انواع الأسلحة كما مكنت اسرائيل من الاحتفاظ بميزان التسليح حتى بعد ذلك الحظر الذى فرضه ديجول فى أعقاب حرب الايام الستة) .

ولذا كانت عين جمال عبد الناصر يquette دائما لحركات الولايات المتحدة ، وخاصة بعد اغتيال كيندى وانتخاب ليندون جونسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية .

ورقعت بعض الاحداث التى ادت الى اضعاف الثقة بين واشنطن والقاهرة ٠٠٠ مثل زيارة خروشوف الناجحة فى مايو ١٩٦٤ ، وحرق بعض طلبة الكونجو للمكتبة الامريكية بالقاهرة ، عقب تدخل امريكى فى الكونجو اثار احتجاج الافريقيين فى مختلف الدول ، ورفض جمال عبد الناصر للطلب الذى تقدم به اليه السفير الامريكى لوشويس باتل مطالبا بالتعويض والاعتذار .

واسقطت إحدى الطائرات الميج المصرية بعد شهر من حرق المكتبة طائرة امريكية خاصة لاحد كبار رجال صناعة البترول فى تكساس ، دخلت الاجواء المصرية بلا اذن وهى فى طريقها من ليبيا الى الاردن ، ولم

تستجيب لانذار طائرة الميج لها بالهبوط .
وتصادف أن كانت هناك معاملة بين وزير التموين الدكتور رمزي
استينو والسفير الامريكى فى نفس يوم حادث سقوط الطائرة للمناقشة
فى موضوع مد اتفاق مصر بالقمح ، وقال السفير فى المقابلة التى
استغرقت خمس دقائق فقط انه يعتقد أن الوقت غير مناسب لمفاتيحة
جونسون فى هذا الأمر .

وجاء رد جمال عبد الناصر على موقف السفير سريعا ومباشرا فقام
خطب بعد أيام فى بور سعيد يوم عيد النصر ٢٣ ديسمبر ١٩٦٥ قائلا
(السفير الامريكى يقول أن سلوكنا غير مقبول ٠٠٠ طيب حقول لهم
الى مايعجوش سلوكنا يروحوا يشربوا من البحر ٠٠٠ واذا ما كفاهش البحر
الابيض يروحوا يشربوا من البحر الأحمر) .

وقال جمال عبد الناصر صراحة (اننى لست مستعدا لبيع استقلال
مصر فى مقابل ثلاثين أو أربعين أو خمسين مليون جنيه) .

كانت هذه الخطبة أول هجوم علنى صريح على أمريكا بعد فترة
هدوء امتدت سنوات ٠٠٠ وكانت أيضا بداية لضغط أمريكى متزايد على
مصر ٠٠٠ فرغم أنه قد أعيد تجديد اتفاق تزويد مصر بالقمح ، الا أنه تم
لمدة ستة شهور فقط ويفصل ما بين كل فترة وأخرى ستة شهور أخرى .

ووصلت مصر الى حد الاشراف على نقص شديد فى القمح ، ولجا جمال
عبد الناصر للاتحاد السوفيتى ، فأصدر كوسيجين أوامره لبعض البواخر
السوفيتية المحملة بالقمح فى طريقها من كندا واستراليا الى الموانئ
السوفيتية بتغيير مسارها والاتجاه فورا الى الاسكندرية لانقاذ شعب
مصر مما قد يتعرض له نتيجة نقص القمح .

وهكذا بدأت حكومة الولايات المتحدة تبشر بضغطها على مصر فى
أدق وأخطر ما يمكن أن يتعرض له الشعب ٠٠٠ وهو عدم توفر لقمة
العيش .

ولم تقتصر الضغوط الامريكية على هذه الحدود ، وانما امتدت
لتصل الى المشكلة الكبرى ٠٠٠ اسرائيل .

ووصل جمال عبد الناصر خطاب من جونسون فى ١٨ مارس ١٩٦٥
تضمن عدة تلميحات خطيرة فيها أن الاسرائيليين منزعون من تصريحات
بعض الزعماء العرب المتشددة والمهددة لامن اسرائيل ووجودها ، وأن ذلك
قد يجبرهم على تحويل البرنامج الذرى السلمى الى برنامج آخر لانتاج
أسلحة ذرية ، كما تشير الى توريد الاتحاد السوفيتى أسلحة لبعض دول
المنطقة ، وتهدد صراحة ان الحكومة الامريكية سوف تمد اسرائيل
بالأسلحة ، وأنه اذا اثار عبد الناصر ضجة بشأن هذه الشحنات ، فسوف
تزيد أمريكا من مساعداتها لاسرائيل .

وكان جونسون قد أوفد افريل هاريمان وروبرت كوبر (صاحب حرب

كومر في اليمن) الى اسرائيل لطماننة الاسرائيليين وبذل الوعود لهم •
وبعد هذا الخطاب خفضت مدة اتفاق تزويد مصر بشحنات القمح من
سنة شهر الى ثلاثة •
وصارح جمال عبد الناصر الشعب في احدى خطبه قائلا :

(اننا عند عام ١٩٥٩ حتى الآن اخذنا الف مليون دولار مساعدات
من امريكا ، بل ان كل رغيفين في البلد ، منهما رغيف مأخوذ كمساعدة
من امريكا ، فاذا قطعت امريكا عنا هذه المساعدة — وهذا يمكن ان
يحدث — فماذا يكون وضعنا ؟ يجب ان نكون مستعدين لمجابهة مثل هذه
المشاكل) •

ولكن تحركات الامريكيين وضغوطهم لم تتوقف ٠٠٠ فقد هاجمت
القوات اليمنية مقر النقطة الرابعة في تعز بعد اطلاقه طلقتين من البازوكا ،
وتبين انه ستار لتشواط المخابرات المركزية الامريكية ، بعد تصوير
المخابرات المصرية للوثائق الموجودة فيه •

ولم تنجح (الدبلوماسية الهادئة) التي طالب بها جونسون في نزع
بذور الشك والمرارة من صدر جمال عبد الناصر وهو يواجه الضغوط
الامريكية المتمثلة في مساعدة اسرائيل ، والملكيين في حرب اليمن ،
وسحب تزويد مصر بشحنات القمح •

ومع ذلك كلف زكريا محيي الدين بتشكيل الوزارة في اكتوبر ١٩٦٥
وقيل وقتها ان هذا الاختيار قد تم كمشاورة لتهدئة وتحسين الموقف بين
القاهرة وواشنطن ٠٠٠ ولكن زكريا محيي الدين اكد لي انه لم يتلق أية
توجيهات من جمال عبد الناصر في هذا السبيل ، ولكنه بمبادرته عمل على
التهدئة مقتنعا بسياسة قبول (سخافات) الامريكان وعدم الرد عليها ،
مع التسليم بحقائق يصعب التغلب عليها في المرحلة — الآتية — فتؤجل
لمرحلة — مستقبلية — وانه حاول ان يفيد مصر على قدر الامكان من
هذه الدولة الكبيرة •

نجح زكريا محيي الدين في مد اتفاقية تزويد مصر بالقمح مدة ستة
شهور ، ولكنه قال لي (ان مصادقة الامريكان لنا امر شبه مستحيل ، لأن
البناء السياسي هناك يؤثر على استراتيجيتها ، وكانت اسرائيل خلال فترة
الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الاولى
للثورة ، عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة ، خاصة واننا كنا نستجيب
بسرعة للاحداث بانفعالات تؤثر على مواقفنا) •

وأعلن جمال عبد الناصر أمام مجلس الامة عن تحسن العلاقات مع
امريكا ٠٠٠ وقام بدور الوسيط من أجل السلام في الحرب الفيتنامية ،
وعقدت محادثات ثنائية انتهت الى توقيع اتفاقية يوم ٣ يناير ١٩٦٦
بإمداد مصر بمساعدة قدرها ٥٥ مليون دولار •

ونشأ جو معقول من الهدوء والمشاعر الطيبة كما يقول دمكجيان في
كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ، وصل غايته بزيارة أنور السادات رئيس
مجلس الامة في ذلك الوقت لواشنطن يوم ٢١ فبراير لتمهيد الطريق

لزيارة عبد الناصر نفسه الى أمريكا •
وكادت تطوى صفحة اعتقال الصحفي مصطفى أمين والدبلوماسي
الأمريكي أوديل في الاسكندرية بتهمة التجسس ، ولكن أحداثا أخرى وقعت ،
فدمرت ما تم بناؤه خلال شهرى يناير وفبراير •
أولا ••• محاولة الملك فيصل إقامة حلف اسلامي تنضم اليه الدول
ذات الانظمة الرجعية التي تدور في فلك أمريكا ، في وقت كانت حرب اليمن
مازالت تشكل نزيها لمصر بمساعدة السعودية وأمريكا •

ثانيا ••• زيادة المخاوف المصرية من قدرات إسرائيل الذرية واحتمال
توفر قنبلة ذرية عندها ، بينما عجزت مصر عن الحصول سوى على وعد
سوفيتي بالمساعدة •
ثالثا ••• وصول معلومات عن بيع امريكا لطائرات ودبابات
لإسرائيل الامر الذي اظهر ان سقوط امريكا لم يتوقف وان محاولات
التهدة مع مصر ليست الا ستارا رقيقا لا يخفى الحقيقة •

رابعا ••• رفض الشروط المتشددة التي حاول (صندوق النقد
الدولي) فرضها لاقرض مصر مبلغ ٧٠ مليون دولار والتي تتلخص في
تخفيض قيمة الجنيه المصري ، وزيادة الضرائب ، وخفض مصروفات
الحكومة ••• ولم يكن سهلا على النظام قبول هذه الشروط في وقت كان
يعمل فيه على احتواء السخط الشعبي بعدم زيادة الاسعار ، مع الاهتمام
بميزانية الدفاع والتصنيع معا •

خامسا ••• وصول الدور المتزايد للمخابرات المركزية الامريكية الى
حد تدبير انقلاب ضد كوامي نيكروما في غانا (فبراير ١٩٦٦) بعد تصفية
سوكارنو في اندونيسيا خلال عامي ٦٥ ، ٦٦ ، وتزايد التدخل الامريكي
في الدومنيكان وفيتنام ، الامر الذي دفع محمد حسنين هيكل الى القول
في الاهرام عدد ٨ ابريل ١٩٦٦ ، ٢٧ يناير ١٩٦٧ بما يفيد بأن هجمة رجعية
امبريالية تزحف نحو العالم مستهدفة الجمهورية العربية المتحدة •
وصدر قرار بوقف أي رحلات اضافية للطيران الامريكي والبريطاني
فوق مصر اعتبارا من منتصف فبراير ١٩٦٦ •

ومع كل ذلك كان جمال عبد الناصر حريصا على عدم الوصول
بالعلاقات المصرية الامريكية الى نقطة الانفجار ، فدعا دين راسك وزير
الخارجية في ابريل ١٩٦٦ لزيارة مصر لبحث مشروع من أجل السلام ،
ولكنه لم يحضر لمشاغل حكومة الولايات المتحدة ومتاعبها في فيتنام وفي
الاستعداد للانتخابات •

ورغم صدور قرار الكونجرس الامريكي في ١٤ يوليو ١٩٦٦ بوقف
المساعدات الغذائية لمصر الا بموافقة رئيس الجمهورية شخصيا ، فان جمال
عبد الناصر لم يعتبر ان الامور قد وصلت الى نهايتها ، ووافق على زيارة
مدرعتين امريكيتين لبور سعيد يوم ٢ سبتمبر ١٩٦٦ لأول مرة بعد
١٢ عاما •

وهكذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن جمال عبد الناصر كان يتجه

الاسلوب الآتى فى مواجهة الضغوط الامبريالية الامريكية :

اولا ... التمسك باستقلال مصر الوطنى ، ورفض كافة الضغوط الاقتصادية نظير اية مساعدات .

ثانيا ... الحصر على عدم تدهور العلاقات الى الحضيض ، او وصولها الى منطقة الانفجار بمختلف الوسائل التى يملكها .

ثالثا ... عدم التردد فى مصارحة الشعب بكافة الاخطار والمخاطر القائمة لاعتماده المطلق على الجماهير فى مواقفه الوطنية .

وما كاد عام ١٩٦٧ يقبل حتى وصلت الضغوط الامريكية الى ذروتها ، فلم تعد هناك مساعدات غذائية ، واستقر جونسون فى مقعده رئيسا للجمهورية ، وتضاعف تسليح اسرائيل .

مواجهة الضغوط :

لم يكن جمال عبد الناصر راغبا بالتاكيد فى وقوع النظام تحت مطارق الضغوط الخارجية والداخلية ... ولكن اصراره على الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، دفع كافة القوى المعادية للتجمع ، وتنسيق اهدافها لهدم النظام والاطاحة بقائده .

● الانفصال السورى وما تبعه من حساسيات افشلت محادثات الوحدة الثلاثية ، وجعلت نتائجها شديدة التواضع مقارنة بطموح انصار الوحدة العربية .

● التورط فى اليمن نتيجة للتنسيق الامريكى البريطانى السعودى الاردنى لمساندة حكم الائمة الشديدة الرجعية .

● مواجهة اعداء التقدم الاجتماعى والاشتراكى الذين تحركوا ، مثل الاخوان المسلمين ، وفلول الاقطاع .

● عجز النظام عن حل كثير من المشاكل الداخلية نتيجة اعتماده المطلق على حكم فردى ينفصه تنظيم حزبى وكادر قيادى ووعى اشتراكى .

● كل هذه الضغوط كانت تؤثر على قدرة النظام فى البقاء والاستمرار محتفظا ببريق انتصاراته السابقة ، وشخصية زعيمه الساحرة المؤثرة فى مواجهة الضغوط والمؤامرات الامبريالية والصهيونية التوسعية .

سنوات الصعود توقفت ، وبدأت سنوات الجمود ... القدرة الثورية على حل المشاكل بالطرق الادارية استنفذت غايتها ، وبقيت المشاكل تحت السطح متراكمة .

ولكن النظام لم يقف جامدا امام هذه الضغوط ... ولم يستكن الى ما وصل اليه بل اعتبر ذلك مقدمة للاطاحة به ،

وفى محاولة للتغلب على المشاكل الداخلية ومواجهة ما تعرض له من ضغوط ، بدأ جمال عبد الناصر محاولة ، اعطاء تنظيمه السياسى (الاتحاد الاشتراكى العربى) دفعة من الحيوية بتكوية طليعة الاشتراكيين

وتشكيل المكاتب التنفيذية ، وتعيين على صبرى أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي بعد أن كان رئيساً للوزراء ، وهو في ذلك الوقت كان موضع ثقة جمال عبد الناصر ، فهو أول من وصل الى هذا المركز الكبير متخطياً جميع الضوابط الاحرار مما جعله موضع حسد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، ويلاحظ أن استقالة عبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم قد تمت اثناء رئاسته للوزارة .

ولا يمكن التقليل مطلقاً من أهمية التغيير الذي طرأ على الاتحاد الاشتراكي فهو لأول مرة يبدأ في مباشرة عمله على أساس سياسي وفكري واضح بعد فترة جمود فرضت عليه عندما كان حسين الشافعي أميناً عاماً له وخلال هذه الفترة أيضاً نشطت منظمة الشباب واستوعبت أعداداً كبيرة لقننت أفكار الميثاق وخطب جمال عبد الناصر في معسكرات للتدريب في حلوان ومرسى مطروح وأبو قير ، وتخرج فيها جيل بدأ يهتم بالسياسة ويرتبط بها لأول مرة منذ عام ١٩٥٤ .

والى جانب التغيير الذي حدث في الاتحاد الاشتراكي والذي جاء تفصيلاً في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) حدث تغيير أيضاً في الوزارة فجاء زكريا محيى الدين رئيساً للوزراء وهو صاحب خبرة غير منازع فيها فيما يتصل بشئون الأمن ووزارة الداخلية ، وهى شئون هامة بعد حوادث الاخوان وفلول الاقطاع ، كما انه كان مهتماً بامور الادارة وما يصحبها من رغبة في التغلب على اثقال البيروقراطية ، واعطاء الوحدات الانتاجية فرصة العمل على أسس اقتصادية متحررة من العمالة الزائدة والقيود السياسية .

كما ان تعيين زكريا محيى الدين رئيساً للوزراء كان محاولة من جمال عبد الناصر لتخفيف الضغوط الامريكية على النظام فانه رغم أن زكريا محيى الدين قد أكد لى أن توجيهات جمال عبد الناصر لم تتضمن ذلك صراحة ، الا ان انطونى ناتنج في كتابه (ناصر) يقول أن الامريكيين كانوا يعتبرون زكريا موالياً لهم وانهم كانوا يعتبرون على صبرى معادياً لهم .

ونجح زكريا محيى الدين خلال فترة رئاسته للوزراء في تثبيت قواعد الأمن ، وفى الحصول على معونة قمح من أمريكا لمدة ٦ شهور ، وبدأ بعقد مؤتمر للقادة الاداريين لمحاربة البيروقراطية .

ولكن وزارة زكريا محيى الدين لم تعمّر طويلاً فقد أوقف الامريكيون الامداد بالقمح ، ويعمل ناتنج ذلك بقوله ان المحصول قد ضرب في أمريكا وانهم اضطروا لاعطاء الهند مزيداً من الحبوب تقادياً للمجاعة ، ولكن عبد الناصر اعتبر ذلك منهم اتباعاً لسياسة (القط والفار) وكذلك فان زكريا محيى الدين كان يجنح للانكماش بدلاً من التوسع والتنمية .

خرج زكريا محيى الدين من رئاسة الوزراء بعد ١١ شهراً فقط ليتولاها المهندس صدقى سليمان الذى اشرف على بناء السد العالى ، والذي لم يكن من الضباط الاحرار واعتبر جمال عبد الناصر أن رئاسة جونسون للولايات المتحدة ستظل فترة مساندة لاسرائيل ، رغم كافة

محاولات التهدة والاتصالات الخلفية التي قام بها بعض المسؤولين وغير المسؤولين مثل علوى حافظ عضو مجلس الأمة الذي نشر مذكراته في جريدة أخبار اليوم يوم ٢١ أغسطس ١٩٧٦ ويظهر فيها أن جمال عبد الناصر لم يتردد في الاتصال بجونسون من أجل الهدوء والسلام في المنطقة وليس من أجل الخضوع أو الاحتواء تحت المظلة الأمريكية .

وفي مواجهة للمضغوط المحيطة بادر جمال عبد الناصر باتخاذ خطوات هامة في مجال السياسة العربية ، فدعا الى مؤتمر للقمة العربية بعد اعلان اسرائيل قرب استكمال المرحلة الأولى من (مشروع المياه القومي) الذي استطاعت به حجز نصف مياه نهر الاردن .

عقد المؤتمر الاول الذي دعا اليه جمال عبد الناصر بالقاهرة في يناير ١٩٦٤ واشتركت فيه ١٢ دولة عربية أعلنت (أن تحويل مجرى نهر الاردن عدوان خطير على المياه العربية واضرار بالغ بحقوق العرب المنتفعين بهذه المياه) وأعلنت أيضا تشكيل (قيادة موحدة لجيوش الدول العربية) ووافق المؤتمر أيضا على انشاء (منظمة التحرير الفلسطينية) .

كان انعقاد مؤتمر القمة خطوة نحو ضمور الخلافات العربية ، وظهور وحدة جديدة ضد التحركات الاسرائيلية التي ظهرت في كثافة الاشتباكات الاسرائيلية على الحدود السورية والتي بلغت بعد مؤتمر القمة العربي الثاني الذي عقد بالاسكندرية في ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ ، ١٤ عدوانا خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر التاليين مباشرة .

أعلن المؤتمر الثاني (أن الهدف القومي هو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيوني والالتزام بخطة العمل العربي المشترك مع استخدام جميع امكانيات العرب ، وحشد طاقاتهم وقدراتهم لمواجهة تحديات الاستعمار والصهيونية واصرار اسرائيل على المضي في سياستها العدوانية والتفكر لحقوق عرب فلسطين في وطنهم) .

نتائج مؤتمر القمة لم ترق ابدا الى مستوى القرارات لقصور جدية بعض الدول العربية . ومع ذلك زاد تدفق الاسلحة الغربية وخاصة الامريكية على اسرائيل ، فوافقت حكومة الولايات المتحدة على تزويد اسرائيل بطائرات (سكاي هوك) . وتمادت الهجمات الاسرائيلية على الاردن ، واستنكر موسى ديان سياسة (ضبط النفس) ضد تحركات بعض الفدائيين بدأت مع تكوين (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) في أول يناير ١٩٦٥ .

وعقد مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء ، وأسفر عن (ميثاق التضامن العربى) واقرن ذلك بمزيد من التسليح الامريكى لاسرائيل حيث وصلتها دبابات باتون .

وجدت اسرائيل في هذه المؤتمرات التي لم تسفر عن شيء جدى لصالح العرب ذريعة لاثارة الدول الغربية ضد ما أسمته التحركات العربية المعادية في ظروف موالية بالنسبة لها بعد أن اطمأنت للدعم السياسى والعسكرى المباشر من الولايات المتحدة ، وبعد أن استكملت استعدادها للحرب وشكلت قوة ضاربة تهيء لها القدرة على شن حرب خاطفة .

الباب الثاني

الهزيمة

(أن أمريكا واسرائيل قررتا عام ١٩٦٥
أن التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي
غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه
وأن الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة
تفقده ثقة العرب واحترامهم)

الصحفي الامريكى انتونى بيرسن

المجلة الامريكية - بنتهاوس

الفصل الاول

خطوات نحو المصيدة

(كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصرى فى سيناء لقبولى فى
الوزادة) .

موشى ديان ١٩٦٧

لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع فى الجزائر كما كان محددًا له ان
يجتمع .
لم تثمر المؤتمرات الثلاثة السابقة سلامًا فى اليمن ، ولا خطة ايجابية
لمواجهة تحركات اسرائيل المعادية . . . ولم تضع حداً للتمزق العربى .
العوامل التى دفعت جمال عبد الناصر للدعوة الى مؤتمر القمة ، وفى
مقدمتها ما جاء فى مؤتمر رؤساء أركان حـرب الجيوش العربية ، من أن
الاضاع الموجودة فى الدول العربية تؤثر على العمل العسكرى ، وأن قرار
انشاء القيادة العربية الموحدة الذى صدر عام ١٩٦٠ لم ينفذ حتى ديسمبر
١٩٦٣ وهو الشهر الذى وجه فيه جمال عبد الناصر الدعوة لمؤتمر القمة .

هذه العوامل تعرضت لتغيرات كبيرة . . . وبعد أن وقف جمال
عبد الناصر يخطب فى عيد الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٤ بعد انعقاد المؤتمر الأول
قائلاً : (لم نجد أبداً أية صعوبة فى تصفية الخلافات ، وكان الكل ميلاً
لتصفية هذه الخلافات لمواجهة خطر اسرائيل وعدوان اسرائيل وطلعنّا بخطة
عمل موحدة) . . . وقف بعد ذلك فى الاحتفال بعيد الوحدة أيضاً عام

١٩٦٦ يهاجم بعض الملوك والرؤساء بعد صمت وهدوء استمر عامين كاملين ، عقد خلالها ثلاثة اجتماعات للقمة فى القاهرة والاسكندرية والدار البيضاء ، وزار جدة فى محاولة لاقرار السلام فى اليمن .

هاجم حركة الملك فيصل لمحاولة انشاء حلف اسلامى ، وأشار الى ما نشرته الصحف الامريكية من أن واشنطن قد كلفت الملك فيصل وشاه ايران لانتشاء هذا الحلف ٠٠٠ وذكر أن ايران قد فتحت فرعا للموالة اليهودية فى طهران ، وأن بن جوريون عقد محادثات مع رئيس وزراء ايران فى مطار طهران .

كما هاجم بورقيبة الذى نادى بالتفاوض مع اسرائيل ، بعد أن كان قد أعلن فى مؤتمر القمة الأول استعداد تونس لارسال وحدات من جيشها تقف على حدود فلسطين .

لم يستطع جمال عبد الناصر أن يكظم غضبه من تحركات الامبريالية ، والمتجسدة فى تكوين حلف اسلامى ، حاول الملك فيصل الادعاء بأنه كان قرارا من قرارات المؤتمر الثالث فى الدار البيضاء ٠٠٠ والحقيقة أن الأمر لم يكن يعدو حديثا عارضا طلب فيه من الملك فيصل أن يستنهض المسلمين أثناء الحج لنصرة قضية فلسطين ، كما يتصل الرئيس اللبناني شارل حلو بالمقاتليكان لنفس الهدف .

تفجرت الخلافات من جديد بين الانظمة الرجعية ، وبين الانظمة الوطنية التقدمية .

وكان قد حدث انقلاب فى سوريا ضمن اطار حزب البعث أطاح بأمين الحافظ ، ووصلت الى الحكم مجموعة نور الدين الاتاسى وصالح جديد ويوسف زعين وابراهيم ماحوس ٠٠٠ وبعد شهرين من الانقلاب صدر بيان من القيادة القطرية الجديدة لحزب البعث فى ٤ أبريل ١٩٦٦ يقول (أن مؤتمرات القمة فيها عودة الى العمل التقليدى ازاء تحرير فلسطين وتضليل للشعب العربى ، ومحاولة لاجهاض أى حركة ثورية لتحرير فلسطين ، وهى سياج يحمى الرجعية من غضبة الجماهير ٠٠٠ انه تهرب من المعركة وانهازمية) .

كان البيان تعريضا غير مباشر بالقاهرة بدعوى التهرب من المعركة ، وتعريضا مباشرا بالرياض باعتبارها الرجعية التى تحمىها مؤتمرات القمة . وبدا واضحا أن فترة الهدوء العربى قد انتهت ٠٠٠ بعد وصول الجناح اليسارى من البعث الى مقاعد الحكم فى سوريا ، بانقلاب عسكري فوق التقاليد الحزبية .

وواصل جمال عبد الناصر هجومه على الرجعية العربية فى خطاب عيد الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٦ قائلا (هادنا الرجعية على أساس انها تشترك فى وحدة العمل من أجل فلسطين) ٠٠٠ ثم أشار الى أن مؤسسة أمريكية قد أخذت من السعودية ٥ ملايين جنيه للقيام بدعاية مضادة لمصر فى امريكا ، كما انه وزعت منشورات أثناء الحج ضد النظام فى مصر ٠٠٠ وأنه توجد فى السعودية بعثات عسكرية أمريكية وبريطانية . ثم حسم جمال عبد الناصر الموقف بقوله إنه لا يستطيع الجلوس مع

القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة ، وأن الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب وأنه سيطلب من الجامعة العربية تأجيلها الى أجل غير مسمى .
وأرسل محمود رياض وزير الخارجية خطابا بذلك الى الجامعة يوم ٢٥ يوليو .

وهكذا لم ينعقد مؤتمر القمة الرابع الذى كان محددا له أن ينعقد فى الجزائر يوم ٥ سبتمبر ١٩٦٦ . وكتبت السعودية مذكرة تقول فيها (فى حالة الاخذ بمبدأ التأجيل فان المملكة العربية السعودية ترى نفسها مضطرة لتجميد كافة التزاماتها تجاه مؤسسات المؤتمر) .
طويت صفحة مؤتمرات القمة ، واستبدلت بناء على اقتراح عبد الخالق حسونة بمؤتمر لوزراء الخارجية يوم ١٠ سبتمبر فى دورة مجلس جامعة الدول العربية العادية ، وحضره وزراء خارجية مصر والسودان وسوريا والعراق ولبنان والكويت واليمن فقط أما بقية الدول العربية فمثلها السفراء .

اجتمع وزراء الخارجية العرب بعد أيام من احتفال الحكومة الاسرائيلية بافتتاح الكنيسة الجديد فى القدس ، وكان ذلك « تدشينا لاختيار القدس عاصمة لاسرائيل رغم قرارات الامم المتحدة » .

حضر هذه الاحتفالات وزراء وممثلون لواحد وأربعين دولة .
ولم يأخذ مؤتمر وزراء الخارجية الا قرارا يعلن فيه (ان الامة العربية ان ترفض التسليم بالامر الواقع المتمثل فى قيام اسرائيل بفلسطينها المحتلة ، تؤكد أن مدينة القدس عربية باعتبارها جزءا من فلسطين العربية ، وأن القدس الجديدة جزء لا يتجزأ من بيت المقدس) .
ولكن الفدائيين الفلسطينيين كان لهم اسلوب اخر فى العمل ، هو شن الهجمات داخل اسرائيل . . . كانت منظمة فتح (حركة التحرير الوطنى الفلسطينى) قد تشكلت فى اول يناير ١٩٦٥ وياشرت اعمالها الفدائية بلا تنسيق مع الانظمة القائمة فى تشكيل عسكري باسم ((العاصفة) . . . ومنظمة (الصاعقة) التى تكونت فى احضان النظام السورى وتحت رعايته .

ازداد نشاط الفدائيين الامر الذى يذكرنا بما حدث عام ١٩٥٥ عندما فقدت اسرائيل ٢٥٨ شخصا قبل العدوان الثلاثى ، ولكن الامر يختلف لانه لم تكن هناك قوات طوارئ دولية على حدود مصر واسرائيل تحد من نشاط الفدائيين او تمنعه . . . كما أن العلاقات العربية لم تكن قد وصلت الى هذه الدرجة من القنافة بعد وضوح الفرق فى الاختيار بين الانظمة الاجتماعية . . . فقد كانت مصر وسوريا تعلنان الاشتراكية ، بينما يحرص الملك حسين على نظامه المعادى للاشتراكية .

كان الفدائيون ينطلقون الى داخل اسرائيل من الحدود السورية بموافقة ضمنية من النظام ، ومن الحدود الاردنية بغير موافقة النظام .
وكانت اسرائيل توجه غاراتها الانتقامية ضد سوريا .

اتفاقية الدفاع المشترك : مصر والاردن :

كانت العلاقة بين القاهرة والنظام البعنى الجديد فى دمشق تقترب عن

ذى قبل ٠٠٠ فقد كانت هناك عقبات كثيرة تعترض طريق عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين ، نتيجة الاخطاء التي ارتكبت فى عهد الوحدة ، وما خلفته من حساسيات وشعور متبادل بعدم الثقة ٠٠٠ ولكن النظام البعثى الجديد كان يشق طريقه نحو التقدم ، فقد اتخذ عدة خطوات هامة مثل تأميم البنوك وشركات التأمين . وسيطرت الدولة على التجارة الخارجية والصناعات الرئيسية والثروات المعدنية بما فى ذلك البترول ٠٠٠ واتجه فى السياسة الداخلية نحو التعاون مع القوى الوطنية والديمقراطية ومن بينها الحزب الشيوعى السورى وكان ذلك تطورا ملحوظا فى هذا المجال ٠٠٠ كما ان النظام قد اتجه فى سياسه العربية الى التقرب من القاهرة ، وأظهر مزيدا من الثقة بجمال عبد الناصر ، كما أن بعض قاداته حرصوا على خلق علاقات شخصية وطيدة مع الشخصيات التقدمية المصرية ، واذكر أن ابراهيم ماحوس قد لعب فى ذلك دورا ملحوظا . زاد من رصيد النظام السورى عند النظام المصرى وعناصره التقدمية ، كما اتجه الى التقارب مع الجزائر أيضا حيث كان نور الدين الاتاسى وابراهيم ماحوس يعملان طبيبين هناك مع قوات الثورة الجزائرية ٠٠٠ وفى السياسة الخارجية تقارب النظام من الدول الاشتراكية، ووقع عقدا مع الاتحاد السوفيتى لانشاء سد الفرات ، وهو مشروع يعطى دفعة قوية للاقتصاد السورى .

بدأت الحساسيات فى الذوبان تدريجيا بين مصر وسوريا ، وطلعت الى السطح حوادث الاعتداءات الاسرائيلية ردا على هجمات الفدائيين . وصل الى القاهرة وفد وزارى سورى فى يونيو ١٩٦٦ لأول مرة منذ ثلاث سنوات لاجراء مناقشات سياسية . والتقى جمال عبد الناصر مع زعماء البعث الجدد فى موقفهم المشترك من الرجعية العربية الحاكمة .

وكان الجفاء قد عاد يحكم العلاقات مرة أخرى بين القاهرة وعمان، ومضت فترة اللقاء بعد مؤتمرات القمة واعتراف الأردن بجمهورية السلال فى اليمن كسحابة صيف ٠٠٠ فقد ظهر الملك حسين بمظهر الملتصق بالحماية الامريكية ، ورغم قرار مؤتمر القمة بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين الا انه اتخذ موقف العداء من أحمد الشقيرى ، وفرض قيودا على حركة الفلسطينيين فى الضفة الغربية ، وأصدر قرارا يحرم حمل الاسلحة فيها الا على جنود الجيش والشرطة ، الامر الذى يحول دون تكوين قوات مسلحة فلسطينية .

كان الملك حسين يرى فى حمل الفلسطينيين للأسلحة والسماح لهم بالتسلل الى اسرائيل خطرا يهدد نظامه ، ويخلق ازدواجية ولاء فى دولة واحدة ٠٠٠ ولكن الدول التقدمية (مصر وسوريا والجزائر) لم تشاركه هذا الرأى وأخذت موقف المساندة لمنظمة تحرير فلسطين .

ولم يكن ذلك يعنى أن جمال عبد الناصر يرى أن تحرير فلسطين يمكن أن يتم فوراً عن طريق القتال بالاسلح ، فهو فى مواقفه وتصريحاته منذ عدوان ١٩٥٦ كما يقول الكاتب الاسرائيلى (اليزير بييرى) فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) (انتهج سياسة تقسدى المجابهة المباشرة السريعة مع اسرائيل) .

صحيح أن بعض تصريحات عبد الناصر كانت تتحدث عن الحروب مع إسرائيل مثل تصريحه لملندوب اذاعة وتليفزيون كولومبيا فى ١٢ يوليو ١٩٦٥ الذى قال فيه (الحرب هى الحل الوحيد للمشكلة الفلسطينية) . ولكنه لم يكن يعنى الاندفاع اليها ، بل كانت مثل هذه التصريحات تنتم فى حدود حرصه على الاحتفاظ بزعامته الشعبية ورغبته فى أن تظل القضية ملتزمة وليست خامدة .

ويقول (اليزير بيبيرى) فى كتابه أيضا ان عبد الناصر خلال سنوات طويلة كان حريصا على عدم مناصرة إسرائيل الا اذا توافرت له ثلاثة عوامل :

- ١ — تفوق عسكري عربى .
- ٢ — تحقيق الوحدة والتضامن العربى .
- ٣ — عزز إسرائيل عن القوى الغربية .

ويقول محمد حسن بن هيكى فى مقال له بعنوان (مصر ... لا لعبد الناصر) ان جمال عبد الناصر كان حريصا كل الحرص فيما يتعلق بالصدام المسلح مع إسرائيل لعدة أسباب :

١ — كان يرى أن الصدام المسلح مع إسرائيل لابد فيه من حساب احتمالات التدخل الأمريكى ، وهو احتمال قائم يستهدف فرض الهزيمة على العرب اذا استطاع أو سلبهم ثمار النصر اذا استطاعوا . وأذن فإن نجاح الصدام المسلح فى رأيه كان مرهونا بظرف دولى وعربى ملائم تكون فيه القوة الأمريكية مصابة بالشلل أو يمكن أصابتها به .

٢ — كان من رأيه أن القوات المسلحة المصرية تحتاج على الأقل الى خمسة عشر عاما تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ، ولم يكن يقيس هذه المدة بتاريخ أول صفقة سلاح سنة ١٩٥٥ وإنما كان يقيسها ابتداء من سنة ١٩٥٧ ومن هنا ، فقد كانت الفترة المحتملة للصدام المسلح فى تقديره هى الفترة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ .

٣ — وحتى يجرى هذا الوقت وتسنع فرصته فقد كان جمال عبد الناصر يعتقد اعتقادا راسخا أن إسرائيل نمو دخير وسط الجسد العربى ، وأن مقاطعتها واحكام الحصار من حولها وتشديد الضغط عليها كل يوم سوف يؤدى الى حبس الدم عن خلاياها ومن ثم الى ضمورها وسقوطها وهو ما عبر عنه بسياسة (السنطة وشعرة ذيل الحصان) .

ويؤكد هذه الصورة موقف جمال عبد الناصر من مشكلة تحويل إسرائيل لمجرى نهر الاردن داخل اراضيها ، والمناقشات التى دارت حول ذلك فى عهد الوحدة كما جاء تفصيلا فى الباب الثانى من الجزء الثالث (عبد الناصر .. والعرب) .

لم تكن عند جمال عبد الناصر اذا رغبة فى الانزلاق الى الحرب قبل ان يستعد لها تماما ، ويقول انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) أن لهجة بعض تصريحاته لا تدل على تغيير فى موقفه الاستراتيجى من إسرائيل . ويدل ناتنج على فكرته هذه بالقول انه بعد التغيير الذى حدث فى سوريا ، وعجز جمال عبد الناصر خلال السنوات السابقة عن ضرب النظام السورى او عزله ، فانه لم يجد بديلا سوى الارتباط بالنظام البعثى الجديد حتى يتفادى سحب العرب الى حرب ثالثة مع إسرائيل ، حيث ان الغرب ما كان ليجد فرصة مناسبة لضربه اكثر من توريطة فى حرب مع إسرائيل

تكون سوريا هي البائدة بها مما يجعل الرأي العام العالمى يأخذ موقفا معاديا للعرب .

ولم يكن امام جمال عبد الناصر من خيار آخر . . . ففي دمشق نظام تقدمى جديد يشهد بدور مصر وعبد الناصر . . . ويحرص على تحسين العلاقات مع القاهرة . . . وهو ما افتقده جمال عبد الناصر منذ الانفصال .

ونظام البعث فى دمشق تميز ايضا بمغالاته فى الظهور بمظهر يسارى قد تبدو فيه بعض المغالة المقصودة او غير المقصودة . . . ولكن فى حدود الهجوم على الرجعية العربية التى كان يهاجمها عبد الناصر ايضا ، والتى كان واثقا من انها تدبر له مع الامبريالية العالمية كميناً جديداً ، بعد ان عجزت اليمن عن استنزاف دماء النظام . . . وتراجع عدد القوات هناك ليصبح ٢٠٠٠٠ بدلا من ٧٠٠٠٠

العلاقات الجيدة ، والرغبة فى حد اندفاع المغالة عند السوريين كان حافزا لجمال عبد الناصر على الارتباط مع النظام السورى بشكل يمنعه من توريط العرب فى اندفاعات غير محسوبة .
كان الاسرائيليون قد قاموا بغارة انتقامية ضد سوريا فى سبتمبر ١٩٦٦ ردا على ضربهم لمنشآت اسرائيلية اقيمت على ارض مزووعة السلاح تبعا لاتفاقية هدنة ١٩٤٩ .

وكان الاسرائيليون يرفضون فى عناد مناقشة مبدأ اقامة هذه التحصينات فى لجنة الهدنة المشتركة منذ بدا انشاؤها عام ١٩٥١ ، وعندما اثار النظام البعثى الجديد هذه المشكلة كان جواب اسرايل فى صورة تحذير باعتبار سوريا مسئولة عن كافة هجمات الفدائيين الفلسطينيين او غيرهم فى المستقبل وقال اسحق رابين رئيس الاركان فى ١١ سبتمبر (المارك التى على اسرايل خوضها ضد سوريا انتقاما للغارات التخريبية انما تستهدف النظام السورى . . . هدفنا هو القضاء على هذا النظام) .

وعلى الجانب الاخر كان نور الدين الاتاسى قد استقبل شوان لاي فى صيف ١٩٦٦ ، وحاول ان يعزله عن صداقته الناشئة مع مصر ومع الدول الاشتراكية وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى . . . ولكن الاتاسى لم يستجب لهذا الاسلوب الذى سبق ان اتبعه شوان لاي مع جمال عبد الناصر عام ١٩٦٥ عند بقاءه فى القاهرة فترة قبل انعقاد مؤتمر التضامن الاسيوى الافريقى فى الجزائر والذي تقرر الغاؤه بعد حركة التصحيح التى قام بها هوارى بومدين فى ١٩ يونيو .

أبلغ نور الدين الاتاسى مصر بما سمعه من شوان لاي ، واستجاب الى نصيحة موسكو بالاقتراب من النظام الوطنى التقدمى فى مصر . . . وسعد جمال عبد الناصر بان الخطوة الاولى للاقتراب جاءت من الجانب السورى فوافق فوراً على ان تبدأ محادثات بين رجال اركان الحرب فى الدولتين ، وتم تبادل السفراء بين القاهرة ودمشق عقب انقطاع طال عهده منذ الانفصال فى اكتوبر ١٩٦٦ وفى يوم ٤ نوفمبر وقعت اتفاقية دفاع مشترك تعتبر ان الهجوم على نولة هو هجوم على الاخرى .

وكان جمال عبد الناصر واعيا بأن هذه الاتفاقية قد تحمل له توريطا غير مطلوب ولذا كتب محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام قائلا (هذا الميثاق لا يلزم القاهرة بالتدخل اوتوماتيكيا لصد كل غارة انتقامية ضد سوريا) .

ومع ذلك يعتبر جان لاكوتير ان الجمهورية العربية المتحدة قد تورطت مع النظام البعني الجديد في سوريا رغم نجارب الوحدة ، لتطرف قاداته ومفهومهم لمعنى المسؤوليات . . . ويتمادى لاکوتير فيقول (يمكننا القول بان حرب الايام الستة انما بدأت في ٤ نوفمبر ١٩٦٦) .
والحقيقة انه كان من اشد الامور صعوبة ان يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سلبيا وانعزاليا من القضية الفلسطينية التي ظلت تعتبر محورا للحركة السياسية العربية ، والتي دعا هو من أجلها الى عقد مؤتمرات القمة ، ثم انسحب منها عندما شعر أن المرجعية الحاكمة تتآمر ضده خلال التهدة التي فرضتها .

وكان هناك سبب آخر يدفع جمال عبد الناصر دفعا الى توقيع اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا ، وهو دوره التاريخي البارز ، وزعامته السياسية التي تأثرت بهزيمة الانفصال ، وعدم الوصول الى نتيجة حاسمة في حرب اليمن ، ومصرع عبد السلام عارف وتعيين اخيه عبد الرحمن وهو شخصية ضعيفة تردى الموقف السياسي في العراق خلال حكمه الى حد تشرذم وتمزق القوى السياسية عدا البعث في العراق الذي كان يدبر خطته للوصول الى الحكم .

كان صعبا ان يرفض العرض السوري للدفاع المشترك . . . وقد وجد فيه محاولة للتخفيف من تطرف النظام في دمشق ، ومحاولة لتغيير مفهوم المسؤولية عندهم كرجال دولة . . . وحذرهم من ان القاهرة لن تكون ملزمة اوتوماتيكيا بالرد على كل غارة انتقامية اسرائيلية . . . ومع ذلك كانت الاتفاقية - رغم ضرورتها - خطوة نحو المصيدة .

الاردن . . . والمصيدة :

وبعد ايا ، من توقيع الاتفاقية قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين قرب الحدود السورية ، وفضل ليفي اشكول عدم اختبار جدية الاتفاقية في ايامها الاولى . . . واختار مكانا اخر لغارته الانتقامية . . . قرية السموع الاردنية يوم ١٣ نوفمبر . . . ربما تحاشيا لخسائر قد يتعرضون لها في الهجوم على مواقع الجولان الحصينة .

هاجمت قوة اسرائيلية من المدرعات والطائرات القرية الاردنية في نفس اليوم الذي وصل فيه الى عمان الجنرال ايوب خان رئيس جمهورية الباكستان ، اكبر الدول الاسلامية عددا .
أسفرت الهجمة عن تدمير ١٢٥ منزلا ، ٢٨ قتيلا ، ١٣٤ جريحاً في غارة استمرت أكثر من ست ساعات .

وانفجرت المظاهرات في الاردن . . . في الضفة الغربية والشرقية ، وتعالى الهتافات ضد الملك حسين الذي كان قد اغلق مقر منظمة تحرير

فلسطين في عمان بالشمع الاحمر ٠٠ واهتز موقف الملك الذي لم يتدخل
جيشه في مقاومة الغارة ٠

وتحرك الاسطول السادس لحماية عرش الملك كما نشرت جريدة
نيويورك تايمز يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٦٦ ، وأشارت الى انه اتخذ مراكزه في
شرق البحر الابيض لانزال جنوده عند طلب الملك حسين ٠

وفجرت غارة الاسرائيليين على قرية (السموع) حملة دعائية هائلة
ضد مصر وجمال عبد الناصر ، بدأت بمؤتمر صحفى لوصفى التل رئيس
وزراء الاردن يوم ٢١ نوفمبر القى فيه اللوم على الجمهورية العربية المتحدة
لان (مسئولية التدخل الجوى لحماية جنوب الاردن تقع على سلاح الطيران
المصرى) حسب قوله ٠٠ وعلى القيادة العربية الموحدة لانها (لم تطلب الى
الجيش العربية التحرك لنجدة الاردن) ٠٠ وعلى الجمهورية العربية
السورية (لان سلاح الطيران كان بوسعه ان يقصف الاهداف الاسرائيلية
الجوية ويخفف الضغط عن الاردن) ٠٠ وعلى احمد الشقيري لانه لم يفتح
جبهة ثانية في سيناء بتحريك جيش التحرير الفلسطيني المربط في قطاع
غزه) ٠

كان هذا الهجوم امتدادا لحملات الدعاية المضادة للجمهورية العربية
المتحدة وجمال عبد الناصر التي تبنتها اذاعة الاردن والسعودية والتي
كانت تنهم النظام المصرى بانه ارتضى لنفسه موقف السلبية من القضية
الفلسطينية ، وانه يحمى نفسه خلف جنود قوات الطوارئ الدولية المنتشرين
على امتداد الحدود المصرية ، وانه سمح للاسرائيليين بعبور خليج العقبة
وانشاء ميناء ايلات الذى يصله ٩٥ ٪ من بقول اسرائيل الوارد من ايران
وذلك بالتنازل بعد عدوان ١٩٥٦ عن تواجد القوات المصرية فى شرم الشيخ
والسيطرة على مداخل الخليج عند جزيرتى تيران وضافير ٠

ظلت الاذاعة الاردنية والسعودية تضرب على هذه النغمة المستفزة
التي تحاول استثارة النظام المصرى ، وتدفعه الى اتخاذ خطوات غير
محسوبة للقتال مع اسرائيل فى توقيت غير مناسب ٠

ولكن النظام لم يندفع الى ما كانت تبغيه هذه الاذاعات ٠٠ قال جمال
عبد الناصر بعد غارة السموع فى خطاب امام مجلس الامة (بالنسبة لجبهة
الاردن لابد من تسليح سكان القرى الامامية ، ولو بالقدر الذى يمكنهم من
الدفاع عن النفس والقيام بدور المعوق حتى نصل النجدة العسكرية النظامية
... ان أى جيش لا يستطيع ان يحمى جبهة واسعة كجبهة الاردن امام عدو
غادر كالعدو الاسرائيلى بدون نظام للدفاع يعتمد على تسليح اهل القرى
الامامية ... هذا هو رايانا فى العدوان الاسرائيلى على قرية السموع .
مازال جمال عبد الناصر حذرا وحريصا على عدم الاندفاع الى المصيدة
المفتوحة .

وكان للحكم فى سورية رأى آخر أصدره فى بيان سياسى يسوم
٢٩ نوفمبر ١٩٦٦ قال فيه (الحل العملى الموضوعى هو لقاء القوى التقدمية

بهدف قيام حرب شعبية شاملة .. وانه يجب تشكيل جبهة تقدمية في القطر العربي الاردني .. وان حرب التحرير الشعبية هي التي تستطيع ان تطيح بالعرش الهاشمي وتذك اسرائيل من جذورها ، وان الحل هو الاستمرار في الثورة الى ان يزول العرش الخائن من الوجود .. اليوم نحرير الاردن .. وغدا تحرير فلسطين .

ولا شك ان هذه البيانات كانت عاملا من العوامل المؤثرة على جمال عبد الناصر ، والتي تظهره بطريقة غير مباشرة في مظهر الذي يتبع (سياسة ناعمة) ازاء اسرائيل ... ولكنه مع ذلك استطاع حتى هذه المرحلة ان يستوعبها هي واذاعة الاردن والسعودية .

وامام هذا الموقف المشتت دعا الفريق على علي عامر قائد القيادة العربية الموحدة ، مجلس الدفاع العربي للاجتماع في ٧ ديسمبر ١٩٦٦ . بعد حملة التشهير التي شنّها المسؤولون في الاردن ضد القيادة الموحدة وتخليها عن مسؤوليتها القومية في حادث قرية (السموع) .

وكانت اجتماعات المجلس فرصة للمناقشة واثارة القضايا المختلف عليها ... فقال الفريق على علي عامر ان حادث قرية (السموع) هو عدوان محدود لا يستهدف الاحتلال .. ثم شرح مخالفات الحكومة الاردنية لتوصيات القيادة العربية من حيث التسليح والتجنيد وبناء المطارات وانشاء الاسراب الجوية ، وعدم السماح للقوات العراقية والسعودية بالدخول ، ورفض نمرکز مقابلات عربية في الارض الاردنية .

وقال محمود رياض وزير الخارجية ردا على اتهامات الاردن في مذكرة رسمية تقدمت بها تطلب سحب قوات الطوارئ الدولية من قطاع غزة وسيناء لان وجودها على الارض العربية (يشكل عائقا يحول دون تنفيذ خطط القيادة العربية الموحدة) كما جاء في نص المذكرة .

وقال محمود رياض (قوة الطوارئ الدولية لا تشكل اي قيد على الجمهورية العربية المتحدة او على حريتها في العمل الذي يراه مناسباً) . ونستطيع ان نطلب سحب هذه القوات في اي وقت نشاء) .

الاردن نهارس سياسة الضغوط الدعائية والنفسية على النظام المصري حتى في المذكرات الرسمية وفي جلسات الجامعة العربية ... واصبح سحب قوات الطوارئ الدولية موضوعا متاراً نحت البحث منذ اواخر عام ١٩٦٦ .

وكشف احمد الشقري بعض مواقف الحكومة الاردنية من جهة قرارات القيادة العربية الموحدة ، اذ رفضت ما عرضته الفبادة من نوربد طائرات سوفيتية مقاتلة من أحدث طراز واصرت على شراء طائرات امريكية (قديمة مجددة) حسب تعبيره ويبلغ ثمنها ثلاثة اضعاف ثمن الاولى وتورد بعد مدة تتراوح بين سنتين وثلاث .. وأشار أيضا الى رفض المساعدات ومنع القوات العربية المسلحة او الجوية من الدخول الى الاردن تنفيذا لقرار القيادة .

وأعلن خطة القيادة التي تنص على «مسئولية كل دولة في رد غارات العدوان عليها طالما لم يؤد ذلك الى احتلال جزء من اراضيها» كما اشار الى رفض حكومة الاردن اعلان التجنيد الاجبارى ليتمكن تكوين جيش احتياطى يستدعى عند الحاجة .

الخلافات في مجلس الدفاع العربى حادة ، والقيادة العربية الموحدة قاصرة عن القيام بواجباتها في التعبير عن القدرة والقوة الحقيقية لجماهير الامة العربية ، والنظم السياسية متنافرة النظرة رغم موافق الدفاع المشترك .

اثرث غارة قرية السموع على موقف الاردن ، فقبلت دخول ٢٠٠٠٠ جندى سعودى الى اراضيها وظلت على موقف الرفض من دخول القوات العراقية التي ظلت تنتظر عاما كاملا في منطقة الرطبة على الحدود الاردنية ، مما جعل مؤثر القمة الثالث في الدار البيضاء يوافق على سحبها بعد ان (اصاب معداتها التلف وهبطت روح رجالها المعنوية) كما تقول كلمات تقرير القيادة العربية الموحدة بالحرف الواحد .

صرح ابا ايان بقوله (ان الغارة قد جعلت الموقف يستقر) ... واصل الجنرال موثى ديان يوم ٨ يناير ١٩٦٧ (ان الخطر الوحيد هو قيام انقلاب في الاردن يطيح بالملك حسين ، فانه عنصر الاستقرار الوحيد في منطقتنا ، واختفاؤه عن المسرح سيكون له نتائج خطيرة علينا .

وظل الملك حسين سادرا في اسلوبه .. يشدد هجماته على النظام في القاهرة ، ويسحب اعترافه بجمهورية السلال في اليمن قائلا في وليمة اقامها للملك فيصل في ١٢ فبراير بعنان انه لن يسكت على حمام الدم الذى يجرى في اليمن ... يلتقى بالحاج أمين الحسينى الذى زار الاردن في اول مارس .

الملك حسين يؤدى دوره في تناسق تام مع ملك السعودية فيصل ويرفض الاثنان ارسال مندوبيهما لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربى الذى عقد في القاهرة في ١٢ مارس ١٩٦٧ ، والذي تلا فيه الفريق على عامر تقريرا موجزا استغرق خمس دقائق فقط طالب فيه المجلس ان (يبت في ابر القيادة العربية الموحدة حتى لا تبقى بدون عمل ، وان تصارح الدول العربية الامة العربية بالحقيقة .. وان قوات الدعم العربية لم تدخل الاردن ، وان عددا من الدول العربية لم توف بالتزاماتها المالية .. وان توقف الدول عن سداد التزاماتها سوف يؤدى بالوضع العسكرى الى موقف خطير) ثم صرح المجلس بقوله (ان استمرار هذه الازعاج لا يمكن القيادة من تنفيذ المهمة التي اقرها مجلس الملوك والرؤساء في الاسكندرية) .

كان رئيس اركان حرب الاردن والسعودية في القاهرة ، ولكنهما رفضا حضور اجتماع مجلس الدفاع العربى .

وانتهى الاجتماع الى مطالبة الدول العربية الوفاء بالتزاماتها المالية

والعسكرية ، وتحدد شهر يوليو موعدا للاجتماع القادم .

سوريا .. والمصيدة

في يوم ٧ ابريل شنت القوات الجوية الاسرائيلية غارة على سوريا اسقطت فيها ٦ طائرات ميج سورية . . . بينما اذاعت الحكومة السورية انها اسقطت ٥ طائرات اسرائيلية ، وسقطت لها اربع طائرات . . . ولم يكن ذلك صحيحا .

وقد اثار هذه الغارة معارضة داخل اسرائيل . . . ليس لانها حدثت ، ولكن لانها تمت باستخدام عدد كبير من الطائرات . . . ولانه أعلن ان العملية تمت عن قصد وترتيب .

ويروى الصحفي الاسرائيلي شلومو نيكدمون في كتابه (ما قبل ساعة الصفر) قصة النقد الذي وجهه الى الحكومة بنجوريون وشيمون بيريز وما قاله ديان من (ان جيش الدفاع كان يجب عليه الا يدفع بمثل هذا العدد الكبير من الطائرات صوب دمشق) . . . و اضاف بانه كان من رايه ضرورة تحديد عملية الرد بنفس حجم العدوان السوري ، وعدم توسيع العملية حتى دمشق ميثاق الدفاع المشترك لم يدفع القاهرة الى اتخاذ خطوات اكثر من ارسال الفريق صدقي محمود قائد القوات الجوية الى دمشق يوم ١٠ ابريل . وانقضت الغارة التي قامت بها اسرائيل ردا على ضرب المدفعية

السورية للمزارعين حول بحيرة طبريا ، دون أن تحرك شيئا في رقعة الشطرنج القاتمة .

ولم يأخذ النظام السوري الذي خسر ٦ طائرات دفعة واحدة هذه الفارة مأخذ الجد ، ويقارن بين حالته العسكرية وحالة الاسرائيليين ... بل انه واصل هجماته بالمدفعية لاكتساب مظهر البطولة أمام نظام عمان المتربص ، لم يثأ القادة السوريون ان يركنوا الى الصمت والقائه التهم على الآخرين كما فعل الملك حسين ، بل انهم اختاروا طريق الاستمرار في الرد واطلاق الفدائيين .

واتسمت تصريحات القادة الاسرائيليين بالعنف .. قال الجنرال اسحق رابين (لن يعرف نظام في الشرق الأدنى الامان والاستقرار ما لم تقلب حكومة دمشق) ولح كما يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب (حرب الايام الستة) بان قواته تستطيع مهاجمة دمشق والاطاحه بحكم نور الدين الاتاسي .

وخطب رئيس الوزراء ليفي اشكول في نادي ايدار في تل ابيب قائلا (نظرا للاعتداءات السورية المتكررة والتي بلغت ١٤ اعتداء في الشهر الماضي ، نرى انفسنا مجبرين على اتخاذ اجراءات حاسمة تفوق تلك التي اتخذناها في ٧ ابريل الماضي) .

لم يدرك النظام السوري الاخطار الحقيقية التي تتهدده من تصريحات الزعماء الاسرائيليين .. بل لعله أدركها ووجد أن النجاة منها لا تكون في الهدوء والتقاعد ، وانما في الصمود والمواجهة .

ولا يمكن لأحد أن يعيب على نظام - أي نظام - دفاعه عن نفسه ووطنه بأسلوب القتال والمواجهة .. ولكن مايمكن ان يعاب عليه ، هو أن تكون نظرتة قاصرة ومحدودة على ظروف خاصة وليست شاملة .. وأن تكون حركته عفوية ومن باب ردود الفعل بدلا من ان تكون مدروسة ومنسوجة في خطة استراتيجية سليمة .

كانت عين النظام السوري في حركته على الجبهة الداخلية التي تحركها وتهزها تحركات الامبريالية .. مثال ذلك المقال الذي نشرته مجلة عسكرية محدودة التوزيع بقلم صف ضابط مجهول يدعى ابراهيم الكلاس يهاجم فيه الاسلام ، والتقطت ذلك جريدة رجمية في بيروت فأعادت نشر المقال ، وعقب على ذلك الشيخ حسن جبنكه من على منبر الجامع الأموي في خطبة الجمعة وبعدها أغلق التجار الكبار محالهم وأعلنوا الاضراب وردت الحكومة السورية بالعنف على المتأمرين فاعتقل الشيخ جبنكه وظهرت في شوارع دمشق وغيرها الدوريات العسكرية وفصائل العمال المسلحين .. ومثال ذلك أيضا محاولة الانقلاب الذي قام به الرائد سليم حاطوم والذي أثبتت التحقيقات صلته بأجهزة المخابرات الامبريالية ثم هربه وبعض زملائه الى الخارج ، وظهوره فجأة بعد العدوان الاسرائيلي متسللا الى الاراضي السورية ، ثم اعتقاله ومحاكمته أمام محكمة عسكرية حكمت عليه بالاعدام هو وشريكه في المؤامرة بدر جمعة ونفذ فيهما حكم الاعدام فورا .

وكانت عين النظام السوري في حركته أيضا على دعاية عمان المسنفة والمتريضة لردود فعل الحكومة السورية على غارات الاسرائيليين .
وكانت عين النظام كذلك على المظهر الذي تود ان تظهر به المجموعة السورية الحاكمة وسط صفوف حزب البعث بعد الانقسام الذي حدث فيه والدور اليساري المميز الذي تريد ان تنفرد به .

وكانت عين النظام أخيرا على القاهرة وجمال عبد الناصر . . نريد تحسين العلاقات ونوثقها دعما للنظام في الداخل وفي الوطن العربي . . مع اتخاذ منهج سياسي خاص لا يجعل شخصية عبد الناصر نطفي على قادة سورية الجدد ، الامر الذي كان يدفعهم الى اتخاذ مواقف سياسية منطـرفة لم تنضجها مسئولية الحكم الذي بدأت ممارستها له منذ فبراير ١٩٦٦ فقط .

ولذا كانت بعض حركات وتصريحات قادة النظام الجديد تعتبر خطوات نحو المصيدة ، رغم النوايا .

مصر . . والمصيدة

الضغوط التي نعرض لها النظام في مصر لم تدفع جمال عبد الناصر الى اتخاذ خطوات اندفاعية غير محسوبة لمناطحة اسرائيل . . كان حريصا حتى ذلك الوقت على التمسك باستراتيجيته التي يجعله يخار الوقت والظروف المناسبة لحولة جديدة .

ورغم ماقامت به الامبريالية الامريكية وخاصة في عهد حوسون من ضغوط مباشرة في اليمن (حرب كומר) ومن مساعده للنظام السعودي والملكيين في القتال الدائر هناك . . ورغم الفير الحاسم في فرار امداد اسرائيل بالاسلحة الامريكية مباشرة . . ورغم الضغوط الاقتصادية ومنع القمح . . فان جمال عبد الناصر لم يقطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا مطلقا وهو الذي قطعها مع انجلترا وألمانيا الاتحادية وفرنسا لأسباب أبسط من ذلك . . ولم يقطع جسور الاتصال بينه وبين المسئولين في واشنطن سوا عن طريق الخطابات المتبادلة مع كنيدي ثم جونسون ، اوخلال بعض الاتصالات السرية .

لم نتجاوز ردود فعل عبد الناصر دائرة التصريحات الشديدة والتهجمات اللفظية .

ولكن موقف الجمهورية العربية المتحدة الصريح في مساندة حركة التحرير القومي في جنوب اليمن وشبه الجزيرة العربية كان يسبب انزعاجا شديدا ومتزايدا للسياسة الامريكية والبريطانية معا ، ذلك ان ما تحويه ارض شبه الجزيرة من ثروة بترولية هائلة ، هو امر لايمكن النفرط فيه لما يمكن أن يلحقه ضياعها من خسارة فادحة للرأسمالية العالمية .

أرغم نضال الشعب اليمني ومساندة القاهرة له بريطانيا على قبول أبغض الاشياء الى قلبها وهو اعطاء وعد باجلاء قواتها عن عدن في أوائل ١٩٦٨ .

ومع ذلك عقد اجتماع قمة افريقي محدود في القاهرة حضره بومدين ونيريري وولد داده ومندوب عن سيكوتوري وهي الدول التي قطعت علاقتها مع بريطانيا لسياستها في روديسيا ، واتخذ المؤتمر قرارا بضرورة الاسراع في جلاء بريطانيا عن الجنوب العربي .
وهكذا تضاعف حقد بريطانيا على مصر ، وخاصة بعد حرب السويس التي اعترفت بريطانيا بخسارتها لأول مرة في المائة وخمسين عاما الاخيرة .
ورغم ان نصرا نهائيا لم يتحقق في اليمن ، الا ان الوضع بالتاكيد كان قد استقر للنظام الجمهوري الذي اصبح قادرا على الدفاع عن نفسه . ونعرض النظام السعودي لتدخل شديد بعد زيارة الملك سعود لليمن في ٢٣ ابريل ١٩٦٦ ومعه المشير عامر وأنور السادات ، ودعوته للشعب السعودي برفض الانصياع لحكومته قائلا : (انني أستنكر كل الاستنكار دينا وعروبة هذه المذبحة التي راح ضحيتها ابناء الشعب اليمني) .

الاتجاه المعادي للامبريالية في شبه الجزيرة العربية اصبح مثيرا لقلق الدوائر الامبريالية ، ودافعا لها الى البحث في أسلوب لتحطيم النظام الثوري التقدمي في مصر باعتباره السند الرئيسي لهذا الاتجاه .
وتحركت بعض العناصر المضادة للنظام في الداخل مدفوعة او غير مدفوعة بخيوط امبريالية . . الجهاز الارهابي للاخوان المسلمين ، فلول الاقطاعيين المتهربين من قانون الاصلاح الزراعي ، البرجوازية المقاومة للاتجاه نحو تطبيق الاشتراكية .

ولما كان النظام في مصر حتى ذلك الوقت قد عجز عن تكوين جهاز تنظيمي له صفة حزبية ، يملأ الفراغ السياسي . واعتمد في حركته على سحر شخصية الزعيم ورصيده التاريخي الكبير ، والاجراءات الادارية الحاسمة ، فانه اخرج من (جرايه) مرة أخرى المباحث الجنائية العسكرية التابعة للشرطة العسكرية ، والتي كان دورها قد ذبل وانحسر بعد انتهاء محاكمات الاخوان المسلمين في نهاية ١٩٥٤ وبداية ١٩٥٥ ثم انتهاء فترة الانتقال ١٩٥٦ .

عادت المباحث العسكرية تطفو فوق السطح مرة أخرى بعد عشر سنوات تقريبا ، ونؤدى دورا في مطاردة الاخوان وفلول الاقطاعيين والمهربين وتجار السوق السوداء ، والمهملين والمنحرفين في ميادين الخدمات مثل النقل العام والجمعيات الاستهلاكية وغير ذلك من الامور البعيدة عن اختصاصها .

ولم تكن تحركات المباحث الجنائية العسكرية تتم تحت الاشراف الواعي المباشر لعبد الحكيم عامر نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة ، الذي انتهج أسلوبا ناعما جديدا في حياته الخاصة بعد الانفصال ومحاولة تحديد اختصاصاته في مجلس الرئاسة ثم استقالته وعدم قبولها ، في الوقت الذي تعددت فيه مسئولياته وتوسعت الى الحد الذي يصعب معه على فرد واحد أن يباشرها بنجاح . . بينما هو مسئول فيه عن تنظيم وتدريب وقيادة القوات المسلحة ، التي يحارب الالوف من ابنائها في اليمن .

كانت مسئوليات عبد الحكيم عامر تمتد من قيادة القوات المسلحة الى الاشراف على رجال الطرق الصوفية ، الى رئاسة اتحاد الكرة ، الى رئاسة لجنة

تصفية الاقطاع ، وأخيرا الى رئاسة هيئة الرفابة العليا للدولة التي شكلت في ٧ مايو ١٩٦٦ وضمت على صبرى وعباس رضوان وعبد المحسن ابو النور وكمال رفعت وشمس بدران وعبد المجيد شديد ، والتي اعتبرت مسئولة عن ترسيخ ونعيمين كبار المسؤولين في أجهزة الدولة ومؤسساتها وشركاتها . ولذا انفرد شمس بدران مدير مكتبه بمباشرة المسئولية الحقيقية لحركة المباحث الجنائية العسكرية ، وأراد جمال عبد الناصر مكافأته على جهده ، فعينه وزيرا للدفاع في وزارة صدفى سليمان (سبتمبر ١٩٦٦) ، وهو الضابط الذى لم يتجاوز معلوماته معلومات ضابط برتبة يوزباشى قبل الثورة ، انخرط فى العمل مع قيادة حركة الجيش ، دون ان ينمى معلوماته بأى نوع من انواع الدراسات العسكرية ودون أن يخرج فى كلية اركان الحرب ، او يدرس دراسات عليا يجعله مابعا للتطور العلمى الحديث فى عالم التسلح والتدريب والتكنولوجيا .

كان يعين شمس بدران وزيرا للدفاع ندسينا لوضع قائم وتأكيده لسلطته الى اسمها من علاقته بعبد الناصر وعامر ، ولكنه فى نفس الوقت كان مبرا لكثير من علامات الاستفهام . . . اذ لا يمكن ان يدعى أحد بأنه الاختيار المناسب فى وقت نعتقد فيه الامور وسنباك فى الجبهة الداخلية ، وبدو فى الافق ضغوط أزمة خارجية ، ويدرك جمال عبد الناصر انه يواجه تحديا امبرياليا خطرا . . . وفى الوقت الذى كان فيه عبد الحكيم عامر ايضا قد ابتعد عن متابعة التطورات الحديثة فى القوالب المسلحة وقد اهماله بمابعة المناورات والتدريب على الاسلحة العصرية .

لم بعد قتادة القوات المسلحة بعد تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع واستمرار عبد الحكيم فى منصب نائب القائد الاعلى للقوات المسلحة فى المستوى الذى يمكن القول فيه بانها تقادره على توجيه وتدريب وتحريك الجنود فى الوقت والمكان المناسب لمواجهة أى هجوم اسرائيلى . . . خاصة وأن جمال عبد الناصر كان قد فقد اهتمامه ايضا بالقوات المسلحة منذ عام ١٩٦٢ بعد خلافة مع عبد الحكيم عامر . وآثر أن يترك له المسئولية كاملة . . . وهو مالا يمكن لاحد ان ينكر جمال عبد الناصر عليه . فبى فى النهاية الرجل المسئول طالما سولى منصب القائد الاعلى للقوات المسلحة .

ولكن معتقدات العلاقات الشخصية . والحد من حركة غير محسوبة من القوات المسلحة . والارتكان الى العناصر التى اعاد جمال عبد الناصر على التعامل معها . والى كان صعبا بن مسيحيا أن ننفض عليه لدوافعها التحسسية المقنعة برئاسه . وعلاقتها الوثيقة به رغم ما كان بثوب الجو من غيوم وحلاقات . . . هذه العوامل دعت جمال عبد الناصر الى جانب رسوخ جذور هذه الشخصيات ومساك علاقيا مع قادة الجيش الى انقائهم فى مناصبهم الحساسة المسئولة .

وند صادف هذا السبعين حفلا فى ميزانة القوات المسلحة . يقول عنه الفريق صلاح الحديدي فى كتابه « شاهد على حرب ٦٧ » انه « اجل انشاء تشكيلات جديدة ومطارات هامة كان من المرر نشاؤها . وخففى من

نفقات تدريب القوات الموجودة فعلا ، وفى عدد ساعات تدريب الطيارين واستغنى عن تكملة الوحدات بالاعراد والمعدات التى كانت تنقصها ، وما الى ذلك من الامور التى نؤثر حتى فى كفاءتها .. وكانت هذه هى المرة الاولى فى تاريخ القوات المسلحة التى تنفذ فيها هذه التخفيضات بطريقة جدية .

هذا الخفض فى ميزانية القوات المسلحة يدل على أن جمال عبد الناصر لم يكن يرتب عدوانا ، أو هجوما على اسرائيل ... وانما كان يوفر أقصى ما يمكن من اموال لتنفيذ خطة تنمية ناجحة .

ويدل أيضا على أن جمال عبد الناصر لم يكن قد دخل بعد دائرة الشعور بخطر عدوان يتهدد مصر ... ولعله كان على يقين من أنه طالما هو متمسك باستراتيجيته التى تمنعه من الانزلاق والتورط ، وطالما هناك قوات طوارئ دولية على الحدود ، فان خطر الحرب بعيد .. بعيد .

ولكن علاقات مصر مع امريكا كانت تتأزم ولا تنفجر .. وتفرض على نظام الحكم فى مصر ان يكون اكثر يقظة واستعدادا ... وهو الامر الذى لا يتناسب مع خفض ميزانية القوات المسلحة .

كان لوشيوخس باتل السفير الامريكى السابق فى القاهرة قد قال أمام لجنة الشؤون الخارجية ما نشرته وكالات الانباء والصحف المصرية يوم ٦ ابريل ١٩٦٧ « من الصعب أن يجد الانسان شخصا معاديا للخطط الامريكية اكثر من عبد الناصر » .

وعلق سناتور يورك هيكلوب قائلا « موقف امريكا يتراوح بين الارتفاع والهبوط كأنه قطعة من الفلين ، طافية فوق الامواج .. وينبغى حسم الموقف بصورة أو بأخرى » .

وكان السناتور واين مورس اكثر صراحة فى الاجتماع عندما قال « ان عبد الناصر يمثل تهديدا لمصالح امريكا ليس فى مناطقه فحسب بل وفى العالم أجمع » .

ولم تنقض ايام على هذا الاجتماع حتى حدث الانقلاب العسكري اليمنى فى اليونان يوم ٢١ ابريل ١٩٦٧ والذى اعتبر مؤشرا لإقترب التحركات الامبريالية من المنطقة .

وكانت مصر وقتها تتعرض لحملة اشاعات منظمة سرت فى المجتمع بنشاط شديد حول أخطار يتعرض لها الاطفال من حقن يحقنون بهما فى المدارس ، وما أحدثه ذلك من قلق وذعر دفع الحكومة الى تقديم قضية للمحكمة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٧ ، وهى امور وأساليب كانت قد تجاوزتها الثورة بعد انقضاء اشهرها الاولى ، وما صاحب اعتقال السياسيين ومحاكمات الغدر والثورة من شائعات .

محاولات الامبريالية أصبحت اكثر وضوحا لجز المجتمع من الداخل ، وحصاره بالانقلابات العسكرية فى المنطقة .

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى تقريرا من أمين شاكى الذى كان سفيرا فى بلجيكا ، وقبل ذلك كان مديرا لمكتبه ثم مسئولوا فى المؤتمر الاسلامى ،

وعضواً مندوباً بمؤسسة أخبار اليوم عندما كان محمد الباغي رئيساً لمجلس الإدارة .

قال لي أمين شاكر تفاصيل هذا التقرير المزمع الذي أشار إليه ناننغ في كتابه « ناصر » .

قال أمين شاكر ان هنري سباك أبلغه أنه بعد انتقال مقر حلف الاطلنطي من باريس الى بروكسل ، استدعت الحكومة الأمريكية سفراءها في غرب أوروبا لشرح نتائج خروج فرنسا من الحلف العسكري .

هنري سباك رئيس اتحاد دول غرب أوروبا ونائب رئيس وزراء وزير خارجية بلجيكا والذي يعتبر « مهندس أوروبا » الذي أسهم في انشاء حلف الاطلنطي والسوق الأوروبية قال لأمين شاكر ان خروج فرنسا عسكرياً من الحلف يمثل نقطة تحول غير محدود في الاستراتيجية وأنه يمثل بداية النهاية لعهد الاحلاف ، وان على أمريكا نهضة نفسها لذلك بعد ما بدا دجول يشر وخاصة اثناء زيارة بعض دول أوروبا الشرقية بأن أوروبا للاوربيين من الاطلنطي الى الاورال .

وروى سباك لأمين شاكر ماقاله دين راسك وزير خارجية أمريكا ان أمن أوروبا سوف يتعرض لصعوبات في المرحلة القادمة ، وحذر من قوة السوفييت وشرح أهمية الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في حماية غرب أوروبا مما يفرض مسئولية تأمينها — بمعنى اخضاعها للنفوذ الأمريكي .

وقال وزير خارجية أمريكا ان العقبة الرئيسية في تحقيق هذا الهدف هو جمال عبد الناصر الذي ساءت علاقته بأمريكا بعد سحب تمويل السد العالي ، والذي فضح سياسة أمريكا الامبريالية اللا أخلاقية ، وقال ما تخرج السوفييت والكتلة الشرقية عن قوله كما قال ادلاي ستيفنسون :

وقال هنري سباك لأمين شاكر ان قراراً قد صدر عن الاجتماع بأن جمال عبد الناصر يجب ان يذهب لان المنطقة لن تخضع للنفوذ الأمريكي طالما هو موجود وذلك لما يخلقه من صعوبات امام السياسة الامبريالية ، وردد ما قاله جو براون محافظ كاليفورنيا من ان صوت العرب له تأثير اكبر من راديو موسكو على الدول النامية .

وقال له سباك أيضاً ان جونسون يميل بطبعه الى النتائج التي وصل اليها البنتاجون والمخابرات المركزية الأمريكية . . وذكر سباك أنه سيحاول تفسير الأمور لهم بشكل آخر ولكن امله قليل في تغيير هذا القرار . وطلب هنري سباك من أمين شاكر ان يبلغ جمال عبد الناصر بتهذئة الموقف والا يعرض نفسه لجروح جونسون وأن يتعاشى اثاره حتى تنتهي مدته لانه لن يرشح نفسه للرئاسة مرة ثانية .

دار هذا الحديث وكتب أمين شاكر تقريره في فبراير ١٩٦٦ ، واشتار فيه الى أنه ليس هناك من سبيل الا ضرب الجيش لاسقاط النظام ، وان وسيلتهم في ذلك هي اسرائيل ، وان حلف الاطلنطي يشارك في ذلك فقتل سبيل للطيارين الذين انهوا مدة خدمتهم بالعمل في اسرائيل كما أنه اخلى سبيل الطيارين الذين هم من أصل يهودي . يقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب « حرب الايام الستة » تأكيداً

لهذه الخطه ، ونوضيحا بأن امريكا كانت قد بدأت ممارسة اسلوب جديد في المنطمة :

« رأى رجال العهد الامريكى الجديد ان عليهم التحول الان نحو ملوك البترول في العالم واعتبروهم « معتدلين » .. وهكذا دعى الملك فيصل لزيارة امريكا في يونيو ١٩٦٦ ، واثناء وجوده العالمى السعودى في واشنطن اجتمع اليه الرئيس جونسون واعلمه ان القادة العرب لا يفهمون شيئا من السياسة الامريكية في الشرق الاوسط .. ونبه فيصل بدوره الرئيسى جونسون على انه لا يجوز الاعتماد على عبد الناصر ، فقد وقع في احضان الشيوعية التى تزوده بالاسلحة » .

احل الامريكىون دم النظام المصرى ، واحل فيصل دم النظام وعبد الناصر ايضا .

وكانت تصل الى جمال عبد الناصر انباء تؤكد هذه الحقيقة ، وكانت التحليلات جميعا تشير اليها ، وقد كتب محمد حسين هيكل ١١ مقالا اسبوعيا تحت عنوان « نحن وامريكا » كانت فيه اشارات واضحة للاخطار التى يتعرض لها النظام .

وفي اواخر ابريل استدعى الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها في القيادة العربية المشتركة وابلغه ان لديه معلومات عن خطه يسهم فيها النظام الجديد في سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر الى مصيدة الحرب ، وطلب منه ان يبلغ هذه المعلومات الى جمال عبد الناصر .

ولما لم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر فقد كتب تقريرا بذلك رفعه الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة مطالبا رفعه الى القائد الاعلى للقوات المسلحة . ولكن رغم خطورة التبليغ فان عبد المنعم رياض لم يتلق اجابة على تقريره .. وتصادف ان التقى به محمد حسين هيكل فأبلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على ان يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف كما قال لى هيكل .

وقابل جمال عبد الناصر عبد المنعم رياض ... ويبدو ان الثقة وقتها كانت ضعيفة أو منعدمة بالملك حسين ، فلم تستمر الاتصالات ... ربما اعتقادا من عبد الناصر بأنها محاولة من الملك حسين للايقاع بينه وبين النظام القائم وقتها في سوريا .

ويقول أمين شاكرا ايضا انه بعد ان عين وزيرا للملاحة قابل جمال عبد الناصر في شهر مايو ١٩٦٧ ، وأبلغه ان حلف الاطلسي يقيم جيش اسرائيل بنسبة ٨٥٪ من الكفاءة المطلوبة ، بينما يقيم جيش مصر بأقل من ٣٠٪ .

وقال جمال عبد الناصر لأمين شاكرا (ولكننى لن احارب) . وقال له أمين شاكرا الذى افادته صلته الشخصية ببول هنرى سبباك في توسيع افق نظراته العامة للامور (ولكن الجانب الاخر سيحارب) . ويبدو ان جمال عبد الناصر لم يأخذ هذه المعلومة اتي جانب التقرير السابق لأمين شاكرا ، كما لم يأخذ بتبليغ الملك حسين مأخذ الجد .. تماما

كما فعل عندما ندفعت عليه المعلومات عام ١٩٥٦ من جهات مختلفة تحذر من هجوم بريطاني فرنسي مشترك ، مستبعدا أن يقدم ايدن على هذه الخطوة المدمرة .

وكذلك لم يكن جمال عبد الناصر حتى هذا الوقت قد أدرك خطورة الخطة والمؤامرة المبررة ، ولم يكن يتصور أن شراسة الامبريالية وضراوتها يمكن ان تدبر خطة لتحطيمه بدمعه داخل المصيدة .

نشر الصحفي الأمريكي أنتوني بيرسن في المجلة الامريكية « بنهاوس » مقالا جاء فيه « ان امريكا واسرائيل قررنا عام ١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شعبيته وقوة مركزه ، وان الوسيلة هي هزيمته في حرب محدودة تفقده نقة العرب واحترامهم » .

كل الظروف القائمة تشير الى ان خيوط مؤامرة امبريالية تنسج حول مصر في هدوء ... وان الانزلاق نحو المصيدة ينوقف على ردود فعل الزعيم الوطني الذي امتحنته التجارب والمواقف السابقة .

اسرائيل ... والمصيدة

(لقد استغرق الامر من القوات البرية والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الاولى من الحرب) ... هذه الكلمات التي قالها شيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسرائيلي بعد حرب ١٩٦٧ تعبر عن حقيقة الدور الذي لعبته الحكومة الاسرائيلية .

عشر سنوات وبضعة شهور كانت قد مضت منذ انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة بعد العدوان الثلاثي ١٩٥٦ ... وخلال هذه الفترة حدثت في مصر واسرائيل احداث تسمى القدرة العسكرية .

تعرضت الجمهورية العربية المتحدة لمأساة الانفصال التي اسقطت التنسيق والقيادة الواحدة - وليست الموحدة - لطرفي الكباشية المحيطة باسرائيل ، واضعفت بالتالي القدرة على وضع خطة واحدة بقيادة واحدة تنفذها وحدات القوات المسلحة لدولة واحدة .. وبعد عام واحد انشغلت القوات المسلحة المصرية بحرب اليمن التي لم تحسم في أسابيع او شهور كما كان متوقعا ولكنها امتدت عدة اعوام في ظروف قتالية غير مواتية خسرت فيها ... ١٠٠ قتيل وكثيرا من الجرحى .. وتعرضت القوات المسلحة لامور كان يجدر بها ان تكون بعيدة عنها ، مثل ابقاء بعض كبار القادة في مناصبهم رغم اخطائهم الجسيمة مثل قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي ضربت طائراته على الارض في اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ ، واتخذ قرار بابعاده ثم أمر عبد الحكيم عامر على بقاءه .. واستمرار المشير عامر في منصبه قائدا عاما للقوات المسلحة وان كان قد نفي اللقب ليصبح (نائب القائد الاعلى) وذلك بعد مسئوليته عن مأساة الانفصال ، ثم اتجأه الى حياه بعيدة عن الروح العسكرية القتالية مع مضاعفة مسئولياته في امور مدنية تستهلك طاقته وتركيزه كما ذكرنا .. وأخيرا تعيين شمس بدران وزيرا للدفاع وهو لا يملك مؤهلات الفهم العميق لوسائل القتال الحديث ، فقد توقفت دراسته تماما منذ كان

يوزباشى في ليلة ٢٣ يوليو .

وفي الجانب الآخر كانت اسرائيل نستعد لجولة قادمة ، بعد اجبارها على الانسحاب دون تحقيق اى غرض استراتيجى هام ، سوى انشاء ميناء ايلات والحصول على حق الملاحة فى مضيق نيران .

قال ديان امام الكنيست فى مارس ١٩٥٧ (ان الفضل العسكرى ترتب فى حقيقة الامر على هزيمة سياسية لم يكن امام اسرائيل الا ان تتجرعها حتى التماله وتنسحب من كل الاراضى التى احتلتها) .

ولذا بدأت اسرائيل رسم سياستها الحربية على اساس قدرتها العسكرية الذاتية ، واصبحت مؤسسة الدفاع متحكة ومسيطره على سياسة الدولة ، ووضع موسى ديان برنامجا يقضى بتعزيز القوات الجوية ودعم القوات المدرعة باعتبارها اقوى اسلحة تمثل القوى الضاربة فى الحرب التقليدية الحديثة ، كما ركزت اسرائيل اهتمامها على الابداح الذرية ، ونجح شبيمون بيريز فى ان يمد التعاون الفرنسى فى مجالات التسليح لتبادل الابحاث العلمية والفنية الخاصة بالطاقة الذرية .

وركزت اسرائيل سياستها واستراتيجيتها على اساس :

١ - الحصول على احدث الاسلحة وخاصة من اكبر مصادرها قدرة وتطورا (الولايات المتحدة الامريكية) .

٢ - الحصول على ضمانات لامنها من الدول الغربية .
وفي هذا السبيل نجحت بخطوات متلاحقة :

اولا : كانت الدولة الوحيدة فى المنطقة التى رحبت بمشروع ايزنهاور عام ١٩٥٧ ، والذي كان يقضى بتحويل ايزنهاور سلطة استخدام القوات المسلحة فى المنطقة واتفاق مبلغ ٢٠٠ مليون دولار لتنفيذ نصوص معاهدة الامن المشترك .

ثانيا : واصلت اسرائيل علاقاتها الطيبة مع فرنسا حتى بعد وصول دييجول الى الحكم (يونيو ١٩٥٨) ، فحظيت منها على صفقة من طائرات الميراج ، تكررت ايضا بعد زيارة بن جوريون لباريس (يونيو ١٩٦٠ و يونيو ١٩٦١) .

ثالثا : استطاعت اسرائيل الحصول على اسلحة من المانيا الاتحادية بضغط امريكية ووافق برلمان المانيا الغربية على ذلك فى ديسمبر ١٩٦٢ ، وتدفقت الاسلحة والدبابات على اسرائيل حتى فبراير ١٩٦٥ عندما اضطرت المانيا الاتحادية الى اعلان وقف تصدير الاسلحة بعد غضب الدول العربية واعتراضها بعد ان كانت قد صدرت ما قيمته ٥٠٠ مليون دولار حسب تصريح شبيمون بيريز . . وقد عوضت المانيا ذلك باقامة علاقات دبلوماسية مع اسرائيل فى ١٢ مايو ١٩٦٥ وامدادها بمعونات اقتصادية وصناعية هائلة .

رابعا : وصلت اسرائيل الى هدفها وقمة نجاحها بالحصول على اسلحة امريكية مما اعتبر تغييرا حاسما فى الموقف الامريكى ، بدأ ذلك بصفقة صواريخ هوك التى مزقت الحظر الامريكى ثم تبع ذلك الامداد بالدبابات والمدرعات وأخيرا طائرات « سكاى هوك » فى مايو ١٩٦٦ ، واصبحت الولايات المتحدة بعد ذلك المورد الرئيس للأسلحة التى تحتاجها اسرائيل ، كما ضمنت تأييد الولايات المتحدة فى الوقوف خلف اسرائيل بصفة واضحة ونهائية .

وهكذا مضت السنوات العشر في محاولات دائبة وناجحة لتحويل اسرائيل الى ترسانة حربية قادرة على (الاعتماد على قوتها الذاتية) مستندة اساسا في سياستها الخارجية مع الولايات المتحدة زعيمة الدول الامبريالية .
ووصلت اسرائيل الى واحدة من خمس دول في المنطقة يملك جيوشا تزيد عن ١٠٠.٠٠٠ وهى باكستان وتركيا وايران المرتبطة بالحلف المركزى (بغداد سابقا) .. ثم مصر .

ولكن موقف اسرائيل كان يسبق غيرها في نسبة المجندين الى عدد السكان ، اذ بلغت عام ١٩٦٠ كما ورد في احصائيات اوردها (هاروتيز) في كتابه (البعد الحربى في سياسة الشرق الاوسط) ٠٠ بلغت ١٤٤ فى الالف بينما كانت فى مصر ٦ فى الالف ، ١١ فى الالف فى سوريا ، ٢٢.٥ فى الالف فى الاردن .

هذه النسبة تلقى على اسرائيل عبئا كبيرا لا يستطيع نجهله لمدة طويلة ... وقد ظهر ذلك جليا فى المشكلة الاقتصادية التى تعرضت لها اسرائيل فى نهاية عام ١٩٦٦ بعد انتهاء اتفاقية التعويضات مع ألمانيا الاتحادية التى وقعت عام ١٩٥٢ وبلغت مجموعها ٣٤٥٠ مليون مارك صرفت أساسا على دعم وتطوير الصناعة ووسائل النقل البرى والبحرى وزيادة مصادر الطاقة .
بلغ العجز فى ميزان التجارة الخارجية لاسرائيل ٥٠٠ مليون دولار ، وارتفع عدد العاطلين الى ١٠٠.٠٠٠ عاطل اى اكثر من ١٢ ٪ من القوى العاملة فى ذلك الوقت ... وأصبحت الحرب هى الحل الانسب للتخلص من هذه المشاكل الاقتصادية .

الوسائل العسكرية جاهزة ، ولكن الذريعة لشن الحرب هى التى تحتاج الى تدبير .. تماما كما كان الموقف قبل العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ عندما قال بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون (لم تغير أزمة السويس شيئا من خطط اسرائيل التى كانت تستهدف على أية حال ، ولكنها سهلت لها اصعب الامور وهو السلاح والحلفاء) .

كانت أزمة السويس هى مبرر العدوان الاسرائيلى عام ١٩٥٦ ، ولكن الموقف مع بداية ١٩٦٧ يختلف ... فتوات الطوارئ الدولية تشكل حاجزا على الحدود فى مصر .. وأية حرب تقوم بها اسرائيل على الدول المجاورة لا تحقق غرضها الا اذا استهدفت تدمير القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة .

ولذا بدأ التفكير فى ذريعة تدخل بها اسرائيل الحرب لتحقيق اهدافها وهى ... تدمير الجيوش العربية ، والتوسع الاقليمى ، وفرض السلام الاسرائيلى واسقاط الانظمة التقدمية فى الوطن العربى وفى مقدمتها النظام المصرى .

الحدود المصرية مغلقة ولا توجد اية اشتباكات يمكن ان تكون مبررا للهجوم .. والاردن تعرضت لغارات انتقامية اسرائيلية ، ولكن نظامها لا يشكل خطرا على اسرائيل ، وهو على علاقة غيرة مع النظام المصرى مما قد لا يدفع النظام الاخير الى التحرك .

وبقيت سوريا .
وركزت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية خطتها على ان تكون سوريا
هى الذريعة التى تؤدى الى الحرب .
كانت الظروف مواتية لذلك ، فالقلاوامة الفلسطينية كانت
تتحرك الى داخل اسرائيل عبر الحدود السورية .. وكانت سوريا تقوم
 بتنفيذ مشروعات المياه التى تعمل اسرائيل على اجباطها بشتى الوسائل بما
 فيها العمل العسكرى ... وكانت مواقع الجولان الحاكمة على الاراضى
 الاسرائيلية المنخفضة هدفا من اهداف الحرب الاسرائيلية تعتقد المؤسسة
 العسكرية (بوجود حساب قديم يلزم تسويته مع الجيش السورى الذى لم
 يكف ... مستغلا ميزة طبوغرافية .. عن ملاحقة وضرب المستعمرات الزراعية
 التى يشرف عليها من اعلى الهضبة) كما ورد فى كتاب العسكرية الصهيونية
 كانت هذه هى النقطة المعلنة التى اعتمدت عليها اسرائيل لزيادة التوتر
 وخلق مبررات الحرب فى المنطقة .
 واستجابت الدول العربية لهذا المخطط تدريجيا .. فاشتعلت اساليب
 الدعاية التى روجت لبعض كلمات التقطها الاسرائيليون مثل (تدمير اسرائيل
 والقاء اليهود للبحر) واتخذوا منها دليلا على عدوانية العرب . ، وجسدوا
 الخطر الذى يتعرض له له الاسرائيليون الامر الذى اتاح للمؤسسة
 العسكرية تشديد قبضتها على الجماهير هناك ، وعسكرة المجتمع ، ووضع
 كافة الامراء من سن ١٨ الى ٥٥ تحت سلطة جهاز التعبئة فى المؤسسة
 العسكرية .
 هذا رغم ان احدا من المسؤولين الحقيقيين فى الدول المجاورة لم يصدر
 عنه مثل هذه التصريحات المستفزة والمسيئة معا .
 ووجد اصحاب التدبير الاسرائيلى فرصتهم اوامر وافضل بعد عقد اتفاقية
 الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا ... فقد اصبح جذب
 النظام المصرى الى المعركة اكثر احتمالا عن ذى قبل .
 وظهرت معالم التدبير بين اسرائيل والولايات المتحدة فى النشاط السياسى
 الكبير .. حتى انه فى شهر مارس ١٩٦٧ زار اسرائيل فى وقت واحد كل من
 نوسيووس باتل مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط
 وجنوب آسيا ، والذى ذكرنا تصريحاته المعادية للقاهرة امام لجنة الشئون
 الخارجية بعد انتهاء عمله سفيرا لامريكا فى مصر .. وهارولد ساندوز مستشار
 الرئيس جونسون لشئون الشرق الاوسط ... وتاونسند هوبز من وزارة
 الدفاع الامريكية .
 كل الجوامل التى تؤدى الى احكام الخطة وتجهيز المصيدة اصسبحت
 جاهزة ... وبقي انضاج المبرر وتحديد التوقيت المناسب .

السوفييت ... والمصيدة

منذ طلب جمال عبد الناصر اسلحة من الحكومة السوفيتية عام ١٩٥٥
 لكسر احتكار السلاح الغربى وحظر تصديره لمصر ، ولالاتحاد السوفيتى فى
 المنطقة وجود تدعم بالمساعدات الاقتصادية والصناعية .

وخلال عدوان ١٩٥٦ قدم بولجانين انذاره الشهير الذى كان اول الاسباب الرئيسية فى وقف العدوان الثلاثى ، وانحسار موجبه حتى الانسحاب الكامل .

ورغم تشر العلاقات السياسية بين مصر والانحاد السوفيسى ، واعتقال مئات الشيوعيين فى مصر عام ١٩٥٩ ، الا أن الامداد بالسلاح لم ينوفد تماما مثل التعاون الاقتصادى ، والموافقة على تكمله مراحل السـسـد العالى .

والخبراء العسكريون السوفييت لم يدخلوا مصر مع السلاح ... فقد كان هناك خوف وحساسية من التعامل مع اكبر دولة شيوعية ، ولذا اعلنت صفقة السلاح أولا على أنها من تشيكو سلوفاكيا .

قال لى الفريق عبد المحسن مرتجى انه بدأ ارسال عدد محدود من الضباط الى الاتحاد السوفيتى فى مارس ١٩٥٧ اى بعد اكثر من عام ونصف على توقيع الاتفاقية ، وبدأ وصول الاسلحة .. وامعانا فى السريه والتخفى ذهب الضباط باسماء مستعارة تحاشيا للمخابرات الامريكية .. ووصول الخبراء السوفييت فى اواخر ١٩٥٨ باعداد محدودة على مستوى القيادة العليا فقط حيث اشتركوا فى اعادة تنظيم القوات وزرع العقيدة الشرقية فى القتال . وكتب الفريق صلاح الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ٦٧) يقول انه كان لوصول الشحنة الاولى من السلاح السوفيتى رنة فـرح واغـتـباط فى الاوساط العسكرية لنجاح القيادة السياسية فى تحطيم احتكار بيع الاسلحة بصرف النظر عن مصدرها الجديد .

وكتب ايضا يقول (ويسجل تاريخ هذه الفترة بعد وصول الشحنات الاولى من الاسلحة الحديثة وعلى رأسها الدبابات ٣٤ وطائرات الميج ، عدم وصول خبراء من الكتلة الشرقية ليساعدوا فى تفهم الاسلحة وشرح تشغيلها واستخدامها ، واكتفى بالكتب والنشرات التوضيحية المرافقة للاسلحة والمترجمة الى الانجليزية .. وتقتضى الدقة فى تسجيل تاريخ هذه الفترة أن أذكر وصول عدد محدود جدا من الخبراء التشيكو سلوفاكيين فى السلاحين البحرى والجوى) .

ويفسر صلاح الحديدى ذلك بقوله (اكاد أجزم أن فكرة استخدام الخبراء السوفييت فى القوات المسلحة المصرية على مستوى واسع ، واتباع الاسلوب الشرقى — كما كنا نسميه — فى تكتيكات وتنظيم هذه القوات ، لم تخطر على أذهان المسؤولين الا بعد الاعتداء الثلاثى) .

الظروف اذا هى التى دفعت الى كسر حاجز الحساسية والاستعانة بالخبراء السوفييت ، ومع ذلك ظل هؤلاء فى معزل عن الاندماج فى حياة الضباط الاجتماعية ، وطلوا على حرض شديد فى تغليف عملهم بالصمت حتى لايساء الى موقفهم من العناصر المعادية المتربصة بالتعاون الناشئ بين الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى والتى يمكن أن توجه اليهم تهمة ترويج الدعاية الشيوعية ، فى وقت كان قانون العقوبات ومازال يعتبر الشيوعية جريمة يحاكم عليها الانسان .

حرص الخبراء السوفيت على أن يلتزموا بأداء واجبهم المطلوب منهم دون

نجاوز لحدوده ، ولو شعروا بنوع من العزلة عن المجتمع وما قد يتبع ذلك من ضيق وشعور بالوحدة .

ويؤكد الفريق صلاح الحديدي هذه الحقيقة فيقول (كان موقف الخبراء السوفيت وتصرفاتهم في الفترة حتى نكسة يونيو ١٩٦٧ فوق كل شبهة ترمى الى ايهامهم بالتدخل فيما لا يعنيهم ، وكان لا يعنيهم الا اجادة عملهم واضفاء روح الجدية على انجازاتهم العسكرية ، شأنهم في ذلك شأن شعوب الاتحاد السوفيتي الذين يقدمون عملهم ، فلم يحاولوا الحصول على سلطات او نفوذ قد ينفر القادة او الضباط منهم ، بل كانوا من الناحية الواقعية تحت قيادة المناطق والقيادات يلبون اية مهمة يكلفون بها ويشرحون — مخلصين — ما يطلب منهم ابداء الرأي فيه متفانين في عملهم ، على جانب كبير من اللباقة في تعاملهم مع الضباط) .

لم تكن القبضة العليا في القوات المسلحة المصرية للخبراء السوفيت وانما كانت للقيادة المصرية التي ترسم الاستراتيجية وتتخذ الموقف وتصدر القرار .

وكان التعاون قاصرا على المباحثات والمناقشات وتبادل المعلومات التي تتم بين القيادات السياسية او العسكرية على المستويات المختلفة . ولا شك انه كان من مصلحة الاتحاد السوفيتي الاستراتيجية والسياسية أن يكون كل من النظام المصري والنظام السوري متماسكا ، وقادرا على الثبات في مواجهة الضغوط الامبريالية ، وحريصا على عدم التورط في مصيدة اسرائيلية .

وأى نجاح واستقرار سياسي واجتماعي للنظامين لابد وأن ينعكس ايجابيا على الاتحاد السوفيتي الصديق الذي يقدم المساعدات العسكرية والاقتصادية في سخاء واضح .

ولاشك ايضا ان الاتحاد السوفيتي كان يعرف حقيقة قدرات القوات المسلحة المصرية والسورية ايضا . . ويعرف نقاط القوة والضعف في كل منها ويدرك ان الدخول في قتال غير محسوب هو أمر ينذر بخطر شديد .

لم يكن من مصلحة الاتحاد السوفيتي اشتعال الحرب في المنطقة بأي حال من الاحوال . . وكان حرصه على السلام وخشيته على النظامين المصري والسوري باعنا له على ان يكون في نقطة دائمة للمنطقة .

ولذا فانه عندما ابلغت موسكو القاهرة ودمشق بأن هناك حشودا اسرائيلية على الحدود السورية لم يكن ذلك من قبيل المبالغة او التهميه ، ولم يكن يعنى أكثر من اتخاذ الحذر مما يدبر ، وليس الاندفاع الى ما يدبر فعلا .

اقترون هذا التبليغ بتحذيرات اسرائيلية عدوانيه ، ابتداء من رئيس الوزراء حتى أعضاء الكنيست، وصرح رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلي بأنه قادر على مهاجمة دمشق واسقاط الحكومة السورية ، وفي ٩ مايو وقبل أى تحرك عربي منحت لجنة شئون الامن في الكنيست سلطات كاملة للحكومة للقيام بعمليات عسكرية ضد سوريا ، مما اظهر جدية التهديد .

ولم يكن ممكنا للخطة الاسرائيلية ان تنجح دون اثارة الشعور بالخطر

الموجه لسوريا ، حتى يلتهب الموقف ، ويدخل في دائرة ردود الفعل ، ولذا فانهم قاموا بحشد قواتهم لاثارة الانتباه اليها ، ثم قاموا بتحريكها الى الجنوب حيث كانت النية مبيتة على توجيه الضربة الرئيسية . . . وذلك بعد أن أدت دورها الخداعي .

ولا يلقى هذه الحقيقة ماقامت به اسرائيل من دعوة بعض المراقبين بما فيهم السفير السوفيتي الذي رفض الدعوة ، لمشاهدة الحدود والتأكد من عدم وجود حشود حولها . . . فان قدرة القوات الاسرائيلية على الحركة السريعة كفيلة بتغيير موقع القوات من مكان الى آخر في أيام . . . بل في ساعات .
لم تكن هذه الحشود وهما أو خيالا كما حاولت بعض الدعايات الغربية تصوير الموقف في محاولة لتبرئة اسرائيل ، والاساءة للموقف السوفيتي ، والذي تبين مع سريان الاحداث انه كان حريصا أشد الحرص على ألا يتورط النظام المصري ويكون البادى بالاعتداء .

ويشير أمين هويدى الذى عين وزيرا للحربية ورئيسا للمخابرات العامة بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ مباشرة فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى هذه الواقعة قائلا :

(وقد وقف الكثيرون عند هذه النقطة وخرجوا باستنتاجات كثيرة أقلها أن الاتحاد السوفييتي دفعنا دفعا الى هذا الموقف حتى يستغله ضمن اطار سياسته العالمية . . . ولكن لعل في هذا الاستنتاج ظلما مادحا للاتحاد السوفييتي ، ولعله أيضا قفزة طويلة فوق الحقائق . . . لأن من يرجع بالذاكرة الى تلك الايام يجد أن المسرح السياسى في المنطقة كان يوحى بأنه قابل للاشتعال) .

ويذكر أمين هويدى العوامل القائمة وقتئذ وهي دور اذاعات الاردن والسعودية . . . والزيارات الكثيفة التى قام بها مسئولون امريكيون وبريطانيون لكل من عمان والرياض وتل أبيب . . . والتهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد النظام السورى .

كان الاتحاد السوفييتي حذرا تماما من الوقوع في مصيدة حرب عالمية ، فهذا امر لم تعد تحتمله الدولتان العظميان بعد التطور الرهيب في أسلحة الدمار الذرية . . . وكان حريصا على ألا تندفع مصر في مصيدة الخطأ الامبريالية .

الايقاع السريع

كان ايقاع الاحداث سريعا ، وكانت بعض القرارات مثيرة ومفاجئة . كانت أزمة الاعتداء في اليمن على مقر النقطة الرابعة ، قد ادت الى توجيه الحكومة الامريكية انذارا للحكومة اليمنية تطلب قبوله يوم ٢٧ ابريل في ظرف ٢٤ ساعة والا سحبت الاعتراف بها . . . ورفض السلال الاحتجاج والانذار (ولتفعل امريكا ما تشاء) حسب البيان الذى أصدره .
كانت الازمة تشكل تحديا للنفوذ الامريكى ، وخاصة أنها قد حدثت اثناء وجود الملك سعود مع المشير عامر واتور السادات في اليمن ، وتوجيههم خطبا ودعاية مثيرة ضد النظام السعودى المساند من امريكا .

وكانت الحركة الثورية في اليمن الجنوبية تشكل تهديدا صريحا لبقاء
اى نفوذ استعماري في جنوب شبه الجزيرة العربية الطائفية على بحر من
البتترول

وخطب جمال عبد الناصر في عيد العمال اول مايو قائلا ان اسلحة امريكا
الثلاثة هى الضغط الاقتصادي ، ونشاط المخابرات والحرب النفسية ...
وقال (ان لدينا اشرطة مسجلة لرجال المخابرات الأمريكية في القاهرة) .
وفي يوم ٩ مايو سافر الملك فيصل لزيارة لندن حيث قوبل ببطاها
معادية من الطلبة العرب ، في الوقت الذي كان يطالب انجلترا فيه بعمل
عسكري قوى لانهاء الثورة في الجنوب كما نشرت الصحف البريطانية .
وكانت اذاعات الاردن والسعودية ، رغم التبليغ السري الذي همس
به الملك حسين لعبد المنعم رياض طالبا رفعه لجمال عبد الناصر ليكون على
حذر من خطة تدبر ضده ٠٠٠ كانت هذه الاذاعات مازالت تواصل حملتها
الدعائية ضد مصر وتتهم النظام فيها بالتهادن مع اسرائيل .

وكانت الاردن قد اصدرت طابع بريد نشرت صحيفة الاهرام صورته
في الصفحة الاولى يوم ٥ مايو ٦٧ وهو يحمل هذه الكلمات (الملكة الاردنية
الهاشمية ثم صورة جونسون وتحتها هذه الكلمات (بناء السلام العالمى) .
توافرت عند جمال عبد الناصر المعلومات الآتية :

١ - قرار الكنيست يوم ٩ مايو باعطاء الحكومة الاسرائيلية حق القيام
بعمليات عسكرية ضد سوريا .

٢ - تواجد حشود عسكرية اسرائيلية على الحدود السورية .

٣ - تهديدات أشكول ورايين الصريحة ضد النظام السوري .
وحديثهم عن الزحف الى دمشق .

٤ - تقارير السفير السوري في موسكو صلاح الطرزي الذي يقول
ان مصادر موثوقا بها قد أكدت له ان الهجوم على سوريا قد تحدث له الفترة
من ١٦ مايو الى ٢٢ مايو .

ضاعف من اثر هذه المعلومات في نفس جمال عبد الناصر معاناته من
هجمات الدعاية الاردنية والسعودية التي اتهمته باتباع سياسة ناعمة
مع اسرائيل ٠٠٠ وضاعف من أثرها أيضا شعوره بأنه لا يمكن أن يلتزم
العصمت الى الابد وهو مرتبط مع سوريا بمعاهدة دفاع مشترك ٠٠٠ وضاعف
من أثرها أخيرا حرصه على أن يبقى في موقعه التاريخي أملا للامة العربية
في معركتها التحريرية .

ولذا تصرف جمال عبد الناصر في حدود ما تأثر به ... رفض يوم ١٥
مايو طلبا تقدمت به بعض قطع الاسطول السادس الاميركي لزيارة بعض
الواناء ، مشيرا في رفضه الى تصريحات ليفي أشكول رئيس وزراء اسرائيل
التي أعلن فيها صراحة (ان أمن اسرائيل يعتمد في حمايته على وجود
الاسطول السادس الاميركي) .

وأصدر يوم ١٣ مايو قرارا بحشد قوات مصرية في سيناء تأهبا
واستعدادا .

ولكن جمال عبد الناصر لم يقدم على هذه التصرفات بعقوبة القاتل ،
بقدر ما اقدم عليها بعقوبة السياسى المنور .
عندما زار ابراهيم مآخوس وزير خارجية سوريا القاهرة يوم ١٦ مايو
بعد ابلاغ سوريا يوم ١٤ مايو دول مجلس الامن بالمؤامرة ضد سوريا واعلانا
بانها ستراجى اى عدوان اسرائيلى بكل طاقاتها ، قال له جمال عبد الناصر
— حسب روايته لى — ان الجمهورية العربية المتحدة قد حشدت قواتها
فى سيناء ليكون فى هذه المظاهرة العسكرية رسالة الى اسرائيل تجعلها
تعاود التفكير .

وقال لى مآخوس ان جمال عبد الناصر قد اوضح له ان قدرة السوفييت
على المساعدة المادية قد تكون محدودة ... وان مساعدتهم قد لا تتجاوز
التأييد المعنوى والسياسى ، وربما انذار امريكا واسرائيل ، ولذا فان على
النظام السورى ان يضبط اعصابه ولا يدفع الامور الى نقطة الخطر ، لانه
— حسب تعبير عبد الناصر — (لا يريد ان يقفل باب التراجع وراء اسرائيل)
وقال عبد الناصر لمآخوس ايضا (اريدكم ان تلمسوا دقة الموقف ،
وعلينا ان نعالجه باعصاب باردة بعيدة عن اى استفزاز) .

واكد لى مآخوس انه ابلى جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة حرص
النظام السورى على عدم الانزلاق فى مخطط امبريالى ، وان سوريا لا تطلب
من مصر الاندفاع الى قتال غير محسوب العواقب .

وكان هذا دليلا على ان جمال عبد الناصر كان يتصرف حتى هذه اللحظة
التي اعلن فيها حالة الطوارئ والاستعداد القصوى باعصاب هادئة ...
وان اخبار الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية مهما تنوعت مصادرها
لم تكن لتجعله ينزلق الى دخول المصيدة .
ولكن اسرائيل تريد للموقف أن يزيد اشتعالا .

فى يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ وهو يوم الذكرى التاسع عشر لتأسيس
اسرائيل ، حدث عرض عسكري فى منطقة القدس الاسرائيلية التى كانت تعتبر
ارضا منزوعة السلاح بناء على قرارات الهدنة ، قالت عنه صحيفة الجارديان
البريطانية (انه كان خاليا من أية طائرات فى السماء ، ولا توجد دبابات
او اسلحة متطورة من التى تعتمد عليها اسرائيل فى العرض العسكرى) .
كان واضحا ان العرض العسكرى فى القدس هو نوع من الاستفزاز
.. وان غياب الاسلحة المتطورة كان يعنى انها هناك فى الحشود على
الحدود .

واذاعت وكالة الانباء الفرنسية يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ تصريحاً لليفى
اشكول قال فيه :

واضح للحكومة الاسرائيلية ان بؤرة (الارهابيين) مركزة فى سوريا ،
ولكننا وضعنا مبدأ بان نختار الوقت والمكان المناسب لصد المعتدى .. ويبدو
ان سوريا قد اصبحت رأس حربى العرب فى حربهم ضد اسرائيل .. ولكن
السوريين يعرفون قوتهم المحدودة ، وانه ليس بدون سبب ان تلعب سوريا
دورا لمصلحة الدول الكبرى ، ولكن هذا لا يخيفنا) .

وقال ايضا (انه من المحتم ان تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا واسرائيل اذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل اسرائيل)
سوريا تصرح بانها (لن تغلق الحدود في وجه الفلسطينيين الراغبين في استعادة بلادهم الصليبية)
والجمهورية العربية المتحدة تصدر بيانا يقول انها (سوف تخوض المعركة ضد اسرائيل اذا تعرض الوطن السوري لعدوان يهدد ارضه وسلامته)

وتتجاوز المظاهرة العربية حدود الكلمات .. وفجأة تختفى من الصحف العناوين الرئيسية التي تتحدث عن الثورة في جنوب اليمن ، وتظهر اخبار اعلان حالة الطوارئ والاستعداد القصوى
ويقرر جمال عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية التي ركزت عليها الدعاية لانظمة الحكم الرجعية والتي ابقته الحدود المصرية هادئة لمدة اكثر من عشرة اعوام .

ولكن تعليمات جمال عبد الناصر لم تكن تقضى بسحب قوات الطوارئ الدولية كلها ومن جميع مواقعها .
قال لي ماخوس انه اثناء مقابلته لجمال عبد الناصر ابلغه ان خطته تقضى بان تبقى قوات الطوارئ الدولية في غزة وشرم الشيخ ، وأن تنسحب فقط من الخط الواقع بين (طابا ورفح)
خطاب الفريق اول محمد فوزي رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الى قائد قوات الطوارئ الدولية والذي صدر يوم ١٥ مايو ونشر في صحف اليوم التالي يقول :

(احيطكم علما بانني اصدرت تعليمات الى جميع القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة لتكون مستعدة للعمل ضد اسرائيل فور قيامها بأي عمل عدواني ضد اي دولة عربية ، وتنفيذا لهذه التعليمات تجمعت قواتنا في سيناء على حدودنا الشرقية واخضمان امن قوات الطوارئ الدولية المتمركزة في نقط المراجعة على حدودنا اطلب اصدار اوامركم بسحب هذه القوات فورا .

وقد اصدرت تعليماتي لقائد المنطقة العسكرية الشرقية فيما يتعلق بهذا الشأن)

الخطاب خال تماما من تحديد القوات التي يجب انسحابها ، ومن المراكز التي يسمح لها بالبقاء فيها ، على اساس الاتفاق على ذلك كما رسم عبد الناصر خطته .

ولكن يوثائق ابلغ القاهرة عن طريق محمد عوض القنوي مندوب مصر في الامم المتحدة بناء على نصيحة من مساعده الامريكي رالف باناش (ان عمل قوات الطوارئ هو مهمة سلام لا تنجزا) .

وقد وضع هذا الرأي جمال عبد الناصر في موقف محير ، فقد اصبح مجبرا على الالتزام بكلمته في سحب القوات .. ويشير اصعب الاتهام الى رالف باناش الذي احاطت علامات الاستفهام بنصيحته ، وهو الذي يعرف المنطقة لسابق خبرته بها عندما كان مندوبا للامم المتحدة .

وقد فسر جمال عبد الناصر ذلك بعد فوات الاوان فى حديث ادلى به الى الصحفي الفرنسى اريك رولو المصرى الاصل نشرته صحيفة الموند يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ وقال فيه :

(لم ارد شن الحرب سنة ١٩٦٧ والقادة الاسرائيليون يعرفون ذلك جيدا ، لم يكن فى نيتى اقبال خليج العقبة بوجه السفن الاسرائيلية ، لم اطلب الى يوثانت ان يسحب قوات الامم المتحدة من غزة وشرم الشيخ المشرف على مدخل الخليج لكن فقط من جزء من الحدود الممتدة من رفح الى ايلات ٠٠ الا ان امين عام الامم المتحدة قرر - بناء على نصيحة موظف امريكى كبير فى المنظمة - سحب جميع هذه القوات ليضعنى فى موقف الجبر على ارسال القوات المصرية الى شرم الشيخ واقامة الحصار وهكذا وقعنا فى الفخ الذى نصب لنا) .

رؤية جمال عبد الناصر لحقيقة الموقف تأخرت ثلاث سنوات حتى نشر هذا الحديث على الراى العام العالمى .
انه فعلا كان يدخل المصيدة منساقا تحت ضغط ظروف لم يحسن تبينها ولم يجد حساباتها .

خطاب رئيس الاركان يطلب سحب القوات بلا تحديد ٠٠ وسكوتير هيئة الامم يصر على سحبها جميعا .

كان صعبا ٠٠ بل شديد الصعوبة ٠٠ ان يتراجع جمال عبد الناصر ٠٠ فانه عندئذ كان يخسر كل شيء ، وتنهال على راسه كل الاتهامات .
ولذا كتب محمود رياض وزير الخارجية خطابا من ٦٧ كلمة يطلب فيه من يوثانت سحب قوات الطوارئ الدولية من الاراضى المصرية ومن غزة ٠٠ صدر الخطاب يوم ١٧ مايو بعد يومين من خطاب الفريق اول محمد فوزى ٠٠ وبعد ساعات فقط اصدر يوثانت اوامره بسحب قوات الطوارئ جميعها دون الرجوع الى مجلس الامن او الى هيئة الامم المتحدة التى كانت منعقدة فى ذلك الوقت .

وقوات الطوارئ الدولية التى طلبت مصر سحبها لم تكن تتجاوز ٣٤٠٠ جندي من كندا والبرازيل والهند ويوغوسلافيا والنرويج والسويد والدانمرك ، استقرت داخل الاراضى المصرية بعد ان رفضت اسرائيل تواجدها على اراضيها بعد الانسحاب من سيناء .

وكانت قيادة قوات الطوارئ الدولية قد طالبت بعدم وجود قوات مصرية لمسافة عشرة كيلو مترات من الحدود ، حتى يتيسر لها فصل القوات العربية عن الاسرائيلية فصلا تاما .

وافق النظام المصرى على عدم وجود قوات مسلحة مصرية فى هذه المسافة حتى تتوافر لرجال البوليس الدولى حرية العمل كاملة ٠٠ وهكذا انتقلت حدودنا اوتوماتيكيا عشرة كيلو مترات الى الغرب ٠٠ وفى هذه المساحة كان السكان المدنيون من العرب الرحل يخضعون اداريا لسلطة المصرية ، ولكن الامر كان يحتاج الى تنسيق مع قوات الطوارئ اذا حاول رجال الامن المحلى فى سيناء القيام بواجبهم .

هذه المسافة الطويلة افقدت القوات المسلحة المصرية فريدة استكشاف

الارض ومعرفة خواصها ومراقبتها ٠٠ وظلت الاراضى الاسرائيلية بعيدة تماما عن الرؤية المصرية ٠

وكانت القوات الكندية هى المسئولة عن كافة التحركات الجوية لقوات الطوارئ وكذلك القيام بدوريات المراقبة من الجو فى بعض الاحيان ٠٠ وقد تقاسمت لذلك مطار العريش مع القوات الجوية العربيه ٠٠ ومعروف ان كندا عضو فى الكومنولث البريطانى ، وتربطها علاقات جوار طيبة مع الولايات المتحدة ٠

كان بعض العسكريين المصريين يشعرون بمرارة من فقدانهم السيطرة على بعض اراضيهم ، ولكنهم كانوا يقدرون أيضا أن ذلك يتم فى سبيل الهدوء والاستقرار ، خاصة وان قوات الطوارئ لم تكن بالحجم او التسليح الذى يتيح لها فرصة منع أحد الاطراف من الاعتداء على الطرف الاخر بالقوة ٠ كان واجبها محدودا بالمراقبة وابلاغ السكرتير العام بما يدور على الحدود مع تأمين المزارعين للعمل فى سلام فى ارضهم الملاصقة للحدود ٠ انسحبت القوات بأمر يوثانت خلال أيام قليلة ٠

وانهالت الانتقادات على يوثانت الذى عجل بتصرفه هبوب العاصفة ٠ كتب سولزبرجر كبير محررى الشؤون الخارجية فى النيويورك تايمز يقول : (استخدم يوثانت منزلته الدولية لتشجيع عاصفة لابد وان تنتهى بالحرب أجلا او عاجلا) ٠

ونشرت الاهرام يوم ٢٠ مايو عناوين كبيرة : محاولات مستميتة من جانب امريكا وبريطانيا وكندا واسرائيل للضغط على يوثانت ولكنه تمسك بنقطتين :

١ — حق مصر لا ينازع فى سحب قوات الطوارئ ٠

٢ — هو وحده الذى يملك الرد على طلب مصر ٠

ويبدو انه كان هناك (قصر نظر مصرى) لم يتبين الحقيقة خلال الايقاع السريع للاحداث ٠٠ فالدول التى اعدت المؤامرة وجهزت قواتها للعسودان تهاجم يوثانت لانه اسرع بسحب القوات ، مع ان ذلك كان حلما من احلامها ، وهدفا من اهم اهدافها حتى تظهر فى مظهر الدول الحريصة على السلام ٠٠ والقاهرة تدافع عن يوثانت لانه اسرع بالاستجابة الى طلبها ، وساعد على اعطاء القوة للمظاهرة العسكرية التى بدأتها فى سيناء ٠

وقال جمال يوم ٢١ مايو لضباط احد مواقع القوات الجوية المتقدمة (ان يوثانت تصرف بحكمة ووعى ونزاهة) ٠

كان انسحاب قوات الطوارئ الدولية نقطة تحول كبيرة فى الموقف ٠٠ وكان واجبا على جمال عبد الناصر ان يعيد تقدير موقفه بعد اضطرابه الى ارسال قوات مصرية الى شرم الشيخ ، وهو الامر الذى لم يكن قد هيا نفسه له ، والذى يخرج بالمظاهرة العسكرية عن ان تكون رسالة الى اسرائيل ، كما قال لابراهيم ماخوس ٠

ولكن الايقاع السريع للاحداث يبدو انه لم يخلق فرصة للتأمل والمراجعة ٠

نشرت الصحف المصرية يوم ١٩ مايو اخبارا تقول ان القوات

الاسرائيلية تكثف باقصى سرعة الى الجنوب ٠٠ وقالت الاهرام ان الحشود المتجمعة امام سوريا (تنوب) ٠ وقدرت الحشود بثلاث فرق اسرائيلية ٠ وفى نفس اليوم ظهرت تصريحات عنيفة للمشير عامر أدلى بها للمحرر السياسى للاهرام قال فيها :

(لا ينبغي لاحد ان يساوره الشك فى ان الجمهورية العربية المتحدة ستضرب بكل قوة أى محاولة للعدوان ، وانه قد آن الآوان لوضع حد لسياسة التبعج والغرور التى يتصرف بها العدو الاسرائيلى) ٠

قال عامر ايضا (ان تحرك قواتنا يقلب موقف العدو الاسرائيلى رأسا على عقب) ٠

وتعت بعض التحركات ٠٠ الفريق أول محمد فوزى سافر الى دمشق ٠٠ والفريق أول عبد المحسن مرتجى عين قائدا عاما لقوات الجبهة المصرية مع اسرائيل ٠٠ وتم الاتصال برؤساء العراق والجزائر واليمن ٠٠ وهوارى يومين يعلن تأييده المطلق لاجراءات مصر وسوريا ٠

وزار المشير عامر المواقع المتقدمة يوم ٢١ مايو ٠٠ وهو اليوم التالى لاعلان اسرائيل حالة التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط ٠ ورفضت القاهرة اقتراحا بدعوة مجلس الدفاع العربى لانها (ليست على استعداد لمناقشة خطط الموقف الخطير الراهن مع الرجعية او بحضورها ٠

وحافظ الاسد وزير الدفاع وقائد سلاح الطيران السورى يعلن (ان القوات المسلحة اتت استعداداتها والقوات الجوية فى المستوى الذى يمكنها من القيام بواجبها على اكمل وجه) ٠

وفى نفس هذا اليوم ٢١ مايو عقد اجتماع للجنة التنفيذية العليا برئاسة جمال عبد الناصر ، حضره المشير عبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين وانور السادات وحسين الشافعى ، وصدقى سليمان رئيس الوزراء ٠

قال لى صدقى سليمان ان الاجتماع قد عقد فى صالون منزل جمال عبد الناصر دون جدول اعمال او تحضير ٠٠ وانه عندما عرض عليهم جمال عبد الناصر قراره باغلاق خليج العقبة لم يعترض احد منهم مطلقا ٠٠ وكان الصمت هو تعليقهم الوحيد ٠

لم يتحدث الا صدقى سليمان الذى تساءل بحسن نية عما اذا كانت تتأرب المعلومات والمخابرات تظهر الصورة واضحة ، وعما اذا كانت احتمالات قفل خليج العقبة قد درست دراسة عميقة واقعية ٠٠ وكان الجواب من جمال عبد الناصر مختصرا بالايجاب ٠

يقول صدقى سليمان انه يلوم نفسه لوما شديدا على عدم تحوله فى مناقشة صريحة حول القرار ٠

وقد أكد حقيقة ما رواه لى صدقى سليمان ، ما قاله جمال عبد الناصر نفسه بعد الهزيمة للشهيد عبد الخالق محجوب سكرتير انحزب السبعوى السودانى عندما سأل عن السر وراء قرار قفل خليج العقبة فقال له ان الوحيد

الذى ناقش الامر معه كان صدقي سليمان •
واكد لى زكريا محبى الدين حقيقة ما دار فى هذا الاجتماع ، وفسر
عدم تساؤلهم او مناقشتهم للقرار بانهم كانوا على ثقة من جمال عبد الناصر ،
وان حضور المشير وموافقته يدل على الاطمئنان لقدرة القوات المسلحة •
ويشير امين هويدى فى كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) الى
حديث دار بينه وبين صدقي سليمان اثناء عمله معه وزيرا للدولة فيقول :
(ابدت قلقى الشديد من تصعيد الموقف ، بل وابدت عدم ثقتى فى
بعض القيادات العسكرية الموجودة ، وعدم قدرتها على مواجهة الموقف ،
فكان رد رئيس الوزراء بهدوئه المعروف عنه (والله يا امين الرئيس شايف ان
وجود قوات الطوارئ الدولية زى الدمى لازم ينفث) •
ولا شك ان اتخاذ هذا القرار الخطير •• فى هذا التوقيت الحرج ••
وبمثل هذا الاسلوب المنعزل البعيد عن حيوية المؤسسات السياسية
والديموقراطية ، وهو أمر يدل على ان نظام الحكم كان اوتوقراطيا يعتمد
على جمال عبد الناصر اعتمادا كاملا •• وان الثقة به - عن قناعة
او مبالاة - كانت مطلقة حتى من اقرب زملائه له ، الذين تقاعسوا عن
مناقشته ، او ارتضوا قراره بلا تعقيب •• وهم الذين كانوا يملكون وحدهم
او قبل غيرهم بحكم الدستورية فى السلطة ، وبحكم الزمالة القديمة فى
العمل •• فرصة الحوار معه ومناقشته •

وبدلا من الانجراف السريع وراء تخطئة القرار تخطئة كاملة ، علينا
دائما ان نقدر الظروف المادية والمعنوية التى كانت قائمة •• والاهداف
الكامنة فى صدر عبد الناصر عند اتخاذ القرار ••
كتب مكسيم رودنسون فى كتابه (اسرائيل والعرب) ان عبد الناصر
لم يصدر هذا القرار لمجرد الاعتراف بحقوق مصر فى خليج العقبة ،
وانما لاجبار اسرائيل على التفاوض فى كل ما نجم عن حرب ١٩٤٨ ،
والوصول الى (حلول وسط) فيما يتعلق بقضية اللاجئين وتسوية مشاكل
الحدود

ولكن انطونى ناتنج يعتبر ان هذا الاستنتاج بعيد عن الحقيقة ويقول
انه نتيجة لاتصالاته بعد الناصر يميل الى الشك فى ان عبد الناصر كان ينظر
الى الامور بهذا الشكل ، وأنه كان يتحرك برد الفعل اكثر مما يتحرك
بالفعل •

والواقع ان اسرائيل كانت امامها عدة طرق مفتوحة للحل بعد اتخاذ
القرار لو انها كانت تستهدف الوصول الى حل سلس فعلا وهى :

- ١ - مواصلة الاتصالات الدبلوماسية والتركيز عليها رغم عسدم
جدواها المؤكد فى ذلك الوقت •
- ٢ - اختبار جدية قرار الحصار المصرى بارسال مراكب اسرائيلية
خلال مضائق تيران ومعرفة رد الفعل المصرى •
- ٣ - محاولة القيام بعملية عسكرية محدودة لفتح المضائق لقواتها •
- ٤ - شن حرب وقائية •

وواضح ان طريق الحل الرابع كان اقرب الحلول الى تفكير قادة المؤسسة العسكرية الذين اعدوا خطتهم لذلك منذ اعوام طويلة .
والحرب الوقائية تحتاج الى مبررات وذرائع هي التي ركزت عليها الحكومة الاسرائيلية لتوريط العرب فيها في وقت غير مناسب لهم .
وتمازت بعض تصريحات التهديد لاسرائيل دون حساب دقيق لظروف الموقف ، ودون تقدير لرد فعل ذلك على سكان اسرائيل الذين تجعل منهم هذه التصريحات عجيبة سهلة في يد قادة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية .

ويقول هربر دمكيان في كتابه (مصر في عهد ناصر) :
ان حشد القوات العربية على حدود اسرائيل منح الصقور هناك فرصة فريدة لاشعال حرب شاملة تجاوبت مع مشاعر السكان) .

اعلن جمال عبد الناصر القرار يوم ٢٢ مايو اثناء زيارته لموقع القوات الجوية المتقدم ، معلنا اغلاق خليج العقبة وحظر الملاحة الاسرائيلية او مرور المواد الاستراتيجية . . . وهاجم في الاجتماع زعماء الحلف الاسلامي الذين لا يوقفون شحن البترول الى ايلات .

ويفسر جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع رد فعله على تصريحات اشكول ورابين التي ذكروا فيها (انهم سيقومون بعمليات حربية ضد سوريا من اجل احتلال دمشق واسقاط النظام السوري) ووصف هذا التصريح بقوله : (ان هذا التصريح - الذي صدر يوم ١٢ مايو - تصريح وقح جدا الواحد لما يقره يعتقد هؤلاء الناس قد وصل بهم التبجح والغرور الى الحد الذي لا يمكن السكوت عليه) .

مازالت دمشق عند عبد الناصر المدينة العزيزة التي الهبت قلبه بالحب يوما ما . . . ومازالت طبيعته المصرية الاصيله ترفض الرضوخ للتصريحات المهينة للكبراء

ويفسر عبد الناصر لضباط القوات الجوية التطور السريع للاحداث فيقول : (انه لم يكن هناك تفكير قبل يوم ١٣ مايو في اتخاذ أي اجراء على اساس ان اسرائيل لم تكن تجرؤ على مهاجمة أي بلد عربي) ، ولكن وصلت في هذا اليوم معلومات تفيد بحشد ١١ او ١٢ لواء وان هناك نية عمل عدواني ضد سوريا يوم ١٧ مايو ، واتصلنا باخواننا السوريين فوجدنا عندهم نفس المعلومات ، ولذا ارسلنا فوزى الى دمشق يوم ١٤ ، وقررنا ان احنا ندخل المعركة من اول دقيقة) . . .

قرار قفل خليج العقبة الذي اتخذ في هذا الاجتماع فوق ارض سيناء هز العالم بعنف شديد ، ووضح ان الامور تتطور بايقاع اسرع من المتوقع ، وان شبح الحرب يقترب ولا سبيل لدفعه .

قفل خليج العقبة يعنى القبض على رقبة اسرائيل . . . وهي لن تترك نفسها لقموت بين يدي المصريين .

صحافة العالم تنشر (ان الحرب مع اسرائيل قد تنشب في أي لحظة) . . . والدعاية الغربية تصور التحركات المصرية في صورة عدوانية . . . وجوسون يكتب الى كوسيجين بان تتعاون امريكا وروسيا على مواجهة

الازمة ٠٠ ويقترح السوفيت على جورج براون وزير الخارجية البريطاني
اثناء زيارته الى موسكو عقد مؤتمر ثنائي مع امريكا لفرض تسوية
للموقف ٠

ويصل يوثانت سكرتير الامم المتحدة الى مصر فى اليوم التالى مباشرة
- ٢٣ مايو - ويجتمع ٤ ساعات مع جمال عبد الناصر ، اعطى له فيها وعدا
بان يدعو اسرائيل الى الامتناع فى اثناء بذل الجهود الدبلوماسية النشطة
عن ارسال سفنها للمرور عبر مضيق تيران ٠٠ على ان تسمح السلطات
المصرية بمرور كافة السفن الاخرى المتجهة لاسرائيل دون تفتيش ٠
وفى يوم ٢٥ مايو ٦٧ طار شمس بدران وزير الحربية المصرى الى
موسكو ٠ وطار ابا ايان وزير خارجية اسرائيل الى باريس ولندن
وواشنطن ٠

بدأت رحلة ابا ايان فجر يوم ٢٤ مايو دون ان تشير الصحف الى
تحركاته واكتفت بالقول انه غادر البلاد لرحلة اعتيادية ٠
قابل ابا ايان ديجول الذى قال له :
- لا تبدأوا باطلاق النار ٠

وناقش مع المسئولين البريطانيين فى لندن (الوضع فى الشرق الاوسط)
وظهرت صحيفة التايمس يوم زيارة ايان للنندن - ٢٥ مايو - بعنوان رئيسي
يقول :

- (يوم آخر بلا قتال فى الشرق الاوسط) ٠
وفى واشنطن وضعت اللبسات النهائية للخطة ، وقال جونسون لايبان ٠
- (ان العلم الازرق والابيض يجب ان يمر فى المضائق) ٠
وصرح ايان فى طريق عودته الى اسرائيل بباريس يوم ٢٧ مايو بقوله :
(لا يمكن للسلام ان يتعايش مع حصار غير مشروع) ٠
وعندما سئل (هل انت متفائل ؟) ٠
اجاب (ان الشجاعة امر صعب)

عاد ايان الى تل ابيب ، وهو الوزير الخبير المتمرس بعد ان تعرف على
حقيقة موقف الدول الغربية من قضية مساندتها للحكومة الاسرائيلية ٠

وزيارة شمس بدران لموسكو فى هذه الفترة الحرجة يعطى لها اهمية
قصوى ويدفع الى مناقشة نتائجها بتركيز شديد ٠

واذا تفاضينا عن قدرة شمس بدران على تحمل مسئوليته كوزير
لحربية مصر ، فى وقت كان ابعدا ما يكون فيه عن متابعة التطورات العلمية
الحديثة لوسائل القتال ، وفى مستوى محدود وصلت اليه تجاربه ودراساته ،
فاننا مع ذلك يجب ان نقف عند هذه الزيارة لما احاط بحديث شمس بدران فى
مجلس الوزراء بعد عودته من علامات استقهام وتمعجب ٠

قال لى الدكتور مراد غالب سفير مصر فى موسكو والذى حضر
مباحثات شمس بدران مع جريتشيكو وكوسيجين انه ارسل تقريراً شخصياً
الى جمال عبد الناصر عن نتائج الزيارة وما ورد فيها من تحفظ سوفيتى على
بعض الخطوات التى اتخذت ، والتى قد تدفع الى التورط فى حروب غير
محسوبة النتائج ٠

ارسل مراد غالب التقرير مع حمدي عاشور محافظ الاسكندرية الذي كان يقوم وقتها بزيارة للاتحاد السوفيتي ، وذلك خشية منه ان يكون شمس بدران لم يدرك تماما صحة الموقف السوفيتي وتقديرا من السفير المصري لما يحيط بالموقف من اخطار .

وعندما صدر بيان الزيارة لم يتجاوز ما ورد فيه عن العبارات التقليدية ، وهي (ان محادثات دارت حول مسائل تهم البلدين في اجتماع يتسم بالود والصداقة)^{١٠}

ويذكر ان شمس بدران قد اجاب على تساؤل في مجلس الوزراء المصري عما اذا كانت مصر قد ادخلت في حساباتها وجود الاسطول السادس الامريكي في شرق البحر الابيض المتوسط ، بقوله (انه لو تدخل سنحطه) .

ويروي امين هويدي زميل شمس بدران في مجلس الوزراء حيث كان وقتها وزيرا للدولة في وزارة صدقي سليمان في كتابه (اضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) :

(في زيارة السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ الى موسكو اكدت له القيادة السوفيتية اكثر من مرة عن أملها في عدم تصعيد الموقف والاكتفاء بما حصلنا عليه من انتصارات . . هذه حقيقة لا جدال فيها .

وكان السفير الروسي في القاهرة يقوم بمثل هذا التأكيد أيضا . ثم ما قيل عن ان الاتحاد السوفيتي وعد السيد شمس بدران بالتدخل في حالة اي عدوان على مصر بعيد عن الحقيقة بل تؤكد الصحافة السوفيتية ان اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي يؤكد المرة تلو الاخرى بعدم تصعيد الموقف والعمل على تعزيز الانتصارات السياسية التي حصلنا عليها دون التورط في القتال) .

(ويعلق امين هويدي على ذلك بقوله ان ما قاله البعض من ان معلومات موسكو عن الحشود السورية كانت كالتزيت الذي يوضع فوق النار يتنافى مع هذه الحقيقة ويقول (ومن يريد ان يدفع الامور لا يستبدل الزيت بالماء ليصبه على النيران) .

ويكمل جان لاکوتير هذه الصورة في كتابه (عبد الناصر) يقول (سافر شمس بدران ليطالب اسلحة جديدة ، الا انه اصطدم بانتقاد كومـيـسيـجـن — للاخطاء المؤسفة — التي ارتكبتها مصر : عرض عضلات في سيناء ، تصار تيران وأوصى رئيس الحكومة السوفيتية بالا نتضمن (المعدات الحربية) الممنوع مرورها البسرول الضروري لتسويب اسرائيل ، كما اوصى وزير الدفاع السوفيتي بالانسحاب التدريجي للقوات المراقبة في سيناء .

ثبتت من هذا ما ذكره انطوني ناتنج أيضا في كتابه (ناصر) . ان عبد الناصر لم يستشر السوفيت قبل قفله خليج العقبة ، وان آخر ما كان يمكن للسوفيت ان يطلبوه هو صدام عبد الناصر مع القوات الامريكية الامر الذي يمكن ان يسحبهم هم الآخرين الى ميدان المعركة .

كانت ثواب دافئ راسو على حذر شديد من الخطوات الاندفاعية

التي تتم في الشرق الاوسط ، فاعلن حالة التأهب والطوارئ في نفس اليوم الذي صدر فيه قرار جمال عبد الناصر بقفل مضيق العقبة .
ويقول ناتنج ان شمس بدران قد أخطأ في نقل وجهة نظر السوفييت المعارضة للحرب . واعتقد ان تأييدهم لمصر يتجاوز طبيعته ويمتد الى الحد الذي يورطهم في حرب ثالثة .

وفي كتاب (ملف الحرب) الذي اعده (تيم هيوث) تسجيل لاحاديث عبد الناصر التليفزيونية التي اجراها مع انطوني ناتنج والنائب العمالي كريستوفر مايهيو يوم ٣ يونيو واذيعة في السادسة من مساء ٥ يونيو بعد بداية العدوان .
سأل ناتنج قائلا :

(في محاولته للنظر الى المستقبل فان روسيا قدمت كميات كبيرة من الاسلحة والدبابات والمطارات لمصر عدا الاموال والمساعدات الاقتصادية وبناء السد العالي وقدمت مع الصين مساعدات من القمح .. ووزير حربيتك قال ان روسيا قد وافقت على مساعدة مصر ضد اسرائيل .
هل يعنى كل ذلك ان حرية الحركة لمصر قد اصبحت محدودة كدولة محايدة ؟)

واجاب عبد الناصر :
اننا اخترنا سياسة عدم الانحياز .
تحدثت في بعض كلماتي عن زيارة وزير حريبتنا لموسكو ولكنني لم اقل انهم قالوا انهم سيكونون معنا اذا نشبت الحرب مع اسرائيل .. لا .. طبعا اننا نرحب بالفكرة وذلك لاننا لانريد ان نجابه ١٩٥٦ أخرى اما عن الحياد وعدم الانحياز فنحن احرار ١٠٠٪ .

ويؤكد ذلك صحة استنتاج السفير مراد غالب وحرصه على ابلاغ جمال عبد الناصر حقيقة الموقف السوفيتي كما سبق أن ذكرت .. وقد اكد لي مراد غالب ان الاتحاد السوفيتي كانت له استراتيجية واضحة معروفة لمصر لاتسمح له بالموافقة على الهجوم على اسرائيل كما لا يوافق على الهجوم على مصر .
ويروى الفريق أول محمد فوزي قصة شمس بدران تفصيلا فيقول :

كان الوزير شمس بدران قد كلف بمهمة للسفر الى موسكو في الاسبوع الاخير من شهر مايو ومعه وكيل وزارة الخارجية في ذلك الوقت السيد أحمد حسن الفقي . وانضم اليهما في موسكو سفيرنا هناك الدكتور مراد غالب وتم لقاء كالمعتاد والهدف هو دعم جديد ، اسلحة للقوات المسلحة .. المهمة انتهت سريعا ، مثل باقي المهام الاخرى . واثناء عودة الوزير شمس كان وزير الدفاع السوفيتي جريتشكو يودعه . حصلت لفظة تقليدية بكلمة مجاملة خبط على كتفه للمجاملة .. وشدوا حيلكم احنا وباكم .. حاجة من هذا القبيل .

وعاد الوزير شمس ومعه زميله وكيل وزارة الخارجية ومعهم المظروف الذي به محضر الجلسة .. الوزير شمس بدران اتجه رأسا من المطار الى الرئيس جمال عبد الناصر ، وقال له جملة .. ما معناه ان الحكومة السوفيتية والقوات المسلحة السوفيتية معنا .

لقد فهم شمس بدران هذا من اللهجة العاطفيه الميليديه .. لمحبة المجاملة .. النى أعلنت من وزير الدفاع فى نودبعه بالمطار .
هذه الجملة خدعت بعض الشيء فى الفكر او الذهن لدى الرئيس جمال عبد الناصر وكان رد فعلها هو تشديد الاعلام فقط .. بمعنى كان ساعتها وراها فيه خطية للرئيس عبد الناصر مع احد التجمعات الشعبية .. فالخط الاعلامى زاد فى لهجته نتيجة لتأثير هذه الجملة .

ثم انتصح بعد ذلك أن الطرف الرسمى الاكيد الذى يحوى جلسة موسكو لم يطلع عليه الرئيس جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو لسنة ١٩٦٧ .

لم يقرأه جمال عبد الناصر الا فى ١٣ يونيو الظرف فضل مقبول واتسلم من وكيل الوزارة احمد حسن الفتى لمكتب جمال عبد الناصر وفيه محضر جلسات الوزير شمس مع القيادة السوفينية ومكتوب على الظرف « عاجل جدا ويسلم » ولم يفتح الظرف . ولما فتح الظرف وقرأه لم يوجد بالمحضر الرسمى أى اشارة سياسية او معنوية ، أو أدبية عن المساعدة او التأييد فى الصراع اللى حاصل فى ذلك الوقت اطلاقا .. كله كلام على التسليح حتا خدوا كذا حيدونا كذا .. حاجة زى كده ..

وأقول هذا للتدليل على الارتجال الشفوى غير الدقيق وتأثيره على الذهن وعلى الفكر .

ويستطرد قائلا : ثم دعى مجلس الوزراء الى الاجتماع .. وحضره الوزير شمس بدران وكان فيه تساؤل عن احتمال دخول امريكا مع اسرائيل كمساعدة مباشرة فى الصراع اللى موجود وخاصة ان الاسطول السادس موجود فى البحر الابيض . فرد شمس على الوزراء ردا تهكميا اسقط النقاش .. اسقط النقاش يعنى الترجمة الى وصلت لى منقوله عن هذه الحالة .. انه « أوقف النقاش » يعنى معناها آيه هوه الاسطول السادس ؟ .. يعنى يطلع ايه الاسطول السادس ؟ .. وذكر التفصيل .. وقال : ده احنا بطيارتين تى يوم ١٦ أس .. وزورقين لنشات صواريخ .. قال نعمل مش عارف آيه .. وهكذا توقفت المناقشة فى مجلس الوزراء .. وهذه يمكن ان نضعها تحت عنوان المبالغة المضللة فى قدرتنا العسكرية بالنسبة للحقيقة ، تشابها مع الخط الاعلامى عن القوات المسلحة .

ولكن شمس بدران يتحدث بنفسه عن حقيقة ما دار خلال رحلته الى موسكو فيقول فى حديث مع مجلة الحوادث عدد ٦ سبتمبر ١٩٧٧ .
(فى حفل الغذاء الذى أقامه لنا جريتشكو تحمس أحمد حسن الفتى وكيل الخارجية وعضو الوفد فقال فى أحد الأنخاب (ان الشعب شديد الحساسية لمواجهة العدوان الاسرائيلى . وانه لن يتردد فى التضحية بآبائه فى معركة ضد الامريكيين .. ودب الفزع فى الحفل . وقام الضباط الروس يخطبون محذرين من تصعيد الموقف ، فوقفت وقلت لهم : نحن لا نرغب فى أية مواجهة مع امريكا . بل أؤكد لكم اذا مرت السفن الاسرائيلية فى حماية الأسطول الامريكى فلن نتعرض لها)
ويقول شمس بدران ايضا :

(عندما التقيت بكوسجين قال لي : لقد حصلتم على نصر سياسي كبير ويجب ان نعمل على تخفيف حدة الموقف الآن .

ويذكر ايضا ان جريتشكو قال له وهو يودعه في المطار :
(شدوا حيلكم .. الاسطول السادس نزل مشاة أسس في كريت ولكنه عاد وسحبهم لان أسسطولنا في البحر الابيض مزود بصواريخ وأسسلحة نووية ، واذا حدث هجوم عليكم من الاسطول السادس فابعتوا لنا بأشارة ستجدوننا عندكم في المكان الذي تحدوده .. الاسكندرية أو بور سعيد .

واذا كان هذا هو ماحدث فعلا .. فانه لايمكن ان يعتبر تشجيعا على القتال أو ارتباطا في معركة مصير .

ويذكر شمس بدران ان المشير عامر قد استدعاه بعد التنحي وأبلغه ان هيكمل ومراد غالب يقولون ان مانقله شمس لعبد الناصر (كان غلط) .
والدليل ان الروس قد ابلغوا مراد غالب (ان الاسطول السوفيتي يراقب الاسطول السادس وانهم لم يشاهدوا تدخلا أمريكيا)

وهذا يتناقض تماما مع ما ذكره شمس ولم يدون رسميا في محضر المحادثات .. ومراد غالب مصدر ثقة لاجادته للغة الروسية حيث أمضى ١٢ عاما سفيرا في موسكو .

الامر المؤكد .. ان خطأ ما قد حدث فيما نقله شمس بدران ، وفي عدم اطلاع جمال عبد الناصر على المحضر الرسمي للمحادثات .

ولكن جمال عبد الناصر كان واقفا فيما يبدو من ان اسرائيل لن تهاجم ، في ذلك يقول ناتنج ايضا (وفي محادثاتي معه أثناء هذه الايام الحرجة ، بدا عبد الناصر مقتنعا انه يستطيع ركوب العاصفة والسيطرة عليها اذا لم يقدم لاسرائيل مزيدا من الاستفrazات)

ولذا حرص جمال عبد الناصر في محادثاته مع يوثانت على ان يجنح الى تهدئة الموقف .. ولكن اسرائيل كانت قد اعدت خططها للهجوم ورفضت اقتراح يوثانت الذي قبله جمال عبد الناصر والذي كان يقضى بتوفير (فترة تنفس) يمارس فيها جهوده الدبلوماسية النشطة على ان تسمح السلطات المصرية بمرور السفن المتجهة الى اسرائيل دون تفتيش ، على ان تمتنع السفن الاسرائيلية عن المرور الى حين الوصول الى تسويه .

وشجع عبد الناصر على هذا الموقف تأكيد الامريكيين له - كما يقول ناتنج ايضا - بان اسرائيل لن تطلق الطلقة الاولى .

وفي يوم ٢٦ مايو نشرت الصحف مطالب الحكومة الامريكية لتسوية الموقف والتي تلخص في :

١ - ان الولايات المتحدة الامريكية ترى ان تظل قوات الطوارئ في غزة وشرم الشيخ حين صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة

٢ - ألا تتوجه أية قوات مسلحة الى شرم الشيخ إلا بعد ان تصدر حكومة الجمهورية العربية المتحدة اعلانا رسميا بتأكيد حرية الملاحة في مضيق تيران .

٣ - ألا تدخل الى غزة أى قوات مسلحة .

- ٤ - ان نضل الامم المتحدة ووكالاتها مسئولة عن الادارة فى قطاع غزة حتى نم سويه المشكلة .
- ٥ - أن نعود القوات المصرية فى سيناء ، والقوات الاسرائيلية فى مواجهتها الى مواقعها الاصيلة .
- ولم يكن معقولا ان نسنجيب القاهرة لهذه الطلبات بعد الخطوات التى اتخذناها . ومع ذلك ظهرت جريدة الاهرام يوم ٢٨ مايو نحمل عنوانا رئيسيا يقول (جونسون ينأند القاهرة ضبط النفس) .

وفى نفس اليوم عن زكريا محيى الدين قائدا للمقاومة الشعبية وعقد جمال عبد الناصر مؤتمره الصحفى الشهير الذى بدا فيه عصيبا لانه كان فد أبليخ قبله بعدة ساعات ان ثلاثة سباط قد وقعوا أسرى فى يد اسرائيل أثناء قيامهم بالاستكشاف ، أجاب فيه على سؤال لستيفن هاربر محرر الديلى اكسبريس الذى سألته قائلا :

لقد مررتم كانسان بمرحلة ضغط كبيرة فى انهاء أزمة السويس عام ١٩٥٦ فهل تجدون من السهولة بمكان نحمل أعبائها كانسان أكبر سنا مما كان عليه قبل ١١ عاما ، أم انكم تجدونها اصعب شأنا . وكيف تستريحون من مشاكلكم ؟

وأجاب عبد الناصر بان الديلى اكسبريس تهاجمه يوميا ثم قال (بالنسبة للسن انا ما عجزتش ولسه ما بلغتش ٥٠ سنة . وانا مش خرف زى مستر ايدن بأى شكل من الاشكال) .

وفى يوم ٢٩ مايو توجه أعضاء مجلس الامة برئاسة انور السادات الى قصر القبة لاعطاء جمال عبد الناصر تفويضا كاملا لمواجهة الموقف . وكان هذا حدثا جديدا فى تاريخ الحياة السياسية اذ ينتقل ممثلو الشعب جميعا من فاعتهم الى قصر الرئيس . ثم يقدمون له تفويضا يعتبر كل فرد منهم مسئولا عنه مسئولية ضمنية .

هذا بدلا من المطالبة بمناقشة الموضوع من كافة جوانبه ومحاولة التعرف على حقيقة الاخطار التى يتعرض لها الوطن

وفى نفس اليوم توجه عبداللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم لمقابلة جمال عبد الناصر . وهم أعضاء مجلس الثورة الذين قدموا استقالاتهم خلال السنوات الثلاث السابقة . والذين كانوا قد أرسلوا له مذكرة يشرحون فيها الموقف ويعرضون أن يكون لهم موقع فى أى قتال محتمل .

قال لى كمال الدين حسين ان المقابلة لم تمتد طويلا . ثلث ساعة فقط . وضع فيها ان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الجيش المصرى ولذا فقد اعتقد انه لن يجرؤ على اعلان الحرب .

وقال لى حسن ابراهيم ان جمال عبد الناصر كان واثقا من أن شبح الحرب مازال بعيدا ، فقد قال لهم (أنا لن أحارب) . وقال أيضا (لست أنا الذى سيأخذكم الى تل أبيب . انه من سيأتى بصدى) ولكنه قال (أنا عاوز اللف شرم الشيخ) .

وعندما سألته حسن ابراهيم عما اذا كان سينرك الاسرائيليين يوجهون لنا الضربة الاولى قال : (ان امامهم ستة اسابيع) .
ولكن حسن ابراهيم يعدل أقواله في كتاب (الصامتون يتكلمون)
فيقول ان عبد الناصر أبلغه بأن أمام اسرائيل ٦ او ٧ أشهر) .
وقال لي عبد اللطيف البغدادي ان المقابلة قد أثبتت ان جمال عبد الناصر لم يكن يدخل التحرك السريع نحو الحرب كعامل رئيسي ، وانه كان يعتقد أن الحركة ليست قريبة . وانه وزملاءه قد قاموا بتجسيد الاحطار أمامه .
ويقول ناننج في كتابه (ناصر) عن هذه المقابلة ان جمال عبد الناصر قد قال لزملائه انه ليست هناك مناسبة لمثل حديثهم الانهزامي الذي كان يفسر فقط الضعف في قواطنا المسلحة ، ويقول انه عندما سأل البغدادي عن موقف السوفييت . ردد له جمال عبد الناصر ما قاله شمس بدران عن استعداد السوفييت لمساعدة مصر للنهائية حتى ولو تورطت في حرب عالمية جديدة
وقال لي حسن ابراهيم أيضا انه أرسل له مدرة أخرى بتاريخ أول يونيو .

كانت هذه المقابلة من المقابلات النادرة التي أتيج لجمال عبد الناصر أن يسمع فيها آراء صريحة بلا خوف او تردد من زملاء قدامى أتيجت لهم فرصة العمل معه ١٢ عاما وأكثر قبل ان يبتعدوا عن المسؤولية والحياة العامة . . .
ولكنها ظلت مع ذلك كنوع من الاستشارة فقط .
الانفاع السريع للأحداث يظهر شبح الحرب في الأفق ، ويجعل مع الانزلاق اليها أمرا عسيرا

موقف القوات المسلحة

أمر بدهي ان تكون عين جمال عبد الناصر على القوات المسلحة عند تفكيره في اتخاذ أي قرار .
وصحيح انه كان قد فقد اهتمامه ورغبته للتدخل والاشراف على شئون القوات المسلحة تفصيليا ، منذ أن نشأ الخلاف بينه وبين المشير عامر بعد الانفصال . . ولكنه يظل مع ذلك القائد الاعلى للقوات المسلحة .
وحرب اليمن أو العملية ٩٠٠٠ كما كان اسمها الحركي كانت لا تزال قائمة . . صحيح ان حجم القوات قد انحسر هناك بعد ان كان قد وصل كما يقول الفريق صلاح الحديدي (شاهد على حرب ٦٧) بعد أن ازداد (حتى فاق في وقت من الاوقات حجم القوات الموجودة داخل حدود الجمهورية ، فتأثرت بذلك الخطط الموضوعة عن سيناء لعدم توافر التواتر اللازمه ، بل تأثر حجم القوات المتمركزة في مواجهة القوات الاسرائيلية) .

ويلعل صلاح الحديدي ذلك بقوله (ان الامتيازات الضخمة التي منحت للقوات المشتركة في حرب اليمن كانت مغرية الى حد بعيد لجميع الرتب) .
كانت حرب اليمن غير ذات قيمة حربية علمية أو فنية لانها كانت أقرب مانكون الى عمليات تأديبية وبوليسية ضد قوات الملكيين المتحركة . . ولذا فلم تكن القوات المسلحة المصرية مهياة من ناحيه التدريب لحرب تصادية مع جيش عصري مثل الجيش الاسرائيلي .

كان التدريب قد وصل الى مستوى فرقة مشاة أو مدرعة ولكنه هبط عام ٦٦/٦٧ ليتم على مستوى سرية فقط في المنطقة الشرقية المسنولة عن سيناء .

وكانت القوات الجوية أيضا رغم امدادها بأحدث الطائرات العالمية غير مؤهلة لأداء واجبها حسب تطور الحرب الحديث ، وذلك لاصرار صدقي محمود على أن تظل القوات الجوية ذات قيادة خاصة ، وفي وقت فرض فيه التطور حتميه انضمام فروع القوات المسلحة المختلفة تحت قيادة واحدة وهكذا غلبت الفكرة الانفصالية في وقت كان دمج الفروع شرطا رئيسيا لدخول أية معركة .

وكان الدفاع الجوي بعيدا عن المستوى المطلوب ، اذ انه حدثت عدة اختراقات للمجال الجوي منذ اعلان حالة الطوارئ ، ولم يمكن اعتراض الطائرات المخترقة كما قال صلاح الحديدي (نتيجة عدم يقظة أفراد الدفاع الجوي ، أرضيين وجويين وخضوعهم للحياة الروتينية السائدة وقت السلم)

معظم هذه النواقص وغيرها لم تكن خافية على عيون المسئولين في القوات المسلحة ولكنهم كانوا أعجز عن الوصول بهذه القوات الى المقدرة القتالية المطلوبة . . ولاشك ان الخلافات التي كانت قائمة بين القائد الاعلى (جمال عبد الناصر) ونائبه (المشير عامر) كانت من أهم الاسباب التي أدت الى ضعف القوات . . الى جانب انه لم تكن لها استراتيجية قتالية واضحة ، ولم ترسم لها أهداف جديدة للوصول اليها . . هذا الى أن الوضع الاقتصادي للدولة كان قد فرض خفضا في ميزانية القوات المسلحة عام ٦٧/١٩٦٦ أما عن الاستفادة من خبرة السوفييت فاني أنقل ماكتبه الفريق صلاح الحديدي في كتابه :

أما عن الخبراء السوفييت وما بذلوه من جهد طوال مدة تزيد عن العشر سنوات فلاشك انهم قد أفادوا فائدة كبيرة ، وكانت أعدادهم المتزايدة عاما بعد عام . وقد انتشرت في كل الاسلحة ، ومعظم التشكيلات والوحدات تعمل بنفس الاسلوب المرسوم لها ، وتدخل بالتدريج المحسوب لدفع القدرة القتالية للقوات المسلحة ، ولكن رؤى منذ عام ١٩٦٤ تخفيض هذه الأعداد ، ورسمت السياسة لتنفيذ ذلك) .

ويستطرد صلاح الحديدي قائلا (وفعلا تناقصت أعداد الخبراء سنة بعد سنة حتى كانت الأشهر الاولى من عام ٦٧ فوقعت اتفاقية في موسكو لينخفض بمقتضاها عدد الخبراء السوفييت الى أقل عدد ممكن) هذا ولم يكن مصرا للخبراء السوفييت بالذهاب مع الوحدات او التشكيلات الى سيناء ، رغم الايقاع السريع للأحداث ، وظهور شبح الحرب في الأفق .

وعندما صدرت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة باعلان حالة الطوارئ بحيث تتخذ كافة القوات حالة الاستعداد الكامل اعتبارا من الساعة ١٤٠٠ يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ واعلان التعبئة وحشد القوات في جبهة سيناء طبقا للخطة الدفاعية قاهر . . تبين ان التعبئة قد أصبحت مجبرة على

تعديل خططها للظروف القائمة ، كما يقول تحليل أعدته شعبة البحوث العسكرية عن أسباب النكسة .
فوجئت القوات المسلحة بالتعبئة وهناك نقص بلغ ٣٧٪ من الضباط و ٣٠٪ من الرتب الأخرى ٠٠ زاد في القوات الميدانية حتى وصل ٤٠٪ في الضباط و ٤٤٪ من الرتب الأخرى .

ويقول أحد القادة المسؤولين في ذلك الوقت إنه (فيما بين ١٥ مايو و ٤ يونيو ١٩٦٧ كان قد تم صدور أوامر استدعاء وتعبئة وإنشاء بلغ عددها ٢٠١ منها ٨٢ أمرا تضمنتها خطة تعبئة القوات المسلحة الموضوعية مسبقا و ١٩ أمرا بإنشاء لم يسبق وضع خطة تعبئة له .
لم تكن هناك خطة تعبئة موضوعية لعام ١٩٦٧ ولذا عندما أعلنت حالة الطوارئ وتطلب الأمر استدعاء ١٢٠.٠٠٠ فرد احتياط ، رفعت التعبئة نسبة الاستدعاء إلى ١٥٠٪ ومع ذلك لم يلد الطلب سوى ٨٢.٠٠٠ أى بصبة تخلف ٣٢٪ .

وقد دفعت قوات الاحتياط بمجرد تعبئتها إلى مسرح العمليات المنتظر في سيناء فزادت عن نصف إجمالي القوات المحتشدة في سيناء ١٣٠٩ ضباط ٨٠٦٥٠ رتب أخرى من جلة ١٣٠.٠٠٠ فرد تم حشدهم في سيناء .
لم يكن هناك تدريب شامل على استدعاء قوات الاحتياط ، ولم يكن هناك تمرين سنوي لجنود الاحتياط ، كما أنه لم يكن هناك فرز دقيق لخبراتهم السابقة ، الأمر الذي أحدث أخطاء جسيمة في توزيع الجنود على الأسلحة والواجبات المختلفة ٠٠ بل وتواجد في الميدان حول ٢٠٠ فرد يرتدون ملابسهم المدنية في اللواء ١٢٥ مشاة احتياط الذي بلغ ٨٠٪ في الحملة الميكانيكية و ٩٧.٥ في المدفعية .

وفي اختصار ٠٠ كانت القوات المسلحة غير مهيأة لهذا الاستدعاء المفاجيء ٠٠ ولم يكن في خاطر قادتها أن حربا سريعة يمكن أن تنشب في جبهة سيناء .

ومع ذلك لم يعترض قائد واحد من قادة القوات المسلحة ٠٠ حسب تأكيد أمين هويدي وزير الحربية بعد النكسة .
انصرف القادة لتنفيذ التعليمات بحشد القوات ، واستمرت هذه العملية ثلاثة أسابيع ، تتكشف فيها الأخطاء ولا يقاومها احد . تصدر فيها الأوامر بسحب قوات الطوارئ من خليج العقبة ، ولا يشير أحد إلى النقص الموجود .

قال الفريق عبد المحسن مرتجى في حديث لمجلة آخر ساعة أنه اعترض على تحرك القوات المصرية إلى شرم الشيخ ٠٠ وكان الأجدر أن يتم الاعتراض على سحب قوات الطوارئ .

ويقول الفريق مرتجى أن المشير عامر قد صرح له بأن العمل سياسى وليس عسكريا .

ربما تكون قد حدثت اعتراضات أو إبدت بعض ملاحظات ٠٠ ولكن الواقع أن عجلة القوات المسلحة كانت قد بدأت تدور في اتجاه المعركة ٠٠ .

وانشغل جميع القادة بتنفيذ واجباتهم ٠٠ وربما تصور البعض منهم ان المعركة بسيطة وهينة ، فقد طلب أحد كبار القادة من مدير إحدى دور الصحف الاستعداد لطبع كروت يريد يرسلها الجنود الى أهلهم بعد الوصول الى تل أبيب .

ويؤكد هذه الحالة النفسية ماكتبه أمين هويدى فى كتابه عند مناقشته ان القوات المسلحة كانت مستعدة للقتال فى حدود ظروفها المتاحة وقيادتها القائمة فهو يقول بعد اعتراضه على القول بأن القوات المسلحة لم تكن مستعدة للقتال :

(بل نجد ان ذلك يتعارض كله مع ما أكده السيد شمس بدران وزير الحربية وقتئذ فى مجلس الوزراء ، وعلى مسمع من كل أعضاء المجلس فى رده على سؤال موجه من أحد الزملاء عن الموقف اذا تدخلت الولايات المتحدة الأمريكية بأن القوات المسلحة كئيلة بمواجهة الموقف .. ولم يكتف بذلك بل اتبع رده بضحكة لازلت اسمع رنينها فى أذنى وأخال ان كل الزملاء مازالوا يذكرون) .

ومع ذلك فان حديث جمال عبد الناصر مع زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين ، وقوله لانتونى ناتنج كماورد فى كتابه انه لا يتصور ان اسرائيل وحدها دون معاونه جوية امريكية وبريطانية يمكن ان تلحق ضررا بالغا بالقوات الجوية المصرية الذى يجعل بعدئذ تقدم القوات الاسرائيلية فى سيناء معرضا للهجمات الجوية المصرية .. كما ان عبد الناصر استبعد امكانية هجوم اسرائيل فى جبهتين أو ثلاث جبهات .

كان موقف جمال عبد الناصر يدل على استيعاده للمعركة حتى هذه اللحظة ، ويدل أيضا على توافر قدر من الثقة فى القوات المسلحة ..

وعندما قال ناتنج لعبد الناصر قبل ٣٦ ساعة من الهجوم الاسرائيلى ان لديه معلومات تلقاها من لندن تفيد بأن اسرائيل قادرة على ان تقوم وحدها بما قامت به طائرات (كانبرا) البريطانية عام ١٩٥٦ ، رفض عبد الناصر تصديق ذلك ، مشيرا الى ان طائرات النقل الاسرائيلية تواصل خلال الاسابيع الماضية نقل قطع طائرات الميراج من مصانع (داسو) بفرنسا لتركيبتها فى اسرائيل .

وقال عبد الناصر له ان اجهزة المخابرات قد أكدت له ان طائرات الميج والسوخوى أفضل من كل ما تملكه اسرائيل .

ويشير ناتنج الى انه بعد مقابلته لناصر عقب النكسة قال له عبد الناصر انه بعد حديثه السابق معه توجه فوراً لمقابلة المشير عامر فى مقر القيادة وأبلغ قادة القوات المسلحة بأن يتوقعوا هجوما اسرائيليا خلال ساعات ٠٠٠ ولكن كان الوقت متأخرا .

ويقول رودلف رونسون تشرشل فى كتاب (حرب الايام الستة) :

(كان عبد الناصر يكون فكرة خاطئة عن قوة اسرائيل الحربية نظرا للمعلومات غير الاكيدة التى كانت تزوده بها مخابراته المتفككة ، وليست هناك من أسباب واهية توضح لنا ان عبد الناصر كان يسعى فعلا للتسبب بصراع

مسلح) .
ولكن مما لا شك فيه انه بعد ان اندفعت عجلة الامور في ايقاع سريع ..
افلتت الخيوط من يد جمال عبد الناصر ، واصبح واضحا تماما ان المعركة قادمة
لا ريب فيها .

العرب ... في المعركة

كانت انظار العالم تتجه الى مصر ، وقد عبرت الاهرام عن ذلك بقولها
(العالم مأخوذ بمفاجأة التحرك السياسى والعسكرى المصرى وسط الازمة
الخطيرة في الشرق الاوسط) .
ومنذ وصلت الأنباء عن الحشود الاسرائيلية على الحدود السورية
وزيارات المسؤولين المصريين لسوريا لانتقطع .. سائر محمد فوزى رئيس
الاركان يوم ١٤ مايو ، وسافر بعد ذلك زكريا محيى الدين يوم ٣٠ مايو الى
بغداد ودمشق والجزائر .

حرص جمال عبد الناصر منذ البداية على الانصال برؤساء العراق
والجزائر واليمن فور اتخاذ قرار سحب قوات الطوارئ الدولية .
وقد حضر الى مصر رئيس اركان الجيش الجزائرى ، الذى حمل
اقتراحا من هوارى بومدين بارسال قوات جزائرية ، فوافق جمال عبد الناصر
على ذلك يوم ٢٣ مايو ١٩٦٧ ، وكانت هذه المبادرة تعبيراً عن الثورة
الجزائرية عن فهمها العميق لطبيعة المعركة بين قوى التحرر الوطنى
والامبريالية والصهيونية . والاف الاميال التى تفصل الجزائر عن سيناء لم
تمنع قياداتها من القيام بواجبها القومى .

وخلال هذه الفترة كانت الجزائر تستعد لاستقبال السياسيين العرب
المشتركين في الندوة التى يادر هوارى بومدين بالدعوة اليها ، وحضرها لأول
مرة في تاريخ العرب الحديث ، ممثلون لمختلف القوى والتنظيمات السياسية
في الدول العربية ، واجتمع في قاعة واحدة ممثلون للاتحاد الاشتراكى العربى
في مصر ، وحزب البعث في سوريا ، والاحزاب القومية المتناثرة في العراق
والاحزاب الوطنية في المغرب العربى ... الى جانب الاحزاب الشيوعية في
السودان ولبنان وسوريا والاردن .

عقدت (ندوة الاشتراكيين العرب) في جو يخيم عليه شبح الحرب ..
ومع ذلك كان هناك شعوراً سائداً بان الموقف سوف ينقذ في اللحظة الاخيرة .
اذكر ان مؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعى الاردنى قد حضر سريعا
للمشاركة في الندوة بعد افتتاحها ومتسائلا عن مصير الخطوات التى نندفع
اليها في مصر .

واذكر ايضا ان هوارى بومدين صرح بقوله ان الجزائر سوف تقف مع
مصر وسوريا بلا اى تحفظ .

انتهت الندوة ووصلنا القاهرة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ .
كانت هناك دول عربية تقدر خطوره الموقف ، وتتحرك مع مصر .. مثل
السودان واليمن والعراق والجزائر الى جانب سوريا .
ولكن الموقف في سوريا كان مختلفا عنه في مصر .

كانت الخطوات والاجراءات على الجانب المصرى واضحة لسحب قوات الطوارئ الدولية ... بينما تغيرت الامور على الحدود السورية ، فقد نشرت الاهرام يوم ١٩ مايو ان (القوات الاسرائيلية تتدفق بأقصى سرعة الى الجنوب والحشود المتجمعة امام سوريا — تدوب —) .

ولذا يقول امين هويدى فى كتابه (اضواء على اسباب نكسة ٦٧) ان الفريق محمد فوزى رئيس الركان عاد بصورة مختلفة عما ورد فى التقارير السوفيتية .. والحقيقة انه وصل سوريا بعد اعلان مصر لحالة الطوارئ ، وانتهاء الدور الخداعى للحشود الاسرائيلية على الحدود السورية .

كما ان امين هويدى يقول ان عبد الكريم الجندي رئيس الشعبة الثالثة (المخابرات) فى الجيش السورى قد تساعل فى دهشة (لماذا كل هذه الضجة التى تشيرونها فى القاهرة ؟ ليست هناك حشود) وذلك عند مقابلته للوند الذى كان يرأسه زكريا محبى الدين .

كان ذلك فى ٣٠ مايو بعد ان كانت القوات الاسرائيلية قد تحركت فعلا الى الجنوب لاداء الواجب الملقى عليها فى خطة العدوان .

وتأكد لى ان السوريين بعد ان — ذابت — الحشود من امام حدودهم كانوا اكثر هدوءا ولم تكن بهم رغبة للاندفاع .. فقد قال لى ابراهيم ماخوس وزير الخارجية السورى فى الخرطوم وهو يجلس خارج قاعة مؤتمر القمة الذى رفضت سوريا الاشتراك فيه بعد الهزيمة (أننا لم نطلب من مصر ان تحارب من اجلنا .. ولم نتخذ من الخطوات مايعطى لاسرائيل مبررا للهجوم) .

ويقول امين هويدى ان السلطات السورية قد اتخذت موقفا فاترا اثناء المباحثات التى تمت مع زكريا محبى الدين فى ذلك الوقت . ولكن لم يعد هناك من سبيل لوقف التضامن العربى .

وكان اشد المواقف مفاجأة .. وصول الملك حسين الى القاهرة يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ بعد اتصالات سرية استمرت ثلاثة ايام ولم يذع نبأ وصوله الا بعد ساعتين ونصف بعد الاتفاق معه فقد اسفرت الزيارة عن اعلان اتفاقية دفاع مشترك وقعها جمال عبد الناصر والملك حسين .

وتشكلت جبهة شرقية أوكلت قيادتها للفريق عبد المنعم رياض . وانتهت الاتفاقية الخلافات المعلنة بين الاردن ومنظمة التحرير ، فسافر أحمد الشقيرى مع الملك حسين عائدا الى عمان على نفس الطائرة . كان تغير الموقف مفاجئا وباعثا على الدهشة .

خطب جمال عبد الناصر فى اول مايو ٦٧ ناعتا الملك حسين بانه خادم وعميل للامبريالية ... وانه يخدع الجماهير والامة العربية .

واذيع بيان سورى مصرى مشترك يوم ٢ مايو يقول (ان الملك حسين قد جعل من بلده حامية للاسلحة الاستعمارية ومعسكرا لعصابات المرتزقة المدربين) .

واعلن راديو دمشق يوم ١٥ مايو (اضربوا العرش العميل وحلفاءه الصهيونيين وسادته الامبرياليين) .

وكانت سوريا تدفع الى الاردن بعد ان تازمت الامور بقوات تقوم بغارات تخريبية وصلت قمتها يوم ٢١ مايو عندما أعلنت اذاعه عمان ان حادثة قد

وقعت على نقطة (الرمثا) على الحدود المشتركة في الواحدة والنصف ظهرا وأدت الى مصرع ٣ سياح اجانب ، ١١ اردنيا ، وجرح ٢٨ اردنيا وذلك نتيجة لانفجار لغم في سيارة سورية عبر الحدود ٠٠ واعلنت قطع العلاقات مع سوريا .

لم تفلت هذه الحادثة انتباه الراى العام الذى كان مشغولا بتحركات القوات الاسرائيلية والمصرية . . .
كتب بيتر هوبكيرك مراسل التايمز فى القاهرة يوم ٣٠ مايو يقول (كان لقاء الرجلين عبد الناصر وحسين مفاجأة شديدة للشعب المصرى وللجانب فى مصر) .

وتبادل عبد الناصر وحسين كلمات الترحيب الودية الشديدة التى طوت صفحة الاتهامات والسباب المتبادلة . . . واذاع راديو عمان ترحيبا بزيارة حسين للقاهرة والوصول لاتفاقية الدفاع المشترك ، وهو الذى كان يتهم النظام المصرى منذ ايام قليلة بالتعاون مع الصهيونية والماركسية .

تحسنت العلاقات مع مصر ، ولكنها لم تتحسن مع سوريا .
ويقول أحد الذين عرفوا بما دار فى المباحثات السرية التى امتدت ٦ ساعات ان الملك حسين كان يبدو فى مظهر من يريد الا يفسوته شرف القتال مع رفاقه العرب فى حربهم ضد اسرائيل .

ولا شك ان الملك حسين كان فى وضع شديد الحرج . . فالوضع يلتهب يوما بعد يوم ، والوقف يشير الى ان قتالا عربيا اسرائيليا على وشك ان يبدأ . . لا أحد يستطيع التنبؤ بنتيجته . . ولا يمكن للملك حسين ان يتخلف عنه ، حتى لا يتعرض عرشه للانهار ، وهو محاط بدول معادية له شخصيا مثل مصر وسوريا والعراق . . وفى بلده مئات الالوف من ابناء فلسطين .

اعتقد الملك حسين ان اتفاقيه الدفاع المشترك هى طوق نجاه ينقذه عن طريق الارتباط بمصر فى مواجهة النظام السورى الذى واصل هجومه على النظام الاردنى والملك رغم عقد الاتفاقية باعتباره بؤرة للخيانة والمؤامرة .

ويشير تحقيق نشره الكاتب الصحفى الامريكى (انطونى بيرسون) فى مجلة بنتهاوس عن قضية الباخرة (ليبرى) سننتعرض له فيما بعد . . يشير تحقيق بيرسون الى انه بعد اتفاق الولايات المتحدة واسرائيل على اسقاط جمال عبد الناصر ابلغت حكومة الولايات المتحدة الملك حسين بذلك ، وخيرته بين البقاء على الحياد او المخاطرة بنظام حكمه .

قال لى محمد حسنين هيكل ان الشهيد الفريق عبد المنعم رياض كان قد تلقى رسالة سرية من الملك حسين بهذا المعنى وطلب ابلاغها الى جمال عبد الناصر ، ورفع الفريق رياض الرسالة الى الفريق على على عامر قائد القيادة العربية المشتركة ، كما سبق ان ذكرت .

ولكن القلق اصاب الفريق رياض لعدم وصول رد على هذه الرسالة من عبد الناصر رغم خطورة ماورد فيها من تهديد صريح له ولنظام حكمه .
ودبر هيكل لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض . . الذى شرح له

مضمون الرسالة والتي كانت تتضمن ان الحكومة الامريكية قد دبرت خطتها مع بعض عناصر النظام الحاكم في دمشق

ولذا تحفظ جمال عبد الناصر على هذه الرسالة لانها وردت من الملك حسين اولاً ، ولانه اعتبرها محاولة للوقيعة بينه وبين نظام الحكم في دمشق ثانياً ، ولانه لم يعد يملك مفتاح الموقف وحده بعد تطور الاحداث وتلاحقها في ايقاع شديد السرعة .
وكان للاتفاقية انعكاسات متعددة .

الاتفاقية لم تصلح ما بين النظام الاردنى ومنظمة التحرير .. وعودة الشقيرى مع الملك حسين لم تكن خاتمة الخلافات ... فالملك حسين كسان مستعداً للمشاركة مصر في حربها ضد اسرائيل ، ولكنه لم يكن مستعداً للسماح لالاف الفلسطينيين المسلحين بدخول الاردن ، لاعتقاده بعدم فائدتهم للجيش الاردنى من جهة ، ولانهم سوف يصحون عنصر تهديد لنظامه من جهة أخرى .. ولذا فقد رفض الملك حسين عرض احمد الشقيرى بادخال ٥٠٠٠ جندي من جيش التحرير الفلسطينى ولو كانوا تحت قيادة اردنية .. وكل ما وافق عليه هو اعادة فتح مكتب منظمة تحرير فلسطين في القدس والذي كان قد اغلق منذ بدا الخلاف مع الشقيرى .

واعلنت السعودية وقف مساعداتها العسكرية الى الاردن ، بعد ان خذلت تعاونهما السابق ، ووضع الملك حسين يده في يد عبد الناصر .

وحاولت اسرائيل عن طريق اتصالات خاصة ان تنزع الملك حسين بالتراجع عن موقفه .. ولكن الملك حسين رفض ذلك كما يقول انطونى ناتج اما انطونى بيرسون فيقول فى تحقيق (بنتهاوس) ان اسرائيل كانت تدبر خطة لجر الاردن للمعركة اذا كان الملك حسين قد تردد فى ذلك .

اما العراق فقد أخذت جانب التأييد للاتفاقية التى تسمح لقواتها بالدخول والوقوف على الحدود الاسرائيلية .

ولم ترحب الجزائر كثيراً بعقد الاتفاقية .

وفى مؤتمر صحفى عقده الملك حسين يوم ٤ يونيو قال ان زيارته للقاهرة هى تعبير عن علاقات التضامن الطبيعية بين العرب ضد عدو مشترك .. وعندما سئل عن موقف الاردن من سوريا ، قال ان الاردن يريد ان يزيل كل الخلافات امام الخطر المشترك .. وفى المؤتمر هاجم الملك حسين بريطانيا وخيرها بين معاداة العرب جميعاً او معاداة اسرائيل .

وعقب المؤتمر الصحفى مباشرة اتصل جمال عبد الناصر بالملك حسين واخبره بانضمام العراق الى اتفاقية الدفاع المشترك .

وانضمت العراق يوم ٤ يونيو ، واداع راديو بغداد ان العراق قد قررت فرض الحصار على أى شحنة بترول الى أى بلد يساند العدوان المدبر ضد أية دولة عربية .

وهددت الكويت بوقف شحن البترول فى حال وقوف الدول الغربية الى جانب اسرائيل .

.. وقد هبطت النسبة التى عبرت قناة السويس أثناء هذه الفترة الى

٦٠٪ من البترول العربي بعد ان كانت ٨٠٪ خلال الاحد عشر عاما السابقة وهكذا وحد (الخطر المشترك) معظم الدول العربية . . . ولم يستطع الملك حسين أن يبقى في موقفه المنعزل .

وقد كان لعقد اتفاقية الدفاع المشترك مع الاردن بطريقة مفاجئة اثر كبير في تخطيط اسرائيل ، فقد أعطى لها مبررا اضافيا للهجوم ، وساعدها في شن حملة دعائية عالمية تظهر العرب في مظهر المتربصين للعدوان ، كما منحهم فرصة توسيع نطاق ضربتهم المنتظرة لاكتساب مزيد من الاردن العربية . سارعت الاتفاقية في دفع عجلة الحرب وبددت كل احتمال للتسوية السلمية .

أحكمت الدول العربية الحصار على اسرائيل وخاصة بعد السماح بدخول القوات العراقية الى الاردن . . واصبحت ازمة الشرق الاوسط تهدد بالانفجار بين لحظة وأخرى .

وكانت في مصر قوات من الجزائر والسودان . . . وفي الاردن قوات من العراق والسعودية .

وشكلت تصريحات عبد الرحمن عارف التي قال فيها للجندود العراقيين مودعا لهم سينتقمون لشهداء ١٩٤٨ وأنهم بارادة الله سيلتقون في يافا وحيفا . . . وأذاعات الشقري التي تحدثت عن تصفية (اليهود) والقائم في البحر . . . وأذاعة دمشق التي اكدت أنها لن تتراجع في مساعدة الفدائيين للتسلل داخل اسرائيل . . . شكلت فرصة دعائية هائلة لاسرائيل .

فقد سجل الاسرائيليون هذه الاذاعات واتخذوا منها دليلا على رغبة العرب المحيطين بهم في العدوان ، وجعلوا منها ستارا مضللا يخفي حقيقة تدبيراتهم .

ولا شك أن هذه التصريحات كانت متعجلة ومضللة وغير مسئولة ، فانه رغم الاتفاقيات التي تمت بين الدول العربية في آخر لحظة ، فانه لم تكن هناك استراتيجية حربية ولا قيادة عربية واحدة مسيطرة .

كان لقاء سياسي هام بين الدول العربية يمكن أن يعتبر بداية لوضع خطة سياسية وحربية متناسقة مبنية على الظروف الموضوعية القائمة . . . ولكن اندفاع الاحداث جعل من هذه الاتفاقيات أمورا صورية لا تترجم قدرات العرب الحقيقية .

ولذا واجه العرب الخطر صفا واحدا ، ولكن بعقليات متباينة واهداف متعددة . . . ولم يصلوا حتى لحظة العدوان الى استراتيجية شاملة موحدة.

نحو الانفجار

كان واضحا ان فرصة التسوية قد ضاعت ، وأن الحرب وشيكة الوقوع .

وتوافرت لاسرائيل كل الظروف الملائمة لتنفيذ خطتها . . فاتخذت المؤسسة العسكرية من ميثاق الدفاع المشترك بين مصر والاردن ذريعة تمارس بها ضغوطها ، وارتفعت الاصوات تطالب بعودة بن جوريون الذي استقبل

لأول مرة عدوه السابق مناحم بييجين الذى يمثل أقصى التطرف الصهيونى واتفق الاثنان على ضرورة الحرب .

وبذا توحدت معظم الفئات السياسية فى اسرائيل ، وانحصر الخلاف حول الجهاز اللازم لإدارة الحرب وتولى مسئوليتها .

ورفض ليفى اشكول فكرة عودة بن جوريون الى الوزارة قائلا :
(ان وجود جوادين عجوزين - يقصد نفسه وبن جوريون - لا يستطيعان جر عربة واحدة سويا ، فاما أنا واما هو)

وبعد مداوالات طويلة بين الاحزاب الاسرائيلية استقر الامر على تعيين موسى ديان وزيرا للدفاع ، ومناحم بييجين وزير دولة . وكان هذا دليلا على ان حكومة ليفى اشكول قد استقر رأيها على الحرب ، وأنها تعين دايان وزيرا للحربية استجابة لمشاعر الشعب الاسرائيلى المؤيدة له .

وكان ديان قبل ذلك قد ذهب الى المنطقة الوسطى مع قائدها الجنرال ناركسين للتفتيش على قواتها . وفرض نفسه خلال حركة سياسية وعسكرية نشطة . أثبتت انه كان ينسق خطته مع بعض أفراد المجموعة الحاكمة .

قال ديان (كان يجب وجود ٨٠ ألف جندي مصرى فى سيناء لقبولى فى الوزارة) . ولاشك ان ديان كان أحد الذين خططوا لاستجلاب هذا العدد الكبير من الجنود الى سيناء .

ويقول رودلف وونستون تشرشل ان قرار بدء العدوان قد اتخذ فى اول يونيو ١٩٦٧ بعد تعيين دايان ، وأن ميثاق الدفاع المشترك المصرى الاردنى كان هو السبب المباشر لذلك .

ولما كان وصول ديان الى منصب وزارة الدفاع يشير مؤكدا الى استعداد اسرائيل لبدء القتال ، وهو ما عبرت عنه الاهرام بقولها (انقلاب صامت فى اسرائيل يأتى بوزارة حرب) ، فان أول عمل قام به كما جاء فى كتاب تشرشل (حرب الايام الستة) كان هو :

(خداع العالم على أمل أن يأخذ زمام المفاجأة الضرورية جدا لاسرائيل والحصول على نصر مقابل اقل عدد ممكن من الضحايا المدنيين ، ومن هنا فقد أشتيع فى اسرائيل على أوسع نطاق أن القوات الاسرائيلية التى مر اسبوعان على حشدتها فى الصحراء والتى تنتظر بفارغ الصبر وبلى وتطالب الحكومة باعطاء أمر الهجوم ... ان هذه القوات سوف يسرها أن تعلم ان الحكومة التى دخلها موسى ديان قد قررت ألا تبدأ الحرب ، وقد حاولوا بذلك اظهار ديان وكأنه مجرد (شخصية مدنية) لا يمتاز على غيره من المدنيين إلا بأنه محل ثقة لا أكثر) .

وفى مساء ٢ يونيو قام أحد مؤلفى كتاب (حرب الايام الستة) بمقابلة موسى ديان فى داره بضواحي تل أبيب بصفته مراسلا لمجلة (نيوز أوف دى وورلد) وقال له :

(من الخطأ فى تصورى أن يقال ان اسرائيل قد فاتها القطار ، وانها لم تعد قادرة على التحرك ، فبالعكس ان مصير الحرب يمكن أن يتقرر فى الجو حيث الوضع الاستراتيجى لا يزال كما هو تقريبا) .
ولكن ديان واصل عملية التغطية قائلا :

(قلما تتلون الاشياء في حياتنا باللون الاسود وحده أو الابيض وحده اذ غالبا ما تكتسب الاشياء لونا رماديا ، فمن الصعوبة جدا ان نقطع بإمكانية التفوق الجوى لطرف على الآخر) .

ولمزيد من الخداع قال ديان في مؤتمر صحفي مساء السبت ٣ يونيو (ان وقف الرد العسكري على الحصار المصري المضروب حول مضيق تيران قد فات ، ولكن التنبؤ بما يمكن ان تؤدي اليه الجهود الدبلوماسية لا يزال سابقا لاوائه ... لقد اختارت الوزارة قبل دخولي فيها طريق العمل الدبلوماسي ، ولابد ان ننتج للوزارة فرصة اختبار امكانيات هذا الطريق) . ووزعت على الصحف يوم ٤ يونيو صور للجنود الاسرائيليين وهم في حالة استرخاء على شاطئ البحر ضمن (عملية مدبرة وجزء من خطة رامية لتضليل الراى العام العالمى) .

احكمت الخطة الخداعية تماما ، وظهرت صحف اسرائيل يوم ٥ يونيو تحمل قرارات مجلس الوزراء في امور بعيدة تنأى عن الحرب ، مثل الموافقة على الاتفاق الثقافى بين اسرائيل وبلجيكا او الاتفاق بين اسرائيل وبريطانيا على تحديد الاساليب التى يجب اتباعها فى حال حدوث اختلالات عسكرية وتجارية .

وفى الجانب المقابل كانت اسرائيل قد رتبّت عملية خداعية اخرى . اثناء زيارة ابا ايان للولايات المتحدة توجه الى الخارجية الامريكية بلا موعد يوم ٢٦ مايو وطلب مقابلة دين راسك فى الحال ، قائلا ان الموقف اخطر من ان يتحمل المجادلات الدبلوماسية لان (اسرائيل ستعرض للهجوم والتدمير اليوم) . وكان ايان لا يزال فى وزارة الخارجية عندما استسمى والت روستو سفير مصر مصطفى كامل ، الذى حمله رسالة من جونسون الى عبد الناصر طلب تبليغها له فوراً ، وذلك كما قال جمال عبد الناصر للطلبة المبعوثين اثناء اجتماعه بهم فى ١٦ مايو ١٩٧٠ .

كانت هذه الرسالة هى الرسالة الثانية خلال ايام ... الاولى سلمت يوم ٢٣ مايو من السفير الامريكى ريتشارد نولتى الذى خلف لوشويس باتل والذي لم يكن قد قدم أوراق اعتياده بعد — ولم يقدمها بعد ذلك ايضا — ولذا قدم رسالة جونسون الى محمود رياض .

كانت الرسالة تقول (ان الهدف الاسمى والارفع) هو تجنب القتال . وفى نفس اليوم استدعى السفير المصرى الى وزارة الخارجية الامريكية حيث سلمه يوجين روستو رسالة مماثلة وقال له (ان امريكا ابلغت اسرائيل صراحة ، انها ستناهض اى هجوم على اى دولة عربية) .

وكان ذلك فى اليوم السابق لوصول يوثانت . الرسالة الثانية تختلف فى لهجتها عن الرسالة الاولى ... بينهما لم تمض ثلاثة ايام فقط .

كانت الرسالة ثانية على تبليغ الاسرائيليين باحتمال هجوم مصرى فى نفس الليلة ٢٦ مايو ، وقال جونسون فى رسالته انه اذا هاجم المصريون وسدوا الطلقة الاولى فان من شأن الحكومة الامريكية ان تتخذ موقفا شديدا

للغاية من مصر ... وانها لن تسمح بحدوث ذلك في الوقت الذي يجري فيه الامين العام للأمم المتحدة اتصالاته .

وفي نفس الليلة توجه السفير السوفيتي ديمتري بوجدايف الى منزل جمال عبد الناصر على غير موعد وطلب ايقاظه في الثالثة صباحا ، وحين استقبله عبد الناصر أوضح له أنه تلقى أوامر من القيادة السوفيتية بأن يقابله فوراً وان يبلغه أن الأمريكيين اتصلوا بالكركميين وأبلغوا الروس ان لدى اسرائيل معلومات تفيد أن المصريين سيبدأون الهجوم مع أضواء الفجر الاولى .

وقال السفير للرئيس انه يناشده بالآ يقوم بتنفيذ خطته لان الطرف الذي يطلق الرصاصه الاولى — مهما يكن — سيصبح في وضع سياسي لا يمكن الدفاع عنه ، ولذا فان السوفيت — كأصدقاء — ينصحون مصر بعدم اطلاق الطلقة الاولى ... واجاب عبد الناصر بأنه لم يصدر أوامره بالهجوم ، وانه ليست هناك خطة للهجوم هذا الصباح .

نجدت اسرائيل بذلك في خلق شعور دولي عام بأن خطة العدوان كانت ستتحرك من جانب مصر .

وقد حرص جمال عبد الناصر في تصريحاته ومؤتمره الصحفي بعد ذلك على القول (باننا لن نطلق الرصاصه الاولى ، ولن نكون البادئين بالهجوم) مخاطباً بذلك الراى العام العالمى ، وجونسون والقيادة السوفيتية وديجول ايضا الذى حذر الطرفين من اطلاق الطلقة الاولى- .

واعتقد عبد الناصر بذلك انه قد كسب المعركة السياسية ، وأن الموقف ليس مستعصيا على الحل بالاتصالات والمفاوضات السلمية .

ويشير الفريق صلاح الحديدى في كتابه الى واقعة غريبة ، وهى أن التوقيت الذى طلبت فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى من مصر عدم القيام بالضربة الاولى (كان هو نفس التوقيت الذى حددته القيادة العامة بمصر لاتمام استعدادات القوات الجوية توطئة لضربة فجائية ضد قوات العدو الجوية) .

إذا صح ما رواه صلاح الحديدى فان معنى ذلك أن القوات المصرية الجوية كانت منذرة ومستعدة للقتال قبل العدوان بعشرة ايام على الاقل . ولكن لم يثبت ان هناك أوامر هجومية قد صدرت للقوات المصرية ، وأن الخطة الدفاعية (قاهر) كانت مازالت هى المنفذة ، عدا بعض طلعات قامت بها الطائرات النفاثة المصرية التى كانت تعبر اسرائيل من العريش الى البحر الميت في ٤ دقائق وهى مدة غير كافية للاشتباك ... وكان ذلك جديدا في حركة القوات الجوية المصرية التى لم تخترق المجال الجوى الاسرائيلى منذ الانسحاب من الاراضى المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ .

واتمام الاستعدادات لا يعنى بالضرورة بدء الهجوم . كان حبل الامل لم ينقطع بعد ... ورغم رسالة جونسون ... فان يوثانت أرسل رسالة برقية أخرى يوم ٣٠ مايو نشرها محمد حسين هيكل

فى مقال له بعنوان (٠٠٠ لا لعب الناصر) نشر فى جريدة الوطن الكويتية يوم ٢٢ أبريل ١٩٧٦ .

الرسالة تشير الى ما قاله يوثانت امام مجلس الامن يوم ٢٦ مايو من انه يطلب مسحة من الوقت لتخفيف التوتر ويقول :

(وبالذات وبدون طلب أى تعهدات منكم او حتى رد فاننى أعرب عن الامل فى ان تمضعوا خلال مدة اسبوعين من لحظة استلامكم هذه الرسالة عن أى تدخل فى الملاحه الاسرائيلية عبر مضيق تيران . وفى هذه الخصوص نهل لى ان اخطركم وفى كل الاحوال ان لى من الاسباب ما يجعلنى أفهم انه فى الظروف العادية فانه ليس متوقعا أن تحاول أى باخرة اسرائيلية عبور مضيق تيران خلال مدة الاسبوعين المحددين) .

أعطت هذه البرقية الايحاءات التالية :

- ١ - ان هناك (فترة تنفس) مدتها اسبوعان يمارس فيها يوثانت جهده الدبلوماسى السلمى .
- ٢ - أن قوله بعدم مرور بواخر اسرائيلية ، هو أمر يؤكد صلته باسرائيل وأخذ موافقتها .
- ٣ - كانت حركة يوثانت مطلوبة من جونسون بناء على رسالته الاولى .
- ٤ - لا شك أن يوثانت كان على صلة بالدول العظمى الممثلة فى مجلس الامن .

وهذا أنفاس عبد الناصر بعد هذه الرسالة ، واعتقد ان مناوخته السياسية قد نجحت ، وأن الاخطار التى حملتها للمنطقة قد تجمدت او هى فى سبيل التجهد الذى سبق أن لعب دور الوسيط بين عبد الناصر وبين جوريون عام ١٩٥٦ .

وزاد من هذا الشعور عنده وصول روبرت اندرسون فى اليوم التالى لتسليم رسالة يوثانت - أول يونيو ٦٧ - والوصول الى اتفاق على ايفاد زكريا محيى الدين نائب رئيس الجمهورية لمقابلة جونسون يوم الثلاثاء ٦ يونيو .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين فى الخارج اثناء اجتماعهم به فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ وهو يستعيد درس الهزيمة .
(قبل ٥ يونيو الامريكان يبلغونى انهم يضمون كيان الذول فى المنطقة وانهم سيعارضون أى عدوان وفى يوم من الايام طلبوا سفيرنا فى واشنطن وقالوا له ان عندهم اخبار اننا نهاجم اسرائيل وان وزير خارجية اسرائيل موجود فى المبنى ذاته فى وزارة الخارجية وطلبوا انهم يبلغونى فى الرسالة ان أمريكا بتصمم على اعلان كيندى اللى هو خاص بالتحفظ على الوضع فى المنطقة كما هو ومجابهة أى عدوان .)

وبعد ذلك حصل العدوان وكان من الواضح بالنسبة للامريكان انه فى وقت الحرب اذا كانت اسرائيل هى المنتصرة فان أمريكا ستتنامى كلية البيان اللى هبه اعلنته ، واذا كانت الدول العربية هى المنتصرة ، فأمريكا

ستصمم على البيان الى قائلته والخاص بوحدة هذه المنطقة وعدم تغيير الاوضاع بالنسبة لحدود المنطقة .

وتفجر هذا الشعور فجأة بمراقبة ما حدث في اسرائيل ، ووصول المؤسسة العسكرية الى مواقع النفوذ ، وتعيين دايان وزيرا للدفاع الاسرائيلي .

وشعر جمال عبد الناصر ان اخطارا تتجمع في الافق ، وان الخيوط التي كان يسبكها قد افلقت من يديه ... وان الموقف قد تحول ليصبح خطيرا ... خطيرا .

وفي ذلك اليوم استقبل عبد الناصر النائب البريطاني كولستوف ومايهيو الذي سأل (ان لم يهاجموا .. هل تدعهم وشأنهم ؟ فأجاب عبد الناصر (ليس في نيتنا مهاجمة اسرائيل) .

وقرر جمال عبد الناصر عقد مؤتمر عسكري سياسي مساء يوم ٢ يونيو حضره معه المشير عابر وزكريا محيي الدين وأنور السادات وحسين وحسين الشافعي وعلي صبري وقادة القوات المسلحة .

وقد حدد جمال عبد الناصر رؤيته للموقف في هذا المؤتمر كما يلي :
١ - الظروف الدولية تحتم عدم اتباع استراتيجية عدوانية (حتى لا نضحي بموقف امريكا وباقي الدول الكبرى منا ، ولا سيما بعد ان اعلن الجنرال ديغول ان فرنسا ستقف ضد البادئ بالعدوان) وذلك تبعا لما ذكره الفريق صلاح الحديدي احد الذين حضروا هذا المؤتمر .

٢ - حدد اختياريين امام اسرائيل ... اما قبول الامر الواقع ، أو شن حرب وهو ما يتوقعه بنسبة ١٠٠٪ وخاصة بعد تشكيل وزارة الحرب ... وحدد موعد قيامها بعمليات هجومية في مدة يومين أو ثلاثة (أي ٤ أو ٥ يونيو) وقد بنى ذلك على أن اسرائيل لابد ان تقوم بهجومها قبل وصول قوات الجيش العراقي الى الاردن ، وكانت قد بدأت التحرك فعلا وكان ينتظر وصولها خلال يومين .

٣ - شرح عبد الناصر تصوره للمعركة بانها (ستقوم على اساس توجيه اسرائيل ضربة جوية ضد قواتنا ودفاعنا الجوي حتى يتم شلها واخراجها من المعركة ... وطلب من العسكريين الاستعداد لتلقى هذه الضربة ، واتخاذ ما يلزم لتقليل خسائرها الى الحد الادنى حتى يمكننا بعدئذ توجيه ضربة رادعة ضد قوات العدو الجوية .

ويروي الفريق الحديدي ما دار في هذا المؤتمر الهام من مناقشات فيقول :

(وهنا ساد الوجود غرمة الاجتماع واعتري العسكريين نوع من القلق والصمت قطعته قائد القوات الجوية ، موضحا ان تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم الى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات الجوية ، وان الفرق سيكون كبيرا بين الحالتين لان الروح المعنوية لقواته ستتأثر كثيرا في حالة الانتظار لتلقى ضربة اسرائيل ، وانه يفضل لو كان من الممكن عدم تغيير الوضع عما هو عليه ... وكانت اجابة الرئيس الراحل على هذا التعليق اجابة طبيعية ، اعتبرتها كتب الاستراتيجية من البديهييات

في هذا الفن ٠٠٠ اذ تعتبر أن استخدام الاجهزة العسكرية يكون لتنفيذ السياسة الخارجية للدولة ، وأن هذا الاستخدام هو استمرار للعمل السياسي ولكن بوسائل أخرى ، ومعنى هذا خضوع العسكريين الكامل للقرارات السياسية للدولة) .

ويقول الحديدي أيضا ان المشير عامر قد قال (اذا بدانا الضربة الجوية الاولى فلن نتقف الولايات المتحدة الامريكية منتظرة الاحداث بل ستتدخل ضدنا بقوتها العسكرية ، بينما لو بدات اسرائيل هذه الضربة فلن تتدخل امريكا بقوتها .

لقد دخل حديث الرئيس جمال عبد الناصر الى حتمية قيام اسرائيل بالضربة الجوية وهي أول اجراءات العملية الوقائية من وجهة نظر اسرائيل .

ووجه الرئيس عبد الناصر الكلام الى الفريق اول محمد صدقي محمود، ونم نقاش حول :

١ - الخسائر المحتملة .

٢ - امكانية الرد بضربة مضادة .

وقد قدر الفريق اول صدقي الخسائر المنتظرة بعشرة الى ١٥٪ ولكنه قال ان هذا يعتبر فقدا للمبادأة ٠٠ وان هناك احتمال تكسيح القوات الجوية أتصور انني متذكر كلمة قالها بانجليزيه « كريبل »

وتطورت المناقشة الى المستحسن ملاقة الضربة الجوية من اسرائيل بدلا من فقد عطف العالم ، وخاصة امريكا التي قد تميل الى الدحول في صف اسرائيل في حالة المبادأة من جانبنا .

واتفق في آخر المناقشة في هذا الموضوع بالذات على اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية للتقليل من تأثير الضربة الجوية الاولى .

وافق المشير عبد الحكيم عامر على ذلك وقال للفريق اول صدقي محمود :

« ادرس هذا الموضوع وأبلغني بالاجراءات التي ستتخذها بخصوص تأمين القوات الجوية ضد الضربة الاولى من اسرائيل . »

وانتهى الاجتماع بتأكيد من الرئيس جمال عبد الناصر بأنه يعلم تماما

الخطوات التي تتخذها اسرائيل داخليا وخارجيا في مثل هذه الاحداث .

تمثلا بما تم في سنة ١٩٥٦ . مفاجأة عسكريه . حرب قصيرة . نقل

المعركة الى ارض العدو .

قال جمال عبد الناصر هذا الكلام وهو شيء مكتوب في الكتب .

وفي صباح يوم ٣ يونيو أخطر الفريق اول صدقي بإمكانية التغيير ،

وبالاورضاع التي رآها مناسبة في هذه الحالة . وذكر: نقل القوات ٠٠

المقاتلات القاذفة غالبا ٠٠ او المقاتلات الى مطار كبريت .

ويعلق صلاح الحديدي على ذلك تعليقا صائبا يلقي به مسؤولية جسيمة

على قادة القوات المسلحة عموما ، وقادة القوات الجوية خصوصا اذ يقول:

(وكان من الطبيعي ان تتخذ عدة قرارات عسكرية في اعقاب هذا

المؤتمر تنفيذا للوضع السياسي الاخير ، وكان ضمن هذه القرارات ضرورة

اخلاء المطارات الامامية في سيناء من الطائرات ، حتى لا تكون لقمة سائغة لطائرات العدو عند ضياعها بالضربة الاولى ، وحتى هذا القرار المنطقي لم يكتب له التنفيذ) *

كان جمال عبد الناصر في هذا المؤتمر قد وصل الى قناعة كاملة حملها الى معاونيه من العسكريين والسياسيين بأن الحرب واقعة ١٠٠ / ٠٠٠ وعندما يقرر رئيس الدولة والقائد الاعلى للقوات المسلحة ، فان الواجب كان يقضى على القيادات العسكرية والسياسية ان تتحرك بهذا المستوى من الفهم ومن تقدير المسؤولية .

القيادات العسكرية تحملت عبء تجهيز القوات المسلحة للمعركة . اما بالنسبة للشعب ... فان الامر كان غريبا وشاذا ... فمعروف ان الحروب الحديثة لا تتم بعيدا عن الرجل المدني في القرية او المدينة ... وانه من الواجب تجهيز افراد الشعب للدفاع عن وطنهم في اماكن اقامتهم او مراكز عملهم ... ولكن شيئا من ذلك لم يتحقق .

افراد الشعب يتابعون الاخبار في الصحف والاذاعة يسند بهم القلق وتحيط بهم التساؤلات ، وليس عندهم من عمل يقومون به ، او جواب يهدىء صدورهم .

والمناطق الحيوية ... حلوان وشبرا الخيمة والمحلة الكبرى وكفر الدوار والموانىء تركت جميعا بلا حماية شعبية ... وجاء تعيين زكريا محيي الدين قائدا للمقاومة الشعبية متأخرا فقد ظهر القرار في صفح يوم الاحد ٢٨ مايو ٠٠٠ وكان زكريا قد سبق له ممارسة هذا الواجب اثناء عدوان ١٩٥٦ ، ولكن الوقت الآن كان متأخرا جدا .

كان مراسلو الصحف الاجنبية يلحون في السؤال عن التناقض الهائل بين تصريحات المسؤولين التي تؤكد قيام الحرب ... وبين الحياة العادية للناس في المجتمع وكأنهم لا يواجهون خطرا رهيبا . وكانوا يتساءلون عن الفرق بين الحالة في اسرائيل حيث اختفى الشباب ... وبين مصر حيث ترك الشباب في الشوارع بلا واجب او مسؤولية .

نشرت الصانداى تايمز رسالة لمراسلها فيليب نائيل يوم ٢٧ مايو يقول فيها :

(ليس في القاهرة مايوحي بأن هذه الدولة على حافة الحرب فزيارات السياح اليومية للاهرام لم تنقطع ، والمقاهى والمطاعم ممتلئة بروادها . وكثير من المصريين في نادى الجزيرة الرياض يلعبون الجولف ويسبحون ويعرضون اجسامهم لحرارة الشمس) .

اما مراسل صانداى تايمز في تل ابيب دافيد دايدج فقد نشر في اليوم نفسه رسالة تقول : (تكتيكيا لاتزال اسرائيل تقوم بتوازن على حافة الحرب ولكن أى زائر غريب لتل ابيب يمكن ان يتصور الحرب قد قامت بالفعل . ففى مراكز جمع الدم يقف المتطوعون على النواصى فى طوابير طويلة وفى

الضواحي يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق) .
 كانت الجماهير في مصر بعيدة تماما عن جو المعركة وروحها . . وكان
 الاتحاد الاشتراكي سادرا في اجتماعاته غير المثمرة . . وكانت الحكومة قد
 عقدت مؤتمر مشترك بين الوزراء والمحافظين يوم ٢٩ مايو أصدر عدة قرارات
 ادارية من التي تنتشر في طريق البيروقراطية .
 أمانة طليعة الاشتراكيين التي كان مفروضا انها قلب الحركة السياسية
 في الاتحاد الاشتراكي وجهازه السياسي لم تجتمع ولم تناقش الموقف ، ولم
 توضح أبعاد الاخطار التي تهدد مصر .
 وعندما عدت من ندوة الاشتراكيين العرب في الجزائر هرعت الى
 شعراوي جمعة أمين التنظيم وزملائي أعضاء الامانة ، فوجدت انهم يتوقعون
 الحرب ، ولكنهم كالحيارى لا يعرفون ماذا يفعلون .
 وعندما طالبت باجتماع عاجل للامانة ، كانت المشاكل الادارية قد
 احاطت بالزملاء في مناصب السلطة ، فباتوا أكثر انشغالا بها عن الدور السياسي
 الذي يجب أن يقوموا به .
 كانت هذه الصورة توضح بكل تأكيد ان جمال عبد الناصر لم يكن راغبا
 تماما في شن حرب أو تدمير اسرائيل ، وانما كان يقوم بهندسة نصر سياسي
 غامر فيه بالوصول الى حافة الهاوية ، ولم يستطيع ان ينقذ نفسه في اللحظات
 أو الايام الاخيرة . . فقد كانت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية بصقورها
 المتعطشة للحرب قد أعدت المصيدة للنظم التقدميه في مصر وسوريا بالتعاون
 مع المخابرات المركزية الامريكية .
 وكانت رغبة جمال عبد الناصر في أن (يلهف) شرم الشيخ على حد
 تعبيره لزملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين قد دفعت الى خيوط المصيدة
 الصهيونية الامبريالية المشتركة ، ولم يعد قادرا على الفكك منها رغم
 استخدامه لكل خبرته السياسية .
 كانت الخطوات نحو المصيدة قد اكتملت .
 وكانت اسرائيل على وشك تنفيذ خطتها الهجومية التي أطلقت عليها
 ساكوديا (الحمامة) .

الفصل الثاني

هزيمة عسكرية . . . بلا اعلام بيضاء

ان حرب ابناء النور ضد اولئك الذين
حاولوا اغرقنا في الظلام قد انتهت .

« جنرال رابين »

« خسرنا معركة ٠٠ ولم نخسر الحرب »

جمال عبد الناصر

اطلقت (الحمامة) جارة شرسة مثل صقر لينقض على فريسته .
بدأت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تنفيذ خطتها المرسومة التي اختارت
لها الاسم الكودى الوديع . .

انطلقت أول موجة من الطائرات الاسرائيلية من قواعد صباح الاثنى
٥ يونيو فى تمام الساعة الثامنة الا ربعا ، أو التاسعة الا ربعا بتوقيت
القاهرة ٠٠ واتجهت حسب توقيت دقيق نحو ١٩ مطارا فى سيناء والقنال
والدلتا والصعيد .

وثناء الموجة الاولى للهجوم الاسرائيل كان هناك حادث درامى مثير . .
طائرة المشير عبد الحكيم متجهة الى مطار (بير تمادا) فى سيناء ومعه قائد
القوات الجوية وقائد الدفاع الجوى ورئيس هيئة عمليات القوات المسلحة ،

وعدد من كبار القادة ، وعدد من رجال الاعلام والمصورين ، كان مفروضا ان يكون واحدا منهم لولا اختلاف في الترتيبات الادارية والمواعيد .

طائرة المشير في الجوفريسة سهلة للمهاجمين . وفي مطار (بيرتاما) ينتظر كبار القادة الذين حضروا من مواقعهم بطائرات هليكوبتر لحضور المؤتمر الثاني للمشير في سيناء بعد اعلان حالة الطوارئ والتأهب القصوى .

ميز الطيار الطائرات الاسرائيلية وهي تقصف احد مطارات منطقة القناة بغير اتجاهه وابتعد بطائرته ، ولاحظ ذلك قائد القوات الجوية فدخل على الطيار في كابينة القيادة يستفسر منه عن سبب تغيير مساره ، وشاهد بنفسه الطائرات الاسرائيلية ، فأمر الطيار بالعودة الى مطار القاهرة الدولي بدلا من مطار الماطة . وذلك حسب رواية الفريق صلاح الحديدي الذي كان مديرا للمخابرات الحربية في ذلك الوقت .

وعاد الفريق صدقي محمود الى المشير عامر ليبلغه بهذا الخبر المفاجيء . . .

واتفق الاثنان على ان ترد القوات الجوية بالهجوم تبعا لخطة تبادلية موجودة . ولكن ركاب الطائرة لم يعرفوا جسامه التدمير الذي تعرضت له المطارات والطائرات اثناء تحليقهم في الجو . . . والاشارة التي ابلغت للقوات الجوية من طائرة المشير وهي في طريق العودة لم تكن ذات اثر .

هبطت طائرة المشير في مطار القاهرة الدولي . . . لم يكن في استقباله احد . . . وهرع الى مقر القيادة العامة في مدينة نصر راكبا سيارة تاكسي قديمة ومعه العدد الذي استطاعت السيارة القديمة ان تحمله .

وفي نفس الوقت تقريبا كان كبار القادة تحت قيادة الفريق مرتجى قد تجمعوا في قاعدة المليس ينتظرون هبوط طائرة المشير . . . وعندما لاحظ في الافق طائرات اسرائيلية تطير على ارتفاع منخفض تدمر المرات والطائرات وتقصف المخازن وغرفة العمليات . . . وتبندد شمل الحاضرين وأذهلتهم المفاجأة .

ولم تكن طائرة المشير وحدها هي التي كانت تحلق في الجو . . . كانت هناك طائرة اخرى تحمل حسين الشافعي ، ومعه طاهر يحيى نائب رئيس وزراء العراق متجهة الى مطار فايد غرب القناة .

صحب وجود هذه الطائرات في الجو صدور تعليمات الى دفاعنا الجوي بالا يطلق نيرانه . . . اى يكون مقيدا .

وهنا يشور نساؤل خطير عن الاسباب التي دعت المشير الى القيام بهذه الجولة في نفس التوقيت الذي حدده جمال عبد الناصر في مؤتمره مع القوات الجوية كموعده محتمل للهجوم الاسرائيلي .

وقد علل لي الفريق اول محمد فوزي رئيس هيئة اركان الحرب وقت العدوان ، ذلك بأنه كان نوعا من تحدى قيادة القوات الجوية لقرارات وآراء جمال عبد الناصر ، ومحاولة لاثبات وجهة نظرهم الخاصة .

كما قال لي ايضا ان ذلك يرجع الى ثقة المشير عامر المطلقة بمعلومات المخابرات الحربية والتي تبين انها كانت خاطئه ومضللة منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ ، ويدلل على ذلك المخابرات قد قدمت تقريرا في ٢٧ يوليو ١٩٦٧ بعد انتهاء العدوان تقول فيه ان قوات العدو تزيد ٥٠٪ عن تقاريرها السابقة .

كما ان تحليل المخابرات الحربية لعملية احتلال العدو لبعض المواقع الالامية في الساعة الواحدة من صباح ٥ يونيو استعدادا كان (تدعيم وتقوية الدفاعات في الخط الاول) .

ولذا فان وصول هذه المعلومات متأخرة اذ عرضها على شفيق على المشير في الساعة السابعة صباحا اى بعد ٦ ساعات من ارسالها وثقة المشير في تحليل المخابرات وتحدى قيادة القوات الجوية لرأى عبد الناصر في موعد الهجوم ٠٠ كل هذا أدى الى طيران المشير في الثامنة من صباح نفس اليوم ٠٠ وتعريض نفسه للخطر ٠٠ وترك القوات المسلحة بلاقيادة فعالة في أدق لحظات الخطر .

وأوقف قليلا لنقل مارواه الفريق اول محمد فوزى حول تقارير المخابرات الحربية لتكتشف انها كانت « من أهم نقاط الضعف التي زيفت الحقيقة وخذعت القيادة العسكرية والسياسية معا » .
يقول الفريق اول محمد فوزى :

ودعونا نستعرض ما كانت ترسله المخابرات الحربية من يوم ١٥ مايو .
١ - يوم ١٥ مايو - مازالت هناك تجمعات عسكرية اسرائيلية في المنطقة الشمالية من ٥ الى ٧ لواءات ٠٠ وهذا خطأ .
٢ - يوم ١٧ مايو - الروح المعنوية للشعب الاسرائيلى منخفضه وهناك حالة منتشرة من الخوف والتساؤل في اسرائيل .
٣ - يوم ١٩ مايو - الاحداث التي جرت في المنطقة قد قللت من فرص اسرائيل في تحقيق المبادأة ودفعتها الى اتخاذ موقف التريث والانتظار .
٤ - يوم ٢١ مايو - ظهر نشاط نقل جوى الى الجنوب . الظروف ليست مناسبة لشن عمليات شاملة نظرا لفقد عامل المبادأة والمفاجأة ، علاوة على حاجتها للدعم العسكرى الخارجى .

٥ - يوم ٢٤ مايو - الفريق صلاح مرتجى قائد الجيش الميدانى يقرأ تقرير المخابرات الحربية عن مقارنة القوات .
مدرعاتنا ٣ - مدرعات العدو ١
مشاتنا ٣ - مشاة العدو ١ قواتنا متفوقة كلها بنسبة ١ الى ٣ ٠٠ نحن ثلاثة والعدو ١ .

يوم ٢٤ مايو - كلام عن تغيير قادة الفرق واللواءات .
يوم ٢٦ مايو - اخطر تقرير مضلل عن اهتمام اسرائيل بمنطقة ايلات ووصول قوات اضافية (٣ لواءات مدرعة - ٢ لواء مشاة - ١ كتبة دبابات) .
يوم ٢٧ مايو - زيادة نشاط العدو تجاه الجنوب . تعزيز بلواء ٠٠ وهذا استمرار فى الخطأ .

يوم ٢٨ مايو - موضوع عن اسر مجموعة عمليات مدفعية . كانوا ثلاثة ضباط أو اثنين ٠٠ تاهوا واسروا .
يوم ٢٩ مايو - أمر المشير عبد الحكيم عامر بفتح مركز قيادة متقدم فى الميثان ، وتحريك عربات القيادة كلها الى هناك وكانت عربات ضخمة .
يوم ٣٠ مايو - تأكيد عن نشاط العدو فى وادى الحران ، وادى نصاف

المعين • المحور الجنوبي • تعليمات من هيئة عمليات قيادة الجيش الميداني بتأمين الاتجاه التعموي الجنوبي •

يوم أول يونيو - أكد مكتب مخابرات العريش ان عزم العدو وشيك على القيام بعمليات تعرضية ضد الاتجاه الجنوبي ، واحتمال اسقاط جوى معاد جنوب الكنتيلا • والتقرير يؤكد شن عملية هجومية ضد الاتجاه الجنوبي •

يوم ٢ يونيو - اسرائيل لن تقوم باى عمل عسكري تعرضي ، وان الصلاية العربية الراهنة ستجبر العدو وبلاشك على ان يقدر العواقب المختلفة المترتبة على اندلاع الحرب في المنطقة •

ويعلق الفريق اول محمد فوزى على ذلك بقوله :

اننى اقول ان هذه التقارير مفصلة جدا • وقد انتشر هذا التخريب بين القوات في ذلك الوقت • وتأثيره طبعاً في الاتجاه المعاكس • خداع وتضليل • تقاعس وبليلة • اسرائيل لن تهجم • تقليل درجة الاستعداد تلقائياً ، وقد حدث هذا من قوات او من قادة •

وهنا يجب ان نلاحظ ملاحظة هامة :

ان تقرير المخابرات الحربية موضع الثقة الكاملة من المشير يقول في ٢ يونيو ان اسرائيل لن تهجم •• هذا في نفس الوقت الذى كان فيه تحذير من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية على ان الهجوم سيتم !! ولم تكن هناك طلعات استطلاع متوافرة كثيرة ، لكى تؤكد او تنفى كلام المخابرات الحربية • وخرجت طلعة استطلاع واحدة او طلعتان في الجنوب لتعرض موضوع الحشد • وجاءت منها صور عن العقبة وليس عن ايلات •• والطلعة الثانية لم تؤكد التأكيد المضبوط •• ومع ذلك •• فقد تم التصديق على تقرير المخابرات بأن هناك حشداً موجوداً كما قدره بثلاثة لواءات مدرعة واثنين لواء مشاة ميكانيكي وواحد كتيبة دبابات وعززت بلواء آخر •

وهنا ينبت الشك في المصدر لاختيار اسرائيل هذا التوقيت •• فمن المحتمل أن تكون بعض المعلومات قد تسربت الى العدو •• أو ان تكون بعض الاشارات قد التقطت ، واختير التوقيت للهجوم بناء على ذلك • واقع مثير •• كل قيادات القوات المسلحة سواء في القاهرة او الجبهة بعيدة عن مواقعها •• ومصدومة بالهجوم الاسرائيلي المباغت •

وعندما وصل المشير عامر الى مقر القيادة ، وقبل ان يصل قادة وحدات سيناء الى مواقعهم ، كان كل شيء قد انتهى تقريباً ودمرت معظم قواتنا الجوية • وعندما ارسلت قيادة القوات الاردنية التي كان يرأسها الفريق اول عبد المنعم رياض اشارة الى القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادة القوات الجوية ، تبليغها بما سجلته شاشات الرادار من قيام موجات متتالية من الطائرات الاسرائيلية ، لم تثر هذه الاشارة شيئاً ، فقد كان مفتاح الشفرة قد تغير صباح ٥ يونيو ، ولم يتمكن من استقبالها في القاهرة من فك رموزها فوراً •• وعندما حلت الشفرة كانت قد وقعت الواقعة •

ويثير الفريق صلاح الحديدي ماسبق ان اشار اليه الفريق اول فوزى حول هجوم قوات اسرائيلية على موقع متقدم عند الحدود في (ام بسيس)

واستيلانها عليه بعد اشتباك قصير بالنيران في الساعة والنصف صباح ٥ يونيو ٠٠ ويقول ان قائد الموقع قد ارسل ما ابلغته به نقط المراقبة ليلة ٥/٤ يونيو (الساعة الواحدة صباحا) من وجود تحركات غير طبيعية للقوات الاسرائيلية ٠٠ ولكنه علم فيما بعد ان هذه الاشارة لم تعرض على قائد الجيش في سيناء الا بعد ظهر يوم ٥ يونيو . لانه كان مشغولا في الصباح باستقبال المشير ٠٠ ويقول ان الانذار لو وصل في موعده لكان هناك احتمال بتغيير الموقف .

وكانت هذه هي الحالة لحظة البدء في تنفيذ خطة (الحماية) . . كل الظروف مهيأة لتحقيق اهدافها . . والى جانب هذا الاضطراب الشديد في مواقع القيادات ، وصدمتها من مفاجأة الهجوم هي بعيدة عن مراكز رئاستها . فان كتاب (حرب الايام الستة) يضيف عوامل جديدة وضعت الاسرائيليون في تقدير موقفهم لتحديد انسب توقيت للهجوم :

١ - تجاوز فترة الفجر والصباح الباكر التي تكون الطائرات المصرية فيها في حالة انذار وجاهزة للتحليق خلال خمس دقائق .

٢ - الهجوم عند النجر يجبر الطيارين الاسرائيليين على النهوض عند منتصف الليل اما تأخيرهم الى التاسعة فيترك لهم فرصة الراحة والنوم حتى الرابعة صباحا .

٣ - التأكد من ارتفاع الضباب الذي يغطي دلتا النيل في الصباح الباكر معظم الايام .

٤ - التاسعة الا ربعا هو الموعد الذي يتحرك فيه الضباط المصريون عادة الى مواقعهم فيكون الهجوم مفاجأة لهم .

ولكن كل هذه العوامل التي اثارها تشرشل تدليلا على حسن اختيار ودقة التوقيت الاسرائيلي ما كان لها ان تنجح هذا النجاح الساحق لو كانت القيادة العليا للقوات المسلحة ، قد اخذت تعليمات جمال عبد الناصر باحتمال الهجوم يوم ٥ يونيو مأخذ الجد . واعدت خططها على هذا الاساس .

لم يكن مفهوما ان يتحرك نائب القائد الاعلى المشير عامر في طائرته وبغير حراسة الى مطار متقدم في سيناء في نفس اليوم الذي يتوقع فيه الهجوم .

ولم يكن مقبولا ان يسهر ضباط القاعدة الجوية في انشاص في حفلة ساهرة ليلة ٥/٤ يونيو تغنى فيها المطربة شريفة ماهر .

ولم يكن طبيعيا وقد تحددت استراتيجية الدولة في التزام خطة دفاعية ان يندفع الى سيناء مايزيد عن ٨٠٠٠٠ جندي البعض منهم في ملابس مدنية، وعدد من الوحدات تنقصه الحملة والاسلحة ٠٠ وان تظل الطائرات رابضة على الارض في المرات الجوية للمطارات الامامية في سيناء .

وعندما وصل المشير عامر الى مبنى القيادة العامة انتقل مباشرة الى الدور السفلى من المبنى الكبير الشديد الوضوح للطائرات المهاجمة .

يقول الفريق اول محمد فوزي ان المشير قد طلب من الفريق اول صدقي محمود معلومات عن القوات الجوية

وقد اجاب الفريق اول صدقي بذكر الحقيقة عن القوات الجوية بعد

انتهاء الضربة ، وكان لذلك تأثير عنيف على المشير شخصيا ، كما ان الفريق أول صدقي نفسه كان متأثرا كذلك .

ولا شك ان هذه الكارثة قد تسببت من قصور شديد في الدفاع الجوي وهو امر لم يكن مجهولا ولكنه كان مهملا .

ويؤكد الفريق أول محمد فوزي ذلك بقوله :

(من ناحيه قصور الدفاع الجوي عن ملاحقة الطيران المنخفض حصلت اشارة لهذا الموضوع ، وكتب تقرير او نصيحة من الاتحاد السوفيتي بعد زيارة كبيرة جاءت الى مصر . . وللأسف حتى تقريرهم لم يطبع ولم يوزع . . بل ولم يترجم ويقرأ . . فكان النقص في الدفاع الجوي معروفا . . ولم يكن في فكر القيادة احتمال بأن العدو سوف يصل الى أهدافه على الارتفاع المنخفض الذي وصل اليه يوم ٥ يونيو وبعد هذا اليوم .

ويروى الفريق صلاح الحديدي قصة مادار في هذه اللحظات فيقول : بدأت الاتصالات مع قائد الجبهة وقائد الجيش الميداني لتفهم المواقف وانوقوف على آخر المعلومات ، وكان المشير شخصيا هو مركز هذه الاتصالات ، واضطر في بعضها الى التعامل راسا مع القادة الرؤوسيين لعدم وجود قادتهم في مراكزهم اما لعدم وصولهم بعد من المطار - الذي كانوا يستعدون فيه لاستقبال المشير - او لوجودهم في مكان آخر للتعرف بأنفسهم على الموقف وسير الامور .

كانت هيئة القيادة التي تكون المستشارين في مختلف الشئون وعلى رأسهم رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة ، تحتل الغرف المجاورة ، عاكفة على تجميع المعلومات عن الموقف للالمام به . ثم تقديم الاقتراحات المناسبة نوطنة ليتخذ القائد العام قراره في ضوء هذه الدراسة ، ولكن هذا الاسلوب السليم الذي سبق التدريب عليه ، والذي يعتبر احدى الثمرات الهامة التي جنيناها من الدراسات النظرية في اكااديميات ومعاهد الاتحاد السوفيتي ، بالإضافة الى ما بذله الخبراء السوفييت ليكون هذا الاسلوب تقليديا وتلقائيا في التشكيلات والقيادات لم يلبث ان توقف نظرا لتضارب المعلومات التي كانت تصل الى القائد العام من جهة والى مستشاريه من جهة اخرى ، بالإضافة الى تدخل بعض كبار الضباط - الذين لا يشغلون وظائف رسمية ترتبط ارتباطا عضويا بالمعركة - وكان معظمهم في غرفة المشير ، تدخلوا بعيدا عن المسئولية . . كل هذا بجانب التغير السريع الذي كان يطرأ على المواقف في الجبهة ، جعل المشير تدريجيا غير قادر على اتباع الاسلوب العلمي السليم في ادارة المعركة ، وصار هو فقط وبمفرده مصدرا للمقرارات دون الرجوع الى مستشاريه ، بل وفي كثير من الاحيان لم يكن هؤلاء المستشارون يعلمون بهذه المقرارات الا بعد فوات الاوان وعن طريق المصادفة في معظم الاحيان .

تعطى هذه الصورة التي رسمها احد كبار قادة القوات المسلحة دليلا على ان القيادة العامة لم تكن في مستوى الكفاءة لادارة حرب وطنية . ولم يكن ذلك أمرا مفاجئا . كما انه لم يكن نتيجة لما حدث من أخطاء فقط . . ولكنه كان خطأ كبير بدأ عند نرقية عبد الحكيم عامر من رتبة صاغ الى لواء دفعة واحدة في ١٨ يونيو ١٩٥٣ وتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة .

ثم ظهور هذه الفئة من الضباط المقربين الى المشير الذين افسدوا الانضباط العسكري بصلاتهم الخاصة .. واخراج عدد كبير من الضباط الاكفاء للعمل خارج الجيش في الوزارات المختلفة للتخلص من شخصياتهم المحبوبة او المؤثرة وضياح حرب ١٩٥٦ بلا محاسبة للمقتصرين وخاصة قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود الذي فقد قواته الجوية للمرة الثانية .. والانزلاق في حرب اليمن دون وقفة تأمل وحساب للاستلوه الذي ساد القوات المسلحة ، ودفع الضباط الى السعي وراء الكسب والمنفعة الشخصية .. ثم الاستمرار في تغليب الولاء على الكفاءة الى الحد الذي وصل به شمس بدران وزيراً للمحربية وابتعد عن مواقع القيادة بعض من حصلوا على دراسات عليا في اكايمييات الاتحاد السوفييتي .

لم تكن الحالة المضطربة التي واجه بها عبد الحكيم عامر الموقف جديدة او شاذة .. فقد سبق أن تم الانفصال عام ١٩٦١ بين يديه وهو في دمشق .. ومع ذلك فقد ظل في موقعه معتمدا على حب الضباط له لما كان يفدقه عليهم بلا حساب او نظام .. والواقع ان شخصية عامر بقدر ما كانت عامرة بالعواطف الانسانية ، كانت فاقدة للمؤهلات التي تجعل منه قائدا عسكريا .

وكان رد الفعل الاول عن العدوان في مصر هو ماأذاعه راديو القاهرة في العاشرة الاخمس دقائق بعد خمسة واربعين دقيقة من اذاعة اسرائيل التي قالت : (القوات الاسرائيلية تهاجم طابورا مصرياً مدرعاً يتحرك نحو اسرائيل) ، وقال راديو اذاعة القاهرة (ايها المواطنين : اليكم انباء هامة .. بدأت اسرائيل هجومها على الجمهورية العربية المتحدة ، وقواتنا تواجه العدو وسنوافيكم بالاحداث فيما بعد) .

أذيع بيان القاهرة بعد ان سمع السكان اصوات انفجارات القنابل في مطار غرب القاهرة وانشاص ثم مطار القاهرة الدولي ، وسمعها معهم المسئولين .

كان جمال عبد الناصر في منزله .. وكان كل المسئولين ايضا . عندما سمعت اول اصوات للقنابل اتصلت تليفونيا بشعراوي جبهة بصفته امينا عاما لامانة طليعة الاشتراكيين ، لاستفسر منه عن حقيقة الموقف ، وأتعرّف على مايجب علينا ان نعمله .

كان شعراوي جبهة قد تلقى خبر الغارات قبل ذلك بدقائق ، ولم يكن يعرف واجبا واضحا لطليعة الاشتراكيين او للاتحاد الاشتراكي ، ويبدو أن واجبه كوزير للداخلية قد اخذ كل انتباهه .. وعندما قلت له اني ساذهب الى مقر الامانة في مجلس قيادة الثورة بالجزيرة وافق .. وأسرعت الى هناك فلم أجد الا بعض الموظفين الاداريين الذين التفوا هم الآخرون حول مذباغ يتحرك بين محطة القاهرة واسرائيل .

ولم تكن هذه الحالة من الاضطراب غريبة او شاذة ايضا .. بل كانت طبيعية ، حيث لم يشكل التنظيم الطليعي او الجماهيري على اسس حزبية وسياسية سليمة ، تتيح له قدرا من الديمقراطية الداخلية ، وتوفر له واجبات اساسية وتوحد بين اعضائه في ايدولوجية اشتراكية واضحة ، وتؤهله لمواجهة معركة وطنية يفرض فيها ان يكون في مركز القيادة للجماهير .

ولم يقتصر هذا الموقف على الاتحاد الاشتراكي .
 رئيس الوزراء محمد صدقي سليمان لم يسمع بالحرب الا وهو في
 سيارته متجها من منزله في الهرم الى رئاسته مجلس الوزراء ، ولا حظ تجمع
 الناس ، ولما سال السائق علم ان هناك غارة .
 قال لي صدقي سليمان انه عندما سمع ذلك اتجه الى القيادة العامة
 للقوات المسلحة .
 لم يكن هناك تدريب على المعركة يقضى بإبلاغ رئيس الوزراء في أى مكان ،
 حتى في العربة التي يتوفر لها جهاز تليفون .
 وفي القيادة العامة للقوات المسلحة كان الموقف مضطربا . . أصيبت
 القيادات العليا بصدمة شديدة من الضربة المفاجئة التي ألحقت بقواتنا الجوية
 خسائر قاتلة .
 يقول حسن ابراهيم انه عندما سمع نشرات الاذاعة وأصوات القنابل
 اتجه الى منزل زميله عبد اللطيف البغدادي ، ومن هناك قرب الظهر اتصل
 بجمال عبد الناصر الذي كان لا يزال في منزله ، وأبلغه استعدادهما للعمل
 في أى مكان تفرضه المعركة ، فطلب منه جمال ان يتصل بالمشير .
 وتوجه الثلاثة : البغدادي وحسن ابراهيم وكمال حسين الى القيادة العامة
 حيث فُتِحَ المشير في مكتبه ومعه شمس بدران والفريق اول علي علي عامر .
 قال لي البغدادي انه لما استفسر عن الموقف من المشير قال له في غيظانه
 (زفت وانهم خسروا كل الطائرات في لحظة واحدة) . . ومع ذلك فقد قال
 للبغدادي ان هناك خطه للقتال بدون غطاء جوى .
 وعندما حضر جمال عبد الناصر كان مطمئنا وهادئ . الأعصاب حسب
 رواية البغدادي . . ولكنه عندما بدأ السؤال عن موقف قواتنا ، انكر المشير
 علمه بحقيقة الخسائر قائلا انه لا يوجد بيان كامل بذلك . . ثم لما بدأ قراءة
 مذكرة قدمها له شمس بدران عن سير الاحداث فوجيء بان خان يونس قد
 سقطت وان الاتصال مقطوع برفح . وطلب من عبد الحكيم عامر معرفة الموقف
 بالدقة من اجل اتخاذ موقف بالنسبة لقرار مجلس الامن الذي كان سينعقد
 في نفس الليلة .
 وقال البغدادي ان عبد الحكيم تظاهر بانهماكه في الرد على التليفونات
 الخمسة التي كانت تضج بالرنين ويتبادلها هو وشمس بدران ، ولما قال له
 جمال عبد الناصر (فضي لي نفسك شويه يا عبد الحكيم) لم يرد عليه واستمر
 في انشغاله بالتليفونات)
 وفاض الامر بجمال عبد الناصر ، ولم يجد سبيلا سوى الخروج من
 القيادة العامة للقوات المسلحة تاركا المسؤولية للقائد العام .
 وارتبط هذا الموقف بما قاله لي الفريق اول محمد فوزي من ان صلة
 جمال عبد الناصر بالقوات المسلحة قد حددت بعد تقديم المشير استقالته عام
 ١٩٦٢ عقب تقديم عبد الناصر لمشروع قانون الى مجلس الرئاسة يحد من
 اختصاصاته ويجعل سلطة تعيين قادة الكتائب في القوات المسلحة ومأموري
 المراكز في الشرطة من اختصاص المجلس وليس المشير منفردا .
 منذ ذلك الوقت وعقب اجتماع ٦٠ من كبار الضباط في مركز القيادة

العامة بكويرى القبة واحتجاجهم على استقالة المشير ومطالبتهم ببقائه ، ورضوخ جمال عبد الناصر للامر الواقع لصلته الوثيقة بالمشير اولا ، وثقته بأنه لا يفكر فى القيام بانقلاب مضاد .

منذ ذلك الوقت تغيرت الامور فى قمة القوات المسلحة وصدر قرار يحدد اختصاصات القائد الاعلى (جمال عبد الناصر) فى امرين اثنين فقط هما ترقية الضباط الى رتبة الفريق والفريق اول وحضور البيانات العملية والمناورات التى يدعى اليها ، والتى يكون قد سبق اعداد بروفات لها .

كان جمال عبد الناصر بعيدا فعلا عن رؤية القوات المسلحة ومعرفة دقائق الموقف فيها ، ومستوى التدريب للقادة والجنود .

ولذا لم يكن خروجه من القيادة موقفا انفعاليا ، ولكنه كان نتيجة طبيعية لما استقرت عليه الامور ، وما ارتضاه من صمت على ما يدور فى القوات المسلحة .

قال صدقى سليمان ان جمال عبد الناصر بعد ان استمع الى الاخبار من المشير قال : (بالله بينا ٥٥ خلينا نسيب المشير يتصرف)

وعند خروجه التفت الى عبد الحكيم وقال له : (طلع حاجة للبرايد) . وكانت الاذاعة قد بدأت تعكس الجو السائد فى القيادة منذ الصباح . ويقول الفريق اول فوزى ان شمس بدران وعلى شفيق كانا يصدران بيانات وتعليمات . . ليس للقيادات ولكن للاذاعة .

اذاعت فى الحادية والنصف اثنا استقطنا ٢٣ طائرة للعدو . وفى الحادية عشرة وعشر دقائق ارتفع رقم الطائرات التى استقطناها الى ٢ طائرة .

وفى بيان الحادية عشرة وتسع وثلاثين دقيقة اعلن عن اثبتباك ارضى وارتفع رقم طائرات العدو ليصبح ٤٤ طائرة ، وسقطت لنا طائرتان فقط ونجا الطياران .

فى الحادية عشرة وثلاث وخمسين دقيقة اذيع اول بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة ، يتحدث عن غزو اسرائيل شامل بدأ فى التاسعة صباحا ، وذكر ان الطائرات الاسرائيلية قدهاجت طائرات سيناء والقناة وغرب القاهرة ، وقال البيان ان اسرائيل قد بدأت هجوما شاملا فى كل الميادين وان هذه الحقيقة قد اصبحت واضحة .

وفى الواحدة وثلاث واربعين دقيقة اذيع بيان وصل به عدد الطائرات المسقطه الى ٧٠ طائرة .

وفى الثامنة و١٧ دقيقة مساء اذيع بيان يحدد عدد الطائرات المسقطه بانها وصلت ٨٦ طائرة

كانت المبالغة الشديدة هى المحور الرئيسى للبيانات ، التى حجبت الحقيقة عن الشعب بالتمويه والخداع .

واذا كانت الحقيقة قد حجبت فى البداية عن القائد الاعلى للقوات المسلحة . . فانه كان طبيعيا ان تحجب ايضا عن جماهير الشعب .

ويمكن اللقاء المسئولية كاملة على القيادة العامة المنهارة . . التى لم تواجه الامور بجدية ومسئولية وطنية بعد مؤتمر ٢ يونيو الذى حدد فيه جمال

عبد الناصر موعد الهجوم .. والتي خشيت مواجهة القائد الاعلى بما يحملها الخزي والعار .

عندما علم جمال عبد الناصر بحقيقة الموقف تماما ، كان الجيش المصري قد فقد قواته الجوية كلها تقريبا للمرة الثانية خلال ١٢ عاما ، ولم تعد المعركة سهلة .. بل لم تعد ممكنة .

القيادات العسكرية غرقت في دوامة الاوامر المتناقضة ، وفقدان الحزم ، وضعف شخصية القائد .

والقيادات السياسية غائبة لا تعرف لها دورا تلعبه .
وخطة العدوان مستمرة لاتتوقف

تحديد الموعد ٥٠٠٠ يونيو

كتب مراسل (واشنطن بوست) يقول :
(انخذ القرار بالهجوم على الدول العربية في وقت متأخر من الليل في الاجتماع الذي عقده مجلس الوزراء الاسرائيلي يوم ٣ يونيو ، اى قبل ٣٦ ساعه من الهجوم)

وتحديد الموعد كان واقعا تحت ضغط عدة عوامل :
١ - الاتفاق الذي تم بين عبد الناصر وأمريكا على اساس محاولة تفادي الازمة سياسيا عن طريق سفر زكريا محيي الدين نائب رئيس الجمهورية الى واشنطن يوم ٦ يونيو ، وكان عبد الناصر بالتأكيد مخلصا في رغبته ، ولاريد ان اصور او اتهم جميع الاطراف في الولايات المتحدة بأنها كانت متواطئة مع الحكومة الاسرائيلية في تخدير مصر بتحديد موعد هذه الزيارة لخلق نوع من الاسترخاء النفسى عند القيادة المصرية .. فقد صرح دين راسك وزير خارجيه الولايات المتحدة بعد العدوان انه ربما قد ساعد في الضغط على الزناد ببلاغ اسرائيل عن زيارة زكريا محيي الدين ، في الوقت الذي كانت اسرائيل فيه غير مستعدة لاعطاء اى تسوية دبلوماسية فرصة سلب خطتهم لنزع جمال عبد الناصر من موقعه ..

ويقول ناتنج في كتابه (ناصر) ان اخبار زيارة زكريا محيي الدين لواشنطن قد اثارت اكبر قلق في تل ابيب التي خشيت أن تؤدي علاقه زكريا محيي الدين الطيبة مع واشنطن الى اتفاق في وسط الطريق ينفذ جمال عبد الناصر من المصيدة ، ويضع الحكومة الاسرائيلية في مأزق امام جماهيرها بعد ان صعدت الازمة الى حدودها القصوى مركزة على الخطر الماحق المؤكد من التهديدات الغربية .

ولذا حرصت المؤسسة العسكرية الاسرائيلية على قطع الطريق للوصول الى حل للازمة باليد في العدوان في اقرب وقت .

٢ - كان توقيع اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والاردن يوم ٣ مايو هو المبرر الذي استندت اليه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لتنفيذ خطتها العدوانية ، فقد اثارت الرأي العام المحلي والعالمي ضد العرب وصورتهم في صورة المتربصين لابادة اسرائيل . وكان ذلك حافزا على سرعة وصول موشى ديان الى منصبه . (ليقود الشعب ضد الحصار الذي تفرضه الدول العربية المجاورة)

ولم يكن خافيا على اسرائيل ان الجيش الأردني محدود القوة والتسلح لا يملك الا طائرات بريطانية قديمة من طراز هنتر ، ولكن اسرائيل وجدت في توقيع الاتفاقية تحقيقا لحلم من احلامها في الاستيلاء على الضفة الغربية ، حيث يعيش بقايا الشعب الفلسطيني في المدن او المخيمات .

كما ان اسرائيل اسرعت في تحديد موعد الهجوم بعد توقيع الاتفاقية نظرا لخشيتهما من دخول الجيش العراقي المسلح تسليحا لا بأس به بأسلحة سوفيتية ، فذائف مدافعها يمكن ان تصل الى قلب تل ابيب من الحدود الاردنية . وطائراتها تعبر اسرائيل الى البحر الابيض في ٥ دقائق .

وكان هذا هو العامل الذي وضعه جمال عبد الناصر في تقدير موقفه عند مناقشة تحديد موعد الهجوم الاسرائيلي مع القيادات العسكرية والسياسية في المؤتمر الذي عقد يوم ٢ يونيو ١٩٦٧

استفاد الاسرائيليون من الحركة السياسية العربية الى الحد الاقصى ، وجعلوا منها شبحا يهدد أمن بلدهم ، وجعلوا يضخمون التصريحات العربية العدوانية التي صدرت من بعض البعيدين عن المسؤولية الحقيقية لجعلوا منها المبرر الرئيسي للاسراع في الهجوم .

٣ - ساعد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية في تحديد موعد الهجوم ثقتهم و يقينهم من ان جمال عبد الناصر لن يطلق الاولي كما صرح بذلك اسحق رابين رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلي لمجريدة الموند في فبراير ١٩٦٨ عندما قال انهم كانوا يعلمون ان عبد الناصر لا يريد الحرب وان القوات التي دفع بها الى سيناء - فرقتان - لم تكن كافية . . ولذا توافرت لديهم حرية اختيار التوقيت دون ان يكونوا تحت ضغط احتمال قيام القوات العربية بهجوم شامل مستمر . . اصبح الوقت ملكا لهم .

ولم يعد هناك من شرط لتحديد الموعد الا رغبة اسرائيل في تفادي الوصول الى عمل دبلوماسي يؤدي الى تسوية سياسية لازمة . . الامر الذي بجهد خطه (الحمامه) .

القتال على ثلاث جبهات

منذ ان اجبرت اسرائيل على الانسحاب بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وهي ترسم استراتيجيتها على اساس (الاعتماد على القوة الذاتية) حتى تتفادى أي تورط او تبعية لسياسة الدول الغربية ، بعد ان ادت مشاركتها في العدوان الثلاثي الى ان تصبح (دولة سيئة السمعة) .

كانت السياسة الجديدة تقتضي خلق وتكوين قوة عسكرية متطورة ، واعادة تشكيل القوات المسلحة على اساس جديدة .

تولى مسئولية تنفيذ السياسة الجديدة (حاييم لاسكوت) رئيس الاركان الذي خلف موسى ديان عام ١٩٥٨ ، والذي وضع ماسماه (برنامج الردع) ، الذي بدأت اسرائيل في تنفيذه عن طريق الحصول على احدث الاسلحة وخاصة في مجال القوات الجوية والصواريخ والمدفعية والمدركات .

يقول كتاب (العسكرية الصهيونية) ان اسرائيل قد اعتنقت المبدأ الذي

يقضى (بأن الهجوم هو الشكل الرئيسى للامعان الحربي ، حتى يمكن حماية الاهداف الحيوية ، والتغلب على - ضحالة - العمق الاستراتيجي ، وبالتالي دعم عناصر الامن القومي الاسرائيلي، وكان لابد ان تعتقد اسرائيل مبدا عسكريا محددا بالنسبة لشكل عملياتها ، ويدور هذا المبدأ حول ضرورة نقل العمليات الحربية الى ارض العدو منذ بدايتها) .

واهتم وايزمان الذي عين قائدا للقوات الجوية عام ١٩٥٨ ايضا خلفا لدان تالكوفسكي باختيار الطائرات المناسبة لتحقيق هذا الهدف ، وصرح عام ١٩٦٣ بقوله :

(في حالة الحرب مع العرب فان افضل وسائل الدفاع هو تجنب العمليات فوق ارض اسرائيل ، والعمل على تهديد دمشق ، واحتلال الضفة الغربية والاندفاع نحو قناة السويس ، فلواكتفت اسرائيل بالدفاع عن تل أبيب فسيكون ذلك انتحارا جماعيا ، اذ ليس امامها اى عمل استراتيجي برى . لذلك فان العمل الاستراتيجي يجب ان يكون هو العمق الجوي)

هكذا حدد وايزمان في عام ١٩٦٣ الاستراتيجية الاساسية لعدوان ٥ يونيو ١٩٩٧ .

كانت اسرائيل قد رست خطتها (الحمامة) على اساس الاعتماد الكامل على النفس ، مقدرة تعاطف الدول الغربية معها في موقفها من قتل خليج العقبة راسمة سياستها الدعائية على اساس الظهور في مظهر المدافع عن نفسه امام خطر التدمير .

يقول تشرشل في كتابه (حرب الايام الستة) :
(كانت قيادة الجيش الاسرائيلي العليا مقتنعة ان اكبر خطر يهددها هو مصر ، ونظرا لضيق حدود اسرائيل ، ولكثافة سكانها ، لم يكن الاسرائيليون يجهلون ضرورة نقل المعركة الى خارج ارضهم : يجب ان يخرجوا جميعا ويواجهوا العدو في سيناء) .

احتلت التهديدات الاردنية والسورية المرتبة الثانية .
في لحظة بدء الهجوم الجوي على مصر لم يكن يحصى سماء اسرائيل سوى ١٢ طائرة وانطلقت بقية الطائرات التي تكمل ٤٠٠ طائرة لتنفيذ الخطة في موجات متتالية بلغت ١٧ موجة ، وانتهت من اداء واجبها في ثلاث ساعات الاعشر دقائق ، سجل فيها الطيارون ارقابا قياسية في سرعة اعادة تعبئة الطائرات بالوقود والذخيرة .

ومن بين ٣٤٠ طائرة مصرية سالحة للعمل دمرت على الارض ٣٠٠ طائرة .

ولم تقتصر الخسارة على الطائرات وحدها ، ولكنها لحقت بالطيارين ايضا الذين تدربوا فترات طويلة وقام بعضهم بعمليات بطولية رائعة .

وخلال التركيز على ضرب المطارات المصرية لم تتحرك القوات الجوية السورية والاردنية بالسرعة والكثافة اللازمة لاحاق الضرر باسرائيل التي كانت سماؤها شبه مفتوحة لادفاع عنها الاعداد محدود من الطائرات .
حاولت بعض الطائرات السورية ضرب مصفاة البترول في حيفا وقصف

مطار ماغادو بالقنابل ، ولكن الطائرات الاسرائيلية لحقت بها ودمرتها قرب دمشق ، بعد ان الحقت باسرائيل اضرارا جسيمة .
وبعد التدمير السريع للطائرات المصرية . استدارت القوات الجوية الاسرائيلية لتدمير الطائرات السورية . .
وقصف الطيران الاردني مطارا اسرائيليا دمر فيه طائرة تقسل ، ورد الاسرائيليون على هجوم الطيران الاردني المحدود العدد ، مقصفوا مطار عمان والمفرق والحقوا بهما اضرارا فادحة .
وفي صباح ٦ يونيو قصف الطيران العراقي ناثانيا فرد الاسرائيليون بتدمير قاعدة ه ٣ القريبة من الحدود الاردنية .
في مسار ذلك اليوم كانت ٤١٦ طائرة حربية لارب دول عربية قد دمرت وهي جميعا رابضة على ارض المطارات عدا ٢٤ طائرة اسقطت اثناء المعارك في الجو .
وخسرت اسرائيل ٣٧ طائرة .
كان ضياع القوات الجوية مؤشرا لنتيجة المعركة .
وكان دليلا على ان خطة العدوان الاسرائيلي قد اختبرت وجهزت منذ وقت طويل اولا . وانها اعتمدت على القوة الذاتية ثانيا .
اصبحت القوات المسلحة المصرية في سيناء عارية من الغطاء الجوي . .
واصبحت سوريا والاردن مكشوفة السماء .
وبدأت القوات الجوية الاسرائيلية في ممارسة دور جديد . هو الهجوم على القوات المسلحة في خنادقها ، أو معسكراتها . . وبدأت القوات البرية هجومها بعد نصف ساعة من القيام بأول غارة .
كانت غزة اول هدف للجيش البرية الاسرائيلية ، حوصرت المدينة بينما هاجمت المدرعات خان يونس ورنح والشيخ زايد في معارك عنيفة ، أدت الى قتال مستمر في الشوارع لمدة يومين .
وسقطت العريش ايضا بعد مقاومة باسلة .
وبدأ هجوم اسرائيلي في منطقة ابو عجيلة . . ورغم فقدان المساعدة الجوية الا ان وحدات كثيرة حاربت ببسالة ، وقاومت في عناد .
والسر وراء احداث المعارك لا يعطي صورة صحيحة لقدرة القوات المسلحة القتالية ، ذلك انها كانت تتحرك بلا رأس تقريبا ، فقد أصيبت القيادة العامة بنوع من الاضطراب والغوضى . الذي ادى الى تشابك الاوامر ، وخلق جو من اليأس ، وسيطرة روح الهزيمة .
كانت صدمة المشير عامر بفقدان القوات الجوية اكبر من ان تستوعبها قدرته ، واكثر من ان يواجه الموقف بعدها في ثبات وشجاعة .
ومع ذلك تركزت الامور كلها عنده . . ويوضح الفريق صلاح الحديدي اثر ذلك فيقول :
(وصلت الفوضى نتيجة اتباع هذا الاسلوب ان قرارا تاريخيا ضخما وهو قرار الانسحاب والجلء عن سيناء بكافة القوات ، قد اتخذ دون الرجوع الى المستشارين والمحترفين ، بل ظلوا جاهلين به فترة من الوقت حتى احسوا برد فعله عن طريق المصادفة ، فحاولوا الاخذ بزمام الموقف دون جدوى) .

قال لى ضابط كبير مسئول فى هيئة العمليات انهم سمعوا ان قرارا بالانسحاب قد صدر دون ان يعلموا به وانهم كتبوا مذكرة للمشير بوجهة نظرهم ، ولكنه لم يطلع عليها الا بعد ساعات نتيجة لتعذر مقابلته وهو فى غرفة لا تبعد عنهم اكثر من امتار قليلة .

والمشير عامر لم يصدر قرار الانسحاب وحده دون الرجوع الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر . . اتفق الاثنان على ذلك .

قال لى زكريا محبى الدين ان قرار الانسحاب كان صحيحا . . ولكن طريقة تنفيذه كانت خاطئة . . ويقول اعضاء مجلس القيادة البغدادي وكمال حسين وحسن ابراهيم (انهم نصحوا عامر يوم ٦ يونيو باشتباك مدرعاتنا مع مدرعات العدو لان الالتحام يحيد الطيران الاسرائيلى . . . ولكن الوقت كان قد فات . .

وهنا لابد من الاشارة الى ان وجود اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين فى مكتب عبد الحكيم عامر ليدلوا بملاحظات وتعليقات غير مدروسة كان يلقي عليه عبئا عصيبا يدفعه الى المبالغة فى تصرفات يحاول بها ان يظهر فى مظهر القائد العام الذى لم تقعه الهزيمة . . والواقع ان تواجدهم كان اضافة الى حالة الارتجال السائدة .

كان أمرا بدويا وطبيعيا ان ينفذ الانسحاب خلال اجراءات القتال الطبيعية . . فالمعروف ان الانسحاب هو مرحلة من اعقد مراحل القتال تحتاج الى ثبات ودقة فى التنظيم .

ولكن الحالة النفسية التى سادت القيادة العامة ، وانفراد المشير باصدار القرار ، ادى الى (مرحلة) تنظيمية ، جعلت الامر بالانسحاب يصل الى بعض قادة التشكيلات المقربين من المشير قبل ان يصل الى القيادات المسنولة . ويقول الفريق اول محمد فوزى :

وفي يوم ٦ يونيو استدعاني المشير بعد الظهر ، وقال لى : عاوز خطة عاجلة لانسحاب القوات غرب (القناة) وجلست مع الفريق انور القاضى واللواء تهاى وكتب الاخير ورقة بحضورنا بها خطوط عامة جدا عن امكانية واسنوب انسحاب القوات من سيناء الى غرب القناة ، تسحب القوات على ثلاث مراحل . . وهذا يستغرق ثلاثة ايام باربع ليال .

عدنا بعد عشرين دقيقة الى المشير الذى كان فى انتظارنا واقفا على المكتب ، وحاطت رجله فوق المقعد . واقف وساند دماغه على ايده وعلى كوعه . وقسرا اللواء تهاى الراى سريعا على المشير .

وهز المشير راسه بعدم الموافقة على الراى وقال : (ثلاثة ايام وأربع ليالى يافوزى . . انا اصدرت امر الانسحاب خلاص) . .

وانصرف داخلا الى غرفة النوم التى كانت ملاصقة لكرسى المكتب متاثرا جدا . . يعنى دخلته الى الادوة ماكانتش عادية . . واحد متعب . . منهك . . منهار بيخلص من الموقف الى هو فيه . واستدار ودخل الادوة موطى لدرجة اننى افكرت انه تعبان عاوز سرير . . يعنى واحد عاوز يرقد .

•• انهيار بالجملة ••

وبعد ذلك جاءت بلاغات من سيناء وطريق العريش عن اجراء انسحابات فردية ارتجالية • ثم علمت بتدخل كل القيادات واجهزة الامن ، شمس بدران على شفيق ، الشرطة العسكرية ، المخابرات الحربية •• كلهم تدخلوا في تبليغ اوامر فردية بالانسحاب - حسب هواء وبأسلوبه • الى غرب القناة •

وحدث انهيار لجميع الماداة والافراد الموجودين في القيادة بعد انهيار المشير ••

ثم تمت زيارة الرئيس عبد الناصر الى المشير في غرفة نومه ، واستغرقت الزيارة دقائق • وخرج الرئيس متجهما بدون توديع المشير كالعادة •

وحدث اول انسحاب من فرقة اللواء نصار • الفرقة الثالثة بدون ان يخطر قيادته • لا قائد الجيش ولا قائد الجبهة ولا تاركين معداتهم وأسلحتهم الثقيلة • بدأ الانسحاب ليلة ٧/٦ ارتجاليا ومنفردا تاركين معداتهم وأسلحتهم الثقيلة • وحاول قائد الجيش تنظيم الانسحاب باصدار اوامر منها تمرکز الفرقة الرابعة المدرعة في المضائق لتغطية الانسحاب حتى الساعة ١٢٠٠ يوم ٧ يونيو •

لقد فقدت السيطرة نهائيا على القوات المسلحة ، كما فقدت الاتصالات •• حدث انهيار •

وعلم بعد ذلك ان تشكيلات تماسكت واستمرت متماسكة وبالذات في ام قطف لغاية بدء الانسحاب • ويصحح في الكونتلا ايضا •

وفي يوم ٧ يونيو استدعاني المشير عند الفجر •

قال لي عن صعوبة الاتصال التليفوني ، وطلب مني ان اذهب بنفسى ، واحاول الابقاء على القوات ، وبصفة خاصة الفرقة الرابعة المدرعة على خط المضائق ، بدلا من انسحابها غرب القناة •

•• محاولة مستحيلة ••

اصطحبت معى اللواء مصطفى الجمل • والسكرتير العسكري ، وتوجهنا الى معسكر الجلاء في الاسماعيلية حيث وجدت قائد الجبهة الفريق اول مرتجى والفريق صلاح محسن واللواء احمد اسماعيل ولواءات اخرى كثيرة •• معظمهم أو كلهم • عرضت المحاولة على القادة جميعا ، فذكروا لي استحالة التنفيذ لفوات الوقت • وبحثت عن قائد الفرقة الرابعة المدرعة فلم اجد • وكنت قد علمت ان بعض عناصر الفرقة الادارية قد وصلت الى الهاكستب مساء يوم ٦ يونيو ، واقد أمرتها قبل مغادرتي القاهرة بالعودة الى الاسماعيلية •

فشلت مهمتى • وتم الاتصال مع المشير بواسطة الفريق اول مرتجى الذى اقنعه باستحالة هذا الوضع • ثم اتصل بى المشير في نفس المكالة وأمرنى بالعودة ••

وعلمت قبل قيامى مباشرة انه تم اتصال تليفونى بين المشير وبين الرئيس عبد الناصر وقد طمانه المشير على امكانية احتلال المضائق بقوات من الفرقة الرابعة المدرعة •

واسترسل الحديث بينهما في اخذ رأى الرئيس •

وكان رد الرئيس عبد الناصر : اشمعنى جى تاخذ رأيى دلوقتى .
والرئيس عبد الناصر ، يشير فى هذا الرد الى عدم اخذ رأيه فى امر
الانسحاب . لقد كنت اعرف ان اتصالا جرى بين الرئيس عبد الناصر والمشير
عبد الحكيم عامر فى شأن الانسحاب . . ولكن الحديث الذى تم فى الاتصال
سمعه من الرئيس عبد الناصر فيها بعد وهو يشرح انهيار المشير عقب
النضرة الجوية » .

واخلطت الامور الى الحد الذى جعل الانسحاب يتم الى الغرب دون
تحديد خط دفاعى جديد . . كان معروفا لجميع القادة ان خط ممرات متلا والجدي
هو انسب الخطوط للمقاومة وعدم تحول الانسحاب الى حالة الذعر والفوضى .
وما يذكره الفريق الحديدي يعطى صورة واضحة للحالة التى كانت سائدة
فى القيادة فهو يقول :

« كانت انباء الاشتباكات فى سيناء تصل الينا فى القاهرة مشوشة وغير
كاملة . . وربما كانت ايضا متناقضة وغير سليمة . . اذ لم يكن هناك اسلوب
ثابت لنشر معلومات عن الموقف بطريقة منظمة على القيادات فى باقى الجبهات) .
ويقول ايضا :

(استشرى القلق والتوتر فى التشكيلات المؤسسية كانعكاس طبيعى لما
اعترى قيادتنا الكبرى من شطط وشلل فكرى) .
بدأت الوحدات والتشكيلات تنسحب وحدها دون تنسيق ، تعتمد كل
وحدة على اوامر قائدها . . ووصل بعضها الى القاهرة مباشرة . . وقد اختارت
مثلا على الوحدات الفرعية من سلاح المدرعات حديقة قصر الطاهرة معسكرا
لها . بينما اتجهت وحدات اخرى الى معسكراتها القديمة .

تضاربت الآراء والأوامر . . وانسحبت الوحدات والتشكيلات فى ظروف
شديدة القسوة من الناحيتين المادية والنفسية . . ولاى الجنود عذابا
أثناء انسحابهم عبر سيناء فى شمس يونيو الحارقة . . وتعرض الجيش لمهانة
حقيقة من العدو الذى تحقق له انتصار اضخم كثيرا مما كان يحلم به .
ولو ان القيادة العامة للقوات المسلحة كانت فى مستوى المعركة . ولم
تفقد سيطرتها . . لتمكن للجنود ان يواصلوا القتال فى ظروف افضل ، رغم
عدم وجود غطاء جوى . . ولتمكن لهم الانسحاب الى خطوط دفاعية لا تصل
بالاسرائيليين الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس . . وذلك حتى تتمكن القيادة
السياسية من الوصول الى حل ينقذ الوضع من الانهيار .

ولكن ما حدث كان هزيمة نفسية مدمرة ، كما كان هزيمة عسكرية مخجلة
ومن المؤسف ان القوات المسلحة لم تكن تنقصها الاسلحة الحديثة القادرة
على مواجهة الاسلحة الاسرائيلية . . ولم يكن الجنود فى حالة من التمرق
والانهيار مثل بعض ضباط القيادة العامة . . بل كانوا متاهبين للقتال فعلا .

المشكلة كانت فى ضباط الرتب العليا الذين استكان معظمهم الى حياة
بعيدة عن الروح العسكرية الصادقة . . وكانوا فى اعماقهم لا يتحمسون للثورة
ولا يؤمنون بالاشتراكية ، ولذا فقدوا - الى حد كبير - حسهم الوطنى
واستعمادهم لاداء واجبهام المسمى .

كان الميثاق ينص على دخول رجال القوات المسلحة الى الاتحاد الاشتراكي والتفاعل مع الحياة السياسية للجماهير .. ولكنهم ظلوا بعيدا عن ذلك بدعوى التخوف من دخول الجيش في السياسة ، الامر الذي ترك فراغا هائلا في الوعي الوطني والسياسي ، ولم يفسر للضباط او الجنود حقيقة دورهم في حماية الوطن والثورة والتقدم الاجتماعي .

ولايجوز التهوين من اهمية الحافز والشعور الوطني عند المقاتلين .. كما انه لايجوز التقليل من اثر الثغرة الاجتماعية الهائلة التي ظلت باقية بين ضباط الرتب العليا وبين صفار الضباط والجنود ، والتي لم تنجح الثورة الا في التقليل منها بأمور ثانوية وشكلية سواء في الناحية الفكرية او الاجتماعية . خلال حكم الثورة تجددت نوعية صفار الضباط . وامكن لابناء الطبقة العاملة والفلاحين ان يدخلوا الكلية الحربية .. ولكن عملية التجديد لم تصل الى القيادات العسكرية العليا التي تحولت مع الوقت ورسوخ المصالح الى فئة لا تهتم كثيرا بواقع المجتمع وتطوره .

ظلت عقلية ضباط الرتب العالية جامدة وغير مستترة من الناحية الاجتماعية او السياسية .. ولم تصل مطلقا الى المستوى الذي وصلت اليه القيادة السياسية للثورة .. كان جمال عبد الناصر اكثر استنارة ووعيا .. ولكنه لم يفلح في رفع مستوى القيادات العسكرية الى الحد المطلوب في قيادة معركة تحرير وطني ضد الامبريالية .

كان هذا سببا من اسباب الفشل والهزيمة .. ولكنه لم يكن السبب الوحيد ..

امريكا .. ووقف اطلاق النار

انتقلت آثار الهزيمة من ارض المعركة الى قاعات الامم المتحدة ومجلس الامن .

الصورة الحقيقية للخسائر لم تكتمل امام جمال عبد الناصر الا مساء ٥ يونيو بعد مغادرته القيادة بعد ظهر نفس اليوم ، وسؤاله لعبد الحكيم عامر عن حقيقة الموقف حتى يستعد لمواجهة مجلس الامن ، وتهرب المشير من الاجابة كما ذكر عبر اللطيف البغدادي .

كان حجم الخسارة كبيرا يصل الى حد الفاجعة ، وقيل لعبد الناصر انه لم يكن في وسع الاسرائيليين وحدهم تحقيق هذا الانتصار ، وأن الامريكيين لابد وقد ساعدوهم بطريقة مباشرة .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) ان جمال لم يكن مستعدا لقبول هذا القول على علاته ، وانه اراد تأكيداً يثبت هذه الاقوال .

وجاءت تقارير من القوات المسلحة تؤكد ان طائرات أمريكية قد حلقت فوق مصر ، وأن اتجاه الهجوم للغارات الجوية كان من الشمال وليس من الشرق .. بما يعني مشاركة الاسطول السادس . وكان الفريق عبد المنعم رياض أحد الذين أبلغوا عبد الناصر باشتراك

طائرات أمريكية بريطانية في العدوان على مصر وذلك خلال محادثة تليفونية بين القاهرة وعمان .

وتجاوبت هذه المعلومات مع فكرة جمال عبد الناصر التي تستبعد تماما قدرة القوات الاسرائيلية وحدها على تدمير القوات الجوية المصرية في مدة لا تتجاوز ثلاث ساعات . فاجرى اتصالا هاتفيا مع الملك حسين يوم ٦ يونيو سجلته مخابرات ياريف الاسرائيلية كما ورد في كتاب جولييان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) وفي المكالمة اتفق الاثنان على توجيه الاتهام لأمريكا ، وقد اذاعت اسرائيل تسجيلات لهذا الشريط في مؤتمر صحفي بعد يومين من التقاطه .

واكد هذه الحقيقة في نفس عبد الناصر مقابلة تمت بينه وبين السفير السوفيتي على غير موعد يوم ٧ يونيو يبلغه فيها ان كوسيجين قد تلقى رسالة من جونسون على الخط الاحمر تقول ان طائرتين امريكيتين اضطرتا للمرور فوق المواقع المصرية لانقاذ الباخرة الامريكية (ليبيرتي) التي هاجمها الاسرائيليون ، وقد اراد جونسون من كوسيجين ان يبلغ عبد الناصر ذلك ليكون دليلا على صدقه

كانت هذه هي المرة الثانية التي يستخدم فيها الخط الاحمر بين واشنطن وموسكو .

المرة الاولى التي استخدم فيها الخط الاحمر خلال هذه الازمة كانت في الثامنة من صباح ٥ يونيو بتوقيت واشنطن . ولم يكن قد استخدم قبل ذلك منذ تركيبه في ٣٠ اغسطس عام ١٩٦٣ الا في تحية العام الجديد او في رسائل الاختبار التي تتم كل ساعة .

الرسالة الاولى كانت من كوسيجين ، وقد اسرع نيكسون كما نشرت مجلة (نايم) الى الاجتماع مع وزير الدفاع روبرت ماكنامارا ووزير الخارجية دين راسك وردسوف الذين كانوا معه في البيت الابيض لحظة تلقي الرسالة . وكانت رسالة كوسيجين تقول (ان الدولتين العظيمين يجب ان تتفاديا الصراع والصدام في هذه الازمة . وان الاتحاد السوفيتي لا يخطط للدخول في مواجهة ولكنه سيفعل ذلك اذا تدخلت الولايات المتحدة . وفورا اجاب جونسون ومراقبوه على الرسالة قائلا ان الولايات المتحدة لاتنوى التدخل في المشكلة .

وحرصا من جونسون على الظهور بهذا فانه بادر بارسال الرسالة الثانية عبر الخط الاحمر ، والتي يطلب فيها من كوسيجين ابلاغ جمال عبد الناصر بدور الطائرتين الامريكيتين ، وكأنه بذلك يريد ان يطمئن الاتحاد السوفيتي على الموقف الامريكي ، ويخفي عنه حقيقة التواطؤ والتآمر المستتر . اكدت هذه الرسالة الثانية اذن واقعة عبور طائرات امريكية مقاتلة فوق الاجواء المصرية .

ولم يكن جمال عبد الناصر في حال يسمح له بقبول التبرير الامريكي ولذا فانه عندما بلغ الامر عنده مرحلة اليقين بادر بقطع العلاقات الدبلوماسية مع امريكا لأول مرة في تاريخ الثورة رغم تآزم العلاقات بين الدولتين في اكثر من مناسبة .

كان في ذلك تأكيد لحقيقة المشاركة الامريكية في العدوان . وتصعيد للموقف بما يرضى الجماهير التي قد تقبل الهزيمة من دوله كبرى ولا يستطيع تصورهما من دوله صغرى . . . واطلقت الاذاعة أغنية عبد الحليم حافظ التي أذيعت عدة مرات وكانت تقول (ولا يهكم ياريس من الامريكان ياريس . . . حواليك أجدع رجال)

وأذاعت دمشق تسجيلا مع طيار اسرائيلي اسقطته الطائرات السورية اعلن فيه ان ١٧ طائرة مولكان بريطانية قد انتقلت من قاعدة (اكرونيرى) البريطانية في قبرص الى اسرائيل قبل العدوان بعشرة أيام بهدف ضرب القواعد المصرية والسورية .

وقال الملازم الطيار الاسرائيلي ان طائرات كانت تتجه من قبرص لتضرب اهدافا مصرية وسورية ثم تعود الى مواقعها .

وقامت في معظم العواصم العربية مظاهرات ضد القنصليات البريطانية والامريكية ، واوقفت العراق ضخ البترول ، وأغلقت سوريا ولبنان خط الانابيب . واوقفت كل من الجزائر والعربية السعودية وليبيا والبحرين وقطر والكويت شحن البترول الى الدول التي تساعد اسرائيل .

وكان رد الفعل الامريكي تصريرا لروبرت ماكلوسكى الناطق الرسمي للبيت الابيض قال فيه :

— ان هذه الاتهامات عارية تماما من الصحة ، وهى مختلعة من اساسها .

وفى مجلس العموم البريطاني وقف هارولد ويلسون رئيس الوزراء ووصف الاتهامات العربية بأنها كاذبة قائلا (كانت حاملة طائراتنا على بعد ألف ميل من منطقة القتال) .

لم يتحدث ويلسون عن حاملات الاسطول السادس . . . ولم يتحدث ايضا عن الباخرة ليبرتى .

والباخرة ليبرتى لعبت دورا هاما في العدوان ، فهى تابعة للاسطول السادس الامريكي ومجهزة بأحدث آلات الالتقاط والتجسس الالكترونية وكانت تقف خارج المياه الاقليمية المصرية مباشرة فى مواجهة غزة .

ورسالة جونسون الى كوسيجين تقول ان الطائرات الامريكية قد حلقت فوق المواقع المصرية مضطرة وهى فى طريقها لانقاذ (ليبرتى) من الهجمات الاسرائيلية .

وقد ظلت علامة الاستفهام قائمة تلاحق الدور الذى قامت به هذه الباخرة ، وتحاول كشف الاسباب التى أدت الى مهاجمتها من جانب الطيران الاسرائيلى . . . ولم ينكشف هذا السر تماما الا بعد سنوات ، تماما مثلما انكشفت خطة التآمر البريطاني الفرنسى الاسرائيلى للهجوم على مصر عام ١٩٥٦ بعد خمس سنوات من حملة السويس ، وذلك عندما نشرت مجلة (بنتهاوس) عام ١٩٧٦ كتابا للصحفى المعروف انتونى بيرسون .

واضطراب الطائرات الامريكية للتخليق فى الاجراء المصرية هو امر غريب فى ذاته ، فحاملات طائرات الاسطول السادس كانت تراقب الوضع عن كثب وليبرتى كانت قريبه منها ايضا ، الامر الذى لا يخلق مبررا مقنعا لعبور الطائرات الامريكية فى الاجواء المصرية .

ويقول رودلف وونستون تشرشل في كتاب حرب الايام الستة :
(يجب الا يغيب عن بالنا الدور الذي لعبته هذه الحاملة (ليبرتي) فقدمت
لاسرائيل خدمات في مجال الرصد مما كشف القناع عن وجه امريكا
المتحيز . . وشاركت المراكز البريطانية في العملية واوزت الى محطاتها في
جبل ترودس في قبرص بمراقبه الوضع بدقة متناهية)
ولكن الغموض ظل يحيط بهجوم زوارق الطوربيد والطائرات الاسرائيلية
ضد الباخرة .

وكما جاء في الكتاب السوفييتي (اطلاق الحمامة) فان الحادث التراجيدي
والمريب في الوقت ذاته لم يحرك فضول الصحافة الامريكية التقليدية ،
فالحكومة والمؤسسات الامريكية المختلفة لا تبخل في العادة بالكلمات كلما كان
الامر يتعرض للخسارة في ارواح العسكريين والمدنيين الامريكيين . . لكن
هذا الحادث لم يثر الا الصمت المطبق . . فالعواصف والزوابع لم تهب على
الذين تسببوا في هذه الخسارة الكبيرة .

ظل الصمت مثيرا للدهشة والتساؤل الى ان مزق الكاتب الصحفي
انتوني بيرسون الستار عن الاسرار التي ادت الى حادث السفينة .

يقول بيرسون (ان الحكومتين الامريكية والاسرائيلية قررتا في عام
١٩٦٥ ان التخلص من عبد الناصر بانقلاب داخلي غير ممكن بسبب شعبيته
وقوة مركزه . . وان الوسيلة الوحيدة للتخلص منه هي هزيمته في حرب
محدودة تقفده ثقة العرب واحترامهم ، وتمهد السبيل لتولى حكمه مواليه
للقرب توقف المد الثوري الذي كان يهدد النظم الصديقة للغرب في المنطقة .
لذلك اتفق الطرفان على ان تقوم اسرائيل بشن حرب محدودة ضد مصر
وجدها لاتشمل الاردن وسوريا ، واستدرجت امريكا واسرائيل عبد الناصر
الى المصيدة» .

ساعد على بلورة هذا القرار في امريكا مستشارو جونسون من اليهود
المؤيدين لاسرائيل : ارثر جولدبرج في الامم المتحدة . ووالتر روستو
مستشار الامن القومي . ويوجين روستو في الخارجية .
(ولكن اسرائيل امام النصر السريع كانت قد قررت عدم الالتزام
باتفاقها مع امريكا وانتهاز فرصة الحرب لتوسيع رقعتها لتشمل الضفة
الغربية والجولان وكل سيناء)

ويقول الكاتب ان اسرائيل كانت مطمئنة الى ان كبل المعلومات
التي تصل الى امريكا حليفها مصدرها المخابرات الاسرائيلية (موساد) وحدها
وعندما وجدت سفينة التجسس (ليبرتي) في منطقة العمليات قررت اغراقها
لتنفرد وحدها بتنفيذ مخططاتها التوسعية .

ويؤكد هذا انه رغم الاتفاق على مؤامرة واحدة الا ان المصالح
الاسرائيلية لا تنوب وتخضع تماما للمصالح الامريكية . . ولذا حرصت امريكا
على ارسال ليبرتي حتى ترصد أي تجاوز من جانب اسرائيل .
أصبحت (ليبرتي) مصدر كشف لمحاولة اسرائيل الانفلات من خيوط
المؤامرة المشتركة حيث كانت تسجل كل الاشارات . . وكان على ظهرها كما
جاء في كتاب (اطلاق الحمامة) بحارة يتكلمون العربية والعبرية .

ويقول الكاتب ان الهيكل الاساسى لنخطة وضعتها لجنة امريكية اسرائيلية مشتركة ضمت من جانب اسرائيل موسى ديان وبيجال آلون وشمعون بيريز وعازرا وايزمان رئيس العمليات وموردخاي هود قائد الطيران ، وانتهت الى أن افضل الحلول هو قيام اسرائيل بشن حرب محدودة على مصر لاتتعداها الى الاردن او سوريا .

ولما كشفت (ليبرتي) حقيقة الرسائل المتبادلة في مصر واسرائيل ، وأسلوب تزوير المحادثات بين مصر والاردن عن طريق جهاز أمريكي اليكتروني نادر .

قررت اسرائيل ضرب هذا الجاسوس الذي يفضح تآمرا ٠٠ وكان أن انطلقت الطائرات وزوارق الطوربيد لمهاجمة ليبرتي التي تبين من فحصها بعد ذلك انها تعرضت الى ٨٢١ اصابة مباشرة من الصواريخ او الرشاشات الثقيلة ، وانها نجت من الفرق بفضل مهارة قائدها بعد ان خسر طاقمها ٣٤ قتيل ، ٧٥ جريحا ، وبيعت الباقية بعد ذلك (خردة) بعد ان سلمت الى وزارة التجارة الامريكية .

وأسرعت اسرائيل بتقديم اعتذار رسمي عن الحادث ، وأسرعت امريكا أيضا بقبول الاعتذار .

وكان يمكن لهذا الحادث ان يفرق في بحر من الاسرار حتى لاتتكشف المؤامرة المشتركة ، لولا اصرار أهل بعض القتل من الضباط والجنود على الحصول على تعويضات كبيرة .

صرح المتحدث الرسمي باسم البنتاجون قائلا (يمكن تفهم امكانية وقوع الحادث نتيجة خطأ بشري)

ولكن البحارة الذين رست بهم السفينة بعد الحادث في ميناء تاليتا بمالطة أخذوا يتحدثون عن تجربتهم الرهيبة ٠٠ وقال جندي أمريكي يهودي من بروكلين للصحفيين انه انتزع نجمة داود التي يضعها في سلسلة على صدره وقذف بها الى البحر .

رفض أهل الضحايا المبلغ الذي قرره الحكومة وهو ٩٠٠٠ دولار ورفع والد احد الضحايا قضية امام محكمة العدل الدولية بلاهاي ضد الحكومة الاسرائيلية مطالبا بمبلغ ٥٠ مليون دولار . ولكن القضية لم تنظر بناء على ضغط سياسي من الحكومة الامريكية كما يقول الكاتب الغربي .

واستطاع والد أحد الضحايا ان يواصل الضغط حتى وصلت قيمة التعويض لابنه ربع مليون دولار .

ويتساءل الكاتب الذي تحدى نفي ديان بأن الهجوم كان متعمدا في مؤتمر صحفي اذيع بالتليفزيون - في النهاية (هل كان أمام الحكومة الامريكية خيار آخر غير ان تستتر على جريمة اسرائيل بضرب ليبرني حتى لاينفضح دورها في المؤامرة الكبرى؟)

وسواء صح ما نشرته مجلة (بنتهاوس) او لم يصح ٠٠ فمما لاشك فيه ان قصة ليبرتي سوف تكشفها الايام كاملة بكل تفاصيلها ٠٠ ولكنها في كل الحالات تظهر بما لايقبل الجدل انه كان هناك تعاون وثيق وتخطيط مشترك بين المخابرات المركزية الامريكية والحكومة الاسرائيلية .

قطع العلاقات الدبلوماسية وتوجيه الاتهام لأمريكا وبريطانيا بالمشاركة في العدوان لم يوقف القتال .. المأساة كانت تدور على أرض سيناء . وفي يوم ٧ يونيو توفرت فرصة لوقف إطلاق النار .. وكانت القوات الاسرائيلية لم تنصل بعد الى شاطئ القناة ، وان كانت قد احتلت في مساء ذلك اليوم جميع اجزاء الضفة الغربية ، وسقطت القدس وجنين ورام الله وبيت المقدس وبيت لحم وجبرون واريحا .

يقول الكاتب انتوني بيرسون ان يوجين روستو في وزارة الخارجية قد استدعى السفير الاسرائيلي في هذا اليوم وأبلغه طلب الحكومة الامريكية بوقف الهجوم ، حتى تظل الخطة الاسرائيلية في حجمها المتفق عليه . عندما وجد الملك حسين انه لم يعد يملك سوى شرق الاردن طالب بوقف إطلاق النار ، واستجاب الاسرائيليون لذلك .

أما في الجبهة المصرية فقد صرح موسى ديان قائلا : (لم تعد هناك أية عقبة تقف في طريقنا لكي نصل بقواتنا الى قناة السويس ولكن هذا ليس هدفنا ، لاننا لانسعى الى التورط في مشاكل دولية) .

كان الاتحاد السوفيتي قد اذاع مذكرة من موسكو موجهة الى اسرائيل يطالب فيها بوقف إطلاق النار (والا فان الاتحاد السوفيتي سوف يعيد النظر في موقفه تجاه اسرائيل ويتخذ قرارا يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع هذه الدولة التي يتعارض نشاطها مع الدول المحبة للسلام) كانت طلائع القوات الاسرائيلية قد وصلت الى مشارف القناة عند القطرلة ، ولكن موسى ديان اصدر أوامره اليها بان تعود الى الورااء اربعين كيلومترا .

كانت حكومة اسرائيل حتى هذه اللحظة - فيما يبدو - تريد ان تبقى القناة التي أغلقتها مصر باغراق بعض المراكب فيها يوم ٦ يونيو خارج النزاع طالما هي قادرة على الوصول اليها في اي وقت تشاء . وأعلنت حكومة اسرائيل يوم ٧ يونيو انها على استعداد لوقف إطلاق النار بشرط ان تقبل الاردن وسوريا والعراق ومصر ذلك ، وغادر ابا اييان وزير الخارجية مدينة القدس ليعلن ذلك في الأمم المتحدة . المدهش ان الرفض جاء من جانب الحكومات العربية غير الاردن التي فقدت الضفة الغربية ..

كان ممكنا حتى هذه اللحظة الاحتفاظ بجانب كبير من الارض ، وانقاذ اعداد هائلة من الجنود الهانمين على وجوههم في صحراء سيناء ، ومنع الهزيمة من ان تكون كاملة ومشينة لكل دول المواجهة . رفضت مصر قرار مجلس الامن في وقت كانت فيه كل دول مجلس الامن (قد قررت وقف إطلاق النار بغير شرط ولا موعد ولا حكم ولا اداة وبغير اشارة الى معتدى او معتدى عليه) كما جاء في كتاب جوليان بيزانسون (حرب اسرائيل الخاطفة) .

وليس لهذا الموقف من تبرير سوى الامل في وصول امدادات سرية تنقذ الموقف العسكري من الانهيار ، وتحفظ للقوات المسلحة المصرية قدرتها على الحركة من جديد .

ولكن الموقف كان اصعب واعقد من ان تنقذه اسلحة جديدة ، كطوق
نجاة ٠٠ لان العيب في البداية لم يكن في نقص الاسلحة ولكنه كان في نقص
قدرات القيادة العليا ، وفي ضعف روح معظم ضباط الرتب الكبيرة .
ضاعت فرصة قبول وقف اطلاق النار تحت ضغط رفض بعض الدول
العربية لقبول الامر الواقع ، وصعوبة التسليم بالهزيمة القاسية .

كان الوف القتلى يتساقطون فوق صحراء سيناء من طلقات الرصاص
أو العطش وضربة الشمس ٠٠ وكان الاحياء يتعرضون لمهاته الهزيمة من
القوات الاسرائيلية التي صورت ذلك في افلام سينمائية كانت ترسلها يوميا
الى التلفزيون في مختلف دول اوربا لتعرض على الجماهير التي يبرها النصر
المفاجيء السريع، الذي سبقته دعاية مدروسة ضخمة تظهر اسرائيل في مظهر
الدولة الوديعه المعرضه لهجوم جيرانها العرب من اجل تدميرها والقاء اليهود
في البحر .

والمندوب الامريكي جولد برج الذي أعلن في الامم المتحدة في اليوم
الاول للحرب ان الولايات المتحدة لا تعرف من بدأ القتال ، عاد فغير رايه
وتبنى الرواية الاسرائيلية التي ظلت تزعم في تبجح أن مصر هي التي بدأت
الهجوم ، وذلك كرد فعل للموقف المصري من أمريكا الذي أثار عليها معظم
الدول العربية فقطعت علاقاتها الدبلوماسية معها ، ولم تبق لأمريكا علاقات
الا مع المملكة العربية السعودية وتونس ولبنان والكويت فقط .
ومع ذلك كانت حكومة الولايات المتحدة لاتريد لخطه الناصر مع الحكومة
الاسرائيلية ان تنكشف تماما ٠٠ وكان الامر حتى هذه اللحظة يؤخذ بالقرينة
ولا يؤخذ بالمعلومات التي ظهرت فيما بعد .

وأدت الفرصة الضائعة في قبول وقف اطلاق النار الى تردى الموقف
العسكري وانهايار جبهة القتال انهيارا كاملا ٠٠ ولم تفلح الخمسون طائرة
الجزائرية التي وصلت وشارك بعضها في القتال في تغيير شيء من الواقع
المؤسف .

وانشردت القوات الاسرائيلية المسلحة في كل سيناء ٠٠ واندفعت
قوات موسى ديان حتى وصلت الى ضفة القناة فلم تجد هناك أوامر منه او من
اسحق رابين رئيس الاركان بقضى بوقوف القوات في مواقع لاندفعها الى
النورط في مشاكل دولية - وسن اكبر هجوم بالدبابات فجر يوم ٨ يونيو .
كانت وقعة القوات الاسرائيلية تعني انتظار انهيار النظام في مصر ،
واخفاء جمال عبد الناصر ، والوصول الى موقف يفرض فيه الاسرائيليون
شروطهم للصالح .

عبر دبان عن ذلك بقوله :
لقد حققنا أهدافنا السياسية والأمن من هذه الحرب ، الا انه يتعين علينا
التأكد من الطريقة التي نعرف بها مايجب ان نعمل ، حتى لانتكرر الظروف
التي أدب الى هذا النزاع) .

ولكن الآمال الاسرائيلية لم تتحقق ٠٠ فقد بقي النظام المصري قائما ،
وعلى رأسه جمال عبد الناصر ٠٠ ولم يستجيب المصريون للاذاعة الاسرائيلية
التي حاولت انارهم ضد زعيمهم خلال الخمسة عشر عاما السابقة .

قبلت مصر قرار وقف اطلاق النار تحت ضغط الكارثة ، وجنود اسرائيل قد وصلوا شاطئ القناة ، ولم يعد هناك من الاسلحة او القيادات ، ما يمكن ان يمنعهم من الوصول الى القاهرة .
كان قبول وقف اطلاق النار صدمة شديدة للذيلوماسيين العرب في هيئة الامم المتحدة ، الذين توقعوا هجوما مصريا مضادا ، وتأثروا بأخبار الدعاية التي لم تصور الموقف على حقيقته .

أبلغ محمد عوض القوني مندوب مصر الدائم في هيئة الامم المتحدة سكرتيرها العام يونانت بقبول مصر قرار وقف اطلاق النار في الوقت الذي كان (فيدرنكو) المندوب السوفيتي يهم بالمطالبة بانزال عقوبات على اسرائيل .

وبعد قبول مصر وقف اطلاق النار . أعلنت سوريا في الساعة الثالثة بعد منتصف ليله ٩/٨ يونيو وقف القتال .
وكانت القوات السورية قد تقدمت يوم ٦ يونيو مسافة ٣ كيلو نم ، دفعت على أمل الاحتفاظ بالارض المكتسبة .
خلال ايام القتال لم تشترك القوات السورية في معارك برية بعد فقدان قواها الجري

وعندها رأى مصر على وقف اطلاق النار . كانت سوريا يوم ٩ يونيو هي الدولة العربية الوحيدة المجاورة لاسرائيل التي لاتزال محتفظة بجيشها .
كان قبول وقف اطلاق النار فرصة لانقاذ هذا الجيش . في وقت كانت القيادة السورية فيه غير مرجحة كثيرا بالتقارب بين مصر التقدمية والاردن الملكية . ولم يكن الملك حسين حليفا مرضيا عنه في دمشق كما كان الحال مع القاهرة .

ولكن التوقع السوري لم يتحقق لان ذلك كان يتعارض أساسا مع الخطة الاسرائيلية التي كانت تريد ان تهدد ذراعيها على الارض العربية بأقصى مدى يمكن ان تصل اليه . وخاصة هضبة الجولان التي فة تطل منها القوات المسلحة السورية على الارض الاسرائيلية .

كانت تحصينات الجولان أقوى من ان تخترق اذا قرر مادة السورية المقاومة حتى الطلقة الاخيرة - فقد كانت المواقع شديدة الد والخط الدفاعي منيع .

قال لي عبد الحميد السراج انه منذ زمن بعيد . وعلى عهد الوحدة كانت الدبابات التي هي في ذاتها حصون متحركة . متحصنة في خنادق نتيج لها الوقاية والحركة معا .

يقول جوليان بيزانسون في كتاب (حرب اسرائيل الخاطفة) :
(في فجر اليوم التاسع من يونيو كان القليلون جدا في اسرائيل يرضون عن فكرة ان تنتهي الحرب . بغير ان يعود الامن الى الحدود الشمالية للبلاد)

ولذا فانه لم نكد ننفضى ساعة على قبول سوريا لوقف اطلاق النار حتى أعلن الناطق الرسمي بلسان جيش الدفاع الاسرائيلي فى السادسة والنصف من صباح ٩ يونيو ان السوريين قد استأنفوا عملية ضرب المزارع الجماعية بقنابلهم . وكأنهم يخلقون ذريعة لمواصلة القتال .
وكان هذا التصريح مقدمة لهجوم اسرائيل شامل بدأ فى الساعة السابعة صباح ٩ يونيو .

وجاء فى نفس المصدر السابق ان الامر بالهجوم كان قد تأجل مرتين . . . الاولى يوم ٧ يونيو حيث غطت السماء سحب كثيفة . . . ويوم ٨ يونيو حيث كان موسى ديان يود ان ينهى من الجبهة المصرية حيث كان قد بدأ الهجوم الشامل بالمدركات . . . وأى عمليات فى سوريا تعنى تأخير انتهاء القتال فى الجنوب ، (وجعل الدول الكبرى تشعر بالامتعاض فتزيد من ضغطها على اسرائيل) .

بدأ الهجوم الاسرائيلي وكان مفروضاً ان يتم على وجه السرعة ، قبل ان يفيق العالم الى ان الهجوم يشن بعد قبول وقف اطلاق النار .
كان القتال يدور على هضبة الجولان . الاسرائيليون يصعدون والسوريون يدافعون . وقاعة مجلس الامن تسمح الاتهامات المتبادلة بين الدولتين كلا منهما هى التى استأنفت القتال

وتوصل مجلس الامن الى قرار جديد بوقف اطلاق النار
ثم جاءت خطبة جمال عبد الناصر التى أعلن تنحيه فيها بمثابة الصدمة للعوات السورية ايضا . . . فتحولت لهجتها وبياناتها فوراً من أن الاسرائيليين ينسحبون ، الى اذاعة أن القنيطرة (٣٠ ألف ساكن) دهمشق قد سقطت بينما هى مازالت فى يد الجيوش السورية .

كان هذا التغيير المفاجئ ، فى لهجه البيانات منيراً للتساؤل . فلبس طبيعياً أن نحطم الاذاعة السورية معنويات الشعب والقوات المسلحة السورية باذاعة اخبار انهزامية غير صادقة .

قال لى ابراهيم ماخوس وزير خارجية سوريا فى ذلك الوقت ان هذه البيانات كانت تصدر عن وزارة الدفاع التى كان حافظ الاسد وزيرها .
وترسل مباشرة الى الاذاعة .

ويعلل البعض ذلك بأنه كان نوعاً من نجسيم الخطر للاستنجاد بالسوفييت الذين استخدموا الخط الاحمر مع واشنطن للمرة الثالثة يوم ٩ يونيو محذرين من أن استمرار الهجوم الاسرائيلي سوف يؤدى الى كارثة وحيث قرر السوفييت التدخل العسكرى . . . وقد دفع هذا الانذار أمريكا الى تقريب الاسـطـول السادس .

وبعد أن أعلنت الهزيمة وتقرر الانسحاب فى الاذاعة . . . انطفاقت الروح المعنوية للمقاتلين السوريين الذين توافرت لهم مواقع جغرافية أشد حصانه ومناعة من القوات المصرية والاردنية وبدأوا الانسحاب فعلاً دون مبرر عسكرى قوى يدفعهم الى ذلك ، فقد كان الالتحام بين قواتهم المدافعة والقوات الاسرائيلية المهاجمة . مانعاً فى حد ذاته من استخدام الطائرات الاسرائيلية .

وفي يوم ١٠ يونيو سقطت القنيطره في يد القوات الاسرائيلية ، واحتل الاسرائيليون الشرمه السوريه الميعه التي كانت نطل على ارضهم .
وقال الجنرال رابين للجنود الاسرائيليين في البيان اليومى الذى اصدره بعد وقف اطلاق النار :
(ان حرب أبناء النور ضد أولئك الذين حاولوا اغراقنا في الظلام قد اسهت) .
وهكذا قلب الجبرال رابين الحقائق ، وجعل من المعتدين ابناء للنور .
ولكن التاريخ لا يكتبه المنتصرون فقط . . المهزومون أيضا لهم فى التاريخ سطور وتأثير
انتهت الحرب ، وغرق العرب فى الظلام .
واستطاعت دولة صغيرة يسكنها مليونان ونصف من السكان ان تهزم جيرانها العرب ، بعد أن تحولت الى أكبر نرسانة حديثة فى المنطقة .
ضاعفت اسرائيل مساحتها أربع مرات من الاراضى العربيه . واحتوت مليونا ونصف المليون من المدنيين . . وضمت الى حدودها آبارا من البترول تكفى استهلاكها والتصدير ايضا .
سقط أكثر من ٢٥٠٠٠ جندي عربي قتيل و ٥٩٢٠ أسيرا . . بينما سقط ٦٧٩ جنديا اسرائيليا قتلى وأصيب منهم ٢٥٦٣ جريحا . . وبلغ عدد الاسرى الاسرائيليين ١٨ ، أسر منهم ٩ فى مصر .
وفى مقابل ١٣٠ دبابة دمرت لاسرائيل . . فقدنا ١١٠٠ دبابة منها ٣٠٠ فى حالة صالحة للعمل ، وفقدنا ١٥٠٠٠٠ عربة نقل .
الهزيمة بشعة ، والخسائر جسيمة .
ولكن الهدف الرئيسى . . من العدوان لم يتحقق . . لم تستطع خطة (الحمامة) رغم روعة انتصارها أن تسقط النظام التقدمى فى مصر أو سوريا ولم تؤثر أيضا فى النظام الملكى بالاردن .
نجحت الخطة عسكريا . . ولكنها لم تحقق بعد أهدافها سياسيا .
خسر العرب معركة . . ولكنهم لم يرفعوا الاعلام البيضاء . . لم يستسلموا .

الباب الثالث

رفض الهزيمة

(ناصر .. ناصر .. لا رئيس الاناصر)

(مكتوب على سلاحنا .. عبدالناصر كفاحنا)

مظاهرات الشعب المصري

يوم ٩ يونيو ١٩٦٧

الفصل الاول

رفض الهزيمة

لا صلح مع اسرائيل
ولا اعترااف باسرائيل
ولا مقايضة مع اسرائيل

قرارات مؤتمر القمة العربي
بالخرطوم اغسطس ١٩٦٧ .

على قدر ماكانت الهزيمة العسكرية صدمة مريرة وقاسية ، على قدر
ما عبرت الجماهير عن رفضها لهذه الهزيمة التى لم تشارك فى صنعها .

كانت مفاجأة شديدة لمعظم الناس الذين طالعوا العناوين الرئيسية
لصحف الصباح يوم ٩ يونيو تعلن عليهم قبول وقف اطلاق النار ، وهم الذين
عاشوا قبل ذلك بايام فى حلم الانتصار ، وخدرتهم الدعاية المكثفة عن قدرة
قواتنا المسلحة ، ثم تابعوا البيانات الحربية التى لا تحمل شبهة الهزيمة .
وتعلقت أعين الناس بشاشة التليفزيون ، والتصقت اذانهم بأجهزة
الراديو ، وهم ينتظرون كلمة جمال عبد الناصر .

كان الناس حيارى يتساءلون عما حدث ، ويناقشون الامر فى لهفة
وجزع . وينظرون الى الغد فى قلق
وظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون .

كانت الامور عنده قد وصلت الى حد لم يتوقعه .. فهو في حركته الى المصيدة لم يتوقع الحرب ، وعندما خرجت الامور من يديه واصبحت الحرب امرا محتوما لم يتوقع هذه الهزيمة السريعة المخجلة .. كان يتصور ان القوات المسلحة قادرة على الدفاع ولو تلقت الضربة الاولى ، ولم يتوقع لقيادتها هذا الانهيار .

اما الآن وقد ضاع كل شيء ، فقد اعتبر نفسه مسئولا عما حدث ، وقرر ان يتنحى عن سلطاته ، وان يضع نفسه تحت تصرف الجماهير . يقول محمد حسنين هيكل اقرب الصحفيين اليه ان عبد الناصر اتصل به يوم الخميس ٨ يونيو وابلفه بقرار التنحي ، وكان رأيه ان يتنحى لشمس بدران وزير الحربية ، حتى يجنب البلد مشكلة الصدام بين القوى السياسية والعسكرية .

كتب هيكل خطاب التنحي وترك محل الاسسم فارغا لم يكتب شمس بدران .. وأوضح لجمال عبد الناصر - حسب قوله - عدم اقتناعه بالتنحي لشمس بدران . وبعد مناقشة استقر الرأي على زكريا محيي الدين على أساس انه أقدم اعضاء مجلس القيادة الباقية ، وليس على أساس انه قريب من الغرب كما لاحقته الاشاعات .

كان غريبا ان يفكر جمال عبد الناصر في ان يخلفه شمس بدران، وليس هناك من تبرير لذلك الا اعتقاده في هذه اللحظة ان شمس بدران هو الشخص الوحيد القادر على قيادة القوات المسلحة لانه زرع ابناء دفعته في معظم المراكز القيادية الحساسة .. ولكن هذا التفكير على اية حال كان بعيدا تماما عن سلامة تقدير الموقف لصالح مصر ومواجهة الكارثة التي حلت بها . ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التلفزيون كما لم يظهر من قبل . انحزن العميق في عينيه .. والنبرة الهادئة تغطي لكلماته عمقا وثقلا .. قال جمال عبد الناصر :

اقول لكم بصدق - ورغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الازمة - فانني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها ، ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا ان تساعدوني عليه .. لقد قررت ان اتنحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى وان اعود الى صفوف الجماهير أودى واجبى معها كائى مواطن آخر .. ان قوى الاستعمار تتصور ان جمال عبد الناصر هو عدوها .. واريد ان يكون واضحا امامهم انها الامة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر) .

ويقول محمد حسنين هيكل انه كتب في الخطاب (اننى مستعد لتحمل نصيبى في المسؤولية) ولكن جمال عبد الناصر عدل العبارة بخط يده لتصبح (اننى مستعد لان اتحمل المسؤولية كلها)

انتهى جمال عبد الناصر من خطابه الذى بدأ في الثانية الا الثلث .. واستغرق ٢٠ دقيقة ، ولكنه فجر في مصر والعالم الخارجى انعكاسات هائلة .

كان قرار التنحي رغم انه كان نتيجة طبيعية لانهيار القوات المسلحة وتصدد النظام معها ، مفاجئا تماما للجماهير ، التي فقدت في هذه اللحظة التعيسى والخرجة من حياتها ، الزعيم الذى ارتبطت به منذ تحمل المسؤولية ، والذي

عاشت معه أياما جديدة بكلها انتصارات وطنية . ومكاسب اجتماعية .
ومثل الغريق بكاد يفقد طوى الحياة . حرحت الجماهير والخطبة لم
تكتمل بعد الى الشوارع . متجهة الى دار جمال عبد الناصر . تصرح طالبة
منه أن يبقي في موقعه .

وليس صحيحا ما يحاول بعض الادعاء القول به من ان المظاهرات
التي اجنحت شوارع القاهرة كانت مدبرة من حاسب الاتحاد الاشتراكي ،
فهو شرف لاعمد انه يمكن اسباعه في سهولة على عبد السطيم ، الذي هو
أعجز من القدرة على تحريك الجماهير بهذه الصورة الحاشدة .

لم يخرج المظاهرات في القاهرة وحدها . ولم يخرج في المدن فقط .
ولم تقتصر على الجمهورية العربية المتحدة . ولكن المظاهرات قد عمت معظم
مصر وبلاد العربية . وفي هذا حواب على اصحاب هذا الادعاء .
كانت حركة الجماهير في هذه الليلة على امتداد الوطن العربي تسيرا عن
احساسها بخطر يهدد نورها جعلها تدفع في صوره قد يبدو عاطفة ولفائية
ولكنها في الحقيقة كانت ذات مضمون أعمق من ذلك . كانت البارح في لحظة
وارادة الشعب في موقف . نشبت الجماهير بالزعم الذي لحقته الرزيمة . .
ولم يكن الناس قد اكتشفوا بعد بشاعة الحساره .

وكان عبد الحكيم عامر ينظر أن يشير جمال عبد الناصر الى استقالته
معه ، ولما لم يسمع ذلك اصل ليفونيا بمحمد احمد السكرتير الخاص لجمال
عبد الناصر ، وطلب منه ان يدخل ورقة الى عبد الناصر وهو يذيع البيان يبلغه
فيها ان المشير سوف يذهب الى الاذاعة لاعلان استقالته . وقد اسار عبد الناصر
بعدم الذهاب ، وقد اخفت صورة عبد الناصر عن شاشة التليفزيون في هذه
اللحظات القليلة .

ونصادف ان كنت مع زميلي وصديقي صلاح حافظ نائب رئيس تحرير
روز اليوسف في ذلك الوقت نجوب القاهرة بحثا عن مسئول نعرف منه حقيقة
الموقف ، ومررنا على وزارة الارشاد طلبا لمقابلة محمد فايز الذي كان قد اتجه
ومعه كل الوزراء والمسؤولين الى منزل عبد الناصر . وجدنا على خشبة
وكيل وزارة الارشاد عند الباب الخارجى لمدخل الوزير منتظرا حضور المشير
عامر . ثم حضر اليه بعض ضباط الجيش وأبلغوه أن المشير لن يحضر ولن
يسمح له باذاعة استقالته بنفسه .

وعندما تبين للمشير انه قد يمنع من اذاعة استقالته أرسلها الى وكالة
الانباء ، فاذا عنها مع استقالة شمس بدران أيضا .

بعد دقائق من اذاعة بيان النسخ كانت الشوارع قد امتلأت بمشترات
الالوف الذين هرعوا الى دار عبد الناصر بمنشية البكري، وظلت القاهرة ساهرة
طوال الليل تنتظر اشراق الصباح . والليل مظلم والانوار مطفئة والجو رهيب
. . وطلقات المدفعية المضادة للطائرات هي الصوت الوحيد الذي يعلو على
صيحات الناس وهتافاتهم ومناقشاتهم .

كان ممكنا ان تحترق القاهرة في هذه الليلة التي خلت فيها من المسؤولين
الذين توجهوا جميعا الى بيت عبد الناصر ، الذي قبع في غرفة نومه يسمع
حشود الناس ، وهو يتناول حبة منومة تنقذه من الجهد وتوتر الاعصاب .
كانت الاوامر قد صدرت لوحملات المدفعية المضادة باطلاق بعض الطلقات

اشعارا للناس بخطر مايمكن ان يقدموا عليه من اعمال مرتجلة غير محسوبة .

ولكن عشرات الالوف تصرفوا بحكمة ووعي ومسئولية .. الهتافات تقول (ناصر ناصر .. لا رئيس الا ناصر) - (ارفض ارفض يا زكريا ، عبد الناصر مايه الماية) - (سجل سجل ياسادات احنا اخترنا جمال بالذات) - (مكتوب على قلوبنا ، عبد الناصر محبوبنا) - (وحياة السد لأقول الجد .. بعد عبد الناصر مافي حد) - (يا أمريكا لى فلوسك عبد الناصر جاى يدوسك) (مكتوب على سلاحنا .. عبد الناصر كفاحنا) .. (ماتقوليش ماتقوليش .. عبد الناصر غيره مفيش) .

زكريا محبى الدين فوجيء تماما بتنازل جمال عبد الناصر له ، وصمم على الرفض وأصر على اذاعة بيان بذلك .. وكان بعض الافراد قد حاولوا الاعتداء على محمد فايق وزير الارشاد وهو يدخل بيت عبد الناصر اعتقادا منهم بأنه زكريا محبى الدين .

لم يتفرق الناس طوال الليل ، وأصبح واضحاً ومؤكداً ان الشعب يرفض تنحي عبد الناصر ، وأنه لابد من جديد في الموقف .

اجتمع مجلس الوزراء فى ساعة متأخرة من الليل ، وأصدر بياناً بالاجماع يطالب فيه بأن يبقى جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية وأذاعت الاذاعة بعد ذلك بياناً من جمال عبد الناصر الى المواطنين يناشدتهم فيه ان يحافظوا على الهدوء وان يعود كل منهم الى اداء واجبه .

ولكن الناس فى الاقاليم كانوا قد بدأوا يتجهون الى القاهرة ايضا . واجتمع مجلس الامة فى الصباح واتخذ قرارا ببقاء عبد الناصر فى موقعه رئيساً للجمهورية .. وفى الواحدة الا الثلث يوم ١٠ يونيو كان الناس قد احاطوا بالمجلس من كل جانب عندها افتتح انور السادات رئيس المجلس الجلسة قائلاً : ان جمال عبد الناصر لا يستطيع الوصول من داره الى مجلس الامة بسبب الزحام الشديد ثم قرأ انور السادات نص الكلمة التى ابلغها الرئيس بالتليفون الى أعضاء المجلس ويقول فيها :

انا لا أستطيع الا ان امتثل لارادة الشعب ، وسوف اهبه كل قواى حتى النفس الاخير ، وسوف ابقى فى منصبي حتى تتم تصفية اثار العدوان ولا بد ان نستخلص الدروس مما حدث) .

هدأت أنفاس الشعب ، وبدأت جموعه تنصرف بعد ليلة حافلة بالقلق والحزن والتوتر .

وبقى جمال عبد الناصر فى موقعه .. لم تستطع الهزيمة على فداحتها أن تقتلعه من مكانه او تهدم نظامه .. وهكذا لم تحقق الحكومة الاسرائيلية هدفها تحقيقاً كاملاً ، فقد نجحت عسكرياً ، ولكن اعلام العرب البيضاء لم ترتفع استسلاماً .

طويت صفحة الهزيمة شديدة السواد ، لتفتح صفحة جديدة فى حياة الشعب يجابه فيها المستقبل ، ويعبر نقطة تحول تاريخية فى ازمة الشرق الاوسط. وما كان للشعب ان يستكين للامور كما كان الحال قبل ٥ يونيو ، فقد

افاقت الناس من صدمة الهزيمة . وما عادوا يركنون الى الصمت (طالما
عبد الناصر موجود) .
وكانت هذه هي بداية رفض الهزيمة

التغيير

ارتفع شعار التغيير منذ اللحظة الاولى .
وكانت القوات المسلحة قد اصبحت بلا قيادة . . وعندما استجاب جمال
عبد الناصر لارادة الشعب واسترد تنحيه يوم ١٠ يونيو ، ذهب عدد من كبار
الضباط في نفس اليوم الى المشير عبد الحكيم عامر يطلبون منه العودة الى
منصبه . وبعد نقاش طويل وعدهم بذلك ، فطلب اليه الضباط ان يتوجه
الى مكتبه في صباح اليوم التالي . . ولما وافقهم على ذلك قاموا بتوزيع
الشربات كما يقول احد الذين حضروا هذا اللقاء .
ولكن المشير لم يذهب الى مكتبه في اليوم التالي ، وأصر هو وشمس
بدران على البقاء بعيدا عن السلطة لانه حسب تعبيره (البلد خربت ولا يمكن
حتنحل الازمة) .

ويقول شمس بدران أنه حاول اقناع المشير بالذهاب الى قصره
اسطالابحافظة النيا.نجبالجو المجاملات ونفاق الضباط الذين احاطوا به .
ولكن المشير لم يطق البقاء هناك طويلا .

يوم ١١ يونيو لم تكن في القوات المسلحة فرقة واحدة كاملة التنظيم
ولم يكن هناك تشكيلات متماسكة . . وكان الاسرائيليون على بعد ١١٠ كيلو
من القاهرة . . ومدرعات الحرس الجمهوري كانت قد اتجهت الى منطقة
القنال .

وبادر جمال عبد الناصر وقد عاد له نفوذه الكامل على القوات المسلحة
من جديد يجرى تغييرات جذرية في القيادات العليا .

وسجل يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ بداية مرحلة جديدة .
وأعلنت اذاعة القاهرة في نشرة الثانية والنصف يوم ١١ يونيو تعيين
الفريق اول محمد فوزي قائدا عاما للقوات المسلحة . ومذكور ابو العز قائدا
للقوات الجوية واحالة الفريق اول سليمان عزت قائد القوات البحرية ومحمد
صدفي محمود قائد القوات الجوية وزملائهما من نفس الرتبة احمد حليم امام
وهلال عبد الله هلال وعبد المحسن مرتجى ، وجمال عفيفي وانور القاضي .
واللوات عبد الرحمن فهمي وعثمان نصار وحزمة البسيوني واسماعيل ليب
الى المعاش .

(يلاحظ ان الجيش قد خلا بذلك من جميع الضباط الذين حصلوا على
رتبة فريق اول وان الاصدقاء المقربين للمشير قد ابعادوا ومعهم اللواء
ذو السمعة الفاسية السيئة حمزة البسيوني الذي اقترن اسمه بالتعذيب
عندما كان مديرا للسجن الحربى .

كان هذا التغيير يعتبر حدنا هاما في القوات المسلحة ، ولكنه وحده
لم يكن كافيا . . فقد كان كبار الضباط يشكلون فئة متماسكة بعيدة عن روح

وأمال ثورة يوليو .. ولكنه كان بمثابة البداية ، حيث ان هؤلاء القادة قد استقروا في مراكزهم رغم أخطائهم التي احتسبت على بعضهم أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ .

ولم يقف التغيير عند حدود القوات المسلحة ، فقد ركن جمال عبدالناصر كل السلطات في يده .. أصبح أميناً عاماً للاتحاد الاشتراكي بدلا من على صبرى .. واصبح رئيسا للوزراء في نفس اليوم ١٨ يونيو ١٩٦٧ .

الوزارة الجديدة التي رأسها عبد الناصر كان فيها ١٨ وزيرا من الذين كانوا ضباطا في القوات المسلحة ، عشرة مدنيين ، وهذا يعنى زيادة نسبة الضباط في الوزارة عن وزارة صدقي سليمان التي سبقنها والتي كانت تضم ١٥ ضابطا . ١٧ مدنيا من بينهم ٣ نواب وزراء .

مازال جمال عبد الناصر يعتمد على زملائه ضباط القوات المسلحة السابقين .. ولم يعد هناك نواب لرئيس الجمهورية .. اصبح زكريا محيى الدين نائبا لرئيس الوزراء وحسين الشافعى نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف والشئون الاجتماعية ، وعلى صبرى نائبا للرئيس ووزيرا للادارة المحلية ، وصدقي سليمان وزيرا للصناعة والكهرباء والسد العالي .

وعين يعد ذلك عبد المحسن ابو النور أميناً مساعدا للاتحاد الاشتراكي وفي ٢٢ يوليو عين أمين هويدى وزيرا للحربية واقتصر عبد الوهاب البشري على الانتاج الحربى .. وكان قد عهد الى أمين هويدى بالاشراف أيضا على ادارة المخابرات العامة بعد احالة صلاح نصر الى المعاش .

لم يكن هذا التغيير كافيا عند الجماهير التي أدركت مع الوقت ونكشف الحقائق . ان الانهيار لم يكن كامنا في القوات المسلحة وحدها ، ولكنه كان موجودا في بقية الاجهزة والمؤسسات بدرجات مختلفة . وان بقاء الوجوه القديمة وتغيير مواقعها مثل قطع الشطرنج لا يعد في ذاته تغييرا مقبولا عند الجماهير .

كانت الجماهير نعطش الى تغيير تنمو فيه الروح الديمقراطية ، وتنطلق طاقات الجماهير ، وتشارك فيه الطبقة العاملة والفلاحون مشاركة حقيقية في السلطة .

كانت الجماهير نعطش الى تغيير حقيقى يمكنها من مواجهة كارثة الهزيمة والتغلب على آوارها .

ولكن التغييرات التي حدثت في الاسابيع الاولى بعد عودة عبد الناصر لم تكن كافية لاثناع رغبات الجماهير .

ولم يكن العير يعنى مزيدا من تركيز السلطة في يده في وقت تضخمت فيه المسئوليات ، واصبحت هناك هموم شديدة فاسية يتحملها الزعيم الذى اصر الناس على بقائه في قمة السلطة .

وكان ممكنا ان نخفى في هذه الفترة أضخم الاسماء من موقع المسئولية دون ان يور ساؤل او بهنز انسان .

وكانت الفرصة مباحة لبعث الحياة في الاتحاد الاشتراكي وفي طليعة الاثناكيين . وقد حدث فعلا ان انضمت بعض الشخصيات الى لجنة القاهرة للانحاد الاثناكي التي كان أمينها العام عبد المجيد فريد .. انضم اليها احمد

بهاء الدين وفتحى غانم ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور وعدد آخر من الشخصيات المعروفة مثل سيد يوسف وزير التعليم السابق وسمير حلمى وزير الصناعة السابق وغيرهم .

أدت هذه الاضافة الى بعث نوع من الحيوية فى اللجنة . . ولكن ذلك لم يصل الى القاعدة . . كما ان تعيين عبد المحسن ابو النور خلفا لعلى صبرى فى منصب أمين مساعد كان مثيرا للدهشة والتساؤل .

عبد المحسن ابو النور لم يعمل بالسياسة من قبل ولم يكن مرشحا لذلك طوال خدمته التى استمرت فى القوات المسلحة حتى اصبح يتولى منصبا رئيسيا فى الجيش الثانى بدمشق على عهد الوحدة ، وبعد الانفصال عين فى أول وزارة شكلت فى ١٨ اكتوبر ١٩٦٦ وزيرا للإصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ، وبقي فى قطاع الزراعة نائبا لرئيس الوزراء فى وزارات على صبرى وزكريا محيى الدين وصدقى سليمان حتى عدوان يونيو ١٩٦٧ .

صدر قرار خاص فى ٥ اغسطس ١٩٦٧ ليصبح عبد المحسن وزيرا للدولة الى جانب كونه امينا مساعدا . . وكان هذا التعيين فى رأى الجميع مؤشرا للرغبة فى بقاء الاتحاد الاشتراكى على حاله من الجمود . . فلم تكن لعبدالمحسن مزايا تؤهله لتولى هذا المنصب شديد الحساسية والمسئولية سوى انه ليست له (شلة) كما قيل فى ذلك الوقت .

ويبدو ان موضوع (الشلة) كان يؤرق عبد الناصر كثيرا منذ بدأت خلافاته مع المشير وشلتقه فى القوات المسلحة ، فاراد اشخاصا ليس لهم اصدقاء ، وليس عندهم طموح خاص لتكوين (شلة) .

والواقع ان الحياة السياسية فى مركز السلطة كانت تتأثر كثيرا لعدة عوامل شخصية فى الدرجة الاولى ومنها :

١ - ابناء الدفعة اى الذين دخلوا الكلية الحربية فى عام واحد وتخرجوا فيها معا وهؤلاء كانت تربطهم صداقة من نوع خاص وعلاقة اجتماعية وطيدة تستمر الى ما بعد التخرج .

٢ - الشلة وهم مجموعة الاصدقاء الذين تلقى بهم الظروف لاقامة علاقات اجتماعية حول هوايات خاصة فى اوقات الفراغ ومنها على سبيل المثال لعب القمار او تدخين الحشيش او الجرى وراء النساء .

٣ - علاقات النسب وهى تظهر غالبا كتمرة للتواجد فى عمل واحد يفرض علاقات اجتماعية تؤدى الى المصاهرة وبالتالي الى التماسك وتبادل المصالح .

كان ضهور امل التغيير الى الحد الذى يعين فيه عبد المحسن ابو النور مسئولا رئيسيا فى الاتحاد الاشتراكى ، صدمة لكل الذين التهب صدورهم بهامسة الهزيمة ، وما عادوا يطبقون الصمت .

أما امانة طليعة الاشتراكيين التى كان مفروضا انها تمثل القلب فى الجهاز السياسى فانها توقفت عن الاجتماعات مطلقا ، وكانها أصيبت بسكتة قلبية .

كان التوقف عن الاجتماعات مؤشرا اكيدا بعدم الرغبة فى بعث النشاط فى (طليعة الاشتراكيين) التى كانت هى الامل فى أن تتحول الى حزب اشتراكى

حقيفى فى يوم من الايام .

وهكذا ضاعت فرصة التغيير . . بل لعلها كانت موجودة ولم يقدم عليها جمال عبد الناصر لان ذلك فى مضمونه كان يعنى التخلص من معظم الجهاز الذى اقامنه الورة على امتداد سنوات حكمها . . ويعنى ايضا اجبار عبد الناصر على جتياز الطريق الصعب فى اقامة تنظيم سياسى على اسس حزبية يتوافر له كادر قيادى منمرس بدلا من الاستمرار فى الطريق الاسهل . . طريق الاعتماد على المعرفة والعلاقات الشخصية فى تحديد الاسماء التى تتولى مراكز المسئولية .

كان عبد الناصر قد اصبح مرتبطا بهذا الجهاز الذى خلقه خلال سنوات حكمه . والذى ضم افرادا من المخلصين ، وافرادا من الانهازيين والمنحرفين . ولم تكن عيوب الاشخاص وانحرافاتهم خافية على جمال عبد الناصر ، ولكنه كان يحتفظ بهم فى مراكزهم طالما انهم يظهرون الولاء لشخصه والخضوع لارادته . . ولعل معرفته بالعيوب والانحرافات واشعار اصحابها بذلك كان بدفعهم الى مزيد من اظهار الولاء ، والضعف فى مواجهته ، خشية اقتضاح أمرهم .

ولم يكن هذا فى طبيعته اسلوبا سليما لاختيار المعاونين . فليس مفروضا ان يكون مقياس الوطنية ، هو درجة الولاء لشخص الزعيم وذوبان الارادة والرأى الخاص اثناء التعامل معه .

ولكن ١٤ عاما من انفراد جمال عبد الناصر بالسلطة ، وتعاون هذا الفريق من الافراد معه ، قد جعله مستكينا وراضيا بهذا الاسلوب من اساليب الحكم . .

ولذا كانت المطالبة بتغيير جذرى ، ليس من تنقلات الافراد فقط ، وانما فى طبيعة تكوين النظام وقيادته بما يسمح بخلق نوع من التفاعل الديمقراطى الحى فى قمة السلطة ، وبين الجماهير . . كانت المطالبة بذلك اكثر مما يمكن لجمال عبد الناصر ان يقوم به : وخاصة ان الهزيمة قد اطلقت اعداء النظام واعداء التقدم والاشتراكية من جحورهم ، وبدأوا حملة نقد وتشهير استغلوا فيها ماكانت تظهره الايام من فساد فى قيادة القوات المسلحة ، وما كان يلმسه الناس من بعض الفساد فى قطاعات أخرى .

موجة النقد والتشهير التى شنتها الطبقات المتربصة . لاشك انها كانت عاملا من اهم العوامل التى ادخلها جمال عبد الناصر فى تقديره للموقف . . فهو يدرك اكثر من غيره مدى ماتعرض له النظام من شرخ ، وقسوة مايواجهه من مستقبل فى مصر . . ويدرك ايضا انه قد اصيب بجرح نافذ يؤثر على صورته امام الجماهير .

خشى عبد الناصر ان يقدم على نغير مجهول النتائج . . وآثر ان يمضى بأسلوبه القديم معتبدا على رجاله السابقين . عندما واجه الجماهير لأول مرة بعد الهزيمة يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ اثناء انعقاد المؤتمر العام للاتحاد الاشتراكى بقاعة احتفالات جامعة القاهرة . قال لهم فى صراحة : (انتى مسئول عن كل شىء) .

ولكن التصفيق احاط بكلمانه . واطهر الامور فى ثوبها القديم . . وكان

شيئا لم يحدث .

كانت خطب جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة هي العامل الوحيد الذي يهدى غليان الجماهير . . ويوجب على بعض تساؤلاتها . . ويجدد في نفسها الأمل .

كانت الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية في حيرة من أمر هذا الشعب الذي استوعب الهزيمة القاسية واحتفظ بالمسئول الاول عنها قائدا وزعيما في المرحلة القادمة ولذا فانهم حاولوا نمزيق الجبهة الداخلية مستندين الى بعض عناصر الطبقات الذابطة المتربصة ومعتمدين على الفراغ السياسي الذي لا يشغله تنظيم سياسي قادر على تعبئة الجماهير وحشدها . قال جمال عبد الناصر لشعراوى جمعة بعد خطبة في مجلس الامة :

— اياك الخطبة دى تهدى الناس ولو شهرين
كان هناك سباق بين جمال عبد الناصر في محاولته لاعادة الاستقرار والهدوء في المجتمع . . وبين عوامل الاثارة والغليان المتجددة .

وقد حرص جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة على ألا يشعر الناس بضائقة اقتصادية ، فاهتم بالمواد التموينية ، وامنأت المجمعات الاستهلاكية بمعظم ما يحتاج اليه الناس بأسعار في متناول اصحاب الدخول البسيطة . وقد أسهمت الدول الاشتراكية في ذلك بتقديم معونات كثيرة هدية من شعوبها الى الشعب المصرى في محنته .

كان التغيير عند عبد الناصر (قضية حائرة) تماما مثل (النغمة الصحيحة) التي يجب ان تضى فيها الاذاعة واجهزة الاعلام .
الناس تعيش في اعتقاد انه يمكن رد الهزيمة فى اقرب وقت ممكن . .
وأن كل تضحية فى سبيل هذا الهدف تهون .

ولكن مصر أصبحت بلا قوات مسلحة تقريبا . . الطيران ضاع والجيش تمزقت وحداته . . ومع ذلك فشعور الثار يتاجح فى صدور الناس يقبلون الاظلام فى الشوارع وعندما تضاء بعض الأنوار يعتقد البعض أن فى هذا نوعا من النهاون أو التفریط . . الاذاعة تذيع الاناشيد والاغنيات الوطنية وعندما تذاع اغنية عاطفية يقول البعض بأن هذا دليل على أن روح الثار قد خمدت وان هناك اتجاها للاستكانة وقبول الوضع الراهن .

لم تصدر الحكومة منذ الثورة قرارات ترفع فيها أجور بعض الخدمات مثل المواصلات والتليفونات والبرقيات وغيرها وتعرض ضرائب جديدة ويقابلها الناس بهدوء . . بل وترحيب مثلما حدث فى القرارات التى أصدرتها الحكومة فى شهر يوليو ١٩٦٧ .

كان الشعب مستعدا للمساهمة بكل ما يملك من أجل استرداد كرامته واسترجاع أرضه ، وتغيير أسلوب النظام .
ولكن التغيير لم يتحقق فورا . . ولن يتحقق أيضا بللمسة سحرية .

البذرة وضعت فى صدور الناس مع الهزيمة . . وترددت فى اقوالهم . . وأصبحت قضية النظام .

وإذا كان عبد الناصر لم يحدث في المجتمع التغييرات المنشودة ٠٠ فإنه بدأ في مواجهة الموقف بعد الهزيمة المشينة بصلاية واضحة ، وإصرار على تحقيق ثقة الجماهير به .
وكانت خطوة البداية في رفض الهزيمة ٠٠٠ هي إعادة بناء القوات المسلحة .

إعادة بناء القوات المسلحة :

كان القادة السوفييت بريجنيف وبودجورنى وكوسيجين قد أرسلوا خطابا الى جمال عبد الناصر يوم ١٠ يونيو ١٩٦٧ أعلن عنه أمام المبعوثين في حديثه معهم يوم ١٦ يونيو ١٩٧٠ عندما قال انهم (طلبوا فيه أن نصمد ولا نستسلم وانهم مستعدون لتعويضنا — مجانا — عن جميع الأسلحة التي فقدناها في حرب يونيو) .

كان هذا الخطاب هو بداية مساندة السوفييت بعد الهزيمة لجمال عبد الناصر ونظامه التقدمي ٠٠٠ وكان وعدهم بالتعويض المجاني عن جميع الأسلحة التي فقدتها القوات المسلحة رغم ضخامتها هو نقطة الانطلاق لإعادة بناء القوات المسلحة بعد أن تمزقت وتشتت تشكيلاتها .

قال لى الفريق أول محمد أحمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية فى ذلك الوقت ان الأسلحة السوفيتية بدأت تتدفق بعد أيام من الهزيمة .

وسمعت أنور السادات يتحدث فى مجلس الامة مع طلبة كلية الهندسة أثناء فترة اعتقالهم فى فبراير ١٩٦٨ فيقول ان الاتحاد السوفيتى قد أقام جسرا جويا سريعا لتعويض القوات المسلحة المصرية فور الهزيمة بحيث كانت تهبط طائرة سوفيتية كل دقيقتين .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) :

(كانت مئات الطائرات قد بدأت فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفيتى ٠٠٠ أحيانا تأتي فى قوافل جوية فى سباق مع الزمن فى الأيام الاولى بعد النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك ٠٠٠ وبجهد محمود بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات ٠٠٠ فالبعض يدربون فى الاتحاد السوفيتى ، والبعض الآخر يدربون هنا فى القاهرة) .

ووصل بودجورنى رئيس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الى القاهرة يوم ٢١ يونيو بعد عشرة أيام فقط من رضوخ جمال عبد الناصر لارادة الشعب والعدول عن التحدى . حضر بودجورنى ومعه زاخاروف رئيس أركان حرب الجيوش السوفيتية ، وعاد بودجورنى بعد انتهاء زيارته وبقي زاخاروف فى مصر لمدة تزيد عن الشهر لتقديم كل عون ممكن فى المراحل الشاقة لإعادة تكوين وتنظيم القوات المسلحة .

وكانت هذه الفترة فعلا من أقسى الفترات على نفسية الزعيم الذى أخطأت حساباته ، وخسر قواته المسلحة .

يقول أنطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قد اعترف له بأن الاسابيع التى تلت النكسة كانت نهثا له كابوسا مستمرا . فقد كانت الخسائر الشديدة فى الأسلحة والمعدات والرجال تجعل القاهرة مدينة مفتوحة وأنه لو قرر الاسرائيليون الهجوم عليها فانه لم تكن هناك قوات مسلحة قادرة على صددهم .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى انه وجد جمال عبد الناصر على غير عادته شاردا مهموما لا يكاد يتبين طريق المستقبل ، وأنه حاول جاهدا خلال جلسته معه ان بشعره بثقة الجماهير به ، وأن يؤكد له ان خسارة المعركة الحربية رغم جسامتها لا تعنى النهاية للنضال ولا خاتمة النظام .

وقال لى محسن ابراهيم المسئول فى حركة القوميين العرب ان عبد الناصر فى هذه الفترة كان يبدو أكثر مرونة واستجابة للمناقشة . . . وأنه كان حريصا على تلمس الطريق للخروج من الازمة .

وكان الانان قد قابلا جمال عبد الناصر ضمن مقابلاته لعدد من القادة والمناضلين العرب .

وفى الفترة التى بدأ فيها إعادة تكوين القوات المسلحة فكر جمال عبد الناصر فى احياء المقاومة الشعبية التى كانت مسئوليتها قد أوكلت الى زكريا محيى الدين، يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ الذى سبق له ان يآثر هذه المهمة أثناء العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ ، ولكنه فى هذه المرة لم يك يدرس اسلوب تكوين المقاومة الشعبية ويبدأ فى تحديد الخطوط العريضة لتنظيمها حتى كانت المعركة قد بدأت وأنتهت .

اختار جمال عبد الناصر زميله السابق فى مجلس قيادة الثورة كمال الدين حسين الذى استقال عام ١٩٦٤ ليكون قائدا للمقاومة الشعبية . . وكانت له بها خبرة سابقة أثناء توليه مسئوليتها أثناء العدوان الثلاثى ١٩٥٦ فى مدينة الاسماعيلية .

ويقول كمال الدين حسين ان جمال عبد الناصر قد استدعاه وقال له ان الاسرائيليين يمكن ان يدخلوا القاهرة خلال اسبوع وطلب منه تولى مسئولية المقاومة . . . فاستمهل للتفكير . . . ولكنه طلب منه الجواب فى نفس اليوم .

وبعد تشاور كمال الدين حسين مع زملائه المستقلين جمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم اتفق الجميع على ان يذهب اليه كمال حسين فى الموعد المحدد . وأن يدخل معه فى مناقشته عن أعطاء الحريات للشعب مع الأمن والاستقرار دون أن يبلغه بالموافقة أو الرفض .

وذهب كمال حسين لمقابلة جمال عبد الناصر حيث ناقش معه تقريرا سبق أن كتبه كمال بعد الهزيمة من ١٥ صفحة ويقول فيه ان مفتاح الموقف فى يد أمريكا وليس فى يد الاتحاد السوفييتى وأنه يجب أن نحسن موقفنا

معها وذلك بالنسبة للسياسة الخارجية ٠٠٠ وبالنسبة للسياسة العربية فيجب أن ننسى الماضي ونعد أيدينا لدول البترول دول الخليج والسعودية وإيران ٠٠٠ نلم شمل العرب كلهم حتى يستخدموا سلاح البترول في الضغط على أمريكا ، كما قلت له أن مصر في حاجة الى ابنائها المقاتلين في اليمن ، وأنه يجب أن ننسحب من اليمن .

ويقول كمال الدين حسين انه واصل مناقشته مع عبد الناصر حول الامن والحرية والديمقراطية من وجهة نظره ، وانتهى الامر الى عدم الاتفاق .

وصدر في نفس اليوم قرار بتعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية .

كان التجاء جمال عبد الناصر الى كمال الدين حسين في هذه المرحلة دليلا على أنه كان يعبر فترة ضعف نفسى يدفعه للاستعانة في مركز حساس من مراكز العمل الجماهيرى الى زميل سابق له ظهرت اتجاهاته المعادية للاشتراكية التى انتهجتها الثورة ، وظهرت معارضته للواجبات والالتزامات الثورية التى تفرضها القومية العربية على ثورة يوليو .

كان ضيق الحلقة التى اعتمد عليها عبد الناصر فى فترة حكمه هي السبب الذى يحد من حريته فى الاختيار ٠٠٠ وربما تصور فى هذه الفترة المضطربة أن عودة كمال الدين حسين الى الاضواء وهو المعروف بصلاته السابقة مع جماعة الاخوان المسلمين ، والمشهور باتجاهاته الدينية المحافظة امر قد يرضى الطبقات والفئات المتربصة بالثورة والتى بدأت تنشط فى توجيه سهامها المسمومة منتهزة فرصة الهزيمة وما تكشف عنها من اخطاء وانحرافات .

لعبة التوازن مازالت مستمرة تفرض نفسها .

ورؤية كمال الدين حسين للموقف حسب ما ورد على لسانه فى التقرير الذى رفعه بعد الهزيمة والذى اشرت اليه كما ورد فى كتاب (الصامتون يتكلمون) تدل على رفض مطلق لكل لاتجاهات التقدمية ، ورغبة شديدة للتعاون مع الامبريالية الامريكية التى تحتضن الصهيونية التوسعية ، والتى تخضع لها الدول البترولية التى ينادى أيضا بتحسين العلاقات معها .

أما تعيين عبد المحسن أبو النور قائدا للمقاومة الشعبية أيضا الى جانب عمله أميناً مساعداً للاقتصاد الاشتراكي فهو اثبات بأن فرصة الاختيار كانت ضيقة جدا ٠٠٠ وأنه لم تكن هناك نية جادة حقيقية لخلق مقاومة شعبية تنبع من ارادة الجماهير وتعبر عن اصرارها على التحرير .

ولكن ما حدث فى المقاومة الشعبية يختلف عما حدث فى القبوات المسلحة ، فقد كان العمل يسير بجدية شديدة فى اعادة التسليح والتدريب والتنظيم .

انفصلت قيادة الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية .

ويقول امين هويدى فى كتابه :

(تم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفييتى من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص فى بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من اسواق السلاح العالمية . واخذت اسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفييتى ، فعلاوة على الصواريخ سام ٢ ، سام ٢ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ . سام ٧ مما كان سببا فى تدعيم القدرة القتالية لدفاعنا الجوى . هذا علاوة على الوحدات الاليكترونية التى تعمل فى المجالين الدفاعى والهجومى) .

ويؤكد جمال عبد الناصر ذلك للمبعوثين فى حديثه معهم يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ فيقول :

(فيه حاجات ماكاناش نعرفها ادو هالنا ، والحقيقة بدون معونة الاتحاد السوفييتى كنا حنكون كلبة تحت رحمة اسرائيل . لان طبعا كان من السهل عليهم ان يعبروا الى الضفة الغربية من القناة ويتقدموا للقاهرة اما الآن فهذا امر مستحيل عليهم .

وقال جمال عبد الناصر ايضا انهم قد عملوا لنا نوعين من طائرات الميج معدلين حسب طلبنا النوع الاول عام ١٩٦٨ والثانى نم عام ١٩٦٩

باشر جمال عبد الناصر عملية اعادة بناء القوات المسلحة بنفسه ، وعاد الى تركيز اهتمامه عليها كما كان يفعل فى سنوات الثورة الاولى واعتمد اساسا فى عمله على الفريق اول محمد فوزى والفريق عبد المنعم رياض الذى عين رئيسا لاركان الحرب وفريق من الضباط خريجي الاكاديمية العسكرية السوفييتية فى فرونز .

خلق فوزى فى الجيش روحا من الجدية والانضباط والاهتمام بالتدريب وصدق التعاون والاستفادة من الخبراء السوفييت ، بعد ان كان محظورا عليهم فى عهد ما قبل الهزيمة ان يعبروا القناة الى سيناء . فلم يكن هناك خبير سوفييتى واحد فى سيناء اثناء القتال والانسحاب .

موقف السوفييت :

اذا كان المثل العربى يقول (الصديق يعرف وقت الشدة) فقد عرف العرب السوفييت وقت الشدة فوجودهم اصدقاء يقفون الى جانبهم بلا شبهة تردد .

يقول الفريق صلاح الدين الحيدى فى كتابه (شهاد على حرب ١٩٦٧) :

(ان الاتحاد السوفييتى قام بلاشك بتقديم اكبر عون لنا منذ بدء علاقاتنا به وشمل هذا العون كافة النواحي السياسية والاقتصادية والعسكرية ولا استطيع ان اتخيل كم يكون موقفنا صعبا لو لم تكن هذه العلاقة موجودة ووثيقة ولاسيما بعد تدمير معظم اسلحتنا وقواتنا الجوية

فى يونيو ١٩٦٧) .
ولكن التعاون مع السوفييت لم يقتصر على تقديم السلاح فقط . . .
ولكنه امتد الى تقديم الخبراء والمستشارين بأعداد وغيرة بناء على طلب
جمال عبد الناصر والحاحه بعد الهزيمة .
كان جمال عبد الناصر قد وجد ان خروجه من كارثة الهزيمة لن يكون
الا بمزيد من الارتباط والسعاون مع الاتحاد السوفيتى .

طلب من بودجورنى وزخاروف اثنى عشر زيارتهما لمصر الخبراء
والمستشارين الى جانب السلاح ، ويقول ناتنج انه طلب وجودهم فى كل
لواء او كتيبة لو أمكن ذلك .
قال لى حنين هيكى انه عندما طلب جمال عبد الناصر من السوفييت
نولى مسئولية الدفاع الجوى أبلغه بودجورنى ان ذلك لا يتم الا ضمن اجراءات
دستورية ومعاهدة .

واقترح جمال عبد الناصر على بودجورنى عقد اتفاقية دفاع مشترك
بين مصر والاتحاد السوفيتى اذا كان الامر كذلك ، كما صرح بذلك للشهيد
الفاضل عبد الخالق محجوب ، ولكن رد الاتحاد السوفيتى كان سلبيا
بالنسبة لعقد هذه الاتفاقية نظرا لحساباتهم الخاصة فيما يتعلق بقضية
الرفاق العالمى والتعاضد السلمى التى كانوا يناضلون من أجل تحقيقها مع
الولايات المتحدة ضمانا لاستقرار السلام العالمى من جهة ولطبيعة
العلاقات بين الدول الاشتراكية ودول منطقة التحرر الوطنى التى لم تكن تسمح
حتى هذا الوقت بقيام هذا النوع من الاتفاقيات .

ولكن رفض عقد الاتفاقية لم يثبط همة عبد الناصر فى طلب المزيد
من الاسلحة السوفيتية المتقدمة ومعها الخبراء والمستشارون .
ويقول ناتنج ان السوفييت قد رسموا حدود مساعداتهم فيما يقدمون
من اسلحة أو مساعدات تموينية أو اتفاقيات اقتصادية لان كوسيجين
قد صدم اثناء زيارته لجونسون بالشعور العميق المؤيد لاسرائيل فى أمريكا
عامة . وفى جهاز حكم جونسون خاصة ، الامر الذى بعث الحذر والخوف فى
نفسه من احتمال تعرض الاتحاد السوفيتى لمواجهة مع الولايات المتحدة اذا
ما وافق الاتحاد السوفيتى على الارتباطات والاتفاقيات التى تطالب بها
مصر ومع ذلك يقول ناتنج ان حذر كوسيجين لم يحل دون امداد مصر
بما طلبته من اسلحة وخبراء ومستشارين جعلت دفاعات مصر تستكمل
بعد خمسة أشهر من الهزيمة . . .

وقد كلف جمال عبد الناصر الزعيم الجزائرى هوارى بومدين بالسفر
الى الاتحاد السوفيتى ، وكان قد أقام فى مصر بعد الهزيمة مدة تزيد عن
اسبوعين .

سافر هوارى بومدين الى موسكو يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ مع الرئيس
العراقى عبد الرحمن عارف ، ويقول محمد حنين هيكى فى كتابه (الطريق
الى رمضان) انها عندما قابلا بريجنيف قال لهما :
أؤكد لكما اننى امضيت هنا فى موسكو عدة ليال بلا نوم عندما كانت

نرد اليها اخبار عن احتمال عبور اسرائيل للقناة . وكان واضحا ان هذا ليس أمرا سهلا عليهم لمساعدتنا للعرب وللراى العام العالمى . ولكن كان منصورا احتمال قيامهم بهجوم خاطف نحو القاهرة . وهر أمر يجلب العالم الى حافة الهاويه .

ويقول هيكل أيضا ان بريجنيف قد قدم للرئيسين بيانا بها ارسـله الاتحاد السوفيتى الى مصر خلال اسبوعين وهو ما حملته ١٥ سفينة تبلغ حمولتها ٨٤ الف طن من المعدات الحربية الى جانب ١٥٠٠ خبير .

وقد بقى الماريشال زخاروف فى مصر بعد حضـوره مع بودجورنى وكان يخفى وجوده فى مصر بلبسه ملابس مدنية ، كما ان الرقابة كانت تمنع نشر الصور التى يظهر فيها . . وكان زخاروف صريحا فى قوله ان الجيش المصرى ليس محتاجا الى السلاح بقدر ما هو محتاج الى التدريب .

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد استبقى زخاروف فى مصر حتى بداية شهر نوفمبر . . ثم يسافر الى موسكو الا اياما قليلة لزيارته اسرته والنشاور مع الزعماء السوفيت . . وعندما أنهى مهمته التى كلف بها ذهب الى جمال عبد الناصر ومعه ثلاثة جنرالات من الخبراء والمستشارين السوفيت وقال له ان مصر تستطيع الان ان تدافع عن نفسها ضد أى هجوم اسرائيلى مفاجىء .

ولم يقتصر موقف الاتحاد السوفيتى على امدادنا بالسلاح . ولكنه اتخذ مع كافة الدول الاشتراكية عدا رومانيا موقفا مبدئيا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل وتضامنت يوغوسلافيا أيضا فى اتخاذ هذا القرار .

وكان عدد كبير من القادة المسئولين فى هذه الدول الاشتراكية قد توافدوا على مصر لتقديم المعونات والمساعدات الاقتصادية التى تخفف من أثر صدمة الهزيمة .

ومع ذلك عقد حاولت بعض العناصر الرجعية تخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى فى هذه المرحلة الحرجة . حتى تحرم مصر من أصدقائها الاوفياء . ويستطع غريسة فى يد الصهيونية التوسعية وراعتها الامبريالية الامريكية .

اطلق البعض شائعات بان سبب الهزيمة هو تخلى الاتحاد السوفيتى عن مساعدة مصر . وذلك قفرا فوق كل الحقائق . ومحاولة لايجاد مشجب تطلق عليه الكارثة . فى محاولة استعمارية صهيونية لتجريد النظام من كل مقومات الدفاع عنه .

ونشرت جريدة الاخبار مقالين يحملان هذه الشبهة . واذاغت لندن مضمون هـذين المقالين فى مقدمة نشرة اخبارها بالعربية . . وكان منظرا متبرا للدهشة ان ترسل وزارة الداخلية بعض جنودها لحراسة السفارة السوفيتية فى الدقى فى الوقت الذى كانت فيه الطائرات السوفيتية تشكل

جسرا جويا يحمل الاسلحة والذخيرة والمساعدات الطبية والتموينية .
ولكن سرعان ما مضت هذه المحاولة الاستعمارية اسرع مما تمضى سحابة
الصيف . . . زيدات تتكشف الحقائق . . . فضحت خطة العناصر المعادية
للتورة من فلول الاقطاع والبرجوازية الكبيرة . .
وليس هناك رد على هذه المحاولات ابلغ من ذلك الذى قاله جمال
عبد الناصر تعفيا على ارتفاع ميزانية القوات المسلحة من ١٧٠ مليون جنيه
الى ٥٥٠ مليون جنيه

(ده طبعاً خارج منه موضوع السلاح . احنا ما بندفعش السلاح
الى احنا بناخده . ولكن جميع الاسلحة اللى بنستوردها من الاتحاد
السوفيتى بناء على اتفاقات . والدفع فيها مؤجل حتى بالنسبة للدفع اللى
كان مقرر علينا للاتحاد السوفيتى طلبنا منهم باجيله) . .

قال لى امين هويدى وزير الحربية السابق ان مصر طوال عهد جمال
عبد الناصر لم تدفع تمناً للسلاح الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفيتى ،
فخسائر عدوان ١٩٥٦ استعوضت بلا ثمن . واقساط السلاح بعد ذلك كانت
مؤجل وبوجه للناحية الاقتصادية . وخسائرنا الهائلة عام ١٩٦٧ لم يتقاض
الاتحاد السوفيتى شيئاً من ثمنها . وبدأ فى امدادنا بالسلاح دون دفع
تقديراً منه بظروفنا الاقتصادية بعد النكسة .

هكذا كان موقف السوفيت معنا . .
قبل المعركة . . . نصبح بعدم التورط . .

وبعد الهزيمة . . امداد بالسلاح والمعونات بلا تردد . . وقطع
للعلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع اسرائيل . . ثم تاييد مطلق بلا حدود
للحق العربى فى المجالات الدولية .

ومع ذلك فلا يمكن القول بان هناك نطاقاً وتشابهاً كاملاً فى الموقف
العربى والسوفيتى بالنسبة لازمة الشرق الاوسط . . فلا شك ان للاتحاد
السوفيتى باعباراه ، احدى الدولتين العظميين حسابات خاصة تتعلق بالسلام
العالمى واثره على الحضارة والبشرية وضرورة تفادى المجابهة فى حرب مع
الولايات المتحدة . . كما ان موقفه الاستراتيجى الواضح منذ البداية لم
يكن يستهدف تدمير اسرائيل او ازلتها من الوجود . وانما كان يقف مع
حق العرب فى تحرير ارضهم ومساعدة شعب فلسطين وتأمين كافة دول
المنطقة .

كما ان زعماء المنطقة لهم رؤية خاصة للمشكلة تدفعهم الى ضرورة
حلها فى سرعة قد يكون فيها نوع من الاندفاع غير المحسوب ، والذى قد
يكرر كارثة الهزيمة .

هذا الى جانب اختلاف النظم الاجتماعية . . فالنظام فى مصر لم يكن
شيوعياً . بل ان بعض عواينه تحرم الشيوعية وتنظيمات الشيوعيين . .

والشيوعيون انفسهم كانوا فى المعتلات لم يكتمل خروجهم منها
الا قبل العدوان بثلاث سنوات فقط . هى المدة الوحيدة التى خلت فيها
السجون والمعتلات من المعتنقين للمبادئ الشيوعية منذ قامت حركة

الجيش فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .
ولذا فإن نوعية العلاقة بين اسرائيل والولايات المتحدة كانت تختلف
عن نوعية العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى .

اسرائيل والولايات المتحدة نطبقان النظام الرأسمالى . وحكومة
اسرائيل تعتمد فى وجود الدولة وضمان مستقبلها على العلاقة الوثيقة التى
تربط بينها وبين الدول الامبريالية والتى تدرجت من بريطانيا ، فرنسا حتى
استقرت فى احضان الولايات المتحدة التى نلت اكبر نرسانة حربية . والنس
يتوفر فيها نفوذ سياسى صهيونى قادر على التأثير فى اجهزة الحكم المختلفة
هناك .

اما العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى فانها تختلف من حيث
طبيعتها . فالنظام المصرى يشق طريقه فى محاولة للخروج من قيود
الاستعمار الجديد الى طريق غير رأسمالى يمكن ان يصل به مع الوقت الى
نظام اشتراكى . والعلاقة التى تربطه مع الاتحاد السوفيتى هى علاقة
التعاون المبدئية التى تربط بين شعوب الدول الاشتراكية وشعوب دول منطقة
التحرر الوطنى فى نضالها من اجل التحرر والاستقلال الوطنى . فلس
بين النظامين تشابه كامل فى النثره الاجتماعية . ولا تربطهما علاقة عضوية
مثل العلاقة القائمة بين اسرائيل والولايات المتحدة .

كان موقف السوفيت هو السند الاول لجمال عبد الناصر فى التشييت
برفض الهزيمة تعبيرا عن ارادة الشعب .

أزمة المشير .

كان العمل يمشى جادا وسريعا فى اعادة بناء القوات المسلحة .
تغيرت معظم القيادات العليا التى كانت السبب المباشر فى الهزيمة .
واظهر السوفييت تعاونا مذهلا فى سرعه الامداد بالأسلحة والمعدات مع تقديم
الخبرة والمشورة .

واعطى جمال عبد الناصر لهذه العملية اسبقية اولى ، وجعل لها
افضلية على كل شىء . ولكن بعض المناعب كانت تفرخ داخل صفوف
القوات المسلحة .

ابتعد عامر عن مركز القائد العام بعد ١٤ عاما الايام بالتحديد .
رقى من رتبة صاغ الى لواء وعين قائدا عاما للقوات المسلحة مع اعلان
النظام الجمهورى فى مصر يوم ١٨ يونيو ١٩٥٢ وخرج من مكتبه ليقدم
استقالته يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .

ولم يكن خروج المشير عامر من منصبه امرا سهلا ، فقد احاط نفسه
خلال مدة قيادته بمجموعة من ضباط الرتب العليا الذين ارتبطوا به شخصيا
واستفادوا من علاقتهم به . هذا الى جانب اتجاهاته المعروفة يفتدق على
كل من يلجأ اليه ، ويساعد كل من يقدر على مساعدته من أموال الدولة ،
حتى اصبح شخصية محبوبة بين الضباط .

ولذا كان ابتعاده عن منصبه يشكل صدمة عاطفية لعدد كبير من الضباط الذين لم يحسنوا في لحظتها تقدير الاخطاء التى وقع فيها ، او عمق المأساة التى دفع الوطن اليها . . . اما لانهم كانوا مشاركين فيما حدث . . . واما لان رؤيتهم للامور لم تكن ثاقبة .

وكان خروج شمس بدران من القوات المسلحة فى نفس اليوم مع المشير عامر يضيف مشكلة اخرى ، فقد كانت له سلطته الخاصة فى الجيش النابية من مسئوليته عن الامن ، وتعيينه لمعظم ابناء دفعته فى مراكز قيادية حساسة .

عندما سمع ضباط الرتب العليا خبر تنحى جمال عبد الناصر والمشير عامر طالبوا بعودة الاثنين . . . وعندما سسمعوا خبر عودة ناصر طالبوا بعودة المشير .

كان عبد الحكيم عامر قد خرج من القيادة العامة متوجها الى منزله فى ثكنات الحلمية الجديدة ، وسمع خطاب تنحى عبد الناصر فى سيارته . . . وتجمهر الضباط فى الطابق الاول بينما صعد المشير الى غرفة نومه يحيط به بعض اقاربه واصدقائه المقربين مثل صلاح نصر وشمس بدران .

وكان منزل عبد الناصر ايضا قد امتلأت حديثه وطابقه الاول بعدد كبير من المسؤولين والضباط ومنهم زكريا محيى الدين وانور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وغيرهم .

وقال زكريا محيى الدين لجمال عبد الناصر :
- انت من حقك ان تتنحى ، ولكن ليس من حقك ان تعين رئيسا للجمهورية بدلا عنك . . . وانا لن اقبل هذا التعيين .

وصعد جمال عبد الناصر ايضا الى الطابق الثانى حيث اتصل به عبد الرحمن عارف وهوارى بومدين اللذان فوجئا بخبر التنحى .

وفى اليوم التالى ١٠ يونيو كان جمال عبد الناصر قد عاد رئيسا للجمهورية وغادر المشير عامر منزله الرسمى فى ثكنات الحلمية . . . ولم يذهب الى منزله الاخر المطل على النيل فى شارع الطحاوية بالجيزة ، فقد كان كبار الضباط قد تدفقوا عليه يطلبون عودة عامر مع عبد الناصر .

ذهب المشير عامر الى منزل فى شارع احمد حشمت كان معدا لزواج ابنة احد ضباط مخابرات القوات الجوية ، وذلك حتى يبتعد عن تجمعات الضباط واحراجهم له . . .

ساد الهرج والمرج من الضباط فى منزل عبد الحكيم عامر فى الجيزة وكانهم فى شبه مظاهرة ، ولم ينصرفوا الا بعد ان خرج لهم الفريق صدقى محمود الذى كلفه المشير وقال لهم ان المشير سيتوجه فى اليوم التالى الى مكتبه فى القيادة العامة للقوات المسلحة .

وفى صباح اليوم التالى ١١ يونيو توجه عدد من كبار الضباط الى مبنى القيادة العامة مطالبين ايضا بعودة المشير طالما عاد الرئيس .

وزاد الموقف حرجا عندما خرجت سرية حراسة المشير فى ثكنات الحلمية فى عرباتها بقيادة الرائد احمد ابو نار ، وتحركت الى مبنى القيادة

العامة للقوات المسلحة هاتفة (ناصر ٠٠ عامر) .
وعندما بلغ الامر جمال عبد الناصر غضب لذلك كثيرا ، وكلف صلاح
نصر مدير المخابرات بالتحقيق فى هذا الموضوع ٠٠ وكلفه ايضا بان يركز
اهتماماته على الامن الداخلى الى جانب المباحث العامة .

ومع ذلك فقد حرص جمال عبد الناصر على ابلاغ عبد الحكيم عامر
حيث كان يقيم فى شقة شارع احمد حشمت بالزمالك تبا تعيين محمد فوزى
قائدا عاما ٠٠ وبدا المشير مرتاحا لهذا التعيين لانه رفع عن كاهله مسئولية
كان يريد التخلص منها ، ولو انه علق على ذلك - حسب رواية صلاح نصر -
بقوله : (اختيار غير موفق) .

قرر المشير ان يعتمد عن القاهرة بعد تعيين الفريق محمد فوزى قائدا
عاما للقوات المسلحة ، فسافر مع شمس بدران الى قريته (اسطال)
بمحافظة المنيا ، فى مساء ١١ يونيو ، وعندما علم جمال عبد الناصر بذلك
طلب منه العودة حتى لا تحدث بلبلة فى صفوف الجيش ، واستجاب عامر
لذلك وعاد الى القاهرة .

وكانت هناك لجنة قد تشكلت لاعادة النظر فى موقف كبار الضباط
برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية زكريا محيى الدين ومحمد فوزى القائد
العام ومذكور ابو العز قائد القوات الجوية واللواء ابو ذكرى قائد القوات
البحرية وصلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وكاتم اسرار حربية .

واستقر رأى هذه اللجنة على اخراج عدد من القادة وما ان علم المشير
عامر بذلك حتى اعتبر القرارات نوعا من التصفية ، وقرر العودة مرة اخرى
الى قريته (اسطال) .

وبعد ايام عاد شمس بدران الى القاهرة ، واتصل بجمال عبد الناصر
مدعيا ان المباحث العامة تراقبه وقال له غاضبا كما قال صلاح نصر (انا
لست خائنا حتى اعامل هذه المعاملة غير الكريمة ٠٠ اننى لو اردت ان اعمل
انقلابا لعمليته وانا فى بيتى) .

غضب جمال عبد الناصر من هذه الحادثة التى تحمل روح التحدى فى
وقت لم تكن فيه تنظيمات الجيش قد استقرت على اسس جديدة سلبية ،
وكلف صلاح نصر بتهدئة شمس بدران تفاديا لما يمكن ان يسفر عنه الموقف
فى هذا الوقت الحرج .

وعاد المشير ايضا الى القاهرة ، وتلمس جمال عبد الناصر خطرا فى
هذا التجمع ، وخاصة ان مجموعه من الضباط العاملين او الذين احيلوا
للتقاعد بدأوا يترددون على منزل المشير .

وكلف جمال عبد الناصر صلاح نصر بأن يعرض على المشير عامر اما ان
يكون نائبا اول لرئيس الجمهورية ، واما أن يغادر القاهرة الى قريته ويبقى
بها فى هذه الظروف .

رفض عامر العرض قائلا انه لا يود ان يكون تشريفاتى برئاسة
الجمهورية ٠٠ وانه لا يقبل ان يكون فى هذا المنصب بينما تتم تصفية الضباط
الذين عملوا معه ، ووثق بهم ووثقوا به ٠٠ وفضل العودة الى قريته .

كانت الاحوال قد توترت بين صديقي العمر ورفيقي الكفاح .. ومع ذلك ظل جمال عبد الناصر حريصا على هذه العلاقة بعرضه منصب نائب رئيس الجمهورية على القائد الذي خسر المعركة بطريقة مهينة .. وكان هذا دليلا على عدم الاطمئنان النسبي الى الموقف فى القوات المسلحة .

كان مفروضا ان يحاسب عبد الحكيم عامر على الموقف العسكرى عام ١٩٥٦ ولكنه لم يحاسب .. ولم يوافق على خروج بعض معاونيه مثل الفريق صدقى محمود الذى دمرت قواته الجوية على الارض .

وكان مفروضا ان يحاسب على موقفه فى سوريا الذى ادى الى مأساة الانفصال التى قادها بعض اعضاء مكتبه انشاء وجوده فى دمشق .. ولكنه لم يحاسب .

وكان مفروضا ان تقبل استقالته اثناء ازمة مجلس الرئاسة عام ١٩٦٢ عندما قدم عبد الناصر مشروعا بتحديد اختصاصاته .. ولكن الاستقالة لم تقبل وظل المشير محتفظا بكل صلاحياته بل وزادت مسؤولياته مع الوقت .

وليس هناك من سبب يعتبر تبريرا لهذا الموقف من جانب جمال عبد الناصر الا حرصه على علاقة الصداقة الوثيقة مع عامر .. وثقته فى ان وجوده فى قيادة القوات المسلحة يضمن عدم حدوث تحركات مضادة داخل الجيش لحب الصباط للمشير ، ولاعتقاده بان المشير لا يمكن ان يفكر فى الانتفاض عليه .

ولكن احتمال حدوث حركة مضادة من جانب ضباط الرتب العليا المرتبطين بالمشير لم يعب ابدا عن ذهن جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد توتر الموقف بينه وبين عامر وبدران .

ولذا عرض على المشير منصب نائب اول رئيس الجمهورية ، وكسر العرض بوساطة سلاح نصر الذى سافر الى المنيا فى طائرته حربية خاصة ، وقابل عامر فى قريته أسطال .. ولكن المشير رفض فى المرتين .. ورفض عرضا اخر بالسفر الى يوغوسلافيا .

وبدأت العلاقة بين الصديقين تدخل مرحلة الازمة الشديدة عندما عاد عبد الحكيم عامر الى منزله فى الجيزة ، وتكالب عليه الضباط الذين احيلوا الى التقاعد ، واقام بعضهم عنده اقامة شبه دائمة .

وتصادف ان كانت هناك عربة للمخابرات تراقب جاسوسنا اجنبيا يسكن قريبا من منزل المشير ، ولحقها بعض الضباط المقيمين عنده فاعتقلوا طاقمها وادخلوه الى المنزل ، واتصل عامر بصلاح نصر غاضبا ومتسانلا ، وقد قال لى صلاح نصر ان هذه كانت حساسية مفرطة من عامر فى هذه الظروف ، وانه توجه اليه فوراً مع رئيس هيئة الامن القومى لتوضيح الحقيقة له . وقال ايضا انه لو طلب منه مراقبة المشير فى ذلك الوقت لقدم استقالته .

ولم يركن عبد الحكيم عامر فى منزله الى الهدوء ، ولكنه بدأ نشاطا مثيرا ، اذ طبع استقالته التى كتبها عام ١٩٦٢ وطالب فيها بتكوين حزبين وحرية ليبرالية وبدأ توزيعها على نطاق واسع فارسلها الى اعضاء مجلس

الامة ورؤساء المؤسسات والصحف .

كما اتصل عامر بالسفير السوفيتى والقى تبعة الهزيمة على الاتحاد السوفيتى ، وكان ينوى طبع خطاب له يوزعه فى الخارج ، ولكن بعض اصدقائه نصحوه بالعدول عن ذلك فى اللحظة الاخيرة ، لما يمكن ان يثيره هذا الخطاب من متاعب فى وقت يعيد فيه السوفيت بناء القوات المسلحة .
كان الضباط المحيطون بعامر يشعلون صدره بالغضب ، ويشيرون الفتنة بينه وبين عبد الناصر ويجسمون له الصفائر .

ويبدو ان عبد الحكيم كان قد تأثر بهم الى حشد بعيد . فلم تنجح محاولات التوفيق التى قام بها جمال سالم ومحمد حسنين هيكل وصلاح نصر وغيرهم .

وحدث ان اصدر قائد المخابرات الحربية اللواء محمد احمد صادق قرارا باعتقال الصاغ جلال هريدى قائد قوات الصاعقة ، الذى كان يقيم منذ النكسة فى منزل المشير بصفة دائمة . ونصبوا له كميناً بالقرب من منزل المشير ، وعندما حاولوا اعتقاله خارج المنزل صرخ مستنجدا بزملائه فى الداخل فهرعوا اليه ومعهم المشير يحملون اسلحة وقنابل يدوية . ولكن عربة المخابرات اسرعت بالفوار تلاحقها طلقات الرصاص .
اصبح الموقف غريباً وشاذاً . منزل المشير يتحول الى حصن مستقل داخل القاهرة ، لا يجرؤ احد على اقتحامه ولا تطبق عليه قوانين الدولة .

وعندما صدرت الاوامر بسحب الحرس الخاص للمشير ، اسرع باحضار حرس مدنى خاص من قريته . ولكن الامور سويت وعاد اليه حرسه الرسمى .

كانت محاولات التخريب بين الرجلين مستمرة ، ولم يكن احد منهما يفكر فى لقاء الاخر لتسوية الخلاف .

وظل الحال كذلك الى ان اصيب صلاح نصر يوم ٣ يوليو بذبحه صدرية الزمته الفراش بمكتبه لمدة ستة اسابيع ، كان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يسألان عليه خلالها . وفى احدى هذه المرات ذهب عامر وعباس رضوان الى منزل عبد الناصر حيث تناولا معه طعام العشاء ، وبدأ كما لو ان الامور قد تحسنت .

ولكن عملية اعادة بناء القوات المسلحة كانت تتم وسقط موجة نقد شعبية للضباط الذين القيت عليهم تبعة الهزيمة ، والذين احاطت بهم النكات وكلمات النقد . وقد ترك ذلك اثراً فى نفس المشير عامر الذى اعتبر نفسه راعياً للقوات المسلحة . كما انه كان من الضرورى مساءلة الذين تسببوا فى الهزيمة .

وكانت البداية قرارا باعتقال ومحاكمة كبار ضباط القوات الجوية . . الفريق صدقى محمود والفريق جمال عفيفى واللواء اسماعيل لبيب بتهمة الاهمال الجسيم .

واعتبر عامر هذا القرار طعنة لة ومقدمة لتصفية بقية اعوانه . وتآزمت الامور الى الحد الاقصى . ولم يعد امام جمال عبد الناصر من خيار . . الا الخضوع لهذا (الجيب العسكرى) السابق الذى يحاول

فرض ارادته من خارج السلطة ٠٠ او مواجهة صديق عمره بالحقيقة ،
واتخاذ موقف بعيد عن العاطفة .

وخلال ذلك كانت قد وصلت الى اللواء محمد احمد صادق مدير
المخابرات الحربية معلومات عن نشاط تامرى تقوم به المجموعة المحيطة
بالمشير ٠٠ ورفع صادق المعلومات - كما قال لى - الى عبد الناصر وهو
فى حرج شديد .

ولم يعد هناك من سبيل الا اتخاذ موقف وصدور قرار .
واسـتـدعى جمال عبد الناصر عبد الحكيم عامر الى منزله يوم
٢٥ اغسطس لمواجهة زملائه المتبقين فى السلطة من أعضاء مجلس قيادة
الثورة ٠٠ زكريا محبى الدين وانور السادات وحسين الشافعى ٠٠ وعقدت
جلسة امتدت عدة ساعات تصارح الاثنان فيها بكل ما فى الصدور ٠٠
وكانت كما ارادها جمال عبد الناصر (محاكمة سياسية) .

ولكن عبد الناصر كان قد اتخذ قراره قبل الجلسة بتحديد اقامة المشير
فى منزله بالجيزة واعتقال الضباط المقيمين هناك ٠٠ ولم يكن عند المشير
شبهة شك فى السبب الذى من أجله استدعاه عبد الناصر ٠٠ بل انه كان
يتوقع حلا للمشاكل ، فقد صارح صلاح نصر الذى صرح له الاطباء بمغادرة
الفراش بمكتبته يوم ٢٣ اغسطس بعد نوم استمر ٦ اسابيع ٠٠ صارحه بان
هناك احتمالا بأن يذهب الى مؤتمر الخرطوم مع جمال عبد الناصر يوم
٢٨ اغسطس .

ولكنه ما ان دخل المشير عامر منزل جمال عبد الناصر حتى اعتقل
سكرتيره العسكرى محمد طنطاوى ، وتوجهت قوات الى منزله بقيادة الفريق
محمد فوزى واللواء سليمان مظهر فاعتقلت المقيمين فيه وفى مقدمتهم
شمس بدران ، وهم الذين كانوا ينتظرون عودة المشير ومعه اخبار سارة
بالمصلح والوفاق ، وقد اسهم عباس رضوان فى اقناعهم بالتسليم بهدوء
بعد محادثة له مع عبد الناصر .

اما فى بيت عبد الناصر بعد ان انتهت الجلسة واعلن عبد الناصر قراره
بتحديد اقامة عامر ، صعد الى الدور العلوى وذهب عامر الى الحمام حيث خرج
صائحا وهو يلتقى بكوب ماء من يده بأنه قد انتحر .

قال لى امين هريدى انهم سرعوا الى عبد الناصر لابلاغه كلمات المشير ،
ولكنه لم ينزل معهم وقال انه اجبن من ان يفعل ذلك ٠٠

قال لى الفريق محمد فوزى انهم قد استولوا من منزل المشير على
حمولة ثلاث عربات لورى أسلحة وانهم أخرجوا منه سريتين من جنود
الجيش كانتا مكلفتين بحراسته وانتقلتا معه من الحامية ٠٠ وأخرجوا
ايضا ٢٠٠ من أبناء بلدة المشير .

ويقول ايضا ان المشير لم يغادر منزل عبد الناصر الا بعد أن اتصل
الفريق أول محمد فوزى بسامى شرف وأبلغه ان كل شيء قد انتهى وأن
القوات المسلحة قد سيطرت على المنزل ، وكانت الساعة الرابعة
صباحا تقريبا .

وخرج عبد الحكيم عامر معتقلا الى منزله وأوصله الى هناك زكريا
محبى الدين وحسين الشافعى ، أما انور السادات الذى بقى حزينا وصامتا

طوال جلسة المحاكمة السياسية فإنه لم يذهب معهم في العرية .
دخل عامر معتقلا الى منزله الذي أصبح خاليا الا من أسرته ،
ولا تربطه بالعالم الخارجى اية صلة فقد قطعت عنه حرارة التليفون واحيط
منزله بحرس جديد ، واعلنت بعد ذلك استقالة صلاح نصر مدير المخابرات
يوم ٢٧ اغسطس .

وبذلك انتهت صفحة في حياة القوات المسلحة . . أصبح يتولى
قيادتها العامة ضباط جدد لم يكونوا من الضباط الاحرار اصلا فقد ذهبت
المجموعة القليلة التى بقيت منهم حول المشير الى السجن انتظارا للمحاكمة
.. لم يعد هناك احد من ضباط ثورة يوليو فى قيادة القوات المسلحة
الا القائد الاعلى جمال عبد الناصر والفريق محمد فوزى القائد العام .
ورغم قسوة القرار على نفس عبد الناصر الا انه وجد نفسه مجبرا
على اصداره امام المعلومات التى توفرت لديه من احتمالات عمل طائش تقوم
به مجموعة المشير .

واسفرت التحقيقات عن اعتقال عدد من كبار المسؤولين الى جانب
شمس بدران ، فاعتقل بعد ذلك بايام عباس رضوان وصلاح نصر يوم
١٢ سبتمبر وعدد من كبار ضباط القوات المسلحة الحاليين الى التقاعد .
وكان الموقف فى نفس الوقت شديد القسوة على نفسية المشير عامر
وهو الذى احتفظ بالولاء كاملا لجمال عبد الناصر خلال مدة قيادته للجيش
والتي امتدت ١٤ عاما ، ولم يفكر لحظة واحدة فى القيام بانقلاب عسكرى
مطلقا ، واكتفى بنشر سلطاته فى الاجهزة الادارية والتنفيذية . . وهو الان
قد أصبح مجردا من كل شيء السلطة والاصدقاء . . يواجه مستقبلا
غامضا .

ولم يتحمل المشير عامر هذا الموقف الذى لم يهيئ نفسه له
مطلقا . . . فقبل ايام كان يرفض منصب نائب رئيس الجمهورية ، ويرفض
السفر معززا مكرما الى يوغسلافيا . . . وهو الآن محدد الإقامة فى
منزله ، واصدقاؤه فى السجن .

وقرر المشير عامر الهروب من هذا الموقف بالانتحار .
قال لى الفريق محمد سعيد الماحى الذى أصبح كبيرا للياوران بعد
حرب اكتوبر ١٩٧٣ انه كان قائدا لحرس منزل المشير ، وانه كان يحاول
ما وسعه الجهد ان يقدم له كل الاحترام . . ولكن المشير قرر الانتحار
عندما علم بأنه سوف ينقل من منزله الى منزل آخر بالهرم .

وأسرع الماحى يبلغ الفريق عبد المنعم رياض وأسرع الانسان فى
محاولة لاجراج السم الذى ابتلعه المشير ، ثم حملاه الى مستشفى القوات
المسلحة حيث اجريت له عملية غسل معدة نقل بعدها الى المنزل الجديد
الذى تقرر تحديد اقامته فيه بالمريوطية .

ومرة أخرى لم يستطع المشير ان يتحمل الموقف فى صبر . . .
فقرر الانتحار مرة أخرى ، ونجح فى هذه المرة مساء ١٣ سبتمبر ١٩٦٧
بعد مائة يوم من العدوان .

وانتهت حياة الانسان الذى ملك قلوب الضباط حبا له ، والذى

عاش حياة لا تتناسب كثيرا مع ضراوة المعارك التي كانت تدور في اليمن ،
أو فوق أرض سيناء .

كان عبد الحكيم عامر أول قائد مصرى فى التاريخ الحديث ينتحر
بعد الهزيمة ... ولكنه لم ينتحر نتيجة لمهانة الهزيمة وقسوتها ...
ولا أسفا وندما على دماء ٢٠.٠٠٠ فقدوا حياتهم فوق رمال سيناء بعد
عذاب بدنى شديد ... ولا خجلا من عار سوف يلاحق قدراته القيادية
الى آخر التاريخ .

لم ينتحر كقائد عسكري مهزوم ... وإنما انتحر بعد أن سلبت منه
السلطة وضاعت منه الحرية ، وواجه الموقف وحده بعيدا عن الأضواء
ونفاق الاصدقاء .

ولم تؤثر أزمة المشير فى اتجاه رفض الهزيمة ... فقد كانت
سدا لا يعوق التقدم ... وكانت محاكمة زملائه لتصفية آثاره .

ولم يكن خروج عضو سابق لمجلس الثورة من جهاز السلطة يمثل
أكثر من سقوط بعض الفروع من شجرة ثابتة ... كان جهاز الحكم قبل
الهزيمة متماسكا ومستقرا رغم ما كان يواجهه من أزمات اقتصادية
وسياسية .

ولم تكن استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى وحسن
ابراهيم تمثل أكثر من موقف احتجاج فردى لا يجد له صدق عميقا بين
ال جماهير لأنه يواجه اعلاما مركزيا موجها ... ولم تتجاوز حدود
التأييد لبعضهم أكثر من همسات لا تعلو الى موقف صريح ... واختار
كل منهم طريقه الجديد فى الحياة بلا ضغط ولا عنت ... ولم تصل
العلاقات بينهم وبين جمال عبد الناصر الى حد القطيعة النهائية ... فقد
تواجدوا فى القيادة العامة فى أيام القتل رغم ابتعادهم النهائى عن
السلطة ... وقام كل منهم بالتعبير المكتوب عن رأيه فى خطاب أو مذكرة
رفعها الى جمال عبد الناصر .

ولم يصحب خروج أى فرد منهم ، ولا من سبقهم فى الاستقالة اتخاذ
موقف معاد لهم اذا استثنينا سجن يوسف صديق وتحديد اقامته فى
عام ١٩٥٤ ... فلم يخرج أحد منهم مصحوبا بتهمة التآمر أو العمل
ضد النظام ... ولم يكن أحد منهم يعمل فى منصب عسكري حتى يمثل
خطرا يستحق المطاردة .

ولذا كان تحديد اقامة المشير عبد الحكيم عامر هو أول عمل عنيف
يتخذ ضد عضو سابق فى مجلس الثورة ، اذا استثنينا أيضا فترة
تحديد اقامة كمال الدين حسين لمدة أسابيع عام ١٩٦٥ فى فيلا بالهرم

كانت أزمة المشير عامر هى اعنف أزمة تعرضت لها الثورة منذ أزمة
مارس ١٩٥٤ ، وكانت قاسية على نفس جمال عبد الناصر قسوة الهزيمة
نفسها ، فقد حدث الصدام الصريح بينه وبين أقرب رجال الثورة اليه ،
فى وقت كان كل شئ فيه فى شبه ضياع .

كانت حركة الاعتقالات التى شملت المشير ووزير الحربية ووزير

الداخلية السابق ومدير المخابرات وعددا من كبار ضباط القوات المسلحة ذات تأثير كبير في المجتمع ، فقد حدث شرخ عميق في جدار النظام كشف عن وجود أخطاء وانحرافات ، اندفع الناس الى مهاجمتها ونقدها ٠٠٠ وكانت المحاكمات أمام المحكمة الخاصة التي شكلت برئاسة حسين الشافعي فى يناير ١٩٦٨ مجالا لاثارة كثير من القضايا .

كانت الفكرة الاساسية لمحاولة المشير عامر الانقلابية تقوم على أساس ظهور المشير عامر فى مدرسة الصاعقة ليلة ٢٧ أغسطس أى بعد يوم واحد فقط من تحديد اقامة المشير واعتقال الضباط المتعاونين معه ، ثم تحركه من مدرسة الصاعقة الى مركز نياده الفصاين فى حراسنة قوة مدرسة الصاعقة « . . . فرد » .

كان المدبرون للعملية قد قرروا اشاعة أن عبد الناصر تد اعد عامر للقوات المسلحة ، وبدا يسهل على المشير السيطرة على مركز القيادة الشرقية وتولى قيادة الجبهة العاملة تحت أوامرها ، وهى فى ذلك الوقت كانت تعتبر القوة الاساسية للجيش .

ومن هناك كان مفروضا أن يبدأ التفاوض بين عامر وعبد الناصر على أساس إعادة المشير قائداً أعلى للقوات المسلحة والافراج عن الذين استدعت ظروف الهزيمة التحقيق معهم .

أسهم فى اعداد الخطة حسب ما أظهره التحقيق شمس بدران وعباس رضوان ثم الضباط جلال هريدى قائد الصاعقة السابق ووكيله مقدم أحمد عبد الله واللواء عثمان نصار الذى ترك فرقته أثناء عمليات سيناء وعاد الى القاهرة حيث بقى فى حماية المشير ثم المقدم حسين مختار من قوات الصاعقة والعقيد طيار محمد تحسين زكى .

ولم يكن هذا التدبير موجهاً للاطاحة بعبد الناصر ولكنه كان موجهاً للضغط عليه للرضوخ ، أو تحرك المشير الى القاهرة على رأس قوة مدركة للقيام بعملية انقلاب كاملة .

والغريب أن عامر قد أعطى لهذه العملية اسماً كودياً هو (نصر) نفس الاسم الذى أطلقه الضباط الاحرار على حركتهم ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . وقد كشفت هذه العملية عن رغبة بعض الضباط فى الوصول الى السلطة فوق مأساة الشعب ، ودون تقدير سليم لجسامة الهزيمة وبشاعة الموقف .

كذلك أظهر التحقيق عدة حقائق مثيرة :

تبين مثلاً أن عباس رضوان كان قد أخفى فى بلدته الحرائية بالهرم حقبة مليئة بالنقود ٠٠٠ وهو حادث قد يبدو بسيطاً ولكنه فى مضمونه كبير أن يكشف اعتداء بعض رجال الثورة على أموال الدولة واستباحتهم لها ، ويكشف أيضاً اتساع هذه الظاهرة بعد أن كانت خافية على الناس نتيجة للقيود التى كان يفرضها النظام على وسائل النشر ، والخوف الذى كان يثيره بالنفوس من الخوض بالحديث فى مثل هذه الامور .

وتبين كذلك حقيقة الدور الذى لعبته احدى الممثلات (برلنتى

عبد الحميد) فى حياة المشير حتى أصبحت زوجته وأما لآبته ، وهى التى كانت على علاقة سابقة بجهاز المخابرات ، الامر الذى جعل حسين الشافعى يقول لى أن دورها كانت تحيط به علامات استقهام خطيرة تمتد الى خارج الحدود .

وتبين أيضا بشاعة الوجه القذر لادارة المخابرات ، وهو وجه قد يكون طبيعيا فى كافة أجهزة المخابرات فى العالم ، ولكن الجديد أن النظام نفسه هو الذى كشف عن هذا الجانب البشع ، وأعلن عن سقوط ما أسماه (دولة المخابرات) الامر الذى أثار حفيظة بعض الناس ضد فترة من فترات النظام .

ولو أن هذه المحاكمة لم تسقط ، أساليب دولة المخابرات عمليا ، فقد تعرض بعض الضباط المعتقلين لأنواع من الضغوط والتعذيب هى فى مضمونها امتداد لاسلوب بعض أجهزة الأمن .
وتبين أخيرا نوعا من أنواع الاستهتار الفظيع خلال فترة القتال ، وهروب بعض كبار القادة المرتبطين شخصا بالمشير والذين تلقوا التعليمات ، أنه شخصا .

حفلت هذه المحاكمات بصور متعددة الجوانب لاختفاء وانحرافات كانت كامنة فى النظام . . . يصعب القول بأن جمال عبد الناصر كان على جهل بها ، ولكنه كان يصمت عليها ، ربما لاعتباره بأنها فرز طبيعى لاي نظام ، أو لأنها تضع المخطئين تحت قبضته فيصبحون أكثر طواعية .

وقد أبرزت هذه المحاكمات جانبا سياسيا هاما ، إذ أظهرت أن بعض هؤلاء القادة المنهزمين قد تصوروا أن الحكومة الأمريكية يمكن أن تلقى اليهم عجلة الانقاذ التى تنقذ حياتهم وشرفهم ، وتحول هزيمتهم الى نصر . . . وأنهم يمكن أن يجدوا بعد الهزيمة مبررا ينهى العلاقة مع الاتحاد السوفيتى الذى أصبح عندهم مشجعا تعلق عليه خطيتهم .

وكان المشير عبد الحكيم عامر قد استقبل السفير السوفيتى فى القيادة العامة للقوات المسلحة قبل استقالته من مناصبه العسكرية والمدنية ولم اتعرف على ما دار فى هذه المقابلة الا أن الفريق الحيدى يتصور فى كتابه (شاهد على عدوان ٦٧) أنه كان فيها نوع من العتاب .

وقد صرح شمس بدران خلال محاكمته السرية بأنهم قد فكروا فى حل المشكلة عن طريق الاتجاه الى أمريكا .

ويمكن القول بأنه قد تجمع حول المشير عامر فى هذه الفترة بعض انذين لم تحصل عندهم الطهارة الوطنية الى حد التفرقة بين الاطماع الشخصية والكارثة القومية . . . الذين حاولوا استعادة السلطة عن طريق التآمر بالقوة دون اعتبار للضحايا (عشرين ألفا) الذين سقطوا نتيجة أسلوبهم المستهتر فى القيادة .

ويمكن القول أيضا بأن الثورة قد قصدت بعض دمهها الفاسد ، الذى تسبب فى الهزيمة ولم يجد مع ذلك فيها رادعا يبعده عن السلطة ، أو حقيقة تجسم له خطر الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية .

كُتبت في روز اليوسف خلال هذه الفترة قائلا :
 (النوره النى لا يحاكم أبناءها ولا تكشف صراحة عن أخطائها ، تكتب كلمة
 (النهايه) في مدسرها . . . ولكن النوره النى تتحمل في نسجاعة
 مسئولية كشف انحرافات وأخطاء أبنائها انما تكتب كلمة (البداية) فى
 انطلاقة جديدة تؤكد استمرارها .
 كانت ازمة المشير ومحاكمة الضباط رفضا للهزيمة . . . ورفضاً
 للدعوة التى ثارت بين المتسيبين الرئيسيين فى الهزيمة من محاولة
 للارتداد نحو أمريكا فيما يشبه الاستسلام وقبول الامر الواقع .
 اطاحت محاكمة مجموعة المشير باحتمال نجاح محاولة انقلاب
 عسكري . وبوضع نهاية لالتجاء استسلامى كان يثور فى صدور
 المجموعة المنهزمة .
 وكانت المحاكمة ادائه لهذا الاتجاه الاستسلامى الذى أوقع مصر فى
 الهزيمة . وفكر فى الخلاص منها عن طريق انقلاب يمهّد الطريق لعودة
 النفوذ الأمريكى للمنطقة .
 وكانت فى مضمونها اصرارا على رفض الهزيمة واستمرار
 النضال .

مؤتمر الخرطوم

لم يكن رفض الهزيمة مصريا فقط . . ولكنه كان عربيا .
 كانت الهزيمة عارا لحق بالعرب جميعا دون استثناء . . ولكن ردود
 الفعل وتأثير الصدمة كان متباينا بين دولة وأخرى . . ولاشك أن جمال
 عبد الناصر كان أكثر الزعماء أثرا بها حدث ، وأكثر الجميع شعورا
 بالمسئولية فى مواجهة المستقبل .
 ورغم الجدية التى واجه بها النظام المصرى الموقف ، وبدء عملية إعادة
 بناء القوات المسلحة ، فإن الامور كانت قد شابكت بحيث لم يعد من الممكن
 أن يكون هناك حل مصرى أو حل سورى أو حل أردنى للمشكلة .
 لم يعد هناك من سبيل سوى (حل عربى) للمشكلة . . واجتمع وزراء
 الخارجية العرب فى الكويت يوم ١٧ يونيو ولكن اجتماعهم انفض بلا قرارات
 ليلحقوا اجتماع الأمم المتحدة .
 وكان بومدين قد أمضى فى القاهرة بعد الهزيمة عدة ايام سافر قبلها الى
 موسكو حيث قابل الزعماء السوفييت وشعر أنهم مجروحون من هزيمة العرب
 . حيث سلمت معظم أسلحتهم الى إسرائيل بلا قتال ، وسقط حلفاؤهم
 فى حفرة الهزيمة بلا مقاومة .
 وفى يوم ١٢ يوليو اجتمع فى القاهرة هواري بومدين وعبدالرحمن عارف
 واسماعيل الأزهري تم انضمام اليهم نور الدين الأساى فى اليوم التالى وأرسل
 محمد أحمد محبوب رئيس وزراء السودان الذى كان يشارك فى اجتماعات
 الأمم المتحدة النى تحاول الوصول الى قرار . . أرسل برقية يطلب فيها
 امتداد مؤتمر القمة المحدولحين عودته .

وصل محجوب الى القاهرة يوم ١٦ يوليو وعرض على الزعماء العرب فكرته في ضرورة عقد مؤتمر قمة عربي حيث يمكن للدول العربية ان تحشد جهودها وامكانياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية في عمل موحد مشترك . ورغبة من الزعماء العرب في معرفة مدى مايمكن ان يقدمه السوفييت تقرر ارسال هوارى بومدين وعبد الرحمن عارف الى موسكو وسافر الاثنان بغرض شرح الموقف العربي للزعماء السوفييت وتقديم الشكر لهم على مساعداتهم ثم معرفة المدى الذي يمكن للسوفييت والدول الاشتراكية تقديمه للنضال العربي من مساعدات في التسليح والخبراء والمتطوعين .

سافر بومدين وعارف يوم ١٧ يوليو وعادا في مساء اليوم التالي ، ويقول محمد احمد محجوب في كتابه (محاكمة الديمقراطية) ان بومدين قدم لهم تقريرا ملخصه ان المؤتمر الثاني لزعماء الدول الاشتراكية الذي عقد في بودابست قد اتخذ قرارا بتأييد مبدأ الحل السلمي للصراع . والعمل من أجل التعايش السلمي بين الدول والسلام العالمي . ولذا كان الاتحاد السوفييتي حريصا على صدور قرار من الامم المتحدة في دورتها الطارئه .

كما كرر الاتحاد السوفييتي للرئيس بومدين وعده بامداد الدول العربية بالاسلحة تعويضا عن خسائرها . . ويقول محجوب ان زيارة الاتحاد السوفييتي قد تركت عند الرئيسين العربيين انطبعا بان للسوفييت تحفظات على امكانية العمل العسكري ، ولو ان هذا الموضوع لم تكن له عندهم اهمية عاجلة لانهم كانوا يعتقدون انه لايمكن استئناف القتال قبل سنتين او ثلاث سنوات .

ويقول محمد احمد محجوب ان هذه الزيارة قد أكدت التصور بأن الحل العسكري في الوقت الحاضر كان بعيدا عن الموضوع وان الحل الدبلوماسي كان مستحيلا في حدود ما دار في الامم المتحدة ، وأنه لم يتبجح من طريق مفتوح الا الحل السلمي الذي قد يقود في النهاية الى صدام عسكري أو سلام عادل .

وأثمر مؤتمر القمة المحدود قرارا بالدعوة لمؤتمر قمة عربي ، ويقول ناتنج ان الملك حسين ايضا كان قد بادر بالدعوة لهذا المؤتمر . وقع الاختيار على الخرطوم لتكون مقرا لانعقاد مؤتمر القمة لانها كانت مقبولة من قادة جميع الانظمة العربية . . وقد اجتمع فيها وزراء الخارجية في اول اغسطس وصدرت عنهم توصيات تطالب بتنقية الجو العربي ، ووضع مسئولية العدوان وتحرير الارض على عاتق كل العرب ، مع اعتبار المشكلة الفلسطينية قضية رئيسية ودعوة وزراء البترول والمالية العرب للاجتماع في بغداد يوم ١٥ اغسطس ، وعدم ضخ البترول لأمريكا وانجلترا في حدود قرارات مؤتمر البترول العربي ، والعمل على تصفية كافة القواعد الاجنبية في الدول العربية بأسرع وقت ممكن .

• وقد اجتمع وزراء المالية والاقتصاد والبترول العرب من ١٣ دولة ومشيخة ضمت قطر والبحرين وأبوظبي وقدموا قائمة من الاسلحة الاقتصادية التي يمكن استخدامها في حدود استراتيجية عربية شاملة .

وكان الرأي العام العربى فى ذلك الوقت قد اجتاحتته موجة المطالبة بوقف ضخ البترول للدول الامبريالية .

وقد اتخذ الوزراء العرب فى مؤتمراتهم ببغداد توصيات تقضى بوقف الضخ مع مراعاة الاحوال والظروف الاقتصادية لدول البترول . وتقدير ردود الفعل السياسية والاقتصادية التى قد تنجم عن ذلك فى العالم كله . وكان هذا دليلا على الحذر وعدم الانفاق الكامل .

وأصدر المؤتمر توصيات أخرى بسحب الارصدة العربية من منطقة الدولار والاسترلينى ، وتخفيض الاستثمارات العربية فى هاتين المنطقتين حتى لا تتسرب الاموال العربية الى هذه الاسواق . ونقل احتياطي الذهب العربى من انجلترا وامريكا الى بلاد أخرى . وتوجيه الاستثمارات الحكومية العربية الى الاسواق العربية ما أمكن . وتكوين احتياطي نقدي مركزى من العملة الصعبة للدول العربية .

درست هذه التوصيات بوساطة وزراء الخارجية العرب فى الخرطوم يوم ٢٦ اغسطس ، ورفعت الى الملك والرؤساء الذين اجتمعوا يوم ٢٩ اغسطس . سافر جمال عبد الناصر الى الخرطوم بعد ان كان قد حدد اقامة المشير عبد الحكيم عامر ووضع الضباط المتآمرين فى السجون للتحقيق .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يلتقى فيها عبد الناصر خارج مصر مع جماهير الامة العربية ، وهو يحمل على كتفيه مسئولية الهزيمة والتحرير معا . كما انها كانت المرة الاولى التى يلتقى فيها مع الملك فيصل وهو جريح بعد الهزيمة .

كان موقفا صعبا امام عبد الناصر . . . وكان مؤتمر القمة يواجه أخطر مشاكل تعرضت لها الامة العربية .

ولكن استقبال جمال عبد الناصر كان مظهرا رائعاً من مظاهر الوفاء والتقدير السياسى السليم عند شعب السودان ، فقد احتشدت له الجماهير من المطار الى فندق السودان حيث نزل الرؤساء والملوك . . ولعب الحزب الشيوعى السودانى وقائده الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب دورا رئيسيا فى هذا الاستقبال الرائع .

قال لى الشهيد عبد الخالق محجوب ، وكنت قد ذهبت الى الخرطوم لحضور المؤتمر عندما كنت رئيسا لتحرير روزاليوسف . . قال ان الحزب الشيوعى قد قرر ان يكون استقبال عبد الناصر ، استفتاء ثانيا على بقائه فى موقعه قائدا من ابرز قادة التحرير الوطنى ، وان بعض كادر الحزب كان مسلحا ومستعدا لحمايته من أية مؤامرات .

عندما وصل جمال عبد الناصر الى المطار كان فى استقباله اسماعيل الازهرى رئيس الدولة ومحمد احمد محجوب رئيس الوزراء . . وكان مفروضا أن تصل طائرة الملك فيصل بعد نصف ساعة وحاول الزعيمان السودانيان تعطيل عبد الناصر فى المطار ليلتقى مع فيصل . . حتى يصبح الاستقبال الشعبى من نصيب الملك والرئيس معا .

ولكن موكب جمال عبد الناصر تحرك وفى رفقته محمد احمد محجوب، والتهبت مشاعر الجماهير ، وانتعشت نفسية جمال عبد الناصر ، وعادت

الابتسامة الى شفتيه وهو يلوح لعشرات الالوف الذين احتشدوا في الشوارع والشرفات وفوق الاسطح .
وما كاد موكب جمال عبد الناصر يمر حتى كانت الجماهير تنفض وتخلو الشوارع لينفرد وحده بالاستقبال الرائع . . . وعندما تبعه فيصل مع الازهرى لم يكن هناك الا جماهير قليلة متناثرة .

انعقد المؤتمر في قاعة البرلمان السوداني ، والجماهير تتوقع قرارات وقف ضخ البترول . . . وموقف الدول العربية تجاه الازمة غير موحد . سوريا قاطعت المؤتمر ومع ذلك بقي وزير الخارجية ابراهيم ماحوس يتابع جلسات المؤتمر من السفارة السورية او سرقة الحرائد اوتيل . . . والعراق والجزائر ومنظمة التحرير التي يمثلها احمد الشقيري تنتقد موقف مصر وتعارضها لقبولها وقف اطلاق النار . . . وتطالب بسحب الارصدة العربية ومقدارها ٤٠٠٠ مليون جنيه من البنوك البريطانية مع اصرارهم على وقف الضخ .
وكانت حرب اليمن تفرض نفسها على المؤتمر ايضا فلم يكن القتال قد توقف بعد ، وكان هناك ٧٠.٠٠٠ جندي مصري مازالوا يحثلون مواقعهم هناك .

حضر من الرؤساء والملوك العرب . . . جمال عبد الناصر والملك حسين والملك فيصل واسماعيل الازهرى وعبد الرحمن عارف وعبدالله السلال والامير صباح السالم الصباح وشارل حلو .

وحضر الامير حسن الرضا مندوبا عن ملك ليبيا ادريس ، والباهي الادغم وزير خارجية تونس ممثلا لبورقييه . وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر ممثلا لهواري بومدين ، والدكتور محمد بن هيمه رئيس وزراء المغرب ممثلا للملك الحسن .

جميع رؤساء وملوك المغرب العربي تخلفوا عن الحضور . بينما حضر جميع رؤساء وملوك المشرق العربي عدا نور الدين الاتاسي لمقاطعة سوريا للمؤتمر بناء على قرار من دمشق ، كما صرح الاتاسي محمد احمد محبوب بذلك عند زيارته لدمشق في جولته التمهيدية لعقد المؤتمر والتي اقنع فيها الملك فيصل بضرورة الحضور .

لعب محمد احمد محبوب رئيس وزراء السودان دورا دبلوماسيا ناجحا مهد به الطريق لعقد المؤتمر ، وعاد من الولايات المتحدة يحمل افكارا جديدة بعيدة عن الاجراءات التي قد تكسب تأييدا شعبيا . ولكنها تتسبب في ردود فعل غير محسوبة الى جانب ماقد تحدته من تمزق في الصف العربي .

ولذا تفاخى المؤتمر عن فكرة وقف ضخ البترول وسحب الارصدة من البنوك الامريكية والبريطانية ، حرصا على تأييد الدول البترولية وعدم وضعها في مأزق اقتصادي وسياسي لا تحمله انظمتها ، حيث تبين ان الدول العربية كانت تملك في ذلك الوقت احتياطيها كافيا من البترول لمدة اكثر من ٣ شهور . وان الارصدة العربية لم تكن تشكل نسبة كبيرة من الدخل القومي لثرا

وانجه المؤتمر وجهة جديدة عندما اعتبر البترول رصيذا للاحتياجات العربية لتعويض خسائر العدوان ، والاستعداد لمبارك التحرير حيث قال زعماء الدول البترولية أنكم تطلبون منا العون بالمال ، ويطلب البعض منكم اغلاق مصدر هذه الاموال .

حدث تراجع عن وقف ضخ البترول بعد ان كان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبترول العرب قد اوصى بإمكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح في المعركة ، ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الامر مليا - كما نشرت الاهرام - انه يمكن أن يستخدم كسلاح ايجابي باعتبار البترول طاقة عربية يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التي تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود في المعركة .

وبعد مناقشات محدودة تم الاتفاق على ما تدفعه الدول البترولية لمصر والأردن من تعويضات ٥٠ وكان جمال عبد الناصر قد قدر خسائر مصر من اغلاق قناة السويس ووقف السياحة بما يوازي ١١٠ ملايين جنيه . وقدر الملك حسين احتياجات الاردن بمبلغ ٤٠ مليوناً .

واستقر الرأي بموافقة الملك فيصل على دفع السعودية ٥٠ مليون جنيه سنوياً والكويت ٥٥ مليون جنيه وليبيا ٣٥ مليون جنيه ، توزع على أساس ٩٥ مليوناً لمصر و ٤٠ مليوناً للاردن .

وانتقل المؤتمر لمناقشة القضايا السياسية ، واستقر الرأي بناء على اقتراح عبد الناصر بأن يعطى الملك حسين حرية الاتصال لحل مشكلة الاردن . وتدخل احمد الشقيري متحدثاً عن مستقبل غزة والضفة الغربية ، ولكن الموقف لم يكن يحتمل اثاره خلاف حول أرض سقطت تحت احتلال العدو .

واتفق المؤتمر على قرارات تعتبر من ناحية الشكل والمضمون رفضاً للهزيمة فهي تنص على . .

لا صلح مع اسرائيل . .

ولا اعتراف باسرائيل .

ولا مفاوضة مع اسرائيل .

والاصرار على اعادة حقوق شعب فلسطين في أرضه . .

صرح لي محمود رياض وزير الخارجية في ذلك الوقت بأنه يعتبر أن هذا المؤتمر الرابع للقمة كان انجح مؤتمر قمة عربي ، يصدر قرارات ايجابية محددة .

ولكن قرارات مؤتمر الخرطوم لم تتحول الى قيود تقيد حركة الدول العربية في سعيها لتحرير الارض بوسائل سياسية مصحوبة باستعدادات عسكرية .

قرار مجلس الامن

كان مؤتمر الخرطوم قد انعقد بعد دعوة الاتحاد السوفيتي لدورة طارئة للامم المتحدة ، بعد ان تبين استحالة صدور قرار من مجلس الامن

بإدانة إسرائيل وفرض الانسحاب إلى حدود ٤ يونيو .
 حضر الدورة الطارئة اليكسي كوسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي
 كما حضرها من حكام العرب الملك حسين ونور الدين الاتاسي .
 وقد التقى حسين والاتاسي يوم ٢ يوليو في مقر السفير الجزائري
 لدى الأمم المتحدة بحضور محمد أحمد محبوب رئيس وزراء السودان الذي
 أعد للاجتماع بمبادرته الخاصة ، وعبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر
 وإبراهيم مآخوس وزير خارجية سوريا
 كان هذا أول اجتماع يعقد بين الحاكمين بعد اتهامات متبادلة استمرت
 حتى يوم العدوان الاسرائيلي .
 وكان أبا إيبان قد أعلن رفض إسرائيل أمام مجلس الأمن الحديث
 في موضوع الانسحاب مالم تعترف الدول العربية بها وتقر مبدأ الصلح
 معها .

ولم يكن الموقف في مجلس الأمن مثلاً كان عام ١٩٥٦ فقد وقفت أمريكا
 بوضوح وصراحة خلف الموقف الاسرائيلي ولم يكن هناك أي انقسام في
 صفوف الدول الغربية نحو تأييد إسرائيل سوى فرنسا لأن ديجول اتخذ
 موقف الادانة للبادئ بالعدوان ، وأسبانيا لثلاثاتها التقليدية مع الدول
 العربية ، وعدم وجود تمثيل ديبلوماسي بينها وبين إسرائيل .

ولذا فانه عندما قدم اليكسي كوسيجين مشروع قراره الذي يدين
 العدوان الاسرائيلي ويطلب بالانسحاب الفوري لقواتها ، اسرعت حكومة
 الولايات المتحدة بتقديم مشروع قرار آخر يقضي بحل المشكلة عن طريق
 المفاوضات المباشرة بين العرب وإسرائيل بمساعدة وسيط مقبول من الطرفين،
 بعد اعترافهم بها وبحقها في الوجود داخل حدود معترف بها مع السماح
 لبواخرها بالمرور في قناة السويس ومضيق العقبة .

ولم يحصل أي من القرار السوفييتي أو الأمريكي على ثلثي الاصوات
 المطلوبة لقراره . . . ومحاولة للخروج من الازمة تقدمت دول عدم الانحياز
 بمشروع قرار يقضي بانسحاب القوات الاسرائيلية مع اعطاء مجلس الأمن
 حق بحث بجدور المشكلة السياسية والقانونية والانسائية بناء على موائيق
 الأمم المتحدة مع عدم اعتبار ذلك شرطاً مسبقاً يحول دون الانسحاب .

وفي مواجهة مشروع دول عدم الانحياز قدمت دول أمريكا اللاتينية
 الخاضعة للنفوذ الأمريكي مشروعاً مغلف العبارات يقضي بالانسحاب
 للشرط بانهاء الاعمال العدوانية والعمل من أجل التعايش السلمي وعلاقات
 الجوار السوية .

وكما لم ينجح المشروع السوفييتي أو الأمريكي ، لم ينجح أيضاً مشروع
 دول عدم الانحياز ، أو مشروع دول أمريكا اللاتينية في الحصول على ثلثي
 الاصوات .

ولم يصدر عن الأمم المتحدة سوى قرارات مرعية بضرورة معاملـة
 مساجين وأسرى الحرب معاملة إنسانية ويمسح إجراءات إسرائيل
 وتدابيرها في المنادة بالقدس مدينة اسرائيلية موحدة .
 ولم تنهج الدول الأمريكية المتحدة بالفرنسية نهج فرنسا في تأييد العرب ،

كما أن الدول الإفريقية الأخرى تنوعت مواقفها تبعاً لدرجة ولائها للولايات المتحدة . أما الدول الإسلامية مثل تركيا وأفغانستان وباكستان واندونيسيا وإيران فقد وقعت مع العرب لاعتبارهم المشكلة الفلسطينية من الأشكال الإسلامية .

وعندما لم تصل الأمم المتحدة إلى قرار ، أعادت القضية مرة أخرى إلى مجلس الأمن .

كاد الموقف يتجمد . . وقرارات مؤتمر الخرطوم التي صدرت بعد ذلك ألقت التزاماً قديداً جديداً على الدول العربية ومع ذلك فقد وصلت الأمور في شهر نوفمبر بعد اتصالات مركزة ومتعددة بين مندوبي الدول في مجلس الأمن والدول العربية إلى مشروع قرار أعده مندوب بريطانيا في المجلس لورد كارادون .

صدر القرار ٢٤٢ يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ لينهي مرحلة طويلة من المناقشات امتدت ما يقرب من ستة شهور .

حاول محمود رياض وزير الخارجية أن يكون القرار أكثر تحديداً فيما يتعلق بالحدود ، ولكن المندوب الأمريكي (أرثر جولدبرج) كان صريحاً في رفضه إضافة أي كلمات تلغي حق إسرائيل في تغيير الحدود بما يتناسب مع أمنها وقال أن حكومة إسرائيل قد وافقت على صيغة القرار على ما هي عليه ، وأن جونسون يعد بأن تكون التعديلات في أضيق الحدود .

وافقت مصر والأردن على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وسط معارضة ورفض من جانب سوريا والعراق والجزائر والسودان .

واختار يوثانت سكرتير الأمم المتحدة جونار يارنج سفير السويد في موسكو مندوباً له للتفاوض مع مصر والأردن وإسرائيل للوصول إلى تسوية مقبولة من كافة الأطراف .

وخلال الفترة التي دارت فيها مناقشات الأمم المتحدة لم يكن الموقف متجمداً على شاطئ القناة .

كان السوفييت قد أسهموا بقدر كبير في إعادة تنظيم القوات المسلحة وقام الفريق أول محمد فوزي ومجموعة القيادات الجديدة بمجهود رائع في تماسك الجيش ووحدته ، وخاصة بعد التغلب على المشاكل الداخلية بعد تحديد إقامة المشير عامر والمتعاونين معه .

كانت المدفعية قد بدأت تتبادل القذائف على شاطئ القناة . . واغرقت قوارب الطوربيد المصرية المدرعة الإسرائيلية إيلات في مياه البحر الأبيض المتوسط يوم ٢٥ أكتوبر ٦٧ وانتقم الإسرائيليون بضرب معامل التكرير ومصانع السويس .

ورغم وجود جونار يارنج في المنطقة متخذاً من قبرص مركزاً رئيساً له . . ورغم حركته المستمرة بين العواصم الثلاث . . فإنه لم يوفق في الوصول إلى تسوية مقبولة . . ولم يوفق في منع الإسرائيليين من الاعتراض على محاولة مصر انقاذ البواخر الخمس عشر المحتجزة في قناة السويس بعد غلقها كما حدث عام ١٩٥٦ . . كما لم يوفق في منع بعض المصادمات التي

وقعت بين القوات الاردنية والاسرائيلية التي بدأت تنفذ خطة اقامة
مستعمرات ناحال في الضفة الغربية ، وتحويل القدس الى مدينة
اسرائيلية .

وبدأت جهود يارنج تتضاءل وتنحسر امام رفض الحكومة الاسرائيلية
الاجابة على أسئلته والتمسك بمفاوضات مباشرة مع العرب ، واعلانهم
النسبب بمعظم الارض المحتلة ضمانا للحدود الآمنة .

وبعد صدور قرار مجلس الامن لم يتوقف القتال أيضا . . فقد بدأت
المرحلة التي أطلق عليها جمال عبد الناصر اسم (مرحلة الصمود) ثم أعقبتها
(مرحلة الردع) أي الاشتباك المتصل مع القوات الاسرائيلية عبر
الغزة .

كانت مصر قد قبلت قرار مجلس الامن ولكنها لم تتوقف مطلقا عن
الاشتباك المسلح . . بينما كانت الدول التي رفضت القرار بعيدة عمليا عن
ميدان المعركة .

لم يكن قبول قرار مجلس الامن استسلاما ولا تنازلا عن تحرير
الارض ، ولكنه كان محورا من محاور التقدم في مجال الحل السلمي . . .
وكان مضمون الاشتباك المسلح مع قبول القرار هو رفض للهزيمة بكل
المقاييس .

رفض الطلبة

كسرت الهزيمة حاجز الخوف عند الناس . وشعر المواطنون امام
جسامة الموقف . ان الصمت عار .

وانطلقت موجات النقد تكشف العيوب المستترة في أجهزة الحكم ،
وتلقى الضوء على الانحرافات هنا وهناك .

والتمس جمال عبد الناصر العذر للناس . . قال لشعراوى جمعة
بعد خطبته امام مجلس الأمة عند افتتاح دورته الجديدة (أرجو أن تهدى هذه
الخطبة نفوس الناس ولو شهرا واحدا) .

كان الناس ينتظرون خطب جمال عبد الناصر فهو الوحيد الذي يتوفر
له رصيد في قلوبهم . . ورغم انه لم يحقق التفسير الذي طالبوا به الا انهم
لم يفقدوا الأمل فيه أبدا .

وكان الشباب هو أكثر الفئات غليانا بحكم طبيعته ورفضه للهزيمة
وحرصه على تحرير الارض واقامة مجتمع جديد .

ولم تكن مصر قد شهدت مظاهرات للطلبة منذ عام ١٩٥٤ أثناء أزمة
مارس وخلال المطالبة بالحياة الديموقراطية . . فقد تصدت لها الشرطة
العسكرية واعتقل بعض الطلبة . وصفت حركتهم .

وتقرر عزل الطلبة عن الحركة السياسية ، ووضع كمال الدين حسين
وزير التربية والتعليم في ذلك الوقت خطته التي تضمنت بان تكون الدراسة في
الجامعة خلال العام الواحد على فترتين وامتحانين . . كما فصل عددا من
استاذة الجامعة التقدميين المستنيرين مثل الدكتور لويس عوض وسعد عصفور

وعبد المنعم حروفش وفوزى منصور وعبد المنعم الشرقاوى وأمين بدر ومحمود أمين العالم ، ونقل بعض الاساتذة من الاسكندرية الى القاهرة مثل الدكتور اسماعيل غانم واسماعيل صبرى عبد الله .

وأصدر كمال الدين حسين قرارا يقضى بأن يكون نصف أعضاء اتحاد الطلبة من هيئة التدريس والنصف الآخر من الطلبة وتقيدهم جميعا تشريعات ولوائح تجعل من الاتحادات تنظيمات صورية تابعة لمكاتب الطلاب التى أنشئت فى هيئة التحرير ثم الاتحاد القومى .

ولاشك ان الانتصارات الوطنية لثورة يوليو قد أثرت على موقف الطلبة ودعمت بهم الى تأييدها والركون الى الهدوء لسنوات طويلة .

ومع ذلك ظل تشكيل الاتحادات الطلابية بالتعيين حتى عام ١٩٥٩ الذى صدر فيه قرار بقانون فى اول ابريل بفصل عدد من أساتذة الجامعة مثل الدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد العظيم أنيس ، وذلك بعد اعتقال الشيوعيين . وبعد ذلك ظهرت لائحته الجديدة تبيح حق الانتخاب وتقرر نشاط الاتحادات على الاعمال الترفيهية مع حجب أى نشاط سياسى أو ثقافى .

وفى عام ١٩٦٣ بدأ تشكيل منظمة الشباب تحت اشراف زكريا محيى الدين الذى بدأ باعداد معسكرات فى حلوان ومرسى مطروح كان يساعده فيها الدكتور محمد الخفيف وغيره من المثقفين .

وظهر تناقض بين المنظمة التى وضعت تحت اشراف امين عام الاتحاد الاشتراكى على صبرى ، بعد أن عين الدكتور حسين كمال بهاء الدين أمينا عاما لها بعد أن كان معنا عضوا فى امانة طليعة الاشتراكيين .

ظهر تناقض بين نشاط المنظمة ونشاط الاتحادات التى كانت تحاول ان تنهج نهجا خاصا بها ، وأذكر خلال هذه الفترة ان عددا من الاتحادات كان يدعو كمال رفعت أمين الدعوة والفكر لعقد ندوات فى وقت كان الحلاف فيه واضحا بينه وبين على صبرى .

وقد أصدر على صبرى قرارا بفض المؤتمر السادس لاتحاد طلاب الجمهورية الذى عقد خلال عام ١٩٦٥ . ومنذ ذلك الوقت لم يتم اى انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية .

ويذكر ان بعض الطلبة المنتمين للمنظمة قد اذاعوا تسجيلات مسيئة ضد طالب مرشح اسمه أحمد سامى عليوة ، فجمع الطلبة حوله وأصروا على انتخابه كنوع من أنواع الرفض لأسلوب التدخل . وكان هذا سببا من أسباب فرض الهيئة التى شكلت لإدارة المؤتمر السادس واعتبارها لجنة تنفيذية لاتحاد طلاب الجمهورية .

توقفت انتخابات الاتحادات عند حدود الجامعات فقط ، ولم يجرائ انتخاب لاتحاد طلبة الجمهورية حتى عام ١٩٦٨ .

لم تغير الهزيمة العسكرية من موقف الثورة ازاء الطلبة . وظلت محاولات التدخل والحصار مستمرة . ولم يعد ذلك أمرا مقبولا من الشباب الذى مزقت الهزيمة نفسيته وآماله وطموحه .

وانتشرت في مصر لأول مرة ظاهرة هجرة الشباب الى الخارج ٥٠ دفع اليأس بعضهم الى مغادرة الوطن .. ودفن الجمود عن التغيير بعضهم الآخر .

وكان جمال عبد الناصر مدركا لمشاعر الشباب راغبا في تقديم كل ما يعيد الاستقرار والامل الى نفوسهم .

عين احمد كامل امينا عاما لمنظمة الشباب ، بعد ان اثبت نجاحا جماهيريا أثناء عمله محافظا لاسيوط .. وهو من الضباط الاحرار التقدميين الذين لم تلونهم الاطماع المادية او التطلعات الذاتية .

ويقول احمد كامل ان جمال عبد الناصر قد اطلق حريته في عمل كل ما يعتقده انه لمصلحة الشباب ، وشجعه على توطيد العلاقات مع منظمات الشباب في الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتي للاستفادة من خبرات نملة الشباب هناك .

ولم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على كل ما يوطد هذه العلاقة ولكن على صبرى اعترض على ارسال بعثات من الشباب للتدريب والعمل هناك ، بناء على الاتفاقية التى وقعها احمد كامل وبافلوف سكرتير عام الكومسومول .

لم يقبل احمد كامل هذا الاعتراض وطلب رفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى رجح رأى احمد كامل .

كانت منظمة الشباب قد بدأت تأخذ اتجاها جديدا اكثر تقدمية وديموقراطية من الفترة التى قادها فيها دكتور حسين كامل براء الدين تحت اشراف على صبرى ، رغم عدم الانتقاص من أهمية هذه الفترة التى جذبت الشباب الى ميدان السياسة وأثارت اهتماماتهم بعد غيبة طويلة عن هذا الميدان .

ولم يكن على صبرى على حد تعبير احمد كامل - متحمسا لهذا الاتجاه او مشجعا له

وقبل ان تبدأ منظمة الشباب فى الوصول الى القاعدة الطلابية فى الجامعات بأسلوب ديموقراطى سليم .. سبقتها الاحداث .

كانت المنظمة من جهة وجامعير الطلبة من جهة أخرى فى سياق مع الزمن .. المنظمة تحاول استيعاب كافة الشباب ، والاحداث تفجر هذه الطاقة فى اتجاه غير محسوب .

وحدث اكبر تحرك طلابى فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨ أثناء محاكمات حسين الشافعى للمشتكرين فى مؤامرة الحادى عشر امتدادا لتحرك عمال حلوان احتجاجا على الاحكام التى صدرت ضد قادة القوات الجوية ، واعتبرها الناس احكاما بسيطة لاتتناسب مع بشاعة الجريمة وضخامة المسئولية .

واقترنت مظاهرات الطلبة أيضا بمحاكمات مؤامرة المشر .

اجتمع الطلبة فى مؤتمر عقد فى كلية الآداب بـدرج ٧٨ وضم ممثلين عن مختلف الكليات لوضع وثيقة طلابية تمبر عن رأى الطلاب بالنسبة لوضع ما بعد الهزيمة أو (النكسة) على حد التعبير الذى انتشر فى ذلك الوقت

طالب الطلاب بالديمقراطية وضرورة التغيير الشامل ومحاسبة السذين
اطلقوا الرصاص على عمال حلوان الذين اسنبروا في تظاههم ، والامراج
عن المعتقلين منهم .. وانتخبوا من بينهم لجنة تمثلهم وتعبير عن ارادتهم .
تم اعتقال بعض اعضاء اللجنة عقب مقابلة ساخنة مع الدكتور لبيب
شقيير وزير التعليم العالي في قاعة اجتماعات جامعه القاهرة ، حيث رفض الطلاب
تسليم مطالبهم على اعتبار انهم كلفوا من المؤتمر بتسليم الوثيقة لجمال
عبد الناصر شخصيا .

اذكر ان ابني علاء كان عضوا منتخبا في هذه اللجنة ، وعندما علمت
ان مطلبهم الرئيسي هو مقابلة جمال عبد الناصر ، اتصلت بسامى شرف
وكان في ذلك الوقت مازال زميلا لي في امانة طليعة الاشتراكيين ، وطلبت
منه ان يحمل رأى الطلاب الى عبد الناصر ، راجيا ان يتيح لهم فرصة
مقابلته .

اتصل بي سامى شرف بعد ذلك طالبا مني مقابلته في مكتب على صبرى
في مبنى الاتحاد الاشتراكي حيث كان موجودا مع على صبرى وشسراوى
جمعة .. وكانت الساعة تشير الى الثامنة مساء .

كان شعراوى يؤكد انه لم يصدر أمرا باطلاق الرصاص ، وكان على
صبرى هادئا صامتا لا أعرف ما يدور في صدره ، بينما كان سامى شرف
صاخبا يوزع الاتهامات (كالعادة) على الاخوان المسلمين والشيوعيين .
ناقشت الامر مع على صبرى وأوضحت له أهمية تحركه السريع الى
مقابلة اللجنة التي تمثل الطلبة تفاديا لما يمكن ان يحدث من صدام . . .
ولكنه لم يكن مستعدا للذهاب الى الجامعة ، فهو بطبيعته الخاصة رجل غير
جماهيرى ، يصعب عليه مواجهة الرأى المعارض .

ذهلت من هذا الموقف السلبي ، وعجبت من هذا الاسلوب الذى
لا يحسن تقدير الموقف .. ولم أتردد فى اعلان خلافي معه في وجهة نظره .
وصارحت شعراوى جمعة بعد خروج على صبرى بأن الامور لا يجوز
ان تؤخذ بمثل هذه البساطة ، وأن التوزيع التقليدى للاتهامات على الشيوعيين
والاخوان لا يمكن ان يكون تعبيرا ناضجا عن حقيقة موقف شباب متحمس
فى مواجهة هزيمة مرة ، وجمود عن التغيير ، واطلاق رصاص على العمال .
ولكن شعراوى لم يكن يملك فرض رأيه على الآخرين .
وذهب الدكتور لبيب شقيير لمقابلة الطلبة فى محاولة لاقناعهم ، ولكن
محاولته لم تنجح وأصر الطلبة على موقفهم .

وفى صباح اليوم التالى استمرت المظاهرات الطلابية والعمالية وخرج
الطلبة من الجامعة متدفقين الى الشوارع وهتافاتهم تطالب بالتغيير
والديموقراطية ومحاسبة المسئولين .. وفى آخر اليوم هتف البعض لأول
مرة هتافات معادية .

وقد تجاوزت بعض الهيئات مع الطلبة وأصدر مجلس نقابة الصحفيين
الذى كان يرأسه فى ذلك الوقت احمد بهاء الدين بيانا فيه تأييد للطلبة مع
الحرص والتعقل .

واستقبل أنور السادات رئيس مجلس الأمة بعض أعضاء لجنة الطلبة الذين احتشدوا مع المظاهرات حول المجلس . . ولكن المظاهرات لم تتوقف، واتجه بعضها الى الاهرام . . الهنافات معادية ولكن الحرص على النظام والأمن شديد .

وفي مساء نم حملة اعتقالات واسعة شملت عددا من أعضاء اللجنة والنهب الطلبة وضاعت المظاهرات . . واعتصم طلبة هندسة القاهرة في كليتهم .

ومرة أخرى التقي أنور السادات مع الطلبة في قاعة مجلس الشيوخ وحضر اللقاء شعراوي جمعة وأمين هويدى ومحمد فايق من الوزراء . ودارت منافسة حرة طويلة . اوضح فيها أنور السادات حقيقة ماينم من اجراءات لاعادة بناء القوات المسلحة . والاستعداد لنحرير الارض المحتلة . نم الانعراج عن الطلبة المعتقلين بعد هذا اللقاء . وأغلقت الجامعة ابوابها وانفضت المظاهرات مؤقتا ، بعد أن هزت كثيرا من استقرار النظام . وأعادت لالحياة الدور السياسى للطلبة بعد غياب اميد ملقرب من ١٤ عاما .

وكان طبيعيا ان يحاول جمال عبد الناصر استرداد مظهر قوته بعد هذه الاحداث . . فقرر ان يذهب الى حلوان . . المنطقة التي انطلقت منها المظاهرات ليلقى خطابا على شمال المنطقة . . وقد سبق زهابه اليهم توزيع الارباح ومحاولات سياسية لصفية الموقف واجتذاب العاملين . ولم يكن هذه الخطبة هي نهاية للموقف الذى فجرته مظاهرات الطلبة . ولكنها كانت بداية مرحلة جديدة ، أجبرت عليها قيادة الثورة بعد ان واجهت رفض الطلبة للهزيمة ، وفاد صبرهم .

الفصل الثاني

المقاومة

ما اخذ بالقوة .. لا يسترد بغير القوة)

جمال عبد الناصر

استقر الوضع في مصر على رفض الهزيمة .. وركز جمال عبدالناصر كل طاقته وجهده على بناء القوات المسلحة واستعادة قدرتها القتالية .
ولكن المقاومة لم تعد مصرية فقط .. اصبحت عربية .. فعدوان يونيو ١٩٦٧ اتجه الى مصر وسوريا والاردن ، واقتطع من كل منها ارضاسقطت تحت الاحتلال .. واختلف الموقف بذلك عن عدوان ١٩٥٦ الذي ركز ضربته على مصر .

ونشج عن الهزيمة خلق رابطة نضالية مشتركة بين شعوب الامة العربية وجذبت قضية فلسطين ثلاث دول عربية جديدة اصبحت ارضها محتلة ايضا .. كما جذبت بطريق غير مباشر بقية الدول العربية التي لحقتها اهانة الهزيمة التي لم تفرق بين عربى من البدو او الحضر .. من المشرق او المغرب .

وقد اختلفت طبيعة الارض التي فقدتها كل دولة عربية .. فالاردن ضاعت ضفته الغربية وانحسرت رقعته ليصبح (شرق الاردن) كما كان أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين .. ومع سقوط الضفة الغربية انتقل مئات الالاف الى شرق النهر . وواصلوا الحياة في مخيمات اللاجئين ... وسوريا فقدت هضبة الجولان الحاكمة التي أحسن تحصينها الى درجة كان يصعب تصور احتلالها ، الامر الذي جعل سقوطها المفاجيء موضع دهشة العسكريين وظل أمرا تلاحقه علامات الاستفهام .. أما مصر فقد فقدت سيناء ومساحتها ثمن أراضي مصر تقريبا يسكنها عدد محدود وبها بلاد صغيرة قليلة مثل العريش ورفح والطور وغيرها .. ومعروف لدى العسكريين ان ممرات متلا والجدي هي أنسب مواقع تحتلها القوات المصرية للدفاع عن القناة ، ولكن فوزي الانسحاب جعلت سيناء تسقط ويصل الجنود الاسرائيليون الى مياه القناة .

وهكذا فرضت الظروف ان تفتقر مقاومة شعب فلسطين بمقاومة الشعوب العربية الاخرى .. وأن تصبح المقاومة عربية وليست فلسطينية فقط .

وأرض فلسطين لم تعرف الهدوء منذ قامت فيها اسرائيل .. بل وقبل أن تقوم .. كانت هناك حركة وطنية فلسطينية شديدة النشاط .. وكانت هناك ستة أحزاب هي الحزب العربي ، وحزب الدفاع ، وحزب الاستقلال . والكتلة الوطنية ، ومؤتمر الشباب ، وحزب الإصلاح .. ولكنها جميعا انتهت بعد اعلان الهدنة وقيام اسرائيل وتشكيل حكومة عموم فلسطين التي رأسها احمد (باشا) حلمي والتي سرعان ما عصف بها الزمن . وكان هناك حزب شيوعي فلسطيني تشكل عام ١٩١٩ وضم اليهود الى جانب العرب وظل سكرتيه يهوديا حتى عام ١٩٢٩ عندما اصبح له أول سكرتير عربي هو نجاتي صدقي ثم رضوان الحلو .

وقد فرضت حركة ١٩٣٦ نفسها على الحزب الشيوعي .. فكان لليهود ضد حركة وطنية عربية يقودها المفتي المرتبط بالنازية ، بينما حارب بعض العرب في صفوف هذه الحركة .. وقد أدى هذا الموقف الى ما يشبه التشلل للحزب ، الى أن شكل اميل توما واميل حبيب ناديا تقديميا في حيفا ، ودعيا الى قيام اتحاد نقابات وجمعيات العمال العرب . وبعد أن حل الكومنترن في منتصف مايو ١٩٤٣ تشكلت عصابة التحرر الوطني في منتصف سبتمبر ١٩٤٣ لتصبح تنظيما شيوعيا عربيا ، بينما بقي الحزب الشيوعي الفلسطيني قاصرا على اليهود .

ولكن هذا التنظيم العربي مالبث ان انقسم تحت ضغط ظروف قيام اسرائيل الى ثلاثة تنظيمات .. الحزب الشيوعي الاردني الذي أعلن في مايو ١٩٥١ وكان غؤاد نصار هو سكرتيه العام وضم حلقات شيوعية من شرق الاردن واعضاء العصابة في الضفة الغربية .. والعصابة في قطاع غزة وكان مقر لجنتها المركزية في نابلس وقد حوكم أمام مجلس عسكري رأسه الصاغ لطفي واكد مندوبا للعصابة عام ١٩٤٩ وحكم عليه بالسجن ٦ سنوات - على جنابات كان يمكن ان يصل الحكم فيها الى الاعدام ، وبراءة ٤٩ متهما ..

وأخيرا الجذب الشيوعي الاسرائيلي الذي ضم العرب واليهود داخل اسرائيل .

بقيت هذه التنظيمات الثلاثة منبعثة من الحزب الشيوعي الاصيلي تناضل سياسيا في المناطق التي اصبحت تتبع ثلاث دول مختلفة ضدالنفوذ الامبريالي والمشاريع المشبوهة التي حاولوا فرضها على المنطقة في محاولة للتعاون مع العناصر الوطنية التي كانت تنهج حتى ذلك الوقت خطا معاديا للشيوعية .

وقد وضعت امام الانظمة العربية ثلاثة مشاريع لامتصاص اللاجئين: اولها مشروع تعمير شمال غرب سيناء ، والثاني مشروع الجزيرة في سوريا ولبنان ، والثالث هو مشروع جونسون لامتصاص اللاجئين في الضفة الغربية .

خاض الفلسطينيون المعركة ضد هذه المشاريع ، ونشطت الهجمات الاسرائيلية للضغط على اللاجئين لقبولها .

ولم تتوقف عمليات التسلل الى الارض المحتلة . بدات بمحاولة الحصول على ما تركه اللاجئين من اموال واثاث ثم تطورت لتصبح هجمات منظمة مسلحة .

وكان يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ فيصلا بين عهدين . وهو تاريخ غارة غزة الشهيرة التي جعلت جمال عبد الناصر يتخذ ثلاثة قرارات هامة هي :

١ - ابلاغ الولايات المتحدة تاجيل مشروع تعمير شمال غرب سيناء الى مابعد بناء السد العالي .

٢ - صفقة الاسلحة التشيكية حتى لاتقع مصر تحت رحمة الامبريالية والصهيونية التوسعية .

٣ - تشكيل وحدات فدائية فلسطينية .

وقد قام الشهيدان البكاشي صلاح مصطفى في عمان ، والبكاشي مصطفى حافظ في غزة بتشكيل وحدات فدائية من المساجين الذين حكم عليهم لتسللهم داخل فلسطين ، وقد اثرت هذه الهجمات على اسرائيل الى الحد الذي جعلها تدبر عملياتها الانتقامية الاجرامية ينسف الضابطون عن طريق عبوة ارسلت لهما في طرد عن طريق البريد .

وطبقا لاحصائيات وزارة الخارجية الاسرائيلية التي وردت في كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية) لأحمد صادق سعد وعبد القادر يس يتبين انه كان هناك ٧٨٥٠ حادث تسلل منذ الهدنة حتى عدوان ١٩٥٦ ، قام بها اشخاص قدموا من الاردن ، ٣٠٠٠ من الحدود المصرية وغزة ، ثم حوالي ٦٠٠ من سوريا ، ٢٠٠١ من لبنان

ولكن العمل الفدائي توقف من جانب مصر مع عدوان ١٩٥٦ وماتم عليه الاتفاق من تواجد قوات الطوارئ الدولية على حدود مصر وقطاع غزة . . وقد ساد الهدوء على الحدود رغم ان قوات الامم المتحدة قد قتلت نحو ١٠٠ شخص كان بعضهم يتسلل بغرض السرقة .

ولكن هذا الهدوء لم ينعكس سباتا ونوما على الحركة الوطنية الفلسطينية فقد كانت نماذج حركات التحرر الوطني تشكل امامها مشاغل مضيئة .

فقد بدأ الكفاح المسلح في فيتنام يهزم الوجود الفرنسي وبدأت ثورة الجزائر المجيدة تجذب انظار العالم بعد استعمار دام ١٣٠ عاما .
ولكن وجود قوات الطوارئ الدولية ، وانشغال جمال عبد الناصر بقضية الوحدة مع سوريا ، والمركة مع ثورة ١٤ يوليو العراقية والتي جعلت عبد الكريم قاسم يحتضن الحاج أمين الحسيني ويرفع معه شعار (عدنا) بينها القاهرة ترفع شعار (عائدون) ، وأخيرا الانفصال والانحسار في المد العربي المتصاعد .

كل هذا دفع جمال عبد الناصر الى مصارحة اعضاء المجلس التشريعي لغزة حسب ماورد في اهرام ٢٧ يونيو ١٩٦٢ بأنه ليست عنده خطة لتحرير فلسطين .

وقد سجلت اذاعة عمان هذه العبارة واستخدمتها كثيرا في الهجوم على مصر . . وعلى جمال عبد الناصر .
وكان الملك سعود قد قال للعمال الفلسطينيين في الظهران (عليكم أن تسلكوا سلوك الجزائر)

وقطعا لم يكن الملك سعود ليقول مثل هذا القول لولا ثقته من انه لن يتحول في ارض السعودية الى واقع عملي . . وان نظام الحكم هناك لا يمكن أن يسمح بصوت طلقات الرصاص للتدريب او الاستعداد .
خلقت هذه الحالة شعورا عند الفلسطينيين بأنه يجب عليهم أن يعتمدوا على انفسهم ، وأن يشقوا وسط كل هذه الظروف المعقدة والتناقضات الحادة بين الانظمة طريقا خاصا بهم ، لا يعتمد على النضال السياسي وحده .
وبدأت تظهر تنظيمات فلسطينية متعددة . . بلغ عددها في الكويت عام ١٩٦٣ حوالي ٣١ تنظيما . . وتعد اخنارت الكويت حيث توافرت ديموقراطية نسبية وثراء ملحوظ للفلسطينيين
وكانت جذور هذه التنظيمات تمتد الى تنظيمات سياسيه قائمة فعلا في الساحة العربية . . الثورة المصرية ، حزب البعث ، والاخوان المسلمين .
والقوميين العرب ، وبعض التنظيمات الارهابية .

جاء في كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية — غازي خورشيد) الذي اصدره مركز الابحاث لمنظمة تحرير فلسطين ان حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) اختصارا لاسمها ، قد تكونت في نهاية الخمسينيات بالكويت بعد هدوء الحدود في اعقاب العدوان الثلاثي ، وانها اصدرت اول نشرة سرية باسم (فلسطينا) في اوانل ١٩٥٩ .

وكان معظم رواد هذه الحركة من المنتمين او العاطفين على جماعة الاخوان المسلمين ، عدا فاروق القدومي الذي كان منتشيا لحزب البعث ، ولو ان الوقائع التاريخية تثبت اتصالهم بالصين الشعبية عن طريق كمال عدوان وحصولهم على تأييدها .

وظل هذا التنظيم يعي نفسه حتى انطلقت شرارته الاولى في اول يناير ١٩٦٥ عندما صدر البلاغ العسكري الاول لقوات (العاصفة) معلنا بدء الكفاح المسلح وانطلاق الثورة الفلسطينية (لتصفية الكيان الصهيوني المتمثل في دولة اسرائيل .

وبقيت (فتح) تعمل بشكل سرى محدود ، تخاطب مؤتمرات القمة بمذكرات رفعت الى المؤتمر الثالث في ٧ سبتمبر ١٩٦٥ ، ومؤتمر القمة الرابع في ١٤ مارس ١٩٦٦ ، وذلك بعد ان شكلت منظمة التحرير الفلسطينية بناء على قرار المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد بالقدس في ٢٨ مايو ١٩٦٤ والتي كان أحمد الشقيري اول رئيس لها .

أما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين فقد انبثقت من حركة القوميين العرب الذين قلدوا في البداية حركة مصر الفتاة والقمصان الخضراء فأسسوا (كتائب الفداء) . التي قامت على حس عربي فضمت في صفوفها مناضلين من سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر . . وقامت أيضا على أساس انه (لا مفر من القيام بأعمال عنف ضد الانهزاميين والمتعاونين مع الصفوة الحاكمة من جهة ثانية) وذلك بعد اقتناعهم بأنهم يشكلون (مجموعة ضاغطة) مهمتها (التأثير على الصفوة الحاكمة عن طريق اراهابها اذا اقتضى الامر لترفض أى صلح مع اسرائيل كخطوة اولى والتهيز لتصفيتها في جولة أخرى) وذلك كما ورد في كتاب (حركة القوميين العرب - باسل الكبيسي) الذي صدر عن دار الطليعة ببيروت .

وكان جورج حبش الفلسطيني هو العنصر الشديد الفعالية ، الذي انضم الى (جيش الانقاذ) الفلسطيني غير النظامي . والذي ارتبط مع هاني الهندى السورى الاصل البغدادي المولد ، ليشكلا مجموعة بيروت .

والغريب ان هذه المجموعة قد ارتبطت بالارهابى المصرى حسين توفيق الذى اغتال أمين عثمان ثم هرب الى سوريا بعد ان حوكم مع مجموعة من الشباب المصرى ضمت أنور السادات وسعد كامل والسفير محمد كامل ابراهيم وغيرهم .

لجأت هذه المجموعة الى الارهاب فهاجمت معبدا لليهود فى دمشق فى ٦ أغسطس ١٩٤٩ وقتلت ١٢ وجرحت ٢٧ شخصا ، ووضعت القنابل فى مدرسة (الايانس) ببيروت ، وهاجمت مقر وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة فى دمشق .

وقد حاولت (الكتائب) ان تصبح جناحا عسكريا للبعث ، ولكن لم يحدث اتفاق بين التنظيمين اللذين قام أحدهما على فكرة العنف ، وقام الآخر على فكرة التبشير بالقومية والوحدة العربية .

وقد تعرضت هذه المجموعة الى ملاحقة الشرطة بعد اعترافات حسين توفيق الذى اعتقل بعد محاولة الاغتيال الفاشلة لأديب الشيشكلي .

ومع ذلك فقد حاولت هذه المجموعة الاتصال مع الشيوعيين والدخول معهم فى جبهة (ان كانوا قد اعجبوا بالدور القيادى الذى لعبه الشيوعيون المراقبون فى الانتفاضة الوطنية التى أجبرت صالح جبر على الاستقالة وأدت الى إلغاء معاهدة بورتسموث ، كما انهم تأثروا بالنجاح الكبير الذى حققه الشيوعيون فى الصين بحيث اعتبروا الشيوعيين العرب قوة ثورية يجب ألا تستبعد من ساحة النضال الوطنى ، وعلى هذا الأساس دخل القوميون العرب فى مباحثات مع الشيوعيين بهدف التوصل الى صيغة

للتعاون ، ولكن المباحثات سرعان ما انهارت بسبب موقف الشيوعيين من القضية الفلسطينية ، فقد تمسك الطلبة الشيوعيون بالخط الرسمي للحزب الشيوعي الخاص بتأييد قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة ، وبحكم الموقف المتصلب للقوميين العرب ازاء هذه القضية لم يجدوا أية نقاط التقاء بينهم وبين الشيوعيين) وذلك حسب ماورد في مقابلة صحفية مع الدكتور جورج حبش في ٢٤ يونيو ١٩٧٠ نشرت في كتاب (حركة القوميين العرب) .

وتمكنت حركة القوميين العرب من تشكيل منظمة طليعية عام ١٩٥٢ تسمى (هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل) عارضت مع الحركة الوطنية الفلسطينية مشروعات الاستيطان ، وأصدرت مجلة أسبوعية اسمها (الثار) لعبت دورا مؤثرا في صفوف اللاجئين الفلسطينيين .

ولم تقترب الحركة من الثورة المصرية الا بعد عام ١٩٥٤ عندما ظهر الدور الوطني لثورة يوليو في حربها ضد الاحتلال البريطاني لمصر ومقاومة حلف بغداد والأحلاف العسكرية ، وعندما أصدر جمال عبد الناصر قرارا بتدويل الطلبة القوميين العرب المفصولين من الجامعة الأمريكية في الجامعات المصرية .

واتجهت حركة القوميين العرب نحو التأييد المطلق للثورة المصرية ، وصدرت مجلة (الرأي) معبرة عنهم ، كما فتحت (صوت العرب) أبوابه لهم وأوصل صوتهم الى جماهيرهم في الاردن والارض المحتلة ، وأسهموا بذلك مع غيرهم من القوى الوطنية الفلسطينية في بعث روح النضال ضد المشاريع الاستعمارية ، كما قام عبد الحميد السراج في سوريا بتدريب أعضاء الحركة للنضال ضد الحكم الهاشمي في الاردن .

وعندما قامت الوحدة نظر القوميون العرب الى الجمهورية العربية المتحدة على انها (نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للأجيال القادمة) ونقلت القيادة القومية للحركة مقر عملها الى دمشق في أوائل ١٩٥٨ .

وعندما ظهر التناقض بين ثورة يوليو المصرية ، وثورة يوليو العراقية ووجه القوميون العرب نشاطهم نحو القوات المسلحة العراقية وكسبت عددا من الضباط ، (أخذ الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل بعوثي القيادة القومية (للحركة) ويناقش معهم مختلف أبعاد النضال القومي .

وقد لعبت نشرتهم السرية (الوحدة) التي ساعد هاني الهندي في إصدارها دورا في الهجوم على الحزب الشيوعي العراقي .

وقد صدر العدد الاول من مجلة (الحرية) الناطقة باسم حركة القوميين العرب في يناير ١٩٦٠ موضحة موقفها كما يلي .

(نحن راغبون فكريا في خوض معركة مع كافة القوى المعادية لحركتنا . . . سواء كانت شرقية أم غربية . . . يمينية أو يسارية) .

وهكذا لعبت حركة القوميين العرب دورا في التركيز على قضية الوحدة العربية ، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية في الوطن العربي .

وعندما صدرت قوانين يوليو الاشتراكية أيدها القوميون العرب ٠٠
وعندما دعا جمال عبد الناصر في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ يوليو عام
١٩٦٣ الى اقامة (حركة قومية موحدة تندمج فيها كافة الحركات القومية في
الوطن العربي) أرسلت الحركة وفدا الى مصر قابل جمال عبد الناصر الذي
ايد فكرة اقامة تحالف لهذه القوى ٠

وظلت العلاقة بين الحركة وعبد الناصر الى ان نشب خلاف بين مصر
ممثلة في بعض ضباط المخابرات المصريين الذين تولوا مسئولية الاتصال
مع الحركة الثورية في اليمن وبين (الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن)
التي تقودها (الحركة) ٠

ووصل الخلاف الى الحد الذي دفع الحركة الى دعوة (اليسار الناصري)
الى تأكيد (استقلاله) الفكرى والسياسى والتنظيمى ٠ والى اعتقال بعض
قادة الجبهة القومية فى القاهرة ٠

البعث ٠٠ والقضية الفلسطينية

وقد لعب حزب البعث العربى الاشتراكى دورا رئيسيا فى تعبئة الامة
العربية للنضال من اجل تحرير فلسطين التي تعتبر قضية محورية فى عقيدة
الحزب ولذا فلها عليه تأثير داخلى حاسم ٠

وكان كبار قادة البعث مثل ميشيل عفلق واكرم الحوراني وصلاح
البيطار قد تطوعوا عام ١٩٤٨ فى حرب فلسطين ٠٠ كما تاضلوا داخل
سوريا لتوجيه مسار سياستها نحو دعم الوحدة العربية لتصبح قوة مؤثرة
فى مواجهة اسرائيل ٠٠ حتى انتهى الامر الى قيام دولة الوحدة الاولى
(الجمهورية العربية المتحدة) فى فبراير ١٩٥٨ (انظر الجزء الثالث
عبد الناصر والعرب) ٠

كان حزب البعث خلال هذه الفترة قد تحمس لموقف ثورة يوليو وعندما
عقد عبد الناصر صفقة الاسلحة ، وكسر احتكار السلاح الغربى ٠٠ ووقف
موقف المساندة الابحائية الفعالة عندما حدث العدوان الثلاثى على مصر ،
وفتح فى حمص معسكرات لتدريب الشباب ، كما قام فرع الحزب فى غزة
بنشاط سياسى اثناء فترة احتلال القوات الاسرائيلية لها ٠

واذا كانت العلاقة قد تعثرت بين ثورة يوليو وحزب البعث فان موقف
ميشيل عفلق كان ثابتا وواضحا ٠٠ لم يهاجم وجود قوات الطوارئ الدولية
على الحدود المصرية كما فعل اكرم الحوراني ، ولم يؤيد الحركة الانفصالية
فى ايامها الاولى كما فعل الحوراني والبيطار ٠٠ وانما ثبت على موقفه
البدنى المدافع عن فكرة وقضية الوحدة العربية ٠

وفى عام ١٩٦٠ انشئ مكتب فلسطين القومى تابعا لحزب البعث ٠٠
وكان ضمنه تنظيم للكفاح المسلح ٠

وخلال أعوام ١٩٦٣ و١٩٦٤ انشغل الحزب الحاكم فى سوريا والعراق
بمشاكل الدولة الداخلية وخلافاتهم مع ثورة يوليو مما احدث نوعا من
الاحباط وخيبة الامل كما يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالى الذى كان امينا

لهذا المكتب الذى قاده خالد يشرطى الذى كان عضوا فى القيادة القومية عام ١٩٦٣ .

ثم اتصل الفلسطينيون من البعث بأعضاء فتح بعد تكوينها ، وسقط خلال كموش عضو الحزب شهيدا فى العمليات الفدائية عام ١٩٦٥ ، وكانت جريدة (الاحرار) البعثية فى لبنان قد نشرت البيان رقم ١ للعاصفة فى أول يناير ١٩٦٥ ، وفتحت صفحاتها دفاعا عنهم .

كما كانت جريدة البعث فى العراق تنشر بيانات العاصفة التى كان يسلمها فتحي عرفات شقيق ياسر عرفات الى طارق عزيز المسئول عن تحريرها ووزير الاعلام الحالى فى العراق .

ويذكر ان عددا من قادة فتح كانوا اعضاء فى البعث مثل ابو اللطف (فاروق قدومي) ومحمد ابو ميزر ومحسن ابو ميزر وخالد يشرطى . ومع ذلك فقد اعتقل ياسر عرفات فى سوريا بوساطة احمد سويدانى رئيس المخابرات فى عهد امين الحافظ والذى تعاون بعد ذلك مع قادة الانقلاب العسكرى فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ .

كان الحكم فى سوريا والعراق بعد هذا الانقلاب يطارد البعث وقيادته القومية .

وعندما حدث عدوان ١٩٦٧ كان ميشيل عفلق فى البرازيل ومن هناك ارسل برقية تضامن الى جمال عبد الناصر .

وعندما قامت ثورة ١٧ يوليو فى العراق نشط البعث فى جمع التبرعات لمنظمة فتح الى ان اعلن عن تشكيل (جبهة التحرير العربية) فى أول يناير ١٩٦٩ ، حيث قامت بدورها فى النضال المسلح وتولى أمانتها العامة زيد حيدر ثم دكتور عبد الوهاب الكيالى وأخيرا عبد الرحيم احمد .

المقاومة .. بعد العدوان

هذه النبذة التاريخية المختصرة تعرض الجذور التاريخية للحركات الرئيسية لنضال الشعب الفلسطينى قبل عدوان ١٩٦٧ .

ولم تكن هذه هى القوات الوحيدة فى الساحة .. كانت هناك قوات وتنظيمات أخرى صغيرة تبذل جهودها للعمل وسط صفوف الشعب الفلسطينى الذى تنأثر عدد كبير منه فى مختلف الدول العربية ، واستقر عدد منه فى اعمال مربحة ومجزية وخاصة فى المهجر او فى الدول البترولية .

وفتح عدوان ١٩٦٧ صفحة جديدة فى تاريخ النضال الفلسطينى . وجدت حركة (فتح) التى اختارت طريق الكفاح المسلح منذ مطلع عام ١٩٦٥ فرصة فريدة لاثبات وجودها والحصول على اعتراف الانظمة العربية المهزومة بها .

وكانت (فتح) قد حاولت الاتصال بالسلطات المصرية عام ١٩٦٦ ولكن العمل العربى كما سبق ان ذكرت كان فى يد ضباط المخابرات المصريين ، الذين كانوا مقتنعين بأن ارتباط بعض قادة فتح بالاخوان المسلمين ، هو فى ذاته امر يجب أن يبعدهم عن ثورة يوليو .. وخاصة

بعد ثبوت وجود الاخوان فى تنظيم سرى عام ١٩٦٥ ومحاكمة بعض قادتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام ،

ومع ذلك فقد كتبت فى روز اليوسف فى عدد ٢٣ اكتوبر ١٩٦٧ بعد لقاء مع عدد من قادة التنظيمات الفلسطينية تحقيقا تحت عنوان (دقت ساعة حرب جديدة لانكسبها اسرائيل ولا بالقنبلة الذرية) تحدثت فيه عن الحركة الفدائية وتأثيرها التاريخى فى فلسطين ، وأشرت الى أن نقط انطلاق الفدائيين لن تكون فى الخارج بعد أن أصبح العرب الفلسطينيون يشكلون أكثر من نصف تعداد سكان الارض التى تسيطر عليها اسرائيل ، ولما كان يغلبنى الاعتقاد وقتئذ بان العمل الفدائى سوف يكون من داخل الارض المحتلة ، فقد قلت ان العمل الفدائى يخرج بذلك من حساسية الدول المجاورة وتتوفر له بذلك شرعية ثورية .

وكانت وكالة الانباء الفرنسية قد نشرت برقية من داخل اسرائيل فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٧ تقول فيها . .

(اذا كان رجل الشارع فى اسرائيل قد ارتاح بعض الشيء بعد (حرب الايام الستة) من حزيران الماضى التى أبعدت الحدود الاسرائيلية عن المواقع الحيوية لاعمال العنف العربية فانه يبدو عليه اليوم الاستياء المشوب بالقلق بعد الغارات التى يشنها الفدائيون العرب التى تهدد بأن تصبح أكثر قسوة وخطورة) .

تزايد الدور السياسى لحركات المقاومة الفلسطينية وبرز دورها فى الساحة العربية ، وبدأت تبحث عن طريق للاعتراف الدولى بها .
وكان طبيعيا ان يكون اول تفكير لهم فى الدولة الكبرى الصديقة الاتحاد السوفيتى الذى لم تكن تربطه بهم حتى ذلك الوقت صلة ما .

وفى هذه الفترة تعرف (صلاح خلف) أبو اياد ومعه عدد من رفاقه على بريماكوف مراسل البرافدا فى القاهرة فى ذلك الوقت ، ونائب معهد العلاقات الدولية بموسكو الآن فى جلسة كانت فى منزلى ، ودار خلالها حديث عميق حول دور حركة المقاومة الفلسطينية ، ولعله كان احدى البدايات فى طريق اتصالات متعددة وطويلة امتد حتى اتيتحت لهؤلاء القادة فرصة مقابلة عبد الناصر عن طريق محمد حسنين هيكل بعد نشر ما كتبت وقبول مصر لقرار مجلس الامن .

وحتى هذه اللحظة كانت المخابرات المصرية تثير الشكوك حولهم فحذرت هيكل من احتمال دخول ياسر عرفات وصلاح خلف وفاروق القدومى على عبد الناصر وهم يحملون اسلحتهم .

ويكتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ما دار فى هذا اللقاء مشيرا الى قول جمال عبد الناصر بأنه كان من ضمن المشاكل عدم وجود عنصر فلسطينى فى النضال ، وانه سيكون سعيدا اذا استطاعت فتح التعبير عن ارادة المقاومة عند الشعب الفلسطينى ، وانه لايجد سببا واحدا يحول دون تعاونهم معا رغم ان مصر قد قبلت قرار مجلس الامن لانه يعتقد ان للفلسطينيين كامل الحق فى عدم قبول القرار والاعلان عن ذلك لانه لم يصدر من أجملهم ولا يحمل توقيعهم .

وبعد هذه الاتصالات بدأت فتح وحركات المقاومة الاخرى تأخذ مجالا
 في العمل السياسى والظهور الاعلامى .
 وجد عبد الناصر فى فتح حليفا جديدا ليعوضه عن القوميين العرب .
 وفرضت عليه الظروف ان يقبل ماكان يرفضه فى الماضى .
 وكانت حركة القوميين العرب قد عقدت بعد الهزيمة عدة مؤتمرات
 لبحث وتحليل الاسباب التى أدت الى هزيمة الجيوش العربية . . . وكانت
 حصيلة هذه المؤتمرات الطلاق الكامل مع الناصرية التى اديننت
 باعتبارها (حركة برجوازية صغيرة محكوم عليها بالفشل) ، كما دعت هذه
 المؤتمرات الى استبدال الناصرية (ببداية جديدة) من شأنها أن تغير حركة
 القوميين العرب من منظمة شبه برجوازية الى حزب لينينى ماركسى .

ونشرت مجلة (الحرية) تقول ان كل الانظمة العربية قد سقطت .
 وانبثقت عن حركة القوميين العرب (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين)
 التى يقول كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انها تشكلت من اتفاق
 ثلاث منظمات هى منظمة ابطال العودة ، وجبهة التحرير الفلسطينية التى
 كونها الضابط الفلسطينى فى الجيش السورى أحمد جبريل ، ومنظمة شباب
 الثار التى تعرف أيضا باسم الجبهة القومية لتحرير فلسطين ، وهو التنظيم
 الفلسطينى لحركة القوميين العرب .

وقد تطورت العلاقات بين فتح وثورة يوليو الى الحد الذى جعل جمال
 عبد الناصر يصحب معه ياسر عرفات الى موسكو اثناء زيارته لها فى يوليو
 ١٩٦٨ بجواز سفر مصرى تحت اسم (محسن أمين) ، بعد ان كان قد سهل
 له مهمة الحصول على الاسلحة والتدريب فى مصر ، الامر الذى اثار قلق
 الملك حسين وخاصة عندما ضبطت الاسلحة المرسلة الى الفدائيين فى طائرتين
 قادمتين من القاهرة .

وقد ارسل الملك حسين رئيس وزرائه بهجت التلهونى للاحتجاج على
 ذلك اكثر من مرة .
 ولم يتوان الفدائيون عن أداء دورهم النضالى بعد تنظيم وحدات
 عسكرية تابعة لمختلف التنظيمات القائمة فى الساحة والتى كانت (فتح)
 تشكل ثقلها الرئيسى .

وقد أدى تصاعد العمليات الفدائية الى اكتشاف اساليب جديدة فى
 القتال ، وظهرت الحاجة الى استخدام أسلحة أكثر تطورا مثل صواريخ
 ستريللا السوفيتية .

ولذلك أسهم جمال عبد الناصر فى ايجاد جسر مباشر بين القادة
 السوفيت وقادة فتح ، فقدم عرفات الى بريجنيف وكوسيجين ويودجورنى .
 ودارت المباحثات بين ياسر عرفات وكيريل مازاروف المسئول السياسى
 عن الصلة بحركات التحرر الوطنى وبعض العسكريين . . . وبدأت منذ ذلك
 التاريخ علاقة سياسية مباشرة بين الفلسطينيين والاتحاد السوفيتى، أسهمت
 الى حد كبير فى امدادهم بالاسلح ، ودعم موقفهم فى مجال السياسة الدولية .
 أصبح الكفاح المسلح شعارا ترفعه كافة التنظيمات الفلسطينية وبدأ

تشكيل الوحدات الفدائية .. وانتقلت المعركة الى داخل الارض المحتلة .. وبدأت بعض التنظيمات الصغيرة في الانضمام الى فتح ، مثل جبهة التحرير الوطنى الفلسطينى ، ومنظمة طلائع الفداء لتحرير فلسطين ، وجبهة ثوار فلسطين ، وقوات الجهاد المقدس .

ومع ذلك لم تتحد كافة المنظمات الفلسطينية ، ولم ينجح مؤتمر المنظمات الفدائية الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ١٧ الى ٢٠ يناير ١٩٦٩ فى دمج هذه التنظيمات فى وحدة متماسكة فقد قاطعته الجبهة الشعبية . والتعدد فى التنظيمات الفدائية يعتبر ظاهرة طبيعية ، تعكس واقع الشعب الفلسطينى خلال السنوات العشرين التى عاشها بعد قيام اسرائيل . وتشئت فيها فى مختلف الدول العربية .. الامر الذى جعل عددا من التنظيمات يربط بانظمة معينة تنفق عليها وتحدد مسارها وسياستها . وارتدت ظاهرة التنافس والتناقض بين الانظمة العربية الى الساحة الفلسطينية ، حيث يريد كل نظام ان يطوع العمل الفدائى ليتناسق مع سياسته .

ويظهر كتاب (دليل حركة المقاومة الفلسطينية) انه كان هناك ١١ تنظيمًا هم :

فتح - قوات التحرير الشعبية التابعة لمنظمة تحرير فلسطين - طلائع حرب التحرير الشعبية (قوات الصاعقة) - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين - جبهة التحرير العربية - الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (القيادة العامة) - جبهة النضال الشعبى الفلسطينى - الهيئة العاملة لتحرير فلسطين - منظمة فلسطين العربية - المنظمة الشعبية لتحرير فلسطين .

ولدت معظم هذه التنظيمات فى فترة المد لحركة الكفاح المسلح ، وفى موجة اندفاع ابناء الامة العربية وخاصة ابناء فلسطين الى العمل الفدائى .. والبعض منها كان نتيجة لحركات انقسامية فى صفوف الجبهة الشعبية . ورغم هذا فقد حدث تزواج قومى فى صفوف هذه التنظيمات .. فوقف فى خندق واحد المصرى والفلسطينى والعراقى والسورى والجزائرى .. وغيرهم من مختلف الدول .

لم يحدث هذا التزاوج فى تحركات تقليدية للقوات المسلحة للانظمة المختلفة .. وانما حدث بروح تطوعية و ارادة شعبية . واستلقت اهتمام الرأى العام العالمى ، حركات العمل الفدائى التى بدأت تؤرق اسرائيل ، وتظهر المقاومة الفلسطينية كعنصر ايجابى مؤثر فى الموقف العسكرى والسياسى بالمنطقة .

أصبحت شعارات الفدائيين وصورهم ترتفع فوق المظاهرات فى دول أوروبا الغربية .. وتعمق اهتمام الدول الاشتراكية بجدية حركة التحرير الوطنى الفلسطينية ، فاعترفت بها وبحقوق شعب فلسطين ، ثم أيدت فكرة اقامة دولة فلسطينية ، وأخيرا ادانت الصهيونية كفكرة عنصرية .

وقد أخذت الحركات الفدائية أساليب مختلفة فى عملها .. البعض

حارب داخل اسرائيل ٠٠ والبعض اكتفى بمناوشات الحدود ٠٠ والبعض اتجه الى خطف الطائرات فكانت العملية الاولى التي قامت بها الجبهة الشعبية يوم ١٥ يوليو ١٩٦٨ عندما خطفت طائرة (بوينج ٧٠٧) تابعة لشركة العال الاسرائيلية اثناء اطلاقها من مطار روما وقادتها الى مطار الجزائر .
وقد اختارت فتح منهجا سياسيا يصير على (تجنب الممارك السياسية والفكرية مع القوى الاخرى مهما كان السبب ، لان هذه الممارك ستؤثر على سرعة نموها) ٠٠ وحرصت على تجنب الصدام مع الانظمة التي تعيش فوق ارضها .

اما بعض التنظيمات الاخرى فقد اتجهت الى الماركسية اللينينية لتجد فيها ذخيرة فكرية ، ومرشد نضال ٠٠ وبدأ الصراع الطبقي يصبح محورا من المحاور الرئيسية التي يتبلور حولها تفكير واستراتيجية هذه التنظيمات .

طلّح حرب التحرير الشعبية (الصاعقة) الفرع الفلسطيني لحكم سوريا تؤمن بالاشتراكية العلمية وتري ان (الصراع الطبقي في وطننا لم يتبلور نتيجة انقسام حاد في المجتمع ٠٠ وانما برز نتيجة عجز طبقات مهترئة اقطاعية وبرجوازية عن قيادة وحماية تراث الوطن العربي من الغزو الاستعماري)

والجبهة الشعبية اعتنقت الماركسية اللينينية كما ذكرنا ٠٠ ولكنها ادانت الاحزاب الشيوعية العربية ووصمتها بالفشل ، اذ كانت ترى في نفسها البديل لتلك الاحزاب .

ولكن سرعان ما حدثت الانقسامات في الجبهة عندما انشق احمد جبريل ليشكل القيادة العامة في اكتوبر ١٩٦٨ ، وفي فبراير ١٩٦٩ انشق الجناح اليساري من الجبهة ليشكل (الجبهة الشعبية الديمقراطية) .
ولاشك ان انجذاب التنظيمات الفلسطينية الى الماركسية اللينينية خلال فترة مابعد العدوان قد شكل تغيرا جذريا في اتجاه الحركات السياسية في الشرق الاوسط ، وفرض على الانظمة العربية تقليل حساسيتها التقليدية من الافكار والاحزاب الشيوعية ٠٠ كما جذب انظار الطبقات العاملة في الوطن العربي الى ضوء جديد .

ولكن عدم نجاح هذه التنظيمات في التعاون مع الاحزاب الشيوعية القائمة اظهر نقاط ضعف في تمثيلها السليم عن الواقع الطبقي للعمال والفلاحين . وفي احوال الدور التاريخي لهذه الاحزاب ، مع محاولة طموح للقفز فوق الواقع .

على أية حال كان جديدا ان تظهر تنظيمات تقول مثل ما قالت الجبهة الشعبية الديمقراطية من أن (النضال ضد الامبريالية هو اساسا نضال طبقي ، فالامبريالية تحكم سيطرتها وهيمنتها على المنطقة العربية خلال تحالفها مع الاقليات العربية الحاكمة في الانظمة الرجعية) .

اما الحزب الشيوعي الاردني فقد ظل هادئا امام موجات الاندفاع الى العمل الفدائي حتى مارس ١٩٦٩ عندما اصدر بيانا دعا فيه الى (حماية

المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها) .. كما أشار الى أن (جميع الظروف آخذة في النضوج لاقامة جبهة شعبية ثورية تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية في الاراضى المحتلة بشكل واع) .. كما طالب بتنسيق العمل بين قطاعى المقاومة في الاراضى المحتلة والضفة الشرفية) . وأخيرا ظهرت قوات الانصار التي صدر بيانها الاول في مارس ١٩٧٠ فكانت منظمة فدائية جديدة أسهم فى تكوينها الاحزاب الشيوعية فى كل من الاردن والعراق وسوريا ولبنان .. وجاء فى بيانها الاول (انها - لا تبغى منافسة أو معارضة أية منظمات مقاتلة ضد العدو - بل - ستكون رافدا من روافد المقاومة يصب فى نهريها العارم .

وتماوجت فى الوطن العربى عدة أفكار سياسية .. فبرزت الفكرة القائلة بأن النظرية تنبع من فوهة البندقية .. وعارض ذلك من يعتبرون أن فى ذلك محاولة للتقليل من أهمية ودور النضال السياسى وهو فى مضمونه استهانة بالجماهير .

وقد شهدت السنوات التى أعقبت الهزيمة اتساع نفوذ المنظمات الفدائية وخاصة فتح التى انتخب زعيمها ياسر عرفات رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى بدلا من يحيى حمودة ، وانتقلت بذلك الاغلبية فى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الى أيدي ممثلى النشاط الفدائى .

المقاومة داخل الارض المحتلة

لم تقتصر المقاومة العربية الفلسطينية على حدود الارض المحتلة وانما امتدت ايضا داخل الاراضى الاسرائيلية .. قام بها العرب الذين بقوا تحت الحكم الاسرائيلى .

لم تتجه المقاومة داخل الارض المحتلة الى الكفاح المسلح فى البداية ، فقد كانت قبضة القوات الاسرائيلية بعد الانتصار وبداية الاحتلال شديدة العنف تطارد السلاح كالكلاب المسعورة .

وقد برزت الشخصية الفلسطينية وظهرت بوضوح وقوة .. واتجهت الجماهير الى التحرك السياسى الذى نشطت فيه الجبهة الشعبية والحزب الشيوعى الاردنى والحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة .

وحاولت الحكومة الاسرائيلية فى مواجهة ظهور الشخصية الفلسطينية العمل بأسلوبها السابق على عدوان ١٩٦٧ ، وهو الاعتماد على شريحة محدودة من بعض الاثرياء والعملاء .. لتميع الشخصية الفلسطينية وتفريغ شحنتها نضالها .

وكانت بعض الاحزاب العربية قد تضامنت مع الماباى وحكومة ليفى اشكول عقب استقالة بن جوريون .. وأيد بعضها قرار الكنيسيت باقامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية .. كما أيدوا الاجراءات الشكلية التى اخذتها الحكومة الاسرائيلية بنقل اختصاص الحكم العسكرى الى الادارة المدنية ومساواة العمال العرب بالعمال اليهود فى الهستدروت .

وبعد الانصار اتبعت السلطات الاسرائيلية سياسة مزدوجة ٠٠ القمع والارهاب ونحويل الارض المحتلة الى شبه مستعمرات من جهة والنعاون السياسى مع بعض الانرياء وخلق مايتنبه السووالعربية الاسرائيلية المنسركة حيث تتسرب البضائع الاسرائيلية الى الاردن والدول العربية ٠

صرح ابا اييان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٧ فى مؤتمر صحفى بان اسرائيل ترغب فى تكوين (مجتمع اقتصادى مشترك) مع لبنان والاردن ٠ واستجاب بعض الاعيان لذلك فشككوا لجانا قومية وقطرية لاجراء مفاوضات مع الحكومة الاسرائيلية باركتها الحركات الصهيونية مل هاعولام هازيه والمابام وماكى ٠

وفى نوفمبر ١٩٦٨ صدرت أول جريدة عربية (القدس) ٠ ولكن الفلسطينيين لم ينجرفوا فى هذا التيار السهل ٠ كانت هناك مجموعات أشد صلابة وتشبهاً بالافكار الوطنية والقومية ٠

فى اكتوبر ١٩٦٧ تشكلت فى الضفة الغربية جبهة واسعة باسم : (جبهة المقاومة الشعبية) ٠ ضمت الحزب الشيوعى الاردنى والقوميين العرب وحزب البعث وجبهة تحرير فلسطين ٠ وقد استبعد الاخوان المسلمون والعناصر الموالية لأمريكا ٠ كما جاء فى كتاب (الحركة الوطنية الفلسطينية أحمد صادق سعد وعبد القادر بس) ٠ وكانت هذه الجبهة تعارض اقامة دولة فلسطينية تحت كنف الاحتلال الاسرائيلى ٠

ثم اعيد تشكيل (جبهة المقاومة الشعبية) فى منتصف عام ١٩٦٩ حيث نسقت العمل مع (الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة) ، وقد لعبت الاحزاب القومية والتقدمية دورا بارزا فى توجيه الجماهير ٠

وقد تحولت المقاومة الى شكل ايجابى ، فأغلقت كافة المحلات وتوقفت المواصلات فى اضراب عام خلال اغسطس ١٩٦٧ فى مدينة القدس ٠ وفى أول سبتمبر أصدر المدرسون فى الضفة الغربية بيان احتجاج على تزييف الحكومة الاسرائيلية للمناهج الدراسية ودعوا الى مقاطعة الدراسة ٠ وقامت مظاهرة عمالية من العاطلين فى رفح خلال ديسمبر تطالب بالحز فاطلق عليها الجنود الاسرائيليون النار ، وسقط شهيد ٠

وتوالى الاضرابات والمظاهرات والاحتجاجات فى كل مناسبة وطنية او قومية ٠ ووصل الامر الى حد قيام احتكاكات بين البوليس والمتظاهرين فى مدن عديدة مثل نابلس ورام الله وجنين (انظر الحركة الوطنية الفلسطينية صفحة ١٣٣)

ولجأت السلطات الاسرائيلية الى ابعاد العناصر الوطنية من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ٠

وقد سجلت المحاكم العسكرية انها نظرت فى شهرين اثنين من عام ١٩٦٧ ما يقرب من ٦٥٠ قضية اهانة للبوليس والجيش الاسرائيلى ، كما قدم لمحكمة غزة العسكرية ما يقرب من ٢٠٠ فدائى ٠

وقد صرح الجنرال دايان فى أول يناير ١٩٧٠ امام الكنيست ان ٩٩٩ عملا تخريبيا قد وقع خلال ٨ شهور من عام ١٩٦٩ قتل فيها ٤٠ فدائيا ٠

٢٣ جنديا اسرائيليا ، وجرح ٥٥٨ فردا ، وقد ردت السلطات الاسرائيلية
بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ .

وكان هذا دليلا على أن المقاومة لم تقتصر على تحركات جماهيرية
سياسية فقط ، ولكنها تجاوزت ذلك الى العمليات العسكرية التي تبنتها
التنظيمات الفلسطينية خارج الارض المحتلة والتي كان يتسرب أعضاؤها
الى الداخل سرا .

وقد انفجرت بعض القنابل في دور السينما والمحلات العامة ،
وأماكن التجمع داخل اسرائيل الامر الذي خلق نوعا من الذعر لاشك فيه بين
المستوطنين الصهيونيين

هذا ماكان من المواطنين العرب الفلسطينيين .

المقاومة داخل اسرائيل

أما ماحدث داخل اسرائيل نفسها منذ اللحظة الاولى للعدوان فكان
يتخذ وجهة اخرى واسلوبا مختلفا .

كان الشيوعيون الاسرائيليون قد حذروا قبل العدوان من اشاعة
الهستيريا العسكرية ، وأكدوا ان الحرب مهما كانت نتيجتها لن تحل أى
قضية معلقة ولن تؤدى الا الى زيادة الجفاء والعداء بين اليهود والعرب .

وفي ٥ يونيو ١٩٦٧ كان النائبان الشيوعيان مايرفيلنر سكرتيرحزب
راكاح وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسى للحزب هما الوحيدان من بين
اعضاء الكنيست اللذان صوتا ضد اعتماد قروض عسكرية او فرض ضرائب
جديدة . كذلك حاول النائبان تجميع توقيعات النصاب القانونى لفتح باب
مناقشة الحكومة فى أمر العدوان ولكنهما لم ينجعا فى ذلك لتكتل الجميع
خلف العدوان .

وقال ماير فيلنر فى الكنيست (لم يكن فى استطاعة أى عدو ان يلحق
باسرائيل اضرارا كذلك التي الحقها الحكومه الاسرائيليه) وطالب بوقف
العمليات العسكرية التي بدأتها اسرائيل فورا وبسحب القوات الى خط
الهدنة .

وأضاف فيلنر (ان هذه الحرب ليست فى صالح شعب اسرائيل
وليست فى صالح الشعوب العربية وانما هى فقط تخدم المصالح الامبريالية
الامريكية والبريطانية وتسعى لحماية هذه المصالح بسفك دماء الشعوب .
وثار النواب ضد فيلنر وحاولوا انزاله من منبر الكنيست فصاح فيهم
توفيق طوبى كما ورد فى كتاب (اطلاق الحمامة) لبيليايف وبريماكوف .
وكوليسنيةشنيكو (انكم لن تستطيعوا كتم صوت الشيوعيين فهو صوت الحق ،
صوت الشرفاء من العرب واليهود ، صوت السلام . ولايد يوما ان يعلو هذا
الصوت على نعيكم)

وقد قامت السلطات الاسرائيلية باعتقال عدد كبير من الشيوعيين .

ومن بينهم أسرة تحرير جريدة (الاتحاد) العربية لسان حال الحزب الشيوعي ومع ذلك استمرت الجريدة في الصدور هي وجريدة الحزب العبرية (زوخادريخ) . . واحتج الشيوعيون على وضع المناطق التي يسكنها عرب الارض المحتلة تحت الحكم العسكري .

كان الشيوعيون الاسرائيليون وحدهم هم الذين يأخذون هذا الموقف الواعي الشجاع في ظروف شديدة القسوة . وكان صوتهم الذي يبدو نشازا في غمرة الابتهاج الذي غمر اسرائيل وانتقل منها الى الدول الغربية هو الصوت الوحيد المتعلل الذي يدرك ان نصرا في معركة لا يمكن ان يفرض سلاما على المنطقة .

وكان النائبان الشيوعيان ماير فيلنر سكرتير الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) وتوفيق طوبى عضو المكتب السياسي للحزب هما النائبان الوحيدان اللذان صوتا ضد قرارين أصدرهما الكنيست اولهما يقضى بتوحيد القدس واخضاعها لإدارة محلية واحدة ، متحديا في ذلك قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة . وثانيهما يقضى بالموافقة على قرار بنك اسرائيل السذي أعلن فيه ان الليرة الاسرائيلية هي العملة الوحيدة التي يصرح بتداولها في الجزء العربي من القدس .

كان الموقف الذي اتخذته النائبان الشيوعيان يتسم بالشجاعة والحرص على الموقف المبني في مواجهة خطة صهيونية توسعية للاستيلاء على الارض العربية ، فبعد صدور قرارات الكنيست عقد رئيس الوزراء ليفي اشكول مؤتمرا صحفيا في القطاع العربي من القدس وأعلن ان العسكريين الاسرائيليين ليس في نيتهم التخلي عن الارض العربية المحتلة .

وقد واصل الحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) موقفه الصلب ضد صهيونية الحكومة الاسرائيلية في بسالة ملحوظة وحكمة ثورية . . وقاوم اعضاؤه قرارات حظر التجول بين المدن التي فرضت على اعضائه . وظلت جريدة الاتحاد منبرا معبرا عن رأي الحزب وجماهيره . . تؤدي دورا أساسيا في توعية الشعب العربي الفلسطيني ، وتماسكه وصلابته ، . . وتجذب الى صفوف الحزب مزيدا من الانصار ، الامر الذي لوحظ تماما في انتخابات البلدية ثم الكنيست .

وبعد أن كان

العرب ينظرون الى الذين بقوا في اسرائيل نظرة المتهاون والمتهاون في وطنيته ، تحولت هذه النظرة الى تقدير واعزاز . . وأصبح الشعراء العرب في اسرائيل نماذج للصدور والمقاومة . . وردد الناس أشعار سميح القاسم وتوفيق زياد ومحمود درويش وغيرهم بعد أن فتحت الصحف العربية صفحاتها لهم واحتفت بانتاجهم .

لم يلجأ العرب الفلسطينيون داخل اسرائيل الى المقاومة المسلحة المباشرة كما فعل زملاؤهم خارج الارض المحتلة او داخلها ، مكتفين بفرضتهم

المتاحة لمعارضة سياسة الحكومة الاسرائيلية بوسائل سياسية سواء داخل الكنيست او فى المجالات الشعبية .

وكانت الحكومة الاسرائيلية تتربص للعرب محاولة تصيد أى أخطاء لهم فى هذا السبيل لتضاعف القيود الفظيعة التى كانت تفرضها عليهم فى الانتقال من مدينة الى أخرى وفى سلب الحقوق التى كان مفروضا ان يحصلوا عليها باعتبارهم مواطنين اسرائيليين . . فقد كانت هناك تفرقة عنصرية واضحة ضد السكان العرب أولا ثم ضد اليهود الشرقيين ثانيا .

وقد لعب الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) دورا بارزا وهاما فى ضبط ميزان المقاومة ، فتشبت بالمواقف المبدئية وناضل فى سبيلها بكل الجراة والصراحة مع حرص على عدم الانزلاق الى مواقف غير ناضجة لاتسمح بها الظروف ولا التعبئة الشعبية المتاحة .

المقاومة فى مصر

لم تكن ثورة يوليو بعيدة عن المقاومة الشعبية . . كانت تلجأ لها فى أوقات الشدة . . ولكن بأسلوبها الخاص .

عندما انتهت حركة الكفاح المسلح فى القناة التى بدأت عام ١٩٥١ فى عهد الوفد مع حريق القاهرة ، قامت حركة الجيش بعدها بستة شهور . . ووجدت فى الكفاح المسلح طريقا رئيسيا للضغط خلال المفاوضات مع قوات الاحتلال البريطانية لاجبارها على الجلاء .

ورغم أن محكمة الثورة التى تشكلت من عبد اللطيف البغدادي رئيسا وعضوية أنور السادات وحسن ابراهيم قد وجهت الاتهام الى فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد بأنه قد خاض معركة الكفاح المسلح دون استعداد . . الا ان هذا الاتهام لم يجد صدق عند الجماهير سوى الدهشة والاستغراب . . فقد كان الكفاح المسلح ورعاية الوفد له وساما من ألمع الاوسمة التى تزين تاريخ الوفد .

ولم تتخل حركة الجيش عن الكفاح المسلح . . ولكنها سلبته من أيدي القيادات الشعبية للأحزاب والتنظيمات المختلفة ، ووضعت بين أيدي ضباط المخابرات الحربية والعامة الذين ربما كانوا أقدر على التدريب العسكرى من غيرهم ، الا أن قدرتهم على تحريك الجماهير كانت محدودة . . ورؤيتهم للكفاح المسلح كانت تختلف عن رؤية الأحزاب الشعبية .

ومع ذلك أثمر الكفاح المسلح فى منطقة القناة ضغطا كانت تزيد وتخف تبعا لموقف البريطانيين على مائدة المفاوضات .

ولم تكن تجربة الكفاح المسلح فى القناة خلال سنوات ١٩٥٣، ١٩٥٤ هى التجربة الوحيدة التى خاضتها ثورة يوليو . . كانت هناك تجربة المقاومة الشعبية ضد العدوان الثلاثى ١٩٥٦ (أنظر الفصل الرابع من الباب الاول - الجزء الثانى) .

تغير أسلوب حركة الجيش نوعا ما .

صحيح انها اعتمدت على رجالها من ضباط الجيش والمخابرات . . .
ولكن هؤلاء لجأوا بدورهم الى القوات الشعبية وفي مقدمتهم الشيوعيون
واليساريون . . . وحدث نوع من التوافق والتنسيق ونكران الذات . . . وسجلت
المقاومة الشعبية أعمالا بطولية بارزة ضد قوات الاحتلال البريطاني والفرنسي
في بورسعيد وبورفؤاد .

ولكنه ما أن تمجلاء قوات العدوان حتى بادرت الحكومة بسحب الاسلحة
من الشعب بأسلوب هادئ قام به عبد اللطيف البغدادي كما أوضحت في
الجزء الثاني . . . وانفرط نسيج العلاقة النضالية التي ربطت بين حركة
الجيش وبين القوى الشعبية .

خلال أعوام الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال البريطاني في القناة .
وخلال فترة المقاومة الشعبية ضد المعتدين عام ١٩٥٦ . . . كانت هناك فرصة
التحرك في حرب الانتصار والعصابات ضد العدو ، فقد كان يحتل مناطق
أهلة بالسكان .

ولكن عدوان ١٩٦٧ خلق ظروفًا مختلفة ، فقد تغيرت نوعية العدو ،
فأصبح الاسرائيليون بدلا من البريطانيين . . . واستقرت بهم الحال في سيناء
شرق القناة حيث الصحراء شاسعة تكاد تكون خالية من العمران ، وليس
بها الا عدد محدود من المدن (العريش ورفح) القليلة السكان .
أصبحت المقاومة الشعبية أشد صعوبة من ذي قبل فقد خلقت قناة
السويس مانعا بيننا وبين العدو ، وضاعت فرصة التسلل عبر حدود قطاع
غزة الى أرض اسرائيل .

وكان رفع شعار المقاومة الشعبية بعد الهزيمة الفادحة التي منيت بها
القوات المسلحة يبدو نغمة نشازا فقد خسر الجيش سلاحه ، ولم تعد هناك
أسلحة كافية لتسليح الشعب .

وقد اسنبتت الحيرة بجمال عبد الناصر في ذلك الوقت فالجماهير
تتصور اننا لا بد أن نرد الضربة للعدو خلال شهور ، ولذا فقلينا ان نحتفظ
بالاعلام والانشيد في الاذاعة . . . وقد قال في إحدى خطبه انه بحثا عن
النغمة الصحيحة سال بعض زملائه في الوزارة فقالوا له ان لندن كانت تذيب
الاغاني العادية وقت ضربها بالقنابل أثناء الحرب العالمية الثانية .

كانت (النغمة الصحيحة) مفقودة فعلا في مواجهة الهزيمة الفادحة .
ولكن ذلك لم يحل مطلقا دون التركيز على سرعة بناء القوات المسلحة،
واقحامها في معارك تعيد لها الثقة ، مثل اغراق المركب الاسرائيلي ايلات
بصواريخ الطوربيد في أكتوبر ١٩٦٧ وكما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

وجاء رد الاسرائيليين عنيفا اذ ضربوا معمل تكرير البترول في السويس
حتى تحطم تماما ، واتجه الرأي الى تهجير السكان من مدن القناة حماية لهم
من التعرض للمدقعية والطائرات الاسرائيلية .

وأخذت الايام تعضى والقوات المسلحة تستعيد تنظيمها وقوتها . .
ولكن جماهير الشعب لا تشعر بشعور المعركة الا من بعض المظاهر التي
تحيط بها .

ولم يلعب الاتحاد الاشتراكي دورا ملموسا في تعبئة الجماهير للمعارك، فقد كانت هناك خشية دائمة من حركة الجماهير حتى لا تخرج عن اطار حسابات خاصة تبعتها عن طواعية النظام .

الخشية من الحركة الشعبية والتفاعل الحى معها رغم اعتماد جمال عبد الناصر عليها كان يشكل معادلة صعبة أمام النظام .
وعندما زادت الضغوط حول قضية اشراك الجماهير فى المعركة ونقلهم من مقاعد المتفرجين الى مشاركين فعليين أعلن جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ عن تشكيل (لجان المواطنين من أجل المعركة) .

ولم تكن حقيقة الاتحاد الاشتراكي خافية على جمال عبد الناصر فقد قال فى اجتماع خاص عقده مع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي فى نهاية ديسمبر ١٩٦٤ مانصه (الملاحظ اليوم ان هناك انعزالا بين القيادة والناس ، والذي أريد ان اقله هو ان تنظيم الاتحاد الاشتراكي حتى الآن هو تنظيم على الورق رغم مؤتمرات الوحدات الاساسية ٠٠ تنظيم ٦ مليون شخص عملية مستحيلة ونحن يهمنى ان ننظم القيادات والكادرات ٠٠ اننا فعلا نطبق الاشتراكية من دون اشتراكيين وأنا لا أستطيع ان اقول اننا نطبق الاشتراكية ونريد ان نوحده الاشتراكيين بعد ذلك) .

كان جمال عبد الناصر يمهّد بذلك لتكوين وظهور طليعة الاشتراكيين التى شكلت فعلا كما اوضحت فى الجزء الثانى .

وكان مفروضا ان يكون السند الرئيسى والاساس الحقيقى للمقاومة الشعبية هو هذا التنظيم الطليعى .
واسجل حديثا لجمال عبد الناصر أيضا مع امانة الاتحاد الاشتراكي قال فيه :

(اننا نستطيع ان نعقد مؤتمرا سواء كان فى شادر او فى الجامعة او فى الشارع ، ولكن طالما انه لا توجد الكادرات الثورية فان الناس ستحضر ثم تنصرف ولا شيء آخر) .

(من الممثل الثورى للاتحاد الاشتراكي فى العريزية مثلا ؟) (بلدة سيد مرعى)

ويجب سيد مرعى قائلا (سيد مرعى) فيضحك الحاضرون .
ويستكمل عبد الناصر الصورة قائلا (انت تقيم فى القاهرة ولكن من هو الممثل الثورى للفلاحين ؟)

ثم يسأل فى تحد (أين هم الناس الذين يدافعون عن الاشتراكية على اساس انهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية ؟ قد تقول لى انهم كل أهل البلد ولكن أين القيادات التى يمكن أن تتقدم وتقود هؤلاء الناس)
هكذا كان الامر راضحا عند جمال عبد الناصر منذ البداية . وطبيعة الاتحاد الاشتراكي لم تتغير بصورة جذرية .

ولكنه عندما واجه الامر بعد يونيو ١٩٦٧ اتخذ طريقا مغايرا واختار تشكيلا جديدا هو (المواطنون من أجل المعركة) .

كان مفروضا في هذا التنظيم الجديد ان يحقق نوعا من الايجابية في تعبئة الجماهير وحشدها للمعركة. . . ولكن بوادرها كانت تدل على خلاف ذلك ، فقد عين حافظ بدوى مسئولاً عنها ، وهو رجل بعيد عن هذا الميدان تماما . . . فليست له قدرات عسكرية . وموقعه السياسى لم يتجاوز حدود محافظة كفر الشيخ التى كان مسئولاً عن الاتحاد الاشتراكى بها حتى أصبح وزيرا للشئون الاجتماعية .

ولذا جاء هذا التعيين دليلا على رغبة عبد الناصر فى اقامة تنظيم شكلى جديد لايموج بالحوية ولا يحشد طاقة الشعب الحقيقية . . . ولم تكن لهذا التنظيم فعالية حقيقه . بل انه شكل ازدواجية تنظيمية غير مطلوبة ، كما انه لم يقم بدور (المليشيا الشعبية) كما قام بها (الحرس الوطنى) التابع لحزب البعث فى العراق مثلا خلال فترة زمنية معينة عام ١٩٦٣ .

كان اعطاء السلاح للجماهير أمرا غير وارد فى تفكير جمال عبدالناصر او قادة النظام فى مصر لانهم كانوا يعتمدون على قدراتهم وسلطتهم الادارية فقط ، ولم يلجأوا لتسليح الشعب الا تحت ضغط ظروف العدوان ومقاومة الاحتلال كما حدث عام ١٩٥٦ .

ولكن الموقف بعد الهزيمة كان مختلفا . . . فالعدو كما ذكرنا بعيد عن رؤية الجماهير ، ومحاربته تتم عن طريق وحدات القوات المسلحة الفدائية . وتسليح الشعب يشكل خطرا على النظام فى وقت اهتزت فيه الثقة بالقيادة ولايستطع التنظيم السياسى ان يكون مقنعا او محل احترام الجماهير . . . ولذا استقبل الناس (لجان المواطنين من أجل المعركة) بسلبية واضحة وسخرية غير مستترة . . . فقد كان حافظ بدوى الذى عين بها مسئولاً شخصية غير مقنعة لأحد بأنه قادر على حشد وتعبئة الجماهير ، فلم يعرف له ماضى سياسى ، ولم يشتهر بموقف نضالى ، وليست له ثقافة عسكرية تتيح له امكانية حمل عبء هذه المسئولية التاريخية . . . ولذا انفرط عقد (لجان المواطنين من أجل المعركة) قبل اكتماله ، وأصبحت تنظيما اضافيا هامشيا لا قيمة له ولا تأثير .

ولاشك ان جمال عبد الناصر يعتبر مسئولاً مسئولية تاريخية عن عدم البحث الجاد فى تكوين المقاومة الشعبية ، اذ ركز جهده فقط فى اعادة بناء القوات المسلحة ، بينما يشكل الاثنان أساسا موحدا للنضال من أجل التحرر

وكذلك فان اختيار جمال عبدالناصر لحافظ بدوى رئيسا لهذا التنظيم الجديد يعتبر فى ذاته خطأ بالغا . . . لانه لا يضع الشخصية المناسبة فى المكان المناسب ، واما انه يعطى احياء صريحا بأن هذا التكوين كان لعبة من ضمن الالعب التى يمكن ان تمتص بعض طاقة الناس او غضبهم .

ولكن (لجان المواطنين من أجل المعركة) لم تحقق شيئا من ذلك ولم تقدم شيئا نافعا . . . وظلت المقاومة الشعبية كلمة وشعارا بعيدا عن التحقيق .

الفصل الثالث

العرب . . . وظلام الهزيمة

(تقدم او ٠٠ مت)

شعب الجزائر فى مظاهرات
٩ يونيو سنة ١٩٦٧

لم نفرض الهزيمة نفسها على العرب ، ولم رضح الجماهير للنسيجة ،
ولم نترنج من الصدمة المذهلة .
تشابه الموقف تقريبا فى الدول التى احتلت أرضها أو الدول التى لم
تتأثر مباشرة من العدوان ، بدرجات متفاوتة .
وعلى قدر ما انحدت المشاعر تأييدا لمصر وجمال عبد الناصر يوم ٥ يونيو
على قدر ما كان قبول وقف إطلاق النار طعنة لبعض هذه المشاعر لأنه كان
يعنى عندهم الاسكانة لمذلة الهزيمة ، واطفاء لجذوة القتال التى اشتعلت
فى الصدور .

أشد مظاهر هذا الرفض كانت في الجزائر حيث يعيش الشعب الذي حارب الاستعمار الفرنسي سبع سنين ، والذي لم يتخيل مطلقا ان حريا يمكن ان تنتهي في ستة ايام أو ان جيشا يمكن ان يوقف اطلاق النار والعدو يحتل ارضه .

ولا يمكن التشكيك لحظة واحدة في تقدير شعب الجزائر وحبه لجمال عبد الناصر ودوره الايجابي في مساندة الثورة الجزائرية . . وعندما وصلت أبناء العدوان كان هواري بومدين قد ألقى خطابا قبلها بأيام قال انه في حالة وقوع الحرب فانه ليس امام العرب من خيار الا (النصر أو الاستشهاد) . وتجمع الناس حول أجهزة الاذاعة يستمعون . . ومؤشراتهم تتجه الى القاهرة وصوت العرب . . وعندما تواترت أنباء الانتصارات الاسرائيلية في وكالات الانباء ومحطات الاذاعة الاجنبية ، طلبت اذاعة الجزائر من المستمعين الا يستمعوا أو يصدقوا ما تذيعه هذه المحطات ، لانها تشكك في سير المعركة .

وظل الجزائريون يرتبطون بخيط الامل في استمرار المعركة وانتصار العرب الى ان أعلن قرار وقف اطلاق النار ، فانفجرت عواطف الجماهير تلقائيا وبدقت المظاهرات تهتف بسقوط جمال عبد الناصر .

ارتفعت رؤية الشعب فوق تقدير الشخص والزعيم . وعندما أعلنت اذاعة القاهرة عن خطاب جمال عبد الناصر يوم ٩ يونيو اخذت الاذاعة الجزائرية اجراء لم تفعله من قبل وهو اذاعة الخطاب مباشرة على الهواء في نفس الوقت .

ولم يكذب يعلن جمال عبد الناصر اصراره على التنحي حتى خرج الناس الى الشوارع غير مصدقين قائلين لعبد الناصر Murche - ou - creve أي (تقدم أو مت) .

وظل مجلس الوزراء الجزائري في حالة انعقاد دائم . . ونقل وزير الاعلام الجزائري مقره الى مبنى الاذاعة والتليفزيون . وكان جمال عبد الناصر قد اتصل بهواري بومدين بعد تدمير القوات الجوية شارحا له الموقف وطالبا منه ارسال طائرات جزائرية .

ويقول هواري بومدين انه طلب من جمال عبد الناصر عدم التوقف عن القتال حتى عندما ابلغه انه ليس هناك قوات مسلحة قادرة على صد الهجوم عن القاهرة . وانه ليس هناك دفاع جوي قادر على حمايه المنشآت الحيوية .

كان هواري بومدين يؤمن بضرورة استمرار المعركة ونقلها الى ساحة الشعب ، لان ذلك كان يعني في النهاية انتصارا شعبيا مؤكدا مهما بعد الوقت او زادت التضحيات .

ومع ذلك لم يتردد بومدين لحظة في الوقوف الى جانب مصر وجمال عبد الناصر فقد طلب منه أن يرسل طيارين مصريين لقيادة الطائرات من الجزائر الى مصر .

ويقول بومدين ان الجزائر قد ارسلت كل ماكانت تملكه من طائرات .

ولكن نقمة الشارع الجزائري على موقف جمال عبد الناصر كان تزداد شدة وعنفاً ٠٠ وظهرت الطبيعة الجزائرية الجادة عندما حاول بعض الجزائريين الاعتداء على عدد من المصريين كانوا يسبحون على الشاطئ في الايام الاولى التي أعقبت الهزيمة ٠٠ وغضب طيار جزائري من أحسد الطيارين المصريين الذين حضروا لقيادة الطائرات عندما تساءل عما اذا كانت هناك فرصة لمشاهدة العاصمة الجزائرية في وقت كان الناس فيه جميعا يحتاجون الى دقيقة واحدة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد ارسل خطابا الى الملوك والرؤساء العرب يوم ٨ يونيو يوضح فيه افكاره في هذه اللحظات الدقيقة ويقترح زيارة هواري بومدين الى موسكو والملك حسين الى واشنطن ٠ وقد استدعى بومدين السفير السوفيتي وأبلغه بخبر رحلته في اليوم التالي ٠٠ ولم تفلح محاولات السفير في تأجيل الزيارة حتى يستعد الزعماء السوفييت لاستقبال الزعيم الجزائري ٠

وصل بومدين الى موسكو يوم ١١ يونيو ودارت بينه وبين الزعماء السوفييت مناقشات هامة ، حاولوا أن يوضحوا له فيها أنهم قاموا بدورهم في مساعدة مصر بأسلحة كافية لم تستخدم ، وأن تدخلهم المباشر في هذا الوقت يعرض العالم لخطر حرب عالمية ثالثة ، وأنهم لن يترددوا في مساعدة مصر لاعادة بناء قواتها المسلحة ٠٠ ولم يعد بومدين مقتنعا تماما بأراء القادة السوفييت فقد كان يريد مساعدة فوريه ومباشرة ٠٠ وقد أمضى بعد ذلك عدة أيام في القاهرة ٠

وكان جمال عبد الناصر قد تلقى في نفس اليوم الذي وصل فيه بومدين الى موسكو - ١١ يونيو - رسالة وقعها بريجنيف وكوسجين وبودجورني تقول :

أيها الصديق ٠٠

اننا ندرك خطر الموقف الذي نشأ في بلادك نتيجة العدوان الاسرائيلي ومؤامرات القوى الامبريالية واننا نريد في هذه اللحظة ، هذه اللحظة العسيرة هذه اللحظة المسئولة ان نعرب عن اعتقادنا الجازم بأنه يجب عليك الاترك ببلادك وقيادتك ٠

الصديق العزيز عبد الناصر :

انك تتمتع بسمعة كبيرة في العالم العربي ٠٠ ان شعوب العالم العربي تحبك وتثق فيك وتسندك ، وان أصدقاءك في جميع انحاء العالم يعتمدون عليك ، ويعتقدون أن استمرارك في موقعك هو وحده الذي يمكنك من العمل والنضال لاستعادة ما فقد وحماية الانتصارات الكبرى للثورة العربية وقيادتها الى النصر النهائي ٠

ان العالم العربي والقوى التقدمية في العالم لن تفهم ولن تقبل تخليك عن موقعك الآن ، ولقد عقدنا اجتماعا في موسكو أمس لزعماء الاحزاب والحكومات الشيوعية من جميع الدول الاوربية الاشتراكية ، ونحن في سبيل

اصدار اعلان نقدم اليك فيه كل التأييد ، كما قررنا بذل جهود مشتركة لحل جميع المشاكل التي تواجهك اقتصادية أو عسكرية ونحن على استعداد لمناقشة كل شيء معك .
مع عميق احترامنا

بريجنيف - كوسجين - بودجورنى

رفع هذا الخطاب معنوية جمال عبد الناصر وشد من عزيمته بعدموقف الشعوب على امتداد الوطن العربى التى طالبتة بعدم التنحي .
وفى مقابل هذا الموقف السوفييتى المساند ، كان موقف جونسون مع الملك حسين فى غير صالح العرب اذ قال له فى الوقت الذى كانت فيه كل الدلائل تشير الى تورط أجهزة الولايات المتحدة فى التخطيط للعدوان (لماذا كنتم على هذا القدر من الغباء الذى جعلكم تتورطون ؟) .
وعموما فقد ظهر التباين واضحا فى الموقفين السوفييتى والامريكى .
وبقى بومدين فى القاهرة عدة ايام الى جانب عبد الناصر . بينما عاد الملك حسين الى عمان .

وهكذا لم يكن موقف الجزائر اندفاعا عاطفيا لمحاولة احراج مصر وقيادتها . ولكنه كان تعبيرا عن غضبه حقيقية لجرح اصاب القومية العربية التى جعلت الثورة الجزائرية منها محورا رئيسيا للنضال .
ومرة أخرى ذهب هوارى بومدين الى موسكو مع عبد الرحمن عارف رئيس جمهورية العراق يوم ١٧ يوليو ١٩٦٧ عقب زيارة بودجورنى لمصر التى عرض فيها جمال عبد الناصر اقتراح توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الدولتين ، وتحميل السوفيت مسئولية الدفاع الجوى عن مصر .
كان جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت يستهدف تقريب الاتحاد السوفييتى من المشكلة واشعارهم بأن هزيمة مصر هى هزيمة لهم . وكان الاتحاد السوفييتى يدخل فى حساباته سياسة الانفراج الدولى التى كان يتبناها ، فتردد فى قبول العرض المصرى حتى لاتلتهب المنطقة بأكثر مما يحتمله السلام العالمى .

وكان عبد الناصر خلال زيارة بودجورنى قد وافق على تقديم تسهيلات بحرية للأسطول السوفييتى فى البحر الابيض ، ولكنه رفض ان تكون لهم قاعدة خاصة مغلقة .

وسافر بومدين وعارف لمطالبة السوفييت بمزيد من المساعدة للعرب . وقال لهم بريجنيف انه قد أمضى فى موسكو عدة ليال بلا نوم نتيجة للتحذيرات التى كانوا يقلقونها من أن اسرائيل تدبر عبورا لقناة السويس .
وهو أمر قد يكون مستبعدا لوقوف السوفييت مع العرب ولأن ذلك يعتبر تحديا للرأى العام العالمى ، ومع ذلك فإن ذلك - فى رأى بريجنيف - كان يمكن ان يحدث ويتم اندفاع سريع نحو القاهرة الامر الذى يقرب العالم من شفا الهاوية .

وذكر بريجنيف لبومدين وعارف المساعدات التى قدمها الاتحاد

السوفييتي لمصر فقال انه خلال اسبوعين أرسلنا حمولة ١٥ سفينة من المواد الحربية زنتها ٨٤ ألف طن علاوة على ارسال ١٥٠٠ خبير .
وعاد الزعيمان العربيان الى مصر بعد شرح وجهة نظرهما للزعماء السوفييت .

ولكن هوارى بومدين لم يشأ المشاركة في أى موقف يسوى المشكلة بغير طريق الحرب والقتال .

ولم تكذ تمضى شهور حتى أعلن هوارى بومدين يوم ١٥ ديسمبر ١٩٦٧ عن فشل محاولة انقلابية في الجزائر وتقديم المسؤولين عنها للمحاكمة بعد عزل طاهر الزبيري رئيس الاركان وتولى بومدين قيادة القوات المسلحة ليبقى زعيما عربيا مناضلا من أجل التحرر والاشتراكية والوحدة العربية .
ولم يذهب هوارى بومدين الى مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - أناب عنه عبد العزيز بوتفليقة ولم يقبل قرار مجلس الامن ، وقرر سحب القوات الجزائرية التي كانت ترابط في مصر لانها اصبحت بلا دور .

ولاشك ان الامة العربية على امتداد الوطن كانت قد تأثرت الى حد بعيد بدعايات وتصريحات المبالين بتدمير اسرائيل ، والذين رسخت في عقولهم هذه المطالبة حتى اصبحت حقيقة يصعب تغييرها . ولذا كان قبول قرار مجلس الامن ايضا في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ صدمة ثانية بعد قبول قرار وقف اطلاق النار .

ولكن هذا لايعني ان القرار الذي اتخذه جمال عبد الناصر بوقف اطلاق النار أو قبول قرار مجلس الامن كان نابعا من موقف ضعف وتخاذل ، أو انه كان تعبيرا عن روح انهزامية . ذلك القول يحمل الامور فوق ماتحتل . فالحقيقة ان مجابهة الامر الواقع كانت تفرض ذلك . فلو لم يتخذ قرار وقف اطلاق النيران لاستمر جموح العدوان في وقت كانت مصر قد فقدت فيه بسبب قيادتها العسكرية المهترئة معظم قواتها المسلحة . كما ان جميع دول العالم غربا وشرقا ماكانت لتقف بجانب مصر لو كان هدفها عدوانا ويقصد تدمير اسرائيل . ان الدول الصديقة وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي كانت تتخذ موقفا استراتيجيا واضحا لدى مصر وهو انها تقف هنا للدفاع عن ارضنا ضد عدوان الامبريالية والصهيونية التوسعية ، ولكنها لاخطو هنا خطوة واحدة ضد الوجود الاسرائيلي .

وقد لايتسق هذا الموقف مع عواطف العرب . ولكنه كان الاختيار الاستراتيجي للسوفييت منذ عام ١٩٤٧ بعد دراستهم لامور المنطقة .
ولذا فان نشوز جمال عبد الناصر أو رفضه لقرار مجلس الامن الذي نص على احترام وجود دول المنطقة كان يعرضه لعزلة عالمية قد يشترك فيها الاصدقاء أيضا .

واذا كان جمال عبد الناصر قد استند على باقي رصيده من الثقة الشعبية في قبول قرار مجلس الامن ، وقبلت الاردن ايضا القرار حيث يستقر النظام على أسس لا تسمح له باتخاذ موقف الرفض . فان أنظمة عربية كثيرة رفضت القرار . سوريا من دول المواجهة ثم العراق والسودان والجزائر .

العراق

رفضت العراق قرار مجلس الامن رغم ضعف نظام عبد الرحمن عارف الذى كان على علاقة طيبة بالنظام فى مصر ، ورغم ان العدوان الاسرائيلى لم يمس العراق مباشرة .

كانت العراقى فى حالة غليان ضد الهزيمة .
وكان حزب البعث فى العراق قد بدأ يلعب دورا سياسيا ضاعطا ضد الحكومة . . . وبقول التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن للحزب - فبراير ١٩٧٤ - مايل :

(فى الواقع كان حزب البعث العربى الاشتراكي فى وضع خاص واستثنائى جدا ، فقد كان للحزب ثقل مادى ومعنوى كبير فى حياة البلاد السياسية ورغم كل الحساسيات تجاهه وبرغم مواقف العداء ومحاولات العزل التى كانت تتخذها اوساط سياسية عديدة ضده ، ولانه كان الحزب الوحيد فى القطر العراقى الذى سبق له ان تسلم السلطة السياسية عن طريق الثورة المسلحة فان كثيرين كانوا ينظرون اليه على انه القوة السياسية الوحيدة فى البلاد القادرة فعلا على تكرار هذه العملية) .

أسهم الحزب بدور رئيسى فى خروج مظاهرات الاحتجاج مع بداية العدوان أمام السفارتين الامريكية والبريطانية فى بغداد . . . وقاد هذه المظاهرات الزعيم احمد حسن البكر الذى رفع شعارات (مساندة المقاومة الفلسطينية) .
وكانت القوات العراقية قد اتجهت قبل العدوان الى الاردن كما ذكرنا وقد ودعها عبد الرحمن عارف بخطبة كانت محل التندر والسخرية لانها طالبت الجنود بأن يحسنوا التصرف عندما يجتاحون ارض اسرائيل . . . وقد وصلت هذه القوات بعد الهزيمة واستقرت هناك بأعداد وصلت الى مايزيد عن ٥٠.٠٠٠ جندي .

وشكلت فى بغداد حكومة جديدة برئاسة الفريق طاهر يحيى بدلا من الوزارة التى كان يرأسها عبد الرحمن عارف . . . وكانت الحكومة العراقية قد اوقفت تصدير البترول الى الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية ، كذلك حظرت استيراد السلع من هذه الدول ، ومنعت طائراتها من الهبوط فى العراق ، كما قطع العراق علاقاته الدبلوماسية بالولايات المتحدة وبريطانيا وكانت مقطوعة اصلا مع المانيا الغربية . . . كما غلق كافة المراكز الثقافية التابعة للدول الاستعمارية المذكورة .

ومع ذلك فان حزب البعث بدأ يخطط للاستيلاء على السلطة متخذاً من رفض الهزيمة حافزا شديدا على ذلك وكان النظام ضعيفا والتنظيمات السياسية مشرذمة وغير متحدة . . .

ولم يكن للبعث فى العراق فى ذلك الوقت صلة بالنظام الحاكم فى سوريا اذ أنه اتخذ موقف الرفض المبني للاقتلاب السورى الذى أطاح بأمين الحافظ فى ٢١ فبراير ١٩٦٦ رغم احتفاظه بلقطة بعثية اذا اعتبر ذلك خروجا على تقاليد الحزب .

وبرزت الحاجة الى التحالف مع قيادة الحرس الجمهورى لنجاح الحركة العسكرية من الجهة الفنية ، وتم ذلك عن طريق التفاهم مع قائد تلك القوات ابراهيم الداود (رغم تشخيص الحزب الدقيق لاتجاهاته السياسية وأطماعه الشخصية) على حد تعبير التقرير السياسى للمؤتمر القطرى الثامن - فبراير ١٩٧٤ .

وقد ورط ابراهيم الداود قيادة الحزب بابلغته عبد الرزاق النايف أحبار الحركة العسكرية قبل وقوعها ٠٠ الامر الذى وضع القيادة القطرية للحزب أناء اجتماعها صباح يوم ١٦ يوليو ١٩٦٨ فى دار احمد حسن البكر فى وضع حرج عندما وصلتهم رسالة من النايف يبدى فيها استعدادة للمشاركة فى الثورة .

قبلت القيادة القطرية الوضع حتى لاينفضح أمر الثورة ، وارضت تعيين عبد الرزاق النايف رئيسا للوزراء ، مما سبب صدمه مفاجئة لبعض أنصار الحزب الذين لم يعرفوا حقيقة ما دار فى الكواليس . ومنذ اللحظة الاولى لقبول هذا الوضع الجديد الذى عرض خط الحركة الثورية للتشويبه بدأ التفكير فى ضرورة صفية النايف والداود معا . وفى الثالثة من صباح ١٧ يوليو انفض أعضاء حزب البعث المكلفون بتنفيذ الانتفاضة المسلحة على كتيبة دبابات الحرس الجمهورى وحاصروا القصر الجمهورى وكان فى طليعتهم صدام حسين ، وانصلوا بعبد الرحمن عارف طالبين منه التسليم على ان تحفظ له حياته ويسافر الى خارج العراق بسلام وقد تردد عارف فى البداية ولكنه عندما لمس ان الهجوم على القصر قد بدأ بإطلاق النيران وانه محاصر ، تراجع وقبل عرض التسليم ، فسافر الى خارج العراق فى الصباح .

وكان تحريك اللواء العاشر المدرع نحو بغداد نبدا هاما من بنود الخطة وقد حاول عبد الرزاق النايف بعد تنازل عارف منع اللواء من التحرك ولكن البعثيين فى اللواء رفضوا ذلك وأكملوا خططهم حيث اتخذوا لهم موقعا فى منطقة (أبو غريب) .

ولم يدم الوضع أكثر من ١٣ يوما بعد الحركة النورية اذ نفذت عملية تصفية النايف وابراهيم الداود صباح ٣٠ تموز عندما كان الداود فى الاردن لتفقد القوات العراقية هناك ، وقد اعتقل النايف داخل القصر الجمهورى رغم حساسية الوضع لوجود عدد من المؤيدين له فى قوات الحرس الجمهورى . وفى داخل مبنى القصر الجمهورى ، حيث مقر أمين سر القيادة القطرية احمد حسن البكر .

وفى الساعة السادسة من مساء ٣٠ يوليو صدر بيان فى الاذاعة ينهى الوضع المعلق ما بين ١٧ ، ٣٠ يوليو والذى اعتبره حزب البعث (من أكثر الاوقات دقة وحرجا فى حياة الحزب ، ومن أشدها خطرا على وجوده . ومستقبله وعلى الحركة الوطنية فى القطر ٠٠ بل وعلى حركة الثورة العربية ايضا) .

وكانت الانتفاضة الثورية فى ١٧ يوليو تأكيدا لموقف رفض الهزيمة من جانب العراق .

جاء في البيان الاول للسورة هذه الكلمات :

كانت نوره ١٧ يوليو ١٩٦٨ هي اول بورة تحدث في الوطن العربي بعد الهزيمة ٠٠ وقد عاد بها حزب البعث الى السلطة بعد اقصائه عن الحكم عقب احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، والى كانت سببا رئيسيا في هدم العلاقة بين جمال عبد الناصر وبين حزب البعث ، وهي العلاقة التي بدأت نسوء في عهد الوحدة وخاصة بعد استقالة اكرم الحوراني وصلاحيات البطار ٠ والتي لم تنجح محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ في نصفيتهما من الخلافات ٠

وكانت محاولة جاسم علوان ومحمد الجراح الانقلابية في سوريا (يوليو ١٩٦٣) مبعث شك في اسلوب جمال عبد الناصر من جانب حزب البعث ٠ وقد أعقب وصول امين الحافظ الى الحكم في سوريا بعد طرد لؤي الاناسي عدة مقالات عنيفة كتبها محمد حسنين هيكل ضد البعث في صحيفة الاهرام وكان برد عليها طارق عزيز وزير الاعلام فيما بعد في صحيفة البعث صباح كل خميس ٠

ويذكر ان محاولة قد تمت لتصفية الجو بين مصر والعراق اثناء اشتراك البعث في الحكم على عهد عبد السلام عارف ، وقرر سفر وفد يرأسه عبد السلام عارف ومعه طاهر يحيى ، وذلك خلال سبتمبر ١٩٦٣ ٠ ويدلل طارق عزيز على صدق رغبة البعث في تصفية الجو بأن السيد احمد حس البكر رفض نشر مقال كتبه ردا على هيكل قبل ايام من سفر هذا الوفد ، وقد قال لكريم شنتاف المسئول السياسي عن الجريدة انه سوف يأس اذا نشر هذا المقال لانه سيحطم محاولة تصفية الجو ٠ وفعلا سحب المقال من المطبعة في اللحظة الاخيرة ٠

قال لي طارق عزيز ان الاجتماعات كانت تتم بين الوفدين مكتملين ولكنه لاحظ عقب حفل عشاء في سراي القبة ان عبد الناصر قد اختل بعارف لمدة طويلة في الحديقة الكبيرة ٠ واثناء العودة طلب عارف من طارق عزيز ان يكتب برقية بمناسبة مفادرة الاجواء المصرية ، فكتبها طارق وذكر فيها شعار (وحدة - حرية - اشتراكية) وفوجيء بعبد السلام عارف يقول له اننى لست حزبيا ولا داعي لكتابة هذا الشعار ومع ذلك فقد تراجع ووافق على ارسال البرقية كما هي ٠

وبدأت المראה الشديدة تستقر في نفوس البعثيين في العراق عندما تابعوا اذاعة صوت العرب وهي تهاجمهم اثناء احداث نوفمبر ١٩٦٣ ، ثم في رفض عبد الناصر التقارب من الحزب في سوريا بعد ذلك رغم مقالات صلاح البطار التي نشرها عام ١٩٦٤ في محاولة لرأب الصدع ، رغم انها عرضته لهجمات عدد من زملائه في الحزب ٠

وقد اثار محاولة البعث تسلم السلطة في نوفمبر عام ١٩٦٤ معارضة شديدة وهجوما من جانب مصر ، وقام عبد السلام عارف باعتقال عدة الاف ٠

ويذكر أن احمد حسن البكر قد اعتقل في هذه الفترة وأفرج عنه في أوائل عام ١٩٦٥ ، وأن صدام حسين نائب أمين سر القيادة القطرية قد اعتقل بعد ان فرغت ذخيرته التي وجهها الى الهاجمين عليه : وظل معتقلا الى أن هرب من السجن عام ١٩٦٦ . . وقد انتخب البكر وصدام عضوين في القيادة القومية أثناء وجودهما في السجن .

ولم يكن معقولا من قادة البعث ان يقتربوا خلال هذه الفترة من جمال عبد الناصر وأجهزة الاعلام في القاهرة تأخذ منهم موقف العداء .
وأخيرا كان اختفاء عبد الناصر بمجموعة (الاناسي - زعين - جديد) التي وثبت الى الحكم في ٢٣ فبراير ١٩٦٦ في سوريا أمرا يتعارض مع اتجاه البعث في العراق الذي اتخذ موقف الرفض المبدئي منها كما ذكرنا .
وعندما نجحت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ أخذ جمال عبد الناصر منها موقف التحفظ ، ولكن الاهرام نشرت يوم ٣١ يوليو أخبارا مساطفة مع الناييف والداود اللذين أبعدا عن الحكم واستقر بهما المقام بعد . . في السعودية .

كانت المرارة قد ترسبت في قلوب البعثيين . . وكان عبد الناصر مازال محتفظا برأيه الذي أعلنه أثناء المحادثات الثلاثية في حزب البعث .
ولاشك ان موقف جمال عبد الناصر من رفض فكرة الاحزاب كان خاطئا بدليل تراجع عنه أثناء هذه المحادثات عندما قال (ان حل الاحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وماكانش صبح) . . وقال أيضا (احنا في ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الاحزاب التي لاتتفق في الهدف ، ثم جمع الاحزاب الاخرى القومية التي تجمعها وحدة الهدف تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية نسير على هدف واحد) .

ولكن جمال عبد الناصر مع ذلك لم يأخذ خطوة ايجابية لعبور هذه الهوة التي فصلت بينه وبين فكرة وجود الاحزاب عموما ، وقبول حزب البعث أو الاحزاب السبعونية خصوصا .
وظلت هذه الخطيئة ملازمة له لم يحاول التخلص منها بصورة جادة حتى داخل مصر .

لم يحاول قادة ثورة ١٧ تموز الاقتراب من جمال عبد الناصر ، ولم يحاول هو من جانبه ان يزيل الحساسيات رغم كآبة جو الهزيمة .
عندما عقد مؤتمر قمة دول المواجهة ذهب الفريق صالح مهدي عماش ، ولم يحدث بينه وبين عبد الناصر أى تقارب رغم السنوات التي امضاها في مصر .

وعندما قامت الحركة العسكرية الليبية في القاتح من سبتمبر ١٩٦٩ توجه وفد عراقي برئاسة صدام حسين الى هناك وفي طريق عودته مر بالقاهرة ، وهو الذي عاش فيها سنوات بعد اشتراكه في محاولة الاعتداء على عبد الكريم قاسم وهربه الى سوريا ثم مصر حيث بقي بها الى أن قامت ثورة ٨ فبراير - ١٤ رمضان فعاد الى بغداد من القاهرة .

ولم يلتق جمال عبد الناصر بصدام حسين في ذلك الوقت وضاعت فرصة لقاء رجلين كان يمكن لهما ان يتفقا على موقف سليم جديد .
وعندما عقد مؤتمر الرباط ذهب حردان النكريتي ممثلا للعراق وضاعت فرصة لقاء بين قادة الثورة المصرية وفادة الثورة العراقية .

السودان :

كانت الخرطوم هي العاصمة التي ارتضى جميع الملوك والرؤساء أن تكون مقرا لاجتماع مؤتمر القمه بعد الهزيمة . . . وقد لعب اسماعيل الازهرى ومحمد أحمد محجوب دورا رئيسيا في عقد هذا المؤتمر سبق أن اشترنا اليه .

وكان السودان من الدول التي رفضت الهزيمة وقرار مجلس الامن أيضا . .

ولكن الموقف السياسى في السودان لم يكن هادئا ، رغم أن الحكم كان مشاركة بين الاحزاب التي أحرزت الاغلبية في انتخابات ابريل ١٩٦٥ والتي فاطعها الجوبيون وحزب الشعب الديمقراطى والتي اسفرت عن حصول حزب الامة على ٧٥ مقعدا من ١٧٣ والوطنى الاتحادى على ٥٣ مقعدا والحزب الشيوعى على ثمانية مقاعد ١٠٠ كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصول الحزب الشيوعى على ١٣ مقعدا من ١٥ .

وكانت الحكومة قد افضلت حادث نهجم على الدين الاسلامى من طالب كان منتسبا للحزب الشيوعى فى الماضى وأصدرت قرارا بحل الحزب الشيوعى وفصل جميع أعضائه من الجمعية التأسيسية .

رفع الحزب الشيوعى ذلك الفرار الجائر الى المحكمة العليا التي أصدرت حكمها برئاسة بأكبر عوض الله بعدم سرعة تعديل الدستور الذى تم بموجبه حل الحزب الشيوعى وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية . . . ولكن وزير الداخلية والجمعية التأسيسية رفضا الاستجابة الى قرار المحكمة ، الامر الذى دفع بأكبر عوض الله الى الاستقالة من منصبه فى مايو ١٩٦٧ احتجاجا على عدم تنفيذ قرار المحكمة .

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد الذى يفرضه نظام الحكم فى السودان .

ظهر تناقض فى صفوف حزب الامه بين الهادى المهدي ومعه محمد أحمد محجوب من جهة وبين ابن شقيقه الصادق المهدي من جهة أخرى ، أدى الى انقسام الحزب الى كتلتين متنافستين .

وظهر تناقض ثالث حول الدستور الذى تشبثت بعض القوى الرجعية بأن يكون دستورا اسلاميا .

وانتهى الامر أيضا الى عودة حزب الشعب الديمقراطى الى الاندماج فى الحزب الوطنى الاتحادى حيث تكون حزب جديد باسم حزب الاتحاد الديمقراطى . . . وكانت هذه هى نهاية ارتباط حزب الشعب الديمقراطى بالتجمع الاشتراكى الديمقراطى الذى كان يضم القوى والاحزاب التقدمية واليسارية .

وأصبحت الحالة السياسية في السودان تعبر عن أحزاب تقليدية عاجزة عن اقناع الجماهير .. وجماهير متطلعة الى التغيير .
تجمع لكل القوى التقليدية في موقع السلطة .. وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية في موقع المعارضة .
وحلت الجمعية التأسيسية في أواخر عام ١٩٦٧ لتنعقد من جديد في فبراير ١٩٦٨ بعد انتخابات جديدة دشنت سلطه الاحزاب التقليدية التي حاولت الاتحاد لمقاومة الاتجاهات التقدمية التي انتشرت وسط الطبقة العاملة والمثقفين والمزارعين .

ولكن تحالف الاحزاب التقليدية عجز عن اقناع الجماهير المتطلعة الى التغيير ، وخاصة ان تدهورا سريعا حدث في الاقتصاد السوداني . فقد قفزت المصروفات العامة من ٥٨٥ مليون جنيه عام ١٩٦٣ الى ١٠٧ مليون جنيه أي بزيادة ٤٨٥ مليون جنيه بينما لم تزد إيرادات الميزانية بعد فرض سلسلة من الضرائب المباشرة وغير المباشرة الا بمقدار ٣٧٥ مليون جنيه ، وارتفعت ديون القطاع العام للمصارف من ٣٩ مليون جنيه عام ١٩٦٥ الى ٤٦ مليون جنيه عام ١٩٦٩ .. وواجهت الميزانية عجزا سنويا يتراوح بين ٦ ملايين ٩ مليون جنيه كل عام ، ونتيجة لذلك انخفضت الارصدة الاجنبية انخفاضاً كبيراً متصلاً ، فتدهورت العملات القابلة للتحويل من ٦١ مليون جنيه عام ١٩٦١ الى ١٦٣ مليون جنيه عام ١٩٦٩ (انظر كتاب - مصر والسودان كفاح مشترك - لكاتب هذه السطور) .

ووصل الامر الى حد تأخير صرف مرتبات الموظفين بضعة أيام كل شهر .. وارتفعت الاسعار ووصل سخط الجماهير غايته .
وكان التنظيم التقدمي الرئيسي -الحزب الشيوعي السوداني - يمارس دوره النضالي في تعبئة الشعب متعاوناً مع الاتحادات الديمقراطية المالية والمهنية والفئوية .

وكان الحزب الشيوعي قد لعب دوراً رئيسياً في انتصار ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ التي اجهضها موقف الاحزاب التقليدية .. وقد اوضحت ذلك في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب - الباب الخامس) .
وكانت هناك صلة بين الحزب وبين الضباط السودانيين الاحرار ، وقد وضع ذلك في جريدة الاحرار التي أصدرها الضباط الاحرار بدلا من صوت القوات المسلحة اذ جاء في عدد ٤ يناير ١٩٦٥ بعد انتصار ثورة أكتوبر مايلي :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بان طريق الرأسمالية الذي سرنا فيه بعد الاستقلال والذي أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه انما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لا يقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار ولفقـدان الاستقلال نفسه) .

(نحن ندرك ذلك ونتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل اشد ولكنها شقت طريقها ونجحت في حماية استقلالها ذلك لانهارفضت الطريق الرأسمالي واتخذت الاشتراكية هدفا لها).

وخلال فترة حكم الاحزاب التقليدية حاولوا ضرب القوى الوطنية في الجيش عن طريق مؤامرة مفتعلة اختاروا لها (ملازم ثان) اسمه خالد الكد يمت بصلة قرابة الى الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعي وان لم تربطهما معا اية صلة سياسية او تنظيمية .

واعتقل خالد الكد والضباط جعفر نمري والشهيد هاشم العطا والرشيد نور الدين ورشيد أبو شامة ومن المدنيين الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب وغيره ٠٠ ثم تبين ان التدبير كان ساذجا ، وعجز التحقيق عن ترحيه الاتهام لاي معتقل فافرج عنهم جميعا .

ولكن صدرت الاوامر بنقل بعض الضباط ، جعفر نمري الى غرب السودان ، وفاروق عثمان حمد الله الى جوبا . وهكذا كان الموقف داخل القوات المسلحة السودانية معبرا عن وجود روح ثورية . وتنظيمات عسكرية ضد النظام القائم . ولم تكن التنظيمات العسكرية مستقلة عن الاحزاب والقوى السياسية كما كانت حال الضباط الاحرار في مصر قبل ثورة يوليو ، ولكنها كانت ممتدة الجذور الى تنظيمات مختلفة ٠٠ الانصار وحزب الامة من جهة . والحزب الشيوعي من جهة اخرى ٠٠ واتصالات فردية مع بعض شخصيات طائفية في الاحزاب التقليدية .

بدأت صلة بين الضباط الاحرار وبابكر عوض الله عقب ثورة ١٩٦٤ عندما شكلت لجنة من القضاة لتطهير الجيش ٠٠ وكان الحزب الشيوعي على علم بهذه الصلة ٠٠ بل ومنظما لها .

كما بدأ حزب الامة في تكوين ميليشيا عسكرية وأخذت الامور تندفع الى صدام حتمي . ثم حدثت هزيمة ١٩٦٧ التي استقبلها الشعب السوداني بوجوم شديد فقد كانت أبعد ما تكون عن تصور الناس هناك . وكانت شوارع الخرطوم ليلة تنحي جمال عبد الناصر قد امتلأت بالمظاهرين الذين خرجوا يطالبون الرجل بأن يبقى في موقعه .

وقد اختزن الشعب السوداني عواطفه ليعرغها أمام القائد الجريح الذي حضر الى مؤتمر الخرطوم في اغسطس ١٩٦٧ ، فاعد له استقبالا لم تعرفه الخرطوم من قبل أسهم الحزب الشيوعي السوداني في اعداده بكل طاقته وقدراته ، فجاء تعبيرا أصيلا من الجماهير السودانية نحو ثورة يوليو وزعيمها ٠٠

لم يكن متصورا أن تستقبل عاصمة السودان قائدا مصريا مهزوما بهذا القدر من التمجيد . وكأنها ترى فيه بطلا منتصرا . عليها ان تكفل جبينه بالغار ٠٠ ولكنها كانت رؤية الشعب السوداني لما يمكن أن يحدث للوطن العربي لو انهارت ثورة يوليو واختفى جمال عبد الناصر من ساحة العمل السياسي . وانتهى مؤتمر الخرطوم وعادت الحياة السياسية تجتذب جهد الاحزاب والقوى السياسية المختلفة ، وعاد الصدام ليصبح حتميا مرة اخرى .

وفي الساعة الثانية من صباح ٢٥ مايو ١٩٦٩ كانت حركة الجيش السوداني قد انتصرت واستولت على الحكم ، أثناء وجود عدد من كبار ضباط الجيش في زيارة للاتحاد السوفيتي .

وأعلن في الصباح تشكيل مجلس قيادة الثورة برئاسة العقيد جعفر نمري وعضوية بابكر عوض الله والمقدم بابكر النور واللواء فاروق عثمان حمد الله (سكرتير الضباط الاحرار) وهاشم العطا (الملحق العسكري في بون وقتئذ) وخالد حسن عباس ومأمون عوض أبو زيد وأبو القاسم ابراهيم .
وأبو القاسم هاشم وزين العابدين محمد احمد عبد القادر .
وأعلن أيضا تشكيل وزارة جديدة برئاسة بابكر عوض الله .
وهزت هذه الانباء أرجاء الوطن العربي . وكان لها صدى عالمي كبير .
فقد كانت الحركة الثانية في الوطن العربي بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وعندما أعلنت أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة وأعضاء مجلس الوزراء تبين أن لى صلات شخصية وسياسية مع عدد منهم . . . الرائد الشهيد هاشم العطا الذي كثيرًا مازرني في القاهرة وفي مكتبي بروناليوسف موفدا من الشهيد المناضل عبد الخالق معجوب للتعرف على طبيعة تكوين الضباط الاحرار في مصر والاسلوب الذي قامت به حركة الجيش عام ١٩٥٢ . المحامي فاروق أبوعيسى وزير الدولة للرئاسة وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الذي لعب دورا رئيسيا في ثورة اكتوبر ١٩٦٤ . . بابكر عوض الله كبير القضاة الذي تعرفت به أثناء موقفه المساند للشعب خلال ثورة اكتوبر . . معجوب عثمان وزير الارشاد وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والذي حضر موفدا من الحزب لمقابلة جمال عبد الناصر والذي قابلته معه كما جاء في الجزء الثالث (عبد الناصر والعرب) . . أمين الشبلي وزير العدل الذي كان تقييا للمحامين ورئيسا للحزب الاشتراكي والذي قام بدور بارز في ثورة اكتوبر ، وشارك في ندوة الاشتراكيين العرب بالجزائر . مرتضى أحمد ابراهيم وزير الصناعة وشقيق المناضلة فاطمة احمد ابراهيم عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ، وزوجة الشهيد المناضل الشفيق احمد الشيخ عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي .

أبلغت جمال عبد الناصر هذه الحقيقة خلال شعراوى جمعة ، واتصل بي سامي شرف بعد ساعة واحدة طالبا مني مقابلة جمال عبد الناصر في السادسة من مساء نفس اليوم ٢٦ مايو ١٩٦٩ .

وعندما ذهبت الى مكتب سامي شرف فوجئت بوجود أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر والزميل السابق في قسم الجيش يتحدثو عندما كان بعد لايزال قاضيا الذي شاء جمال عبد الناصر ان يكون حاضرا .

كان جمال عبد الناصر مشرق الوجه مهتما أشد الاهتمام بما حدث في السودان .

ولم تكن علاقة جمال عبد الناصر سيئة بأية حال منع نظام الازهرى ومعجوب . . ولكن حركة الجيش السوداني حملت اليه عبير روح ثورية

وتقدمة نابعة من القوات المسلحة التي كان يؤمن بدورها الرئيسى فى حركة المجتمع السياسية .

وبعد أن تعرف جمال عبد الناصر منى على طبيعة العلاقة التي تربطنى بأسماء القيادات الجديدة فى السودان ، طلب منى ومن أحمد فؤاد السفر فوراً الى السودان فى مهمة سرية مندوبين عنه لمقابلة قائد مجلس الثورة ونائبه وإبلاغهما ان مصر تضع كل امكانياتها فى خدمة الحركة .

وأذكر انه قال لى مبتسماً فى مرارة :
(تصور .. كانوا يطلقوا علينا نكت .. اننا نؤيد ثورة السفينة بونتي) (اسم فيلم سينمائى) . والآن تجربنا الظروف على تأييد ثورة السودان بطريقة سرية)

كانت القيود التي فرضتها الهزيمة ، وارتباطات مؤتمر الخرطوم الذي يحمل الدعم لمصر من السعودية وليبيا والكويت وجميعها دول ترتبط بعلاقات وثيقة مع نظام الحكم السابق فى السودان حيث كانت تشكل الحكومات تحت عباءة الطائفية .. أقول كانت هذه القيود حائلاً يحول بين عبد الناصر وبين التأييد العلنى الثورى لحركة الجيش فى السودان .

وأذكر انه قال وهو يودعنا بعد حديث استمر مايقرب من ساعتين وتأخر فيه عن اجتماع لمجلس الوزراء كان منعقداً فى سراى القبة .
- قل لهم اننى على استعداد لوقف الحرب فى القناة وإرسال أى قوات لدعم الحركة .

وكانت الحرب وقتها تتصاعد على شاطئ القناة وتصل الى حد عبور كتائب كاملة الى سيناء .

كانت حركة الجيش السودانى أول ضوء يشرق لصالح مصر بعد الهزيمة . فقد ظهر تأييدها لمصر منذ البيان الاول .

وصلت الخرطوم يوم ٢٧ مايو ، وقمت مع الزميل احمد فؤاد فور وصولنا بمقابلة جعفر نميرى وبابكر عوض الله فى مقر قيادة القوات المسلحة ، وقد طلب الاثنان انضمام الرائد مأمون عوض ابوزيد اليهما باعتباره قد عين مسئولاً عن أمن الثورة .

واستقبل الوفد السودانى رسالة جمال عبد الناصر بترحيب شديد واعتبرها بابكر عوض الله تثبيتاً للحركة وأمرنا منتظراً من جمال عبد الناصر الذى عرف بمساندته لحركات التحرر الوطنى .

وفى الصباح ذهبنا الى منزل الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب فى منزله المتواضع بأم درمان وعقدنا معه جلسة مناقشة طويلة حول الوضع الجديد فى السودان .

تبين لنا أن حركة القوات المسلحة قد تمت بواسطة سريتين من المظلات وقوة من المدرعات لايتجاوز عددها ٤٠٠ صف ضابط وعسكري . كانوا فى مناورات خارج الخرطوم حسب مشروع سابق .
تمت العملية بهدوء . ولم تطلق سوى طلقة رصاص واحدة فى الهواء فى مكتب بريد الخرطوم اثناء قطع المواصلات .

قام بالحركة الضباط الاحرار ٠٠ وسبق قيامها مناقشات سياسية طويلة حول ماذا كان من الافضل تأجيل الانتفاض على النظام حتى تستكمل اجراءات تشكيل (الجهة الديمقراطية) التي كانت قد تمت محاولات جادة لتشكيلها من الشيوعيين والاشتراكيين وسائر المنظمات والاتحادات العمالية والمهنية .

وكان البيان الاول لحركة ٢٥ مايو هو بيان مكتوب ومعد لهذه الجهة الديمقراطية التي كان مفروضاً أن تشكل تنظيمها في نوفمبر ١٩٦٩ .
كان رأى الحزب الشيوعي ألا تنفرد القوات المسلحة بعمل يأخذ الصفة الانقلابية وان يتأجل ذلك حتى ينبعث الامر من صفوف الجهة باعتبار القوات المسلحة فصيلة من فصائل القوى والمنظمات الشعبية .

التقى ممثلو الضباط الاحرار غير المنتمين للحزب الشيوعي مع قادة هذا الحزب أكثر من مرة ، لمناقشة هذا الامر ، وقد جرى التصويت ثلاث مرات في اللجنة القيادية للضباط الاحرار ٠٠ وفي كل مرة كان يفوز قرار التروى وتأجيل القيام بالانقلاب .

ولكن بقية الضباط الاحرار قرروا القيام بالحركة العسكرية التي نجحت في تبديل السلطة واعتقال اسماعيل الازهرى وعدد من كبار السياسيين في النظام النهار .

وعندما أعلن تشكيل مجلس قيادة الثورة أضيف اليه أسماء الضباط اليساريين رغم موقفهم المعارض من ناحية المبدأ ٠٠ وظهر اسم الشهيد هاشم العطا عضواً بالمجلس رغم انه لم يكن موجوداً في السودان وإنما كان يعمل ملحقا عسكرياً في ألمانيا الغربية .

وكان هذا موقفاً طبيعياً من رفاق السلاح الذين تزامنوا في النضال قبل وبعد ثورة ٢١ أكتوبر .

وعندما أعلن تشكيل الوزارة فوجئ الحزب الشيوعي باختيار عدد من قاداته أعضاء في الوزارة (محبوب عثمان - فاروق ابو عيسى - جوزيف جرنج) دون الرجوع الى قيادة الحزب ٠٠ وقد أدى هذا الى عقد اجتماع عاجل للجنة المركزية أقرت فيه اشتراك الوزراء الثلاثة منعاً لحدوث تناقض واضح في الايام الأولى للحركة ٠٠ وتسبب ذلك في تأخير حلف اليمين القانونية حتى الساعة السادسة مساء .

وكان هذا دليلاً على وجود تنافر في وجهات النظر ٠٠ الحزب الشيوعي لا يؤيد الانقلاب العسكري بصورة مطلقة ، ويفضل انبعاث الحركة السياسية من صفوف الجماهير وتنظيماتها السياسية والديموقراطية ، وهي التي كان يهدف الى جمع شملها في (الجهة الديمقراطية) ٠٠ بينما الضباط الذين قاموا بالحركة كانوا يعتبرون انهم أنقذوا البلاد من الحكم الرجعي الفاسد في ضربة واحدة . وانهم أصبحوا بذلك أصحاب حق وشرعية في اختيار الذين يتعاونون معهم دون استئذان قياداتهم والا كان في ذلك اعتراف بشرعية الحزب الشيوعي وحده في وقت ألغيت فيه الاحزاب جميعاً .

قال لى الشهيد المناضل عبد الخالق محبوب في منزله بأم درمان صباح

اليوم الثانى لوصولنا للخرطوم ان الحزب الشيوعى لاياخذ موقفا مضادا من حركة الجيش ٠٠ ولكنه يريد ان يضع (خطة تمييز) واضحة بين أسلوبه الديموقراطى وأسلوبهم العسكرى .

وقال لى جعفر نيمرى فى احدى المقابلات (البعض يحاول تصوير ثورتنا بانها انقلاب ، وهذا غير صحيح لاننا لانقوم بحركتنا محصورين فى اطار الجيش وحده ولكننا ننتفتح تماما على شعبنا الذكى الاصيل ، ونضع اهدافنا فى خدمة الذين عانوا طويلا من الظلم والاستغلال .

ومع ذلك فقد خرجت جماهير الحزب الشيوعى تحت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال بمظاهرة كبيرة يوم ٢ يونيو ١٩٦٩ بمناسبة مرور سبعة أيام على الثورة ، وكان ذلك بداية محاولة اقامة جسر من التفاهم بين الحزب الشيوعى وبين العسكريين .

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر تقضى بالآلا نتصل خلال زيارتنا بأحد من المسئولين المصريين هناك ، وان نعود بعد تبليغ رسالته لجعفر نيمرى وبابكر عوض الله ٠٠ ولكن الرغبة فى استجلاء كل معالم الصورة والتعرف على حقيقة أبعادها دفعتنا إلى البقاء ليلتين فى السودان .
وعندما عدنا استقبلنا جمال عبد الناصر فوراً فى استراحة القناطر وكان أول سؤال له هو عن استقرار الوضع ثم اسباب تأخيرنا هناك .

وبعد جلسة امتدت ساعتين طلب منا ان نداوم الاتصال به فى كل مايتعلق بالسودان ٠٠ وكنا قد رتبنا طريقة اتصال سرية بين إقياده العسكريه الجديدة وبيننا بعيدا عن الاتصالات التقليديه فى محاوله لتسهيل وصول الحقائق الى جمال عبد الناصر لسرعه اصدار القرارات اللازمه .

أذكر اننا قد اتفقنا مع جعفر نيمرى على أن يذكر مندوب القيادة اذا حضر لمصر انه قادم من قبل (شركة التوكيلات التجاريه) ٠٠ ولكن هذا الاسلوب لم يستمر طويلا ، فقد أعلن جمال عبد الناصر تأييده لحركة ٢٥ مايو وحضر الى مصر وفد برئاسه بابكر عوض الله ٠٠
وخلال الاسابيع الاولى لحركة ٢٥ مايو اتخذت عدة قرارات اكسبت وجهها شكلا تقديما وبدأت بتغيير اسم الدولة الى (جمهورية السودان الديموقراطية) .

اعترفت بجمهورية ألمانيا الديموقراطية سابقة بذلك كل الدول العربيه بما فيها مصر ٠٠ وكانت حكومة الاحزاب التقليديه قد قطعت علاقاتها مع ألمانيا الاتحادية عندما قطعت الدول العربيه علاقاتها بها لامدادها اسرائيل بالمعونات والسلاح ، ولكنها استبقت السفير فى منصب القنصل العام فى بون وكأنا تريد ان تثبت لهم أن شيئاً ما لم يحدث .

كما اعلنت الحكم الذاتى لجنوب السودان .

وقد توطلت العلاقات كثيرا بين النظام الجديد فى السودان وبين عبد الناصر وانسجمت سياسة الدولتين حول مشكله الشرق الاوسط ، وحول رفض الهزيمة .

قال جعفر نيمرى ان جمال عبد الناصر قال له (ثورة السودان أعطتني

• قوة وعزيمة ومنحتني املا وثقة) .

• وجد جمال عبد الناصر في ثورة السودان عمقا استراتيجيا لمصر .

• ووجدت ثورة السودان في جمال عبد الناصر سندا لها .

• وكانت العلاقة بين القاهرة والخرطوم في هذه الفترة شديدة الارتباط

• اكثر منها بين القاهرة واية عاصمة عربية أخرى .

• وانتعشت في ذهن عبد الناصر أفكار الوحدة العربية مرة أخرى .
أذكر اني وجهت اليه استفسارا في احدى المقابلات بعد زيارة السودان
عن رأيه في موضوع الوحدة اذا رغب الاشقاء في السودان ذلك . . . وتهلل
وجه جمال عبد الناصر وهو يقول :

- الوحدة الطبيعية الاولى لمصر هي مع السودان امتدادا لوادي النيل

• ونحن على استعداد لاي خطوات في هذا السبيل .

• وقد تعاونت السودان مع مصر تعاوننا وتيقا في مقاومة العدوان ، وخاصة
في المجال العسكري حيث استقرت بعض أسراب الطائرات هناك بعيدا عن
مدى العدوان الاسرائيلي ، وانتقل طلبة الكلية الحربية الى الخرطوم .

• وظلت الامور تمضي الى الافضل في العلاقة بين الدولتين وبين الشعبين
الى ان قامت الحركة العسكرية في ليبيا في اول سبتمبر ١٩٦٩ ، فبدأت
علاقة ثلاثية انتهت الى التوقيع على ماعسرف باسم (ميناق طرابلس) في
ديسمبر من نفس العام .

ليبيا

• لم تكد حركة ٢٥ مايو تنصر في السودان ، حتى قامت في ليبيا حركة
عسكرية أخرى في اول سبتمبر ١٩٦٩ .

• وقد تشابهت مع الحركة السودانية في انها انبثقت من صفوف الجيش
وأن الذين قاموا بها لم يكونوا على ارتباط بمصر .

• وكانت ليبيا على عهد الملك السنوسي دولة مغلقة تسيطر عليها قوا
الاحتلال الامريكية في قاعدة هويلس بطرابلس ، والقوات البريطانية في قاعدة
العظم . . . وكان أبعد مايكون عن خاطر التورين وفي هذا الوقت بالذات أن
يحدث شيء ما في ليبيا .

• وكانت القواعد الامريكية في ليبيا قد وضعت في حالة التأهب القصوى
اثناء العدوان الاسرائيلي على مصر .

• ولذا فانه عندما وصلت انباء الانقلاب الاولى اثناء وجود الملك ادريس
في زيارة لاوروبا اعتقد الكثيرون أنه نوع من انقلابات المخابرات المركزية
الامريكية أو القوى الامبريالية الاخرى التي تريد المحافظة على مضمون النظام
بينما تغير مظهره من ناحية الشكل بعد أن يكون قد تورط في انحرافات تجعل
مسيرته صعبة والثقة به متعذمة .

• وصلت اخبار الانقلاب لجمال عبد الناصر اثناء عقد مؤتمر قمة للمواجهة
حضره هواري بومدين وجعفر نميري وممثلون لسوريا والعراق وبالتحديد اثناء
القاء الملك حسين لكلمته امام المؤتمر . . . وسقوط ملك عن عرشه أمر لا يرضى

ملكا آخر ٠٠ ولم يعد بعد سقوط الملك ادريس في ليبيا سوى ملك عربي واحد في افريقيا هو الملك الحسن ملك المغرب ٠٠ بل لم يعد في قارة افريقيا كلها ملك سواه اذا استثنينا الامبراطور بوكاسا الذي نصب نفسه في العام الماضي امبراطورا على جمهورية افريقيا الوسطى (٣ ملايين نسمة) .

حرص جمال عبد الناصر ان يبعث رسالة تحية الى الملك ادريس فقد كانت صلته به طيبة ٠٠ وكان حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة السابق هو المسئول عن العلاقات مع ليبيا والملك السنوسي حتى استقلال عام ١٩٦٦ ، ويذكر أن الملك ادريس قد أرسل الى عبد الناصر مبلغ عشرين مليون جنيه حاجة عاجلة لشراء أسلحة بعد العدوان ، وقد أعطاها الملك مرحبا دون أن يشترط شيئا سوى الحصول على بعض الأشياء من الازهر كان أسلافه قد وضعوها هناك .

والأسرة الادريسية من أصل جزائري ولكنها ممتدة في صحراء مصر الغربية ٠٠ وابن عم الملك ابراهيم السنوسي يعيش في مرسى مطروح ٠٠ وكان الملك ادريس قد وافق على تقديم دعم لمصر مقداره ٣٠ مليون جنيه كل عام عندما شارك ولي عهده الامير حسن الرضا في مؤتمر الخرطوم . وهكذا كانت العلاقات ودية بين جمال عبد الناصر والملك ادريس ولم يحدث طوال عهد ثورة يوليو خلاف سياسي مثلما حدث بين مصر ومعظم دول المشرق وخاصة الدول ذات الانظمة الملكية الرجعية . ولكن الانقلاب الجديد في ليبيا يثير الاهتمام لانه أخفى أسماء قاداته وأعلن شعاره (حرية - اشتراكية - وحدة) وهو نفس الشعار الذي تبنته ثورة يوليو والذي يختلف شعار حزب البعث العربي الاشتراكي في ترتيب الكلمات (وحدة - حرية - اشتراكية) .

وكان في ذلك اظهار لاتجاه الانقلاب دون التعرف على حقيقته ٠٠ الى ان أرسل قادة الانقلاب مندوباعنهم (آدم حواس) الى القنصلية المصرية في بنغازي طالبين حضور مندوب من مصر واقترحوا اسم محمد حسنين هيكل . ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد أبلغه ان الناس في بنغازي يطلبون مقابلته وانه من الافضل أن يسافر في نفس الليلة ٠٠ وان طائرة خاصة قد أعدت له وصحبه فيها ضابط اتصال من هيئة اركان حرب الفريق محمد فوزي وزير الحربية وقائد القوات المسلحة . وضابط اتصال من المخابرات وسافروا في نفس الليلة .

واستقبل هيكل في مطار بنغازي الرائد مصطفى الخروبي المسئول عن المنطقة وعضو مجلس الثورة وعانقه وهو يبكي قائلا : (اني لا أصدق عيني) .

وفي قنصلية مصر تحدث الخروبي وأسفر عن هوية الانقلاب قائلا انهم جميعا من المؤمنين بجمال عبد الناصر ٠٠ وفي الثانية صباحا وصل معمر القذافي الذي أدهش هيكل بصغر سنه أولا وباعلان رغبته ورغبة زملائه في الوحدة مع مصر فورا حتى تشكل لها عمقا استراتيجيا . حمل القذافي محمد حسنين هيكل رسالة الى عبد الناصر تتضمن انهم

قاموا بالثورة من أجله ، وانه يمكن أن يأخذ من ليبيا كل ما يريد لضمه الى قدرات الامه العربية من أجل المعركة .
عاد هيكل الى القاهرة بعد أن التقط عدة صور للقذافي وزملائه بوساطة مصور خاص صاحبه معه واعدا بعدم نشر هذه الصور وانه سوف تقدم لجمال عبد الناصر وحده .

ويظهر هيكل في كتابه حرص عبد الناصر على معرفة كل دقائق المقابلات والتفاصيل التي أتتحت لهيكل خلال زيارته التي استمرت ١٨ ساعة فقط .
وقد اتصل عبد الناصر في الليلة الاولى للثورة بكل من محمود رياض وزير الخارجية ، وأمين هويدى مدير المخابرات العامة يستطلع رأيها في الاعتراف الفوري بالحركة العسكرية الليبية . . ولكن الاثنين طلبا منه الانتظار الى الصباح حتى يتوافر مزيد من المعلومات .
وفي الحادي عشر صباحا اتصل جمال عبد الناصر بسامى شرف وطلب منه ابلاغ الاداعة اعتراف مصر بالثورة الليبية ، وتصادف وجود أمين هويدى في مكتب سامى شرف ، وعندما علم بذلك طلب الاتصال به ، قائلا انه باذر بالاعتراف لان ليبيا بالنسبة الى مصر ليست مثل كوريا على بعد الاف الاميال ولكن تربطنا بها حدود مشتركة وقومية واحدة ، ولذا رأيت المبادرة بالاعتراف بها . .

وطلب عبد الناصر من هويدى ان يبلغ سامى شرف ليضيف فى بلاغ الاعتراف استعداد مصر للمساعدة .
وهكذا كانت مصر أول دولة تعترف بالثورة الليبية .
وقد اخذ مجلس الثورة قرارا بقطع العلاقات مع ألمانيا الاتحادية التي كانت تأخذ قدرا كبيرا من البترول الليبي عندما عرف انهم يساعدون الأتراك فى احتلال إعادة الملك السنوسى الى بلاده حيث وقع الانقلاب وهو يعصى أجازته فى تركيا .

وتصرف جمال عبد الناصر بجرأة ومبادرة لاتعرف للتردد .
وقال لى الفريق محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اتصل به وأبلغه أن يهدى حرب الاستنزاف على القناة ، وأن يرسل لواء مدرعا ومدرعتين وبعض الفواصات الى مرسى مطروح لوقف أى محاولة لضرب الحركة العسكرية الليبية وإعادة الملك ادريس الى عرشه . . وقد صدرت الاوامر بذلك فى نفس الليلة .

وكانت حرب الاستنزاف قد بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٩ وكانت تتصاعد يوما بعد يوم .

وهكذا كان جمال عبد الناصر يعطى أسبقية لدعم الثورات العربية على استمرار وتصعيد حرب الاستنزاف . . فقد كان استقرار هاتين الحركتين عاملا رئيسيا فى حشد طاقات الامه العربية ، وفى توفير عمق استراتيجى هائل لمصر .

وقد أرادت اسرائيل أن تعطى ردا على الثورة الليبية فأرسلت قوات من الفدائيين فى غارة مفاجئة على منطقة الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر يوم ٩ سبتمبر أى بعد تسعة ايام فقط من قيام الثورة الليبية .

وصلت أخبار هذه الغارة الى جمال عبد الناصر والفريق فوزى عن طريق الاذاعات ووكالات الانباء الاجنبية قبل أن تصل عن طريق القيادات المصرية .

• وكان جمال عبد الناصر وقتها يحضر مناورة على طريق مصر - السويس
• فعاد فوراً الى القاهرة .

كان قيام الثورة الليبية حدثاً هائلاً وغير متوقع .
وفي ثلاثة شهور عبر الشعب العربى فى السودان وفى ليبيا عن رفضه للهيمنة ، باسقاط الانظمة الحاكمة وقيام أنظمة جديدة أشد ارتباطاً وتعاوناً مع ثورة يوليو المصرية .

ويذكر ان الملك عبد العزيز ال سعود قال لابنائيه انه يوصيهم بأسرة المهدي فى السودان وأسرة السنوسى فى ليبيا . وسقطت الاسرتان بضربة عسكرية مفاجئة .

اليمن :

عندما حلت الهزيمة بالقوات المسلحة المصرية فى سيناء كان لها ٧٠٠٠ جندى فى اليمن يدافعون مع شعبها عن ثورة ٢٦ سبتمبر التى اطاحت بحكم الامامه الرجعى المتعفن .

ولم يكن ممكناً لهذه القوات ان تبقى هناك فى اليمن ، وعملية اعادة بناء القوات المسلحة تتحرك بصورة ايجابية فعالة فى مصر .

وكان مؤتمر القمة العربى بالخرطوم (اغسطس ١٩٦٧) هو الفرصة المناسبة لطرح هذه القضية التى استنزفت كثيراً من الاموال والدماء . وتم الاتفاق الذى اقره عبد الناصر وفيصل وحدهما واذاعه محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان على ان تبدأ مصر فى سحب قواتها ، وأن تكف السعودية عن تأييد فلول النظام اليمنى المنهار .

ونص الاتفاق أيضاً على أن توقف الدولتان كل انواع العون العسكرى لليمن ، بينما تتفق الدولتان على استمرار التعاون الاقتصادى لليمن حتى يبنى نفسه .

أعادت السعودية ترخيص العمل لبنك مصر والقاهرة بينما افرجت مصر عن اموال السعوديين وصدر قرار جمهورى برفع الحراسه عن ٨٣ اسرة سعوديه وشركتين .

ولم يتعرض الاتفاق لوضع اليمن وترك لليمنيين حق اختيار مستقبلهم . كما أقر تشكيل لجنة ثلاثية من العراق والسودان والمغرب لمتابعة تنفيذ الاتفاق .

أعلن السلال فى حديث صحفى بالخرطوم (انه يوافق على أى حل للمشكلة يحفظ للشعب اليمنى مكاسبه وانتصاراته) هذا رغم عدم اشتراكه فى التحضير للاتفاق ، الامر الذى أثبت فى نفسه بلاشك بدور المعارضة لتنفيذه .

وغادر السلال اليمن الى القاهرة بعد مؤتمر القمة حيث عقد اجتماع يوم

٢ سبتمبر ١٩٦٧ مع جمال عبد الناصر بحضور انور السادات وعبدالله جزيلان
رجع بعده الى صنعاء .

وسحبت مصر ٢٠.٠٠٠ جندي خلال أسابيع من مؤتمر الخرطوم رغم
معارضة السلال لذلك ، وكان الفريق أول محمد فوزي قد أمضى ٤ أيام في
صنعاء لأول مرة كقائد عام للقوات المسلحة .

ولم يكن ذلك الامر مرضيا للسلال كما ذكرنا .

كتب الدكتور محمد علي الشهاري في كتابه (عبد الناصر وثورة اليمن)
وهو واحد من أعضاء الوفد اليمني بمؤتمر الخرطوم وكان مديرا لمكتب السلال
موضحا هذه الصورة بقوله :

(أصدر الرئيس السلال وقتها بالفعل بيانا خاصا بذلك في الخرطوم
في نفس الوقت الذي اكده الرئيس جمال عبد الناصر بأنه لايعترض على سحب
الجيش المصري من اليمن ولكنه رجا الرئيس المصري أن يترك في اليمن بعض
الاسلحة الضرورية اللازمة لكفالة الاستمرار في الدفاع عن الجمهورية ، وهو
ما وعد الرئيس عبد الناصر بتلبيته) .

ومسيرة لهذا الاتجاه رفض السلال لمقابلة اللجنة الثلاثية الوزارية
المشكلة من محمد احمد محبوب رئيس وزراء السودان ووزير خارجيته ،
واسماعيل خير الله وزير خارجية العراق ، وحمدي سوادة وزير خارجية
المغرب والتي سافرت الى صنعاء يوم ٣ اكتوبر في محاولة للتوفيق بين الاطراف
المغنية .

تعلل السلال في رفضه بأن زعماء القبائل يريدون مقابلة اللجنة ،
ولكن قادة الجيش يرفضون ذلك . . وهو حائر بين الاثنين .

واجتاحت المظاهرات صنعاء وأطلقت الشرطة النار . وتساقط عدد من
القتلى ، وارتبكت الامور ، وعادت اللجنة الى القاهرة بعد ٢٤ ساعة فقط حيث
سافرت بعد ذلك الى جدة لمقابلة اليمنيين من الطرف الآخر ، ولكنها رفضت
مقابلة البدر .

تحت ضغط الرفض الشعبي وتحاشيا لرد الفعل العنيف لسقوط
القتلى تمت محاكمة العقيد عبد القادر الخاطري-نائب وزير الداخلية ومدير الامن
العام ورئيس قوى الامن المركزي بتهمة اطلاق النار على المتظاهرين مما أدى
الى مصرع ٥ اشخاص وحكم عليه بالاعدام .

ولكن رد الفعل لم يقف عند هذا الحد فقط ، ورفض السلال لمقابلة
اللجنة لم ينته عند حد عودتها من صنعاء بعد ٢٤ ساعة فقط .

لم يكدهم يمشي شهر واحد ، حتى انتهز اليمنيون فرصة سفر السلال الى
القاهرة وبغداد ثم موسكو حيث كان ابنه سافرا لليمن في الاتحاد
السوفييتي . انتهز اليمنيون هذه الفرصة وقاموا بانقلاب يوم ٥ نوفمبر أثناء
وجود السلال في بغداد بعد مغادرته القاهرة .

شكل الانقلاب مجلسا جمهوريا برئاسة عبد الرحمن الايراني ، أعلن
التزامه بمبادئ ثورة ٢٦ سبتمبر ، وأعلن ايضا (ان حركة الجيش اليمني

تمد يدها الى كل الدول العربية وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، ولا يمكن أن ننسى نضحياتها من أجل الثورة اليمنية) :

أول برقية خرجت من صنعاء كانت الى جمال عبد الناصر وقال فيها الايرياني هذه العبارة :

(بعد صبر طويل على عبث السلال الذي كان اخره أحداث الثالث من أكتوبر (المظاهرات ضد لجنة التوفيق) والتي ذهب ضحيتها اخوان أعزاء وجللت وجه اليمن بالجزى والعار قرر الشعب اليمني بكل فئاته خلع السلال من رئاسة الجمهورية وتجريده من مناصبه الرسمية ورتبه العسكرية) .

ونضمن رد عبد الناصر هذه الفقرة :
(التكريم الحقيقي لكل ما بذل من الجهود والتضحيات هو المحافظة على سلامة الثورة وفتح الطريق أمام مسيرتها) .
وتشكلت وزارة جديدة برياسة محسن العيني ، البعثي الميول ، التقدمي الوجه ، ضمت ١٤ وزيرا .

أرسل المجلس الجمهوري الجديد برقية تهنئة حارة الى نيكولاى بودجورنى رئيس مجلس السوفييت الاعلى بمناسبة العيد الخمسين للثورة الاشتراكية .
واستقبل محسن العيني ممثلى العراق وسوريا والجزائر .
لم تتوقف الحرب الاهلية رغم ذلك ، ولم تستمر وزارة محسن العيني طويلا رغم مقابله لأعضاء اللجنة الثلاثية .

وكانت اليمن الديمقراطية قد حصلت على استقلالها وارتفع علمها على مبنى الجامعة العربية فى القاهرة يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٧ ، وبعد ثلاثة ايام فقط عاد حسن العمري رئيسا للوزارة وهو الذى كان السلال قد عزله عقب عودته من مصر التي أجبره عبد الناصر على البقاء فيها لمدة تسعة شهور اعتبارا من أواخر عام ١٩٦٥ لاعطاء العمري الفرصة لاقرار النظام فى اليمن .

عندما عاد السلال عزل العمري واعتقل عددا كبيرا من الضباط والمسؤولين بتهمة التعاون مع النظام السعودى .
والآن ٠٠ عاد العمري رئيسا للوزراء .

وسحب جمال عبد الناصر ٣٠.٠٠٠ جندي آخرين بعد اعلان استقلال جنوب اليمن وجلاء القوات البريطانية .

ولم يتبق فى اليمن سوى ٢٠.٠٠٠ جندي مصرى فقط .
وقال جمال عبد الناصر بعد سقوط السلال فى خطابه بمناسبة افتتاح الدورة الخامسة لمجلس الامة فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ ما يأتى :

فى الخرطوم استطعنا الاتفاق مع الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية ان نتفق على موضوع اليمن ، وكان هدفنا فى ذلك ان نحقق المبادئ ولم يعننا الاشخاص) .

وقال أيضا :

(توجد اليوم جمهورية فى صنعاء بدون قوات مصرية فى صنعاء ٠٠ كما تم جلاء الاستعمار البريلسانى من الجنوب المحتل ومن عدن ، والوطنيون سيتولون الحكم هناك لأول مرة) .

اضطر جمال عبد الناصر لسحب القوات المصرية امام قسوة الهزيمة في سيناء بعد ان كان قد اعلن انه سيتركها هناك عشرين سنة لو اقتضى الامر حتى يقوى عود الثورة اليمنية وتتححر المنطقة من الاستعمار والرجعية .

القوات المسلحة المصرية لم تخرج من اليمن الا بعد أن أحرز اليمن الجنوبي استقلاله وتحررت أرضه من قوات الاحتلال البريطانية . . ولكنها خرجت قبل الوصول الى صيغة اتفاق نهائية . . ولذا ظلت الحرب الاهلية مستمرة رغم محاولات السلام .

ويقول انطوني ناتنج في كتابه (ناصر) ان السعوديين قد قرروا في نهاية عام ١٩٦٨ عدم امداد جيش الامام بالاسلحة في محاولة لاعادة السلام .

وقد حدثت في السعودية محاولة انقلابية في صفوف القوات المسلحة تسربت انبأؤها في يونية ١٩٦٩ بعد أن تم اعدام القائمين بها في صمت وكان بعضهم من الطيارين . ويروي محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) الحديث الذي دار بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر في القاهرة قبل سفرهما الى مؤتمر الرباط في ديسمبر ١٩٦٩ ، والذي قال فيه فيصل ان بعض المتأمرين كانوا على صلة ببعض المسئولين المصريين وخاصة سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، وماقاله عبد الناصر من استعداد له لارسال أى شخص مصرى قريب منه أو بعيد عنه لمحاكمته في السعودية اذا كانت له صلة بمثل هذه المؤامرات مؤكدا له ان ما كان يتم قبل هزيمة ١٩٦٧ قد انتهى وانه قد أصدر اوامر مشددة بوقف كل محاولات ضد النظام السعودى بعد مؤتمر الخرطوم .

وفى هذا الاجتماع الثنائي الذي سبق مؤتمر الرباط طلب جمال عبد الناصر من الملك فيصل زيادة المعونة المالية لمصر ولكنه اعتذر عن ذلك لسوء أحوال المملكة السعودية المالية ولندرة احتياطياتها من العملات الصعبة الامر الذي قد يدفعهم الى الاستدانة من صندوق النقد الدولي . ووقف مساعداتهم للدول الصديقة .

وأرجع الملك فيصل ذلك الى تخريب انابيب (التابلاين) التي قام بها افراد الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة جورج حبش . ويذكر ناتنج في كتابه أيضا ان الهدوء والسلام لم يستقرا في اليمن الا في مايو ١٩٧٠ .

مؤتمر الرباط :

كان وقع الاحداث بعد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم سريعا . . وكانت التغيرات المتلاحقة تفرض نفسها بالحاح للقاء جديد بين الرؤساء والملوك العرب ولم تتوقف الحركة السياسية عند حدود قرارات الخرطوم التي تقضى بأنه (لاصلاح ولا اعتراف ولا مفاوضة) مع اسرائيل . فان قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ صدر في نوفمبر ١٩٦٧ وقبلته مصر والاردن من دول المواجهة بينما

رفضته سوريا ومعها عدد من الدول العربية مثل العراق واليمن الديمقراطية والجزائر .

وأدى هذا الى حدوث نوع من البرود في العلاقات بين مصر وهذه الدول التي أخذت توجه النفد للنظام المصري ونرى في حركته جنوحا الى التهاون في وقت لم تتوقف فيه عملية بناء القوات المسلحة ولم يتوقف القتال .

هذا بينما حدث نوع من الهدوء بين مصر وبين الدول التي قرر مؤتمر الخرطوم ان تقدم لها دعما ماليا (السعودية والكويت وليبيا) ونوفقت الحملات الاعلامية . . بل ونوفقت المؤامرات السرية ضد أنظمة الحكم في بعضها كما صرح عبد الناصر الملك فيصل أثناء دعوه لزيارة القاهرة .

لم يكن هذا التغيير دليلا على تراجع في موقف مصر الوطني والتحرري . . ولكنه كان دليلا على أن قرارات عبد الناصر لم تعد تلعب مشاعر الوطنيين في الامة العربية كما كان الحال قبل عدوان يونيو ١٩٦٧ .

ومع ذلك فان المقاومة الفلسطينية وجدت في عبد الناصر حليفا وصديقا وسهل لهم سبيل الاعتراف بهم كقوة ثورية تحارب من اجل قضية عادلة، تستحق أن تحصل على السلاح ، وتجد في ارض مصر مجالا وساحة للتدريب . وكانت التناقضات قد بدأت تظهر بين النظام الاردني وبين المقاومة الفلسطينية .

وبعد مؤتمر الخرطوم سحب عبد الناصر قواته من اليمن ، قبل الوصول الى تسوية نهائية .

ولمت في حياة العرب السياسية أضواء هامة رغم ظلام الهزيمة .
تحررت اليمن الديمقراطية من جنود الاحتلال البريطاني وحصلت على استقلالها الوطني .

قامت ثورة ١٧ يوليو ١٩٦٨ التقدمية في العراق .
قام الجيش السوداني بحركته في ٢٥ مايو ١٩٦٩ .
ثم قام الجيش الليبي بحركته في أول سبتمبر من نفس العام .
ووجد عبد الناصر في زعماء الحركات السودانية والليبية حلفاء جددا له .

ولم تتوقف الاحداث عند حدود الوطن العربي . . بل تجاوزتها الى علاقة مصر مع دول عدم الانحياز .

مات نهر واحد الثلاثة الذين أرسوا دعامة عدم الانحياز . . ودهش تيتو لان عبد الناصر لم يتجاوز معه في موقف المعارضة العلنية الصارخة ضد دخول القوات السوفيتية الى تشيكوسلوفاكيا ، غير مقدر للظروف التي فرضت على عبد الناصر هذا الاختيار ، في وقت كان يحصل فيه على كل ما يريد من تأييد سياسي وعسكري ومعنوي من الاتحاد السوفيتي .

ويبدو أن تيتو لم يقتنع كامل الاقتناع برأى عبد الناصر عند مناقشتها لهذه القضية أثناء زيارة تيتو لمصر في أواخر عام ١٩٦٨ .

كانت ظروف عبد الناصر تفرض عليه ان يضع تحرير الارض المصرية هدفا استراتيجيا رئيسيا ، يرسم سياسته تبعا له ، ويعتبر كل ما عدا ذلك فرعيات لا يجوز له أن يعطى وراءها حتى لاتعثر خطواته .

كان الموقف العربي يعرض لقاء جديدا .

وعندما دعا الملك الحسن الى عقد مؤتمر للقمّة في الرباط وافق جمال عبد الناصر .

وعقد المؤتمر في ديسمبر ١٩٦٩ . المؤتمر الخامس للقمّة العربية . وظهرت فيه وجوه جديدة . صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي بدلا من عبد الرحمن عارف . ياسر عرفات بدلا من احمد الشقيري . جعفر نميري بدلا من اسماعيل الازهرى ومحمد احمد معجوب . معمر القذافي بدلا من الملك السنوسي .

ولم يسفر المؤتمر عن قرارات ايجابية خطيرة . . فقد كان ساحة لانفعالات معمر القذافي الذي روى محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) رفضه لرؤية الجنرال اوفقيير الذي دبر مقتل الشهيد العربي المناضل مهدي بن بركة . واعراضه على كشف أسرار تقرير الفريق أول محمد فوزي قائد عام القوات المسلحة المصرية امام الملوك والرؤساء خشية تسربه الى العدو خلال بعض الحاضرين .

ويقول هيكل ان الملك الحسن قد كتب ورقة صغيرة الى جمال عبد الناصر يبلغه فيها ان القذافي قد اعد طائرته للسفر وانه ينوي مغادرة المغرب قبل انتهاء المؤتمر ويرجوه فيها ان يتدخل مستخدما تأثيره لمنعه من ذلك تجنباً لفشل المؤتمر .

ونجح عبد الناصر في اقناع القذافي بالبقاء .

وتوقف عبد الناصر في طرابلس خلال رحلة العودة حيث استقبل استقبالاً شعبياً حافلاً لم تشهد ليبيا في تاريخها ، وبعد احتفالات استمرت أربع ساعات خطب عبد الناصر خطبة استغرقت ساعه كامله ، الامر الذي أزعج أطباء المعالجين . ودفع بريجنيف الى ارسال رسالة عاجلة له تحمل رأى طبيبه الخبير الدكتور شازوف الذي حضر خصيصا لعلاجه من موسكو وفيها يقول ان هذا الجهد يتناقض تماما مع تعليمات الاطباء، ويعرض صحة عبد الناصر للخطر .

لم يتوقف عبد الناصر وحده . كان معه جعفر نميري ايضا ، حيث وقف الزعماء الثلاثة ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) .

قال لي فاروق ابو عيسى وزير خارجية السودان في ذلك الوقت ان عبد الناصر قد ثار ضد مقترحات اللجنة التحضيرية التي كانت قد اتخذت خطوات في سبيل اقرار وحدة فعلية متجاوزة الظروف الواقعية في الدول الثلاث ، مؤكدا ان الوحدة لابد وأن تبنى على اساس سليم تنفعل به الجماهير ولا يحدث في نفوسها اى نوع من الحساسية .

كان (ميثاق طرابلس) خطوة هامة في سبيل خلق عمق استراتيجي هائل لمصر في الغرب والجنوب .

وكانت وفرة الاموال عند النظام الليبي الجديد معروضة بسخاء من القذافي لشراء اسلحة حديثة من اجل المعركة . طائرات فانتوم من أمريكا

وميراج من فرنسا ٠٠ وقد شجع عبد الناصر معمر القذافي على ذلك وطلب منه أن يحاول الحصول على ما يريد وما يستطيع ولكن ليس لحساب مصر .

كان عبد الناصر على حذر شديد من محاولة الوقيعة بين مصر وليبيا عن طريق اظهار مصر بمظهر الدولة المحتاجة اقتصاديا الى أموال ليبيا الطائلة .

كانت مصر تدفع نفقات كل قواتها التي ترسلها الى ليبيا .
قال لي أمين هويدي وزير الدولة في ذلك الوقت ان مصر كانت تدين ليبيا بمبلغ ٦ مليون جنيه قيمة ما صرفته هناك .
وخطب عبد الناصر قائلا :

(هناك دعايات كثيرة ضدنا ، دعايه على اساس اننا شعب جعان واننا عايزين نستولى على ليبيا ونأكل خيراتها ٠٠ والحقيقة ان هذه دعاية يمكن ان تؤثر على الناس وخصوصا ان بعض الناس هناك كانوا مرتبطين بالنظام القديم ولكن القيادة في ليبيا الاخ معمر القذافي من أصفى الناس الى الواحد شافهم في حياته)

وبدأت ليبيا تفتح أبوابها للعاملين المصريين ، وانهارت الحدود المصطنعة بين الشعبين .

كان في ليبيا على عهد الملك السنوسي ٣٠٠ طبيب من الصين الوطنية ، لأن اطباءنا كانوا ممنوعين من السفر الى هناك .

ولم يتحرك (ميثاق طرابلس) خطوة الى الامام نحو الاتحاد بين الدول الثلاث ، فقد ظهر في السودان اتجاه حذر من ليبيا نتيجة لتصريحات معمر القذافي المعادية للاشتراكية العلمية واللسوفيت . وللغموض الذي احاط بتصريحاته .

الباب الرابع

عودة المعركة

(ان القارات الاسرائيلية في مطلع عام ١٩٧٠
كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال
عبد الناصر ، تماما كما حدث في غارة غزة
في ٢٨ فبراير سنة ١٩٥٥ ، وحرب السويس
١٩٥٦ ، وحرب الايام الستة ١٩٦٧) .

الكاتب والاستاذ الامريكى دكمجيان فى
كتاب (مصر تحت حكم ناصر)

الفصل الاول

المعركة . . . في الخطوط الامامية

- اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة ..
- فنحن لم نعد نملك أن نخسر معركة

جمال عبد الناصر

رغم قسوة الهزيمة ، لم يسقط النظام ، ولم تكتب الكلمة الاخيرة في ثورة يوليو .

عندما تدفق الشعب ينادى ببقاء عبد الناصر ورفض تنحيه . كان ذلك ايذانا بأن مخطط الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية لم يحقق أهم أهدافه ، وكان بداية لمسئولية جديدة مرهقة حملها مبكرا الرجل الذي كان قد أشرف على العام الخمسين من عمره .

ولم يكن الامر عند جمال عبد الناصر يقتصر فقط على عملية اعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة . بل انه كان يعتبر ان عودة الحياة الى مصر لا تكون الا بالقتال ، وعودة المعركة .

ولذا كان شيئا مثيرا أن يتجه القائد الاعلى للقوات المسلحة وهو مازال بعد في مرحلة اكتمال التنظيم ، الى القتال ، رغم انه كان في موقف ضعف غير محتاج الى تأكيد .

بعد أن انسحبت فلول القوات المسلحة من سيناء .. بدأت المعركة من جديد بعد فترة لم تتجاوز عدة أشهر .

يقول أمين هويدى وزير الحربية بعد الهزيمة في كتاب (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف) :

(ولم يعد هناك وقت لاستقرار سيطرة الآلام والاحزان .. فالمصيبة وقعت وعلى مصر أن تتخطاها وتعبرها .. وكان لابد من تجديد العطاء حتى لاتستمر سماؤنا مكشوفة مباحة .. وكانت مئات الطائرات قد بدأت فى الوصول على فترات متعاقبة من الاتحاد السوفيتى .. أحيانا تأتي فى قوافل جوية فى سياق مع الزمن فى الايام الاولى من النكسة ، وأحيانا أخرى فى قوافل بحرية بعد ذلك .. وبجهد محموم بدىء فى مضاعفة عدد الطيارين لمواجهة الزيادة فى عدد الطائرات .. فالبعض يدربون فى الاتحاد السوفيتى والبعض الآخر يدربون هنا فى القاهرة .. وكان كثير من الطيارين حتى وهم فى دورات التدريب بكلفون بواجبات العمليات ، وقد حدث ذلك فى ظروف كثيرة ومتعددة .. وأنشئت عشرات المطارات وأراضى النزول فى أنحاء متفرقة من الجمهورية فتكلفت مئات الملايين من الجنيهات والاف الساعات من العرق والجهد) .

والأرقام تشير الى أنه كان متوافرا لمصر مئات الطائرات ضربت على الارض بينما لم يتوافر أكثر من ٦٥ طيارا مدربا وصالحا للقتال ، وذلك حسب رواية مسئول عن القوات الجوية قبل الهزيمة .
ولذا تغير أسلوب التدريب واعداد المدربين ليلحق ذلك بعدد الطائرات وفصل الدفاع الجوى عن قيادة القوات الجوية ليصبح سلاحا مستقلا له قيادته المستقلة .

ويقول أمين هويدي فى كتابه أيضا :
وتم تعويض كافة خسائرنا التى حدثت فى يونيو ١٩٦٧ من الاتحاد السوفيتى من رادارات الى مدفعية الى صواريخ كما تم استكمال النقص فى بعض انواع المدافع عن طريق الشراء من أسواق السلاح العالمية .. وأخذت أسلحة من نوع جديد لم تستخدمه قواتنا من قبل تصل من الاتحاد السوفيتى فعلاوة على الصواريخ سام ٢ وسام ٣ التى كانت مستخدمة قبل النكسة وصلت صواريخ سام ٦ ، وسام ٧ مما كان سببا فى تدعيم القدرة القتالية)

كانت عملية إعادة التنظيم تمتد لتشمل القوات الجوية والدفاع الجوى والقوات البحرية والقوات البرية فى حدود القوات المسلحة ، وتمتد أيضا لتشمل مسرح العمليات المنتظرة .
وهنا لابد من الإشارة الى أن قرار انشاء قوات الدفاع الجوى كقوة رابعة للقوت المسلحة هو قرار أملتة ظروف المعركة وهزيمة يونيو وسيادة العدو الجوية الساحقة عقب العدوان .

وتشكلت هذه القوة القتالية الجديدة فى يونيو ١٩٦٩ . لتسكون درعا دفاعيا عن مصر متميزة بدورها وواجباتها عن القوات الجوية المهاجمة . وتم تعيين اللواء محمد على فهمى أول قائد لها .
وقد صاحب تكوين هذه القوات واجب استراتيجى آخر .

فقد فكت المصانع ومعدات هيئة قناة السويس التى كانت موجودة فى منطقة القناة ونقلت الى أماكن فى داخل الجمهورية ، وقدوفر ذلك معدات هائلة وملايين من الجنيهات . وتحاشت أخطار الحرائق .. ولم يقتصر ذلك على منطقة

القناة فقط ٠٠ بل أخلى ميناء الاسكندرية أيضا من أكداس الخشب والمواد النوبينية بعد ان أصبح هو الميناء الوحيد الذى تعتمد عليه مصر تقريبا .
والحقيقة ان مشاعر الناس بعد الهزيمة قد اكتسبت جدية ملحوظة .
واعتقد الكثيرون اننا فى سبيل أخذ الثأر واسترداد الارض المحتلة خلال فترة زمنية محدودة .

وقد جارت الحكومة هذا الشعور فتركت القاهرة والاسكندرية ومدن القنال فى اظلام شبه تام ، وأغرقت برامج الاذاعة والتلفزيون بالاغاني والاناشيد والاحاديث الوطنية .

وكان أمرا مثيرا للاهتمام وباعثا على الحيوية مانشرته الصحف من أنباء القتال عن معركة (رأس العش) التى تصدت فيها بقايا قواتنا المسلحة لطاير من طوابير العدو حاول الوصول الى بور فؤاد بعد أيام من العدوان .
وتعتبر معركة رأس العش رغم العدد المحدود من القوات التى اشتركت فيها نقطة تحول حربية وتاريخية هامة ٠٠ اذ تحول القتال من انسحاب غير منتظم ٠٠ الى دفاع صلب لا مجال فيه للتردد أو الانسحاب .

تغيرت القيادة ، وأحدثت الهزيمة القاسية صدمة بعثت اليقظة فى العقول والارادة فى النفوس .

وحارب الجندى المصرى بشجاعة وبسالة قوات العدو التى سحقته قبل ذلك بأيام فقط ، فأنبت انه محارب من طراز فريد يملك كل القدرات والمقومات ، ولا ينقصه الا القيادة الوطنية السليمة .

تطوير الجندى المصرى

وقد فرضت الهزيمة على قيادة القوات المسلحة ضرورة تطوير نوعية الجندى المصرى فاستقر الرأى على استبقاء المجندين من خريجي الجامعات فى القوات المسلحة بعد انتهاء مدة خدمتهم الاجباريه وهى سنه واحدة وامتدت خدمة الكثيرين منهم الى أكثر من خمس سنوات .

وفتحت الكلية الحربية أبوابها لنوعية جديدة من الطلبة الذين تخرجوا فى الجيش ضباطا وهم من أبناء العمال والفلاحين .

وهكذا اقتربت الفوارق الاجتماعية بين الضباط والجنود خطوة واضحة بعد أن كانت الهوية الاجتماعية بينهم قبل الهزيمة ساحقة .

ولم يتغير الفارق الاجتماعى الحاد قبل العدوان بين الضباط ، وخاصة الكبار الذين كانوا يعيشون حياة يتمتعون فيها بامتيازات كبيرة قد لا تكون مقرررة رسميا ولكنها تستخدم واقعا ٠٠ وبين الجنود الذين كانوا يعيشون حياة صعبة لا تفرق كثيرا عن حياة الجنود قبل الثورة الا فى زيادة محدودة فى الاكل والمرتب كما أوضحت فى الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر)

ولكن الاسلحة الحديثه المتطورة بدأت تفرض نوعية من الجنود خريجي الكليات العلمية فى الجامعات ٠٠ وهكذا كان يختلط فى الجماعة الواحدة أو حول المدفع أو داخل الدبابه جندى جامعى وآخر فلاح وثالث من العمال .

وفتحت ادارة التوجيه المعنوى أبوابها لعدد من السياسيين والكتاب لمحاضرة الجنود فى موضوعات شتى .

اذكر أن محمود رياض وزير الخارجية وشعراوي جمعة امين التنظيم ووزير الداخلية ومحمد فايق وزير الاعلام وغيرهم كانوا يدعون الى عقدندوات مع رجال الجيش . . كما اذكر اننى دعيت لهذه المحاضرات آخر من مرة . ولكن هذا لم يكن يعنى اقترابا من تنفيذ ماورد فى الميثاق من دخول رجال الجيش والشرطة والعضاء الى الاتحاد الاشتراكى العربى . تجربة خلق تنظيم محدود من طليعة الاشتراكيين فى القوات المسلحة والذي كان يشرف عليه المشير عامر وشمس بدران انتهت بالعدوان ولم تتكرر .

ركز جمال عبد الناصر جهده كله على العمل العسكرى . . ولم يبحث فى خلق تنظيمات سياسية داخل الجيش . . ولو انه كان حريصا كما قال لى الفريق اول محمد فوزى على ان يجعل منه - اى من فوزى - رجلا سياسيا متفهما للموقف الاستراتيجى والسياسى ، والعلاقات بين مصر ومختلف الدول .

ويقول الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان كثيرا ما يدعيه حول أهمية ان يكون القائد العسكرى سياسى النظرة أيضا ، وذلك كالمالس من فوزى اهتماما أشد بالقضايا العسكرية .

ومع ذلك لم تقرب السياسة من الجيش . . ولم تنسج العلاقة بين الضباط والجنود من جهة وبين الاتحاد الاشتراكى من جهة اخرى . . عارض عبد الناصر ذلك فى حزم رغم ان محمد فوزى - لما يقول - كان يطالب بسدس مقاعد اللجنة المركزية لرجال الجيش . مازال العمل السياسى ضوئا أحمر يحظر على الجنود والضباط الاقتراب منه .

ولكن النظرة العلمية والواقعية بدأت تغير من واقع القوات المسلحة . فقد أصبح من أهم عوامل الاسعداد للمعركة ألا تكون الهوة الفكرية والاجتماعية واسعة بين الضباط والجنود . . وأن يخلق شعور موحد مشترك يجمع كل المعانين .

ويقول الفريق اول محمد فوزى انه أقنع جمال عبد الناصر الذى عارض فى البداية ولمدة اسبوع فكرة عمل الجامعيين كجنود عاديين فى القوات المسلحة . . أقنعه بأن احتياجات الاسلحة المتطورة تجبره على استئخدام خريجي الجامعات .

صدرت أول خطة تجنيد سنوية عام ١٩٦٨ لتحديد مطالب القوات المسلحة من التخصصات المختلفة ، وتحديد المستويات الثقافية والمهنية لكل وظيفة عسكرية .

وحدث ارتقاء واضح فى المجندين .

قبل يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الجنود الحاصلين على مؤهلات علما ومتوسطة تبعا لتقرير هيئة التنظيم الحربى ٧٥٪ تقريبا .

وبعد يونيو ١٩٦٧ الغى نظام الاقتراع ، وتم تجنيد اصلح الشباب

بنظام تنازلى ٠٠ كما خصص ٩٠٪ من جنود المؤهلات للعمل فى التشكيلات
المحاربة .

- وحدث تطور جديد فى الكشف الطبى .
- فى الماضى كان ضعف الابصار يسقط من ٨ الى ١٠٪ من المقترعين .
- ولكنه صدرت تعليمات بالسماح بتجنيد لابسى النظارات .
- ويظهر الجدول التالى مستويات الجنود الثقافية مع تطور الوقت بالنسبة
المئوية .

التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ الى ٩ سنوات	تعليم اقل من ٦ سنوات
يونيو ١٩٦٧	٦٣	٣٨٤	٥٥٣
ديسمبر ١٩٦٧	١٥	٣٨٣	٤٦٧
عام ١٩٦٨	٢٧٥	٣٨٥	٣٤
عام ١٩٦٩	٢٨	٣٩	٣٣
عام ١٩٧٠	٢٦	٤٠	٣٤

ويظهر هذا الجدول الصادر عن هيئة التنظيم ان ارتفاعا ملحوظا وحادا
قد ظهر فى نسبة المجندين الذين درسوا اكثر من ١٢ سنة اى خريجي
الجامعات وأن نسبة الزيادة منذ الهزيمة حتى نهاية العام فقط ، وهى الفترة
التي اعتبر فيها المارشال زخاروف والفريق أول محمد فوزى والجنرال
لارشكو والفريق عبد المنعم رياض ٠٠ اعتبروا ان القوات المسلحة المصرية قد
أصبحت قادرة على الدفاع عن غرب القناة وصد اى هجوم اسرائيلى .
ارتفعت النسبة خلال هذه الفترة البسيطة الى ٢٣٨ اذا اعتبرت ١٠٠ فى شهر
يونيو .

كما ارتفعت النسبة اكثر من أربعة أضعاف فى العام التالى مباشرة
١٩٦٨ وحافظت على ارتفاعها بعد ذلك .

اما التعليم المتوسط (من ٦ الى ٩ سنوات) وهم خريجو المدارس
الابتدائية والاعدادية فقد احتفظوا بنسبتهم تقريبا ولم يزدوا سوى من
٣٨٤٪ الى ٤٠٪ .

بينما هبطت نسبة الاميين والذين لم يكملوا دراستهم الابتدائية من
٥٥٣٪ الى ٣٣٪ أى مايقرب من النصف تقريبا .

وهذا يوضح ويؤكد تغلب ميزان المتعلمين داخل القوات المسلحة
نسبيا بالمقارنة مع الوضع السابق ومع نسبة تعداد المتعلمين الى تعداد السكان
العام .

ويوضح الجدول التالى مقارنة هذه النسب بين مصر وبعض الدول
الاخرى :

الدولة	التاريخ	تعليم اكثر من ١٢ سنة	تعليم من ٦ - ٩ سنوات	تعليم أقل من ٦ سنوات
مصر	عام ١٩٦٧ عام ١٩٧٠	٦٣ ٢٦	٣٨٤ ٤٠	٥٥٣ ٣٤
اسرائيل	عام ١٩٦٧	٥٠٣	٣٤٤	١٥٣
الاتحاد السوفيني	عام ١٩٣٩ ١٩٧٥	١٢ ٤٦	٢٧٥ ٥٤	٦٠٥ صفر

اصبحت القوات المسلحة في تكوينها الاجماعى من ناحية التعليم اكثر تميزا من واقع المجتمع .
والتطور الذى حدث للجندى المصرى تركز على قدرته القتالية وتدريبه وحسن استخدامه للسلاح الى جانب المواصفات التى تميز بها من صبر وقدره على الحمل واخلص للوطن .

حرب لاتتوقف

تعددت مظاهر القتال ٠٠ ولم يكد يمر اسبوع نم يوم دون سقوط شهيد بقذائف العدو .

نشرت الصحف فور انتهاء مؤتمر القمة بالخرطوم وقوع اشتباكات عنيفة بين قواتنا وقوات العدو يوم ٤ سبتمبر ١٩٦٧ عندما حاول العدو ادخال ٤ قطع بحرية في انجاء مدخل قناة السويس فتصدت لها قوارنا .
ضرب العدو مدينة السويس فأصاب ٣٠ منزلا ومستشفيان وقتل ٤٢ وجرح ١٦١ .

وفي هذا الوقت بالتحديد كان الفريق عبد المنعم رياض قد سافر الى يوغوسلافيا لزيارة الجيش اليوغوسلافى لمدة خمسة ايام .

والفريق عبد المنعم رياض رئيس اركان الحرب هو الذى قام بدور بارز في اعادة بناء القوات المسلحة وأعد مع الجنرال السوفيتى لاشنكو خطة تحرير مصر ، كما قال لى الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة .

وتصادف انتحار المشير عبد الحكيم عامر القائد العام السابق للقوات المسلحة يوم ١٥ سبتمبر ١٩٦٧ باحتلاع سم الاكوييتين ، بدأ يوم فقط من عودة الحياة الى القوات المسلحة . عن طريق المشاركة فى القتال .

كان شهر سبتمبر ١٩٦٧ هو شهر البداية الحقيقية لعودة الحياة الى القوات المسلحة ، فقد تجدد القتال يوم ٢١ ويوم ٢٨ ، وقامت معركة بالدافس مع العدو فى منطقة القنطرة ٠٠ الامر الذى جعل يوثانت سكرتير عام الامم المتحدة يطلب من أودبول كبير المراقبين الدوليين قطع اجازته والعودة فورا الى القاهرة ٠٠ وقد اعلنت الصحف وقتها ان خسائر اسرائيل قد بلغت من ٨٠ الى ١٠٠ قتيل و ، ٣٥٠ جريحا .

وعندما تصاعد القتال واتجهت الانظار من جديد الى منطقة القناة عين على صبرى وزيراً مقيماً فى منطقة ااقنساء لتحقيق أمن المواطنين وبدأ عمله

هناك يوم أول أكتوبر ، وهو نفس اليوم الذى حضر فيه الملك حسين الى القاهرة في طريقه لاول مرة الى الاتحاد السوفيتى حين زار موسكو ومن بعدها واشنطن .

ولم يقتصر القتال على القوات المسلحة فقد شن الفدائيون هجوما ليليا يوم ٣ أكتوبر على مستعمرة اسرائيلية فيما وصف بأنه أجراً غارة للفدائيين . وتصادف أن حلت الاخبار نبأ مصرع الزعيم النورى شى جيفارا أثناء قتاله مع زملاء له لتحرير قرى بوليفيا يوم ١٠ أكتوبر . وغمر الناس نوع من الاسى والاسف . ولكنه قدم لهم مثالا للتضحية .

ووصل القتال ذروته عندما اقتربت المدمرة الاسرائيلية (ايلات) من ميناء بور سعيد فى تحد سافر خلال شهر أكتوبر ١٩٦٧ . والمدمرة (ايلات) كانت مصرية تحمل اسم (ابراهيم) ضمن وحدات الاسطول المصرى وقد كلفت يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ خلال فترة العدوان الثلاثى بالتوجه لضرب ميناء حيفا الا ان قطعا من الاسطول الفرنسى كانت فى الانتظار فأسرتها بعد معركة غير متكافئة ، وضمتها اسرائيل بعد ذلك الى قواتها البحرية .

كان ضرب ايلات ضرورة تفرضها الناحية العسكرية ، ولكن قرار الضرب يقتضى البحث فى ردود الفعل المحتملة لعدو منتصر ومتفوق تقنيا ساقا فى القدرة القتالية . واغرق مدمرة حربية لاسرائيل أمر لا يمكن أن يمضى فى بساطة ، لانه يجرح الكبرياء الذى تعيش فيه بعد انتصار يونيو . ولكنه فى الجانب الاخر يجدد الامل فى الحياة المصرية ويبعث نوعا من الثقة فى نفوس الجماهير والمقاتلين .

وتم تقدير سريع للموقف تبين منه ان رد فعل العدو سوف يكون أكثر احتمالا فى ضرب معامل تكرير البترول بالسويس وهى ذات قيمة استراتيجية كبيرة للمعركة ، وفى مدى مدعية العدو وموانئه . ورفع الامر الى جمال عبد الناصر الذى اصدر الامر باغراق ايلات دون التعرض لوحدة الانقاذ . وطلب من وزارة الداخلية تعزيز وحدات المطافيء بالسويس استعدادا لمجابهة رد فعل العدو المنتظر .

وقبل الغروب أعطيت اشارة البدء ، وتحركت زوارق الطوربيد المصرية ، وفوجئت المدمرة بأشباحها الصغيرة تقترب منها . وما هى الا لحظات حتى كانت الطوربيدات قد انطلقت فشطرت المدمرة التى تحمل عددا يتراوح بين ٢٥٠ الى ٣٠٠ مقاتل الى نصفين ، وبعد دقائق كانت المدمرة (ايلات) أو ابراهيم سابقا قد استقرت نهائيا فى قاع البحر الذى غطى سطحه ببقع كبيرة من الزيت .

وبدأت محاولات الانقاذ تحت أضواء المشاعل التى أسقطتها الطائرات الاسرائيلية .

وبعد يومين كان رد الفعل المنتظر قد تحقق وبدأت القذائف الاسرائيلية
تسعل النار في معامل تكرير البترول .

ونبتت فكرة الانتقام بعملية فدائية توجه لضرب ميناء ايلات ولم يوافق
جمال عبد الناصر على تصعيد الموقف بأكثر مما تحمله امكانياته الحربية في
مرحلة اعاده بناء وتنظيم القوات المسلحة . . ويقول الفريق محمد فوزى ان
السوفييت كان لهم دور في التحذير من خطر الاندفاع .

ويعتبر البعض ان التصعيد نفسه بضرب المدمرة ايلات كان مبكرا اكثر
من اللازم لان رد الفعل قد أصاب الانتاج المصرى بخسارة فادحة . . ولكن
التاثير المعنوى كان هائلا وبلا حدود .

ويقول أمين هويدى وزير الحربية فى ذلك الوقت ان فكرة ضرب ميناء
ايلات الاسرائيلى قد تحولت من عملية عسكرية الى عملية سريه فدائية يقوم
بها رجال الضفادع البشرية منطلقين من ميناء العقبة الاردنى .

ثم ذلك فعلا بعد اسابيع وتفجرت الميناء واحترقت خزانات البترول
وغرقت بعض السفن الصغيرة .

ونتيجة لذلك أعلنت أمريكا الغاء الحظر على تزويد اسرائيل بالاسلحة
وقدمت لها ٤٨ طائرة سكاي هوك .

وفى يوم ٣١ اكتوبر ١٩٦٧ بدأت محاكمة الفريق صدقي محمود وكبار
ضباط القوات الجوية الذين كانوا سببا فى كارثة الهزيمة بلاقتال ،
واستبدل فى نفس الوقت اللواء مدكور ابو العز قائد القوات الجوية الجديد
الذى عين مستشارا لرئيس الجمهورية ، باللواء مصطفى شلبى الحناوى .

وطوال هذه الفترة كان يعيش فى مصر الماريشال السوفييتى زخاروف
الذى حضر مع بودجورنى فى زيارته لمصر بعد الهزيمة ، ثم بقى بها للاشراف
على عملية اعاده بناء وتسليح وتنظيم القوات المسلحة المصرية .

وقد حرص جمال عبد الناصر على استبقائه طوال هذه الفترة ثقة منه
فى كفاءته وقدرته ، ولم يسمح له بالعودة الى بلاده الا اياما قليلة خلال شهر
يوليو ذهب فيها لزيارة أسرته فى الاتحاد السوفييتى .

وفى أحد أيام شهر نوفمبر استقبل جمال عبد الناصر الماريشال
زخاروف ومعه ثلاثة جنرالات سوفييت حيث قال له ان الجبهة المصرية قد
نأسكت وانها قادرة على صد أى هجوم اسرائيلى . . وكان ذلك استئذانا منه
بالعودة الى بلده بعد انتهاء مهمته .

عاد الماريشال زخاروف الى موسكو وبقى عدد من الخبراء والمستشارين
كان فى مقدمتهم الجنرال اوكينوف مستشار الفريق اول محمد فوزى والذى
كان عضوا احتياطيا فى اللجنة المركزية ثم اصبح عضوا بها ، والجنرال
لاشكو الذى وضع خطة القوات المسلحة مع الفريق عبد المنعم رياض خلال
عام ١٩٦٨ .

صدق جمال عبد الناصر على الخطة التى اشترك فيها القادة المصريون
والسوفييت والى عرفت باسم (الخطة الدفاعية ٢٠٠) فى ديسمبر ١٩٦٨
وكانت تقضى بوصول قواتنا خلال ١٢ يوما من بدء القتال - الذى حدد له

جمال عبد الناصر مدة اربع سنوات كحد أقصى بعد العدوان الى الحدود الدولية مع مقابلة جميع الهجوم المضاد المحلى والعام الذى تقوم به اسرائيل .

قال لى الفريق أول فوزى وهو يوضح ان اطلاق اسم الخطة الدفاعية لايبنى انها دفاع فقط ، فخطة تحرير الاتحاد السوفيتى فى الحرب العالمية الثانية اطلق عليها اسم الخطة الدفاعية ايضا .

قال لى ان الخطة وضعت فى غرفة العمليات وكانت دائمة التطور بناء على المعلومات المتجددة والمؤثرة . وكانت المرحلة الاولى منها قد اطلق عليها اسم (جرائيت) وتقضى بتحقيق هدفين . أولهما . العبور . وثانيهما احتلال الممرات .

وقد استدعى تنفيذ هذه الخطة وضع جدول زمنى للتسليح والتدريب الذى كان يحتاج الى خبراء مؤهلين .

وكان جمال عبد الناصر مدركا حالة القوات المسلحة الموروثة من الفترة السابقة تحت قيادة المشير . وكان حريصا فى نفس الوقت على تحرير الارض .

ولذلك فكثيرا ماكان يطلب مساعدة السوفيت فى مجالات مختلفة .

عندما زار موسكو فى يوليو ١٩٦٨ طلب من بريجنيف ان يتولى قادة سوفيت قيادة قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية . كما طالب ايضا بوضع خبراء سوفيت حتى مستوى السرية .

ولكن بريجنيف اعتذر عن عدم تلبية ذلك - كما قال لى الفريق أول محمد فوزى - قائلا اننا مطمئنون على قدرة القيادات المصرية الموجودة ، وانها كافية لاداء واجبها بكفاءة .

لم يكن السوفيت براغبين فى توريط انفسهم فى معركة الشرق الاوسط بأكثر مما تسمح به قواعد اللعبة الدولية للمحافظة على السلام العالمى . بينما كان جمال عبد الناصر حريصا على توريط السوفيت معه فى المعركة ضمنا لمساعدتهم فى تحرير الارض خلال أقصر وقت ممكن .

ومع ذلك بدأ توافد الخبراء والمستشارين مع موجات الاسلحة المتدفقة قال لى الفريق أول محمد فوزى ان هؤلاء الخبراء والمستشارين الذين وصل تعدادهم فيما بعد بناء على طلب القيادة المصرية الى ١٦٠٠٠ مستشار سوفيتى ، ٣٠٠٠ خبير فى قوات تضاعف عددها حتى تجاوز نصف المليون . هؤلاء كانوا يلبسون مثل ملابس الجنود تماما (أوفرول وطاقي و قايش) . الاحذية فقط هى التى كانت من عندهم .

ويقول الفريق أول محمد فوزى أيضا ان جمال عبد الناصر كان يطلب منهم الخروج من المعسكرات للفسحة ومشاهدة معالم مصر ، ولكنهم كانوا يعتذرون فى أدب حتى لايقول المصريون عنهم انهم مستعمرون .

وتعتبر هذه المرحلة من أهم واشق المراحل فى حياة القوات المسلحة ذلك انها كانت تقيم بناء جديدا تماما يحتاج الى جهد وجدية فى ظروف كان يتعالى فيها كبرياء المنتصرين وخيلاؤهم بما يظهر فى معظم الصحف العالمية من حديث يسبغ الفخر على الاسرائيليين ، ويشين سمعة العرب ويحط من قدرهم .

كانت المرحلة تماما كما عبر جمال عبد الناصر مرحلة صمود عسكري وذئسى أيضا ٠٠ كان هناك ما يمكن اعتباره (دفاعا صامتا) أى ضبط النفس وعدم الرد على استغزازات العدو الذى كان جنوده يسبحون عراة فى القناة ، ويوجهون خلال مكبرات الصوت كلمات جارحة للجنود المصريين .

وكانت قد صدرت الى الوحدات خلال هذه الفترة أوامر مشددة بعدم اطلاق النيران ٠٠ وقد حرص الفريق أول محمد فوزى على أن ينسب الامر الى القائد الاعلى جمال عبد الناصر لان الجنود والضباط ماكانوا ليقبلوا ذلك . ومع ذلك فقد حدثت عدة مخالفات حوكم فيها بعض المسئولين عن مخالفة هذه التعليمات .

كان الجنود فى شوق شديد للقتال بعد وصول الاسلحة الى أيديهم مرة أخرى ٠٠ وبعد ارتفاع قدرتهم القتالية نتيجة للتدريب العنيف الذى أصر عليه المارشال زخاروف معتبرا أن الخطة الناجحة تنهض على التسليح والتدريب معا .

وينسب الى الفريق عبد المنعم رياض قوله (اذا لم نقاتل فسيتحول رجالنا الى عبيد ونساؤنا الى عاهرات)

قرار مجلس الامن ٢٤٢

وكان صدور قرار مجلس الامن صدمة لبعض الذين غلبهم الشوق للقتال ، ولذا فقد عقد جمال عبد الناصر يوم ٢٥ نوفمبر أى بعد صدور القرار بثلاثة أيام اجتماعا مع كبار قادة القوات المسلحة قال لهم فيه ان قبول قرار مجلس الامن هو مسألة لاتتعلق بهم ٠٠ لان مايفعله الاسرائيليون فى الارض المحتلة يؤكد انهم لن يخرجوا منها الا اذا أجبروا على ذلك ٠٠ وان عليهم ان يستعدوا بالتدريب الشاق لمدة من ثلاث الى خمس سنوات ليكونوا فى مستوى القدرة على تحرير الارض المفتصة .

وتاكيدا لهذا المعنى أعلن فى خطبته أمام مجلس الامة فى نفس الشهر قولته الشهيرة (ان ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة) .

وبداً جوناو يارنج سفير السويد فى موسكو يؤدى دور وسيط هيئة الامم المتحدة بين اسرائيل والدول العربية بتكليف من السكرتير العام يوناتس تنفيذاً لقرار مجلس الامن ٠٠ واتخذ له مقرا رئيسيا فى جزيرة قبرص . ولكن سرعان ماتبين ان مهمة يارنج لاتحمل أملا حقيقيا فى السلام وان حكومة اسرائيل تلقى حولها المضاعب التى تجعل الوسيط الدولى يدخل فى متاهات تثير اللباس والدوار . وفى مقدمتها الاصرار على القيام بمفاوضات سرية مباشرة .

وقد عبر جمال عبد الناصر للملك حسين يوم ١٣ يناير ١٩٦٨ عن رأيه فى فقدان الأمل فى مهمة يارنج وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكى فى كتابه (الطريق الى رمضان) وهو يقول ايضا ان عبد الناصر كان يعتقد أن الوصول الى اتفاق مرض يعتبر أمرا طيبا ، وان علينا أن نقنع الرأى العام العالمى بنوايانا الطيبة . وهو ماكانت اسرائيل تحققه فى الماضى بنجاح كبير . وكان عبد الناصر يعتقد ان قبوله الاستمرار فى مباحثات يارنج انما

يستهدف اقناع السوفييت بأنه لا سبيل الى حل ديبلوماسى وذلك رغبة منه فى تقريبهم من المشكلة وشبكهم بها .

وفى زيارة قام بها وزير الخارجية السوفيتى جروميكو الى مصر فى ديسمبر ١٩٦٨ قال لمحمود رياض بأن هناك اتصالات ثنائية بينهم وبين الولايات المتحدة . . . وتساءل عن موقف مصر بالنسبة لمباحثات يارنج .

وكان محمود رياض اكثر ميلا لاستمرار مهمة يارنج باعبسارها تتم تحت ضوء واشراف الامم المتحدة . . . وعندما سأل جروميكو عن نقطة ضعف يارنج قال له جروميكو (ليس هناك خطأ ما بالنسبة ليارنج سوى أنه لا يملك أساطيل فى البحر ولا صواريخ فى الهواء) .

ولكن جمال عبد الناصر أيد رأى جروميكو قائلاً انه من الناحية الواقعية فان يارنج لن يستطيع ان يفرض حلاً وأن ماقد يتوصل اليه لابد وأن يكون اتفاقاً بين الدولتين العظميين من خلف ستار .

وكان شهر نوفمبر ١٩٦٧ هو بداية مرحلة الردع . . المرحلة التى عادت فيها مدافعنا للانطلاق .

وكان اعداد القوات المسلحة للمعركة يسير متوازيًا مع الاشتباكات المتكررة مع العدو . . وكان التدريب والمناورات التى تشترك فيها فرق كاملة بالدخيرة الحية تستهلك أموالاً طائلة وأحياناً يسقط ضحية لها بعض الشهداء .

وعندما أثار بعض المسئولين ضخامة التكاليف التى تبذل فى التدريب قال لهم جمال عبد الناصر : (ان الهزيمة أغلى) .
وقد أدى تصاعد القتال فى منطقة القناة الى فرار التهجير الذى أجبر ٤٠٠.٠٠٠ مواطن على الرجوع للخلف فى المحافظات الأخرى حرصاً على أمنهم ومنعاً لهم من أن يكونوا سداً أمام انطلاق قواتنا المسلحة .

ووصلت الامور فى القناة الى الحد الذى جعلها منطقة قتال حقيقية ، تتعرض فيها القوات يومياً الى قذائف المدفعية ، وقنابل الطائرات . ويسقط المقاتلون المصريون كل يوم تقريباً وهم يؤدون أشرف واجب وطنى .
هذا بينما كانت الامور فى الداخل تهدأ يوماً بعد يوم . . وتضاء الانوار تدريجياً ، وتتسرب الاغنيات العاطفية الى الاذاعة ، ويقتنع الناس بأن النار طويلة والمعركة مستمرة .

وقد أدت هذه الحال الى تجسيم البعض لهذه الظاهرة بأن هناك فى مصر دولتين . . دولة محاربة فى القناة ، ودولة مسالمة فى العاصمة .
وارتفعت نبرة المطالبة بالحرب الشعبية وامتداد الشعب بالسلاح لتكوين جيش شعبي ، ولكن جمال عبد الناصر رفض هذه الفكرة علناً فى مؤتمر الاتحاد الاشتراكي فى ١٤ سبتمبر ٦٨ بدعوى عدم توافر السلاح . . ولكن الحقيقة انه كانت هناك خشية حقيقية من تسليح الجماهير .

وكانت القيادة العسكرية قد أعلنت فى سبتمبر ١٩٦٨ أيضاً سياسة الدفاع الوقائى (التى لا تسمح لاسرائيل بأن تحول خطوط المواجهة الى خطوط البقاء تقوم بتحصينها وحشد القوات فيها) .

وفى نفس الوقت حرص جمال عبد الناصر على تطعيم المسئولين عن أجهزة الاعلام بالصورة الحقيقية للموقف ، فطلب من أنور السادات رئيس مجلس الشعب ان يجمع رؤساء تحرير الصحف ويسافر معهم الى منطقته القناة لزيارة مصانع التكرير بعد تدميرها .

وكننت وقتها رئيسا لتحرير مجلة روزاليوسف وذهبت مع أنور السادات فى وفد ضم الزملاء : محمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس ويوسف السباعى وفتحى غانم وموسى صبرى حيث استقبلنا هناك على صبرى الذى طاف بنا أرجاء المصنع الذى كانت تتلوى فيه الانابيب من الحريق كالنعايين الهامدة . . وأعد لنا لقاء فى مبنى المحافظة مع عدد من الشباب كانوا جميعا فى قمة الروح المعنوية العالية .

وتبين من الاحاديث والمناقشات ان هناك عتابا فى نفوس المقيمين بالمنطقة من أسلوب الحياة الالهية فى العاصمة .

ولكن تطور المعركة لم يجعلها تقتصر على منطقة القناة . . فقد استشعر العدو فى مرحلة الردع بان مدفعيتنا ترهق قواته المرابطة على الضفة الشرقية وبكيدها خسائر مستمرة ، وأن دورياتنا التى تتزايد يوما بعد يوم تصل عبر سيناء الى خطوطه الخلفية وتشن عليه هجمات مفاجئة خاطفه لا يستطيع لها دفعا فى هذه الارض الشاسعة وتحت ظلام الليل المتسدل . . فقد كانت نوعا من القتال الذى يشبه حرب الانصار أو حرب العصابات .

ولجا الاسرائيليون الى استخدام سلاحهم الذى يملكون السيطرة الكاملة فيه وهو القوات الجوية .

كانت الولايات المتحدة تواصل امداد اسرائيل بالاسلحة المتقدمة رغم انتصارها الكبير .

قال جمال عبد الناصر للمبعوثين المصريين اثناء اجتماعه بهم فى الاسكندرية يوم ١٦ مايو ١٩٦٩ (أمريكا تعهدت لنا بتنفيذ قرار مجلس الامن، وانها ستعمل بكل الوسائل على أن ينفذ ، ولكن ما حدث بعد هذا كان يثبت العكس من ذلك فقد حصلت اسرائيل على طائرات سكاي هوك عام ١٩٦٨ ، وعلى طائرات فانتوم عام ١٩٦٩) .

وكتب الفريق محمد على فهمى فى كتابه (القوة الرابعة) عن تحول اسرائيل الى استخدام القوات الجوية ما يأتى :

(مع استمرار تصاعد العمليات العسكرية وتزايد حجم الخسائر فى القوات الاسرائيلية أدركت اسرائيل أن مصر وان كانت قد خسرت معركة عسكرية فى يونيو ١٩٦٧ الا انها لم تفقد الارادة والتصميم على القتال ، وأيقنت اسرائيل ان القتال سيستمر مالم تقهر هذه الارادة عن طريق الردع الجسيم فكان قرار اسرائيل باستخدام قواتها الجوية ، أو كما يسمونها الذراع الطويلة لجيش الدفاع الاسرائيلى)

وبدأوا يشنون غارات على الداخل . . على قناطر نجع حمادى والقناطر الخيرية مستخدمين الغاما تجرى مع تيار المياه ، الامر الذى دفع قواتنا الى

استخدام مصائد ومصدات للالغام لحماية القناطر المحتلة بلعب نكاليها
سبعة ملايين من الجنهات .

وبدا الاتحاد السوفييتي في امداد مصر بصواريخ ستريللا أو سسام ٧
ضد الطيران المنخفض المحملة على عربات مدرعة مجهزة بأجهزة اطلاق
الصواريخ .

وصلت أول شحنة في يناير ١٩٦٩ مع اسكندر شليبين عضو المكتب
السياسي ، وتوالت الشحنات بعدها بحمل انواعا متطورة من هذا الصاروخ .
ويذكر من باب المقارنة ان الملك حسين قد سافر الى أمريكا خلال هذه
الفترة عدة مرات لافناع الرئيس الامريكى جونسون بالحصول على أسلحة
أمريكية ولكنه لم يحصل على طائرة واحدة .

وكتبت صحيفة جويش اوبزرفر البريطانية في عدد ٢٣ أغسطس
١٩٦٩ تقول :

(تؤكد العمليات الجوية التي بدأت في يوليو ١٩٦٩ ان مصر تخوض
غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوي الاسرائيلي وان استمرار الصدام
الجوى مع استمرار الغارات الجوية الاسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدى
وسائل الدفاع الجوي المصرى لها انما يعنى انه من الممكن القضاء على التفوق
الجوى الاسرائيلي فى المدى الطويل بفرض ان اسرائيل لن تستطيع تعويض
خسائرها) .

وخلال هذه المرحلة سقط الشهيد الفريق عبد المنعم رياض رئيس هيئة
اركان الحرب يوم ٩ مارس ١٩٦٩ برصاص قناص للعدو وهو مجتمع مع عدد
من القادة على الشاطئ الغربى للقناة ومديرا ظهره للعدو محاولا بعث روح
الاقدام فى نفوس زملائه .

سقط عبد المنعم رياض ضابط المدفعية الذى زاملته فى مدرسة المدفعية
قائدا للجناح المضاد للطائرات ، ثم خريجا فى كلية اركان الحرب ، والذى
اكمل دراسته فى كلية مانوبير العسكرية الأمريكية ، وكلية فروز العسكرية
السوفييتية .

كان عبد المنعم رياض قائدا محبوبا يتميز بشخصية شديدة الحيوية
والثفتح . وكان مصرعه رمزا للشجاعة أمام الجنود وأمام الشعب فى أيام
كنا نحتاج فيها للمثل والتضحية .

ولذا كانت جنازة عبد المنعم رياض من أكبر الجنازات الشعبية التى
عرفتها مصر . سار فى مقدمتها جمال عبد الناصر وسط حشد من الجماهير
التي أخذت تهتف للشهيد وللتحرير .

وفى عهد عبد الناصر لم تخرج فى مصر جنازات شعبية سوى جنازة صلاح
سالم ومصطفى النحاس وعبد المنعم رياض .

وسمعت من شعراوى جمعة ان عبد الناصر قال عندما شاهد مئات
الالوف يشيعون جثمان عبد المنعم رياض ان هذا يعتبر استفتاء شعبيا على ثقة
الناس فى استمرار الحركة .

حرب الاستنزاف :

ولم تكن نضى عدة شهور حتى بدأت حرب الاستنزاف في ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لي الفريق اول محمد فوزى .
 وكان دخول هذه المرحلة دليلا على جديده قتال القوات المسلحة المصرية .
 قال لي اللواء عبد المنعم خليل أحد قادة الجيوش خلال هذه المرحلة ان
 اشتداد الغارات الاسرائيلية كان يحقق عدة نتائج هامة .
 أولا تطعيم الجنود على القتال وتعويدهم على جو المعركة مما يرفع
 من تدريبهم وقدرتهم القتالية .
 ثانيا تقليل الخسائر الى أدنى حد اذ يعتاد الجنود على مقاومة
 الغارات وضرب لي مثلا بان غارات اسرائيلية قد امتدت يوما كاملا بلا انقطاع
 على احدى المناطق ولكن لم يقتل احد .
 ثالثا ارتفاع الروح المعنوية كمنجية حتمية لاستمرار البقاء والحياة
 رغم استمرار الغارات .
 وكتب دكجيان في كتابه (مصر ٥٠ تحت حكم عبد الناصر) ان حرب
 الاستنزاف التي شنها مصر كانت تستهدف عدة أهداف عسكرية وسياسية
 تتضمن :
 ١ - الحاجة الى تهدئة الشعور الشعبى المتزايد وخاصة فى الجيش
 لاتخاذ اجراءات عسكرية واسعة ضد العدو .
 ٢ - تدمير المواقع الاسرائيلية شرق القناة لمنع تحويل خطوط وقف
 اطلاق النار الى حدود دائمة .
 ٣ - زيادة خسائر الاسرائيليين الحربية وخاصة فى الجنود .
 ٤ - الحاجة الى زيادة الضغط على القوى العظمى لفرض تسوية قائمة
 على انسحاب الاسرائيليين .
 ويقول دكجيان أيضا ان اسراييل قد ردت بتعاظم الغارات الجوية
 والفدائية لمنع المصريين من تدمير الاسطورة التي تقول بان الاسرائيليين
 لا ينهزمون .
 وكان جمال عبد الناصر قد رفض فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٩ فكرة
 وقف اطلاق النار وسط نشاط سياسى متزايد لاحداث نوع من التوازن بين
 موقف الدولتين العظميين .
 كما أن جولدا مائير وأبا ايبان قد أعطيا تصريحات نشرتها صحيفة
 الموند الفرنسية بتاريخ ١٨ - ١٩ يناير ١٩٧٠ تعبر عن رغبتهما فى رؤية نظام
 عبد الناصر يصاب بالشلل من غاراتهم المتلاحقة .
 وكانت جولدا مائير قد سبق ان قالت فى ٢٦ يوليو ١٩٦٩ (اننا على
 استعداد لاحترام وقف اطلاق النار) ووجهت الرجاء لمصر والدول العربية
 بوقف اطلاق النيران على الجانبين .
 كانت الجيوب تتصاعد . . . ونشرت الاهرام يوم ١٧ يوليو اننا أسقطنا

١٧ طائرة للعدو وحدث خلال هذه الفترة حرق المسجد الأقصى يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ ، واقترح عبد الناصر على فيصل المبادرة بدعوة مؤتمر قمة اسلامي ، وكان فيصل يحاول تهدئة علاقته بمصر فسلم شقيقتين من الاطباء أجبرا طائرة مصرية على الاتجاه للسعودية تحت تهديد السلاح يوم ١٨ أغسطس وعادت الطائرة والمختطفان وجميع الركاب .

وكانت عمليات اختطاف الطائرات هي (مودعة المرحلة) فقد حدث بعد عشرة أيام من هذا الحادث أن اختطف فدائيان فلسطينيان احدهما سيدة ، طائرة أمريكية بها ١٧ اسراييليا هبطت في دمشق . كما دعا عبد الناصر الى مؤتمر قمة لدول مواجهة انضم اليه الجزائر والسودان .

كانت المعركة قد أصبحت خشنه وكثيرة الضحايا . وتطورت الامور الى الحد الذي جعل الفريق اول محمد فوزي يعلن في مؤتمر القمة لدول المواجهة الذي عقد في اول سبتمبر ١٩٦٩ وحضره الملك حسين ونور الدين الاتاسي وفريق اول صالح مهدي عمّاش وجعفر نميري . ثم الرئيس بومدين الذي لحق بالمؤتمر بعد انعقاده . يعلن في التقرير الذي أعدته هيئة أركان الحرب انه بالتنسيق الفعال بين دول المواجهة يمكن أن تبدأ المعركة - أي معركة تحرير الارض - خلال ١٨ شهرا من ذلك التاريخ .

وينطبق ذلك على رؤية عبد الناصر التي أعلنها للقادة العسكريين في مؤتمر ٢٥ نوفمبر ١٩٦٧ فور قبول قرار مجلس الامن من ان القوات المسلحة المصرية يمكن ان تكون جاهزة لمعركة التحرير خلال فترة تمتد من ثلاث الى خمس سنوات .

وقد قال لي الفريق اول محمد فوزي ان خطة التحرير كانت قد وضعت خلال وجود زخاروف وباشتراك كبار الخبراء والمستشارين السوفييت مع هيئة اركان الحرب المصرية بقيادة عبد المنعم رياض . وانها اعتمدت من جمال عبد الناصر بصفته قائدا أعلى للقوات المسلحة .

كانت هذه الخطة تقضي بتحرير الارض المحتلة والوصول الى الحدود المصرية وتأمينها في مدة اربع سنوات فقط أي في منتصف عام ١٩٧١ تقريبا .

وقد أكد لي الفريق اول محمد فوزي ان هذه الخطة لم تكن تستهدف تحريك المشكلة سياسيا وانما كانت تستهدف تحرير الارض المصرية والعربية كلها وتأمينها تماما .

وما كادت تنقضي ستة أيام على انتهاء مؤتمر قمة دول المواجهة الذي اقترن بحدوث الحركة العسكرية الليبية في الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ حتى قام الاسرائيليون بهجوم على الزعفرانة على شاطئ البحر الاحمر شمال رأس غارب يوم ٩ سبتمبر استخدموا فيه المدرعات والعربات البرمائية .

وتصادف ان كان عبد الناصر في ذلك اليوم يراقب إحدى المناورات

على طريق السويس . . وقد اعتاد جمال عبد الناصر حسب رواية الفريق أول محمد فوزي على المشاركة بنفسه في حياة القوات المسلحة . فكان يتناول العشاء في القيادة العامة مرتين كل اسبوع .

وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر استفسر من الفريق أول محمد فوزي الذي كان حاضرا معه في المناورة فلم يكن يعرف شيئا عن طريق قوائمه . وأن مصدر المعلومات كان وكالات الانباء العالمية كما ذكر هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) . . وغادر جمال عبد الناصر مكان المناورة فوراً ليعود الى القاهرة لمتابعة الموقف .

والواقع ان عملية الزعفرانة قد تمت من الجانب الاسرائيلي بتركيز شديد . فقد سيطرت قواتهم الجوية سيطرة كاملة على المنطقة . وأنزلت ٩ دبابات على ثلاثة لنشات في غسق الفجر تحت الاضواء الكاشفة . وسارت من أرض الانزال جنوب العين السخنة على الطريق العام حتى وصلت الى الزعفرانة . مستغلة كونها دبابات مصرية استولى عليها في سيناء في يونيو ١٩٦٧ وظلت تحمل علامات الجيش الثالث . الى الحد الذي جعل بعض الجنود يصفقون عند مشاهدتهم لها قبل أن يحصدهم الرصاص .

شهد عملية النزول جندي من الحدود ، أطلق ساقيه للريح . وأبلغ الحدود فالعمليات . فرئيس أركان الحرب اللواء احمد اسماعيل الذي اعتقد أن الجندي المبلغ قد فعل ذلك تحت خدر أوهم خاصة . ولم يصدر أوامر بمتابعة الموقف أو التعرف على حقيقة ابعاده .

ولم يكن جندي الحدود هو مصدر التبليغ الوحيد . يقول أمين هويدي مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت انهم تلقوا أخبارا عن العملية من أحد أفرادهم في منار الزعفرانة . وان الاشارات حولت للجهات المختصة .

ويقول أحد كبار ضباط الصواريخ ان المراقبة بالنظر التابعة لهم قد أبلغت أيضا بهذه العملية .

ولكن أحدا لم يقدر جسامة العملية . ولم يبادر باتخاذ موقف ايجابي للمقاومة . ووقفت المعلومات عند حدود رئاسة أركان الحرب فقط . وعندما وصل الخبر الى جمال عبد الناصر أثناء المناورة كان الاسرائيليون مازالوا فوق الجانب الغربي لخليج السويس ، فقد امتدت غارتهم من الخامسة صباحا حتى الثالثة مساء ، دون اية مقاومة .

وتصادف أن كان محافظ البحر الاحمر اللواء حسين كامل في طريقه من الفردقة الى القاهرة ، عندما واجهته القوات الاسرائيلية فهشمت الدبابات سيارته ، ولحقته نيران المدافع الرشاشة فأردته قتيلاً ، كما دمرت اوتوبيسا مدنيا كان يحمل ٤٠ راكبا .

ويقول هيكل ان جمال عبد الناصر وهو يتصل به حوالى السابعة من مساء نفس اليوم كان هابط المعنوية ، وقال له (يبدو أننا مازلنا نتصرف بأسلوب حرب ١٩٦٧) .

كانت الصدمة شديدة لجمال عبد الناصر في وقت يبذل فيه كل جهده وطاقته في الاهتمام بالقوات المسلحة . وإعادة تسليحها وتنظيمها وتدريبها .

ولذا فقد أصيب في اليوم التالي مباشرة (١٠ سبتمبر ١٩٦٩) بذبحة صدرية مفاجئة ، وكانت آخر صورة قد نشرت له في الصحف يوم ١١ سبتمبر مع أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة السودانية (مأمون عوض أبو زيد) .

وعندما أمره الأطباء بأن يعتكف في الفراش ، ولا يمارس أى عمل مجهد شكل لجنة برئاسة أنور السادات وعضويه شعراوى جمعه والفريق أول محمد فوزى وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف للقيام سرا بواجبات رئيس الجمهورية بعد فرض حظر يحول دون تسرب خبر المرض المفاجئ للصحافة وأجهزة الاعلام .

يقول الفريق أول محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة ، انه لم يعرف حقيقة المرض يوم وقوع الذبحة الصدرية ، وانما تصور فعلا أنها انفلونزا حادة .

ويقول ان عبد الناصر كان قد اعتاد ان يتصل به مساء كل يوم قبل ان يأوى الى فراشه أو في الصباح الباكر ليسأله عن حاله القوات المسلحة وأنه انقطع عن ذلك بعد مرضه لمدة اسبوع واحد فقط .

وعندما علم فوزى بحقيقة المرض ، لم يتصور خطورته ، لانه - كما يقول - خرج مع جمال عبد الناصر بعد شفائه للمرور على الجيش الثانى والثالث في قناة السويس في أواخر شهر اكتوبر ، وذهب معه الى الموقع الذى استشهد فيه الفريق عبد المنعم رياض شمال الاسماعيلية. بعد ان أصدر تعليمات بأن تتحرك عربة القيادة المسماة (١٦٩) وحدها من بور توفيق تحمل جمال عبد الناصر وفوزى ، وقد نشرت الاهرام لهما صورة وهما يتطلعان الى الشاطئ الشرقى .

حرص فوزى على الاتحرك العربات في قول حتى لا يلفت نظر الاسرائيليين كما وقع في حادث الفريق عبد المنعم رياض الذى خرج من رأس العش في خمس عربات اجتذبت انظار الاسرائيليين فصوبوا قنابلهم عليها بعد وقوفها ، حيث استشهد الفريق عبد المنعم رياض بصدمة تفريغ الهواء دون ان يصاب بجرح أو ينزف دما .

لم يؤثر مرض القلب على نفسية عبد الناصر ولم يضعف صحته . . وكل ما كان يجده هو التهاب أعصاب الساق اليسرى من مرض السكر التى عولج منه في تسخالطوبو عام ١٩٦٨ ،

وقد اقترن هذا الشهر من شهور الخريف بمتاعب عبد الناصر الصحية والنفسية . . ففي ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ حدث الانفصال السورى وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة ، وأصيب عبد الناصر بمرض السكر .

كانت اسرائيل تستهدف من هذه العمليات العسكرية ذات الصبغة المسرحية والدعائيه احباط الامل المصرى فى معاودة المعركة ، وتعقيم الجهد المكثف ، وتهيط الروح المعنوية . وقطع الطريق على تقدم القوات المسلحة مما يصيب النظام بالشلل والانهياء .
ولذا حرص جمال عبد الناصر على اجراء تغييرات هامة فى المناصب القيادية .

احال اللواء أحمد اسماعيل رئيس أركان الحرب الى التقاعد ، وعين بدلا منه اللواء محمد احمد صادق الذى كان مديرا للمخابرات الحربية ، كما عين العميد محمود فهمى قائدا للقوات البحرية .
كما حرص على رفع الروح المعنوية للجنود الذين تعرضوا لغارات ثقيلة . . . وزادت عمليات الهجوم الفدائى والتسلل الى سيناء .
وأصبحت حرب الاستنزاف تشمل دوريات المشاة المتسللة والتي وصلت الى حد الكتبية ، ونيران المدفعية وقذائف الصواريخ .
قال لى الفريق أول محمد فوزى انهم كانوا يقدمون لكل جندى يمبر القناة نيشان العبور ، ويلبسه كميديالية تزين صدره وقت الاجازات . . .
وقال ان هذا النيشان قد منح لعدة آلاف من الجنود ، الامر الذى يظهر النشاط العسكرى الهجومى .

ومع ذلك فكلما زاد الهجوم المصرى كلما زاد عنف رد الفعل الاسرائيلى .
حتى وصل الى حد نزول قوات اسرائيلية فى رأس غارب على ساحل البحر الاحمر والاستيلاء على احد أجهزة الرادار . . . وكان يصحب هذه القوات كاميرات التصوير أيضا لتتسج بين الدعاية والعمل العسكرى .
حدث ذلك أثناء انعقاد مؤتمر القمة العربى فى ديسمبر ١٩٦٩ فى الرباط بعد ثلاثة شهور تقريبا من حادث الزعفرانة واصابة جمال عبدالناصر بالذبح الصدرية .

وقد كان هدف العملية الاسرائيلية الى جانب الدعاية العالمية الضخمة التى أحيطت بها ، مواصلة التأثير النفسى العميق لعملية الزعفرانة وما يصحب ذلك من اهتزاز ثقة القوات المسلحة فى نفسها . . الى جانب الحصول على جهاز رادار سوفيتى حديث الصنع .

ولكن العملية الاسرائيلية رغم نجاحها لم تحصل على هذا الجهاز وانما حصلت على جهاز قديم B 12 سبق لهم ان حصلوا على ثلاثة منه فى سيناء فى بلاد (نخل وتمادا والعريش) .

ومع ذلك كانت العملية الاسرائيلية تمثل عارا للقوات المسلحة وسمعتها . . . فقد تمت العملية بغير اشتباك من جانب القوات المسلحة المصرية .
ولذا شكلت فى الفردقة محاكمة عسكرية ميدانية عالية رأسها اللواء سليمان مظهر ، وحاکمت ٦ ضباط ، ٢٨ صف ضابط وعسكرى وأصدرت احكامها باعدامهم جميعا عدا ضابطين وأربعة صف ضباط فحكم عليهم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

ولكن الضابط المصدق على الاحكام الفريق أول محمد فوزى استبدل

أحكام الاعداد بالاشغال الشاقة التي بدأت أول يناير ١٩٧٠ .
 وكان العميد محمود يركات سيد أحمد هو أقدم رتبة قدمت للمحاكمة
 ثم أفرج عنه فيما بعد وعاد للقوات المسلحة برتبة اللواء .
 وتمادت اسرائيل في هجماتها داخل الاجواء المصرية ، فاغارت على مصنع
 دى أبو زعبل حيث محطات الارسال للاذاعة ، وعلى مدرسة بحر البقر وسقط
 فى هذه الغارات عدد كبير من الضحايا .
 كان هدف الاسرائيليين من تصعيد المعركة والهجوم على الاغراض المدنية
 المسالة ، قهر الروح المعنوية المتصاعدة للشعب ، وبث روح الخوف
 والهزيمة .

ولكن هذا الامر لم يتحقق أبدا .
 وأمكن تثبيت واقامة مواقع الصواريخ الجديدة تحت ضغط ظروف
 قاسية وغارات عنيفة ٠٠ وسقط اكثر من ٤٠٠٠ عامل مصرى كانوا يقيمون
 دشم الصواريخ ٠٠ تعصف بهم الغارات كل يوم ولكنهم يعودون للعمل
 بلا خوف أو تردد .
 وأراد جمال عبد الناصر ان يخطو بالموقف خطوة أخرى الى الامام
 توقف غارات العدو التي تحاول احباط خطة تحرير الارض .

عبد الناصر يطلب قوات سوفيتية للدفاع عن مصر :

وقرر السفر الى موسكو فى رحله سريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ صحبه
 فيها الفريق أول محمد فوزى الذى ودع حماته وهى فى لحظات الاحتضار
 قائلا انه مسافر الى أسوان وشيعت جنازتها فى غيابه ومحمد حسنين هيكل
 ومعهما السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف والجنرال السوفيتى
 كانشكين الذى خلف الجنرال لاشنكوف كبيرا للخبراء بعد اصابة الاخير
 بذبحه صدرية عولج منها فى القاهرة .

سافرت هذه المجموعة سرا على طائرة سوفيتية حيث بدأت المباحثات
 عصر نفس اليوم بعد ان انضم مراد غالب سفيرنا فى موسكو الى عضوية
 الوفد .

قال لى الفريق اول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر كان حريصا على
 أن يتحدث مع القادة السوفيت فى صراحة تامة ، وانه قال لهم ان اسرائيل
 قد عجزت عام ١٩٦٧ عن تركيع مصر ولكنها بغارات الاعماق تريد تعطيل
 النظام وهزيمة شعب مصر ٠٠ كما انها تحول دون اتمام بناء قواعد الصواريخ
 فى المساحة المحددة لها غرب القنال بمسافة ٣٠ كيلو مترا .

ويقول الفريق أول محمد فوزى ان عبد الناصر قد ابلفهم باننا فى
 سباق مع الزمن وانه لا يثق فى قدرة القوات المصرية بنسليحتها الحال على
 صد الهجمات الاسرائيلية .

وفى هذا الاجتماع تم الاتفاق على امداد مصر بصواريخ سام ٣ بدلا
 من صواريخ سام ٢ التى أمكن للاسرائيليين الهرب من تأثيرها بالطيران
 المنخفض .

ويقول الفريق أول محمد فوزى انه عندما عرض على جمال عبد الناصر أسماء المناطق الحيوية التي يجب الدفاع عنها في أنحاء الجمهورية ، تبين أن مصر لا تملك أطقما جاهزة مدربة على استخدام الصواريخ الجديدة . . وأن تحويل أطقم صواريخ سام ٢ الى سام ٣ يحتاج الى وقت وتدريب لا يتناسب مع الظروف الضاغطة القائمة، اذ ان الامر يستغرق ستة شهور تكون الخطة الاسرائيلية فيها قد حققت أغراضها .

وتبلورت في ذهن عبد الناصر امام هذه الحقائق فكرة لم يلبث ان عرضها على القادة السوفييت دون تردد .

طلب جمال عبد الناصر من السوفييت امداد مصر بالصواريخ المناسبة مع اطقمها السوفيتية على ألا تتواجد في منطقة القناة المواجهة للعدو ، وانما تتولى حماية الداخل من الغارات الاسرائيلية المتصاعدة .

كان تقدير موقف جمال عبد الناصر قائما على اساس انه يدخل مع الاسرائيليين في سباق مع الزمن ، وانه اذا كانت مصر قد صمدت ما يقرب من ثلاث سنوات بعد العدوان . وطورت قواتها المسلحة الى الدرجة التي تجعلها قادرة على تنفيذ خطة تحرير الارض . فانها اليوم وامام غارات الاعماق تتعرض لموقف جديد يمكن ان يؤدي الى التأثير الخطير على معنويات الجماهير مما قد يحدث شللا وانهيارا للنظام .

وكان الطلب مفاجئا تماما للقادة السوفييت لانه يتجاوز حدود الاستعانة بالخبراء والمستشارين الى مجال جديد هو الاستعانة بالقوات السوفيتية ذاتها ، وهو أمر لا يمكن للقادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا فيه قرارا ، لانه أمر يتصل بالاستراتيجية السوفيتية المبنية بارادة الحزب الشيوعي السوفيتي وموافقته .

ولم تكن هناك سابقة لتواجد قوات سوفيتية محاربة خارج حدود المعسكر الشيوعي مطلقا . . ولم تكن هناك دولة من دول منطقه التحرر الوطني قد حظيت مثل مصر بما حظيت به من مساعدات عسكرية واقتصادية شجعتها على مزيد من المطالبة .

ولكن لا يمكن القول بأن القيادة المصرية قد طالبت بتواجد القوات السوفيتية تهريا من أداء واجبها الوطني ، ولا اتكالا على قوة الاصدقاء فقط . وانما طلبت ذلك ادراكا منها بأن خطة الامبريالية الصهيونية المشتركة التي فشلت في اسقاط النظام بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، قد بدأت في تنفيذ خطة جديدة هي حرب مباشرة ضد معنوية واقتصاد الشعب المصري فقد كان هدم القناطر يعنى طوفانا من الماء يفرق الارض ، وكان تعريض السد العالي لخطر القنابل الاسرائيلية يعنى تحطيم أعظم انجاز اقتصادي في تاريخ مصر وما يصحب ذلك من أخطار مدمرة . . وكان تعرض المصانع ومحطات الكهرباء لاططار الغارات المعادية يعنى تعجيز الاقتصاد المصري . ولم تكن مصر قد استعدت لمواجهة هذه الاخطار بطريقة جادة سواء

قبل العدوان او بعده ، فقد تركزت كل الانظار والجهود على القوات المسلحة ، باعتبارها الركيزة الاساسية لتحرير مصر . دون الاهتمام بتعبئة طاقات الشعب المصرى وتدريبه على القتال كما حدث فى فيتنام مثلا .

وكان ذلك نتيجة لطبيعة قيادة ثورة يوليو المنبثقة من القوات المسلحة وواقعها الطبقي الذى كان منتبيا للبرجوازية الصغيرة التى حرصت على الانفراد بالسلطة وحدها دون اتاحة الفرصة الكاملة للفلاحين والطبقة العاملة .

وعندما فاجأ جمال عبد الناصر القادة السوفييت بهذا الطلب تهامس بريجنيف وجريتشكو كما كتب محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ثم قال :

(ان المشكلة ليست فقط فى الصواريخ وأطقمها ، ولكن الامر يرتبط بنظام معقد للدفاع يحتاج الى طائرات ايضا) .

وهنا بادر جمال عبد الناصر قائلا (حسنا . . أرسلوا الطائرات ايضا) .

وأوضح بريجنيف ان مثل هذه الخطوة قد تكون لها تعقيدات دولية وعالمية خطيرة .

وهنا أوضح لهم جمال عبد الناصر أفكاره فى صراحة قائلا ان الولايات المتحدة تمد اسرائيل بكل ماتحتاجه دون تردد ، أما مصر فهى تتعرض الآن لخطر اسقاط النظام . ومن جهتي - أى عبد الناصر - لايمكن لى أن أستسلم لامريكا ، وانما على أن اصارح شعبي بحقيقة الموقف ثم انحنى لرئيس جديد يكون قريبا من امريكا ، يمكن له ان ينفذ الشعب مما يتعرض له . ويقول هيكل ان كلمات عبد الناصر قد كهرت الجو الى الحد الذى جعل بريجنيف يقف قائلا (يارفيق عبد الناصر . . لا تتحدث هكذا . . فانت القائد) .

ويتبادل الزعيم المصرى والزعماء السوفييت الحديث الذى وصل الى النقطة الحرجة وانتهى الامر الى المطالبة بتأجيل الاجتماع لانه ليس من سلطة القادة الحاضرين وحدهم ان يتخذوا قرارا .

كان لابد من دعوة المكتب السياسى واللجنة المركزية .

قال لى مراد غالب سفيرنا فى موسكو ان اعضاء المكتب قد استدعوا فجأة بالطائرات من أنحاء الاتحاد السوفييتى وهو مالم يحدث من قبل فى حدود علمه .

وقال لى الفريق أول محمد فوزى انه نظرا لخطورة القرار فقد حضر اجتماع المكتب السياسى ١٢ مارشالا سوفييتيا . وفى احدى قاعات الكرملين وقبل أن يتوجه الوفد الى الطائرة عقدت جلسة ختامية فى السادسة مساء أعلن فيها بريجنيف ان الاتحاد السوفييتى قد اتخذ قرارا تاريخيا لم يسبق له مثيل يحتاج من مصر الى ضبط النفس .

وافقت قيادة الاتحاد السوفييتى على امداد مصر بصواريخ سام ٣ على أن تتبعها الطائرات بعيدة المدى ميج ٢٥ المرتبطة معها فى نظام الدفاع الجوى .

وحدد السوفييت اعداد الصواريخ ومواقع اقامتها وعدد الجنود الذين يعملون عليها . كما انفق على ارسال حوالى ١٨٠٠ مصرى للتدريب هناك مدة ستة أشهر .

وعبر عبد الناصر عن شكره وتفديره للقرار التاريخى الذى يحقق لأول مرة مجالا لتعاون الدول الاشتراكية العظمى مع دولة من دول التحرر الوطنى فى معركة مشتركة ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية .
وأعلن أن تواجد هذه القوات سوف يدفعه الى تهدئة الموقف وضبط النفس حتى يعطى لقوائمه فرصة اتمام التدريب حتى لا تمتد اقامة الجنود السوفييت بأكثر مما تحتاجه الظروف . وكان هناك اتفاق على أن يتم سحب الخبراء والمستشارين السوفييت من ميدان المعركة عند نشوب القتال تنفيذا للخطة الدفاعية ٢٠٠ .

وبقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف قد انتقل من مقعده ووقف بجانبه قائلا له (ان هذا الامر يجب ان يبقى فى اطار السرية الى أطول وقت ممكن) .

ويلاحظ فى كتاب هيكل ان بريجنيف كان يخاطب عبد الناصر بلقب رفيق Tovarich بينما يخاطب هيكل بلقب سيد Gospodin قال لى الفريق أول محمد فوزى ان صواريخ سام ٣ مع أطقمها السوفييتية بدأت تصل مع شهر ابريل .

وفى يوم ١٨ ابريل ١٩٧٠ تصدت طائرات مصرية يقودها طيارون سوفيت لطائرات اسرائيلية مهاجمة . وعندما التقطت الاجهزة اللاسلكية الاسرائيلية لغة الطيارين الروسية عادت فورا الى سيناء .

وأعلن موسى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى فى نفس اليوم ان اسرائيل لن تهجم على اعماق مصر لانها لا تريد ان تحارب السوفييت . وهكذا أبلغ السوفييت الأمريكان بتواجدهم فى مصر بطريقتهم الخاصة . واصبحت مصر كلها مدنا وقرى وفناطر ومصانع فى ان . وانحصرت المعركة والمواجهة فى منطقة القناة بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ولم تقتصر المجابهة على منطقة القناة وحدها . ولكنها امتدت فى عملية فدائية لتصل الى ابيدجان عاصمة ساحل العاج على الشاطئ الغربى لافريقيا .

كانت المخابرات العامة قد وصلتها معلومات عن استئجار الاسرائيليين لحفار اسمه (كيننج) من شركة أمريكية كندية مشتركة وذلك لاستخراج البترول فى منطقة خليج السويس .

وتابع المخابرات خط سير الحفار الى أن علمت بوجوده فى ابيدجان

يوم ٣ مارس فتحررت مجموعة فدائية من مصر لتدميره هناك حيث تم التنفيذ فعلا في الساعة الواحدة من صباح ٨ مارس ١٩٧٠ في وقت كانت المدينة مشغولة برواد الفضاء الامريكيين الذين كانوا يزورونها في نفس اليوم .
ويروى أمين هويدى قصة متابعة هذا الحفار تفصيلا في كتابه (أضواء على اسباب نكسة ١٩٦٧) وهي توضح أن روح القتال كانت تدفع كافة الاجهزة الى استغلال كل طاقاتها لاستنزاف العدو وانها كانت استعدادا لتنفيذ خطة تحرير الارض .

توقفت مشروعات اسرائيل لاستخراج البترول في خليج السويس بعد نجاح العملية التي دمرت الحفار .
وتصاعدت حرب الاستنزاف ، وبدأ الاسرائيليون يفقدون سيادتهم الجوية تدريجيا ، وتعرضت طائراتهم للسقوط بوساطة الصواريخ السوفيتية .

وكانت أرقام الطائرات الاسرائيلية التي تتساقط تهدد السيادة الجوية تهديدا جادا وحقيقيا . ولكن القيادة العسكرية كانت تريد أن تصل الصواريخ الى شاطئ القناة حتى تضمن دفاعا عن القوات غرب القناة ، وتضمن أيضا حماية للجنود عندما يعبرون القناة .

وكان الموقف قد تغير تماما بعد وصول القوات السوفيتية ، وأمكن للصواريخ المصرية أن تتفريغ تماما لمجابهة الطائرات الاسرائيلية المغيرة .
واعتبرت قوات الدفاع الجوي ٣٠ يونيو ١٩٧٠ عيدا لها تحتفل به الآن كل عام لانه في هذا التاريخ فوجئت الطائرات الاسرائيلية بالصواريخ المصرية وتكبد السلاح الجوي الاسرائيلي خسائر فادحة لم تكن في الحسبان كما ذكر الفريق محمد علي فهمي في كتابه (القوة الرابعة) والذي قال فيه انه طبقا للبلغات الرسمية المصرية فان خسائر العدو خلال الفترة من ٣٠ يوليو الى ٨ أغسطس بلغت ١٦ طائرة .

ويبدو انه كان هناك (حرص مصرى) على عدم الاعلان عن سقوط طائرة الا بعد التأكد التام من وقوعها وذلك كرد فعل للبيانات المضللة التي صدرت خلال ايام العدوان الاسرائيلى في يونيو ١٩٦٧ . فان مجلة (افيش ويك) نشرت في عددها الصادر في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ ان خسائر اسرائيل بلغت ٥١ طائرة منها ١٧ تم تدميرها تماما ، ٣٤ أصيبت .

هذه الحالة دفعت جولدا مائير الى القول بأن (كتاب الصواريخ المصرية كعش الغراب كلما دمرنا احداها نبتت بدله اخرى) . ودفعت ايضا ابا ايبان وزير الخارجية الى القول (لقد بدأ الطيران الاسرائيلي يتآكل) .
هذا يؤكد الحقيقة التي سبق ان نشرتها مجلة تايم الامريكية في حديث مع حاييم بارليف في عدد ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح فيه قائلا :

(على المرء ألا يقع في تصور ان صواريخ سام دفاعية انها اقيمت لاعطاء مصر قوة هجومية . ان مجرد اقامة هذه الصواريخ سيخلق في مصر شعورا بالحرية لفعل ما تريد)

يقول دكمجيان في كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان الغارات الاسرائيلية

في مطلع عام ١٩٧٠ كانت تستهدف اسقاط نظام حكم جمال عبد الناصر ،
تماما كما حدث في غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ (وحرب السويس) ١٩٥٦ .
(وحرب الايام الستة) عام ١٩٦٧ .

وفي كل مرة - كما يقول دكمجيان - كانت تبني هذه السياسة على
الادراك غير السليم لحقيقة المجتمع النفسية ، ويقول أيضا ان رجال
الاستراتيجية الاسرائيلية فشلوا في معرفة سحر زعامة جمال عبدالناصر .
وقوة الروح القومية ، وقدره المصريين التاريخيه على استيعاب الهزيمة
وامتصاصها .

ويفسر دكمجيان الموقف في هذه المرحلة بأنه الى جانب المضاعف
الديبلوماسيه والعسكريه ، وضعف التنسيق بين الدول العربية . فان
المصريين قد وجدوا أنفسهم وحدهم يواجهون عدوا قويا في غياب فرصة
فرض تسوية من الخارج بمعرفة القوى العظمى ، وعدم قبول سلام تفرضه
اسرائيل ، وأن عليهم مواصلة النضال ضد اسرائيل رغم التضحيات الكبيرة
ورغم جسامه المشاق المطلوبة .

وانتهت سلبيات السنوات الاولى للثورة عندما تبين أن زعامة جمال
عبد الناصر لا تملك مفتاحا سحريا لحل المشاكل دون مشاركة جماهيرية .
وفي الماضي كان كل ما يطلبه جمال عبد الناصر من الشعب هو المساندة
والتايد وبعض تضحيات محدودة . وكانت انتصاراته تعتبر انتصارات
شخصية لا تحتاج ولا تعتمد على مشاركة شعبية . ولكن رفض الاسرائيليين
للانسحاب بدأ يفرض على مصر واقعا جديدا هو اهمية المشاركة الشعبيه في
النواحي الحربية والسياسية .

واذا اعتبرنا النواحي الحربية هي (معركة الخطوط الامامية) فان نجاحا
كبيرا قد تحقق في باب المشاركة ، وتغيرت طبيعة القوات المسلحة . ولم تعد
اسرائيل قادرة بأي شكل من الاشكال على تنفيذ ما اعتادت عليه في تصريحاتها
من (تلقين العرب درسا) يتعلمون به قبول الوجود الاسرائيلي بالصورة التي
يراها الاسرائيليون .

تجاوزت الظروف مرحلة الغارات أو الحروب المفاجئة التي كانت
تشنها اسرائيل (للتأديب او تلقين الدروس) وأصبحت المعركة سجلا بين
طرفين .

وما لاشك فيه ان استمرار هذه الصورة من الحرب وتضاعفها تنفيذ
(للخطة الدفاعية ٢٠٠) كان سيؤدي الى تغيير هائل في (السلوك القومي
كان محتملا أن يضل تأثيره الى الخطوط الخلفيه في المجتمع ايضا) .

وهكذا كانت حرب الاستنزاف نضالا مشرفا للقوات المسلحة ، وتمهيدا
جادا لعبور القناة وتحرير الارض في سيناء . ووسيلة لبعث الحيوية في
الخطوط الخلفية حيث الجماهير كانت لاتزال تلعب دور المتفرج على معركة
تزداد سخونتها يوما بعد يوم .

وكما كانت في الخطوط الامامية معركة . كانت هناك في الخطوط
الخلفية معركة أيضا .

الفصل الثاني

معركة الخطوط الخلفية

(اننى لا اعتبر التناقض بيننا وبين
الماركسيين تناقضا عدائيا ، واننى استعنت في
تخصير افكار الميثاق بكلمات ماركس ولينين
وستالين ، وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم .

جمال عبد الناصر

كان التركيز على بناء القوات المسلحة واعدادها للمعركة هو الاساس
الذى قامت عليه خطة عبد الناصر بعد الهزيمة .. ولكن المعركة لم تقتصر
على ميدان القتال فقط .. بل امتدت الى المجتمع أيضا .
كان استيعاب النظام لصدمة الهزيمة ، وبقاء جمال عبد الناصر في
قمة القيادة ، دليلا على ان ثورة يوليو قد قدمت الى الجماهير مايدفعها الى
التشبث باستمرارها .

ولكن كان صعبا وعسيرا ان تمضى الامور كما كانت عليه .. فقد
اهتز سحر شخصية الزعيم ، وكشفت محاكمات مؤامرة المشير ، وجهاز
المخابرات .. طفحا يسيء الى طهارة الثورة والثوار .
كان ضروريا أن تتغير طبيعة النظام .. وأن يشعر الناس بمزيد من
الحرية والديمقراطية .. وأن تحاصر الاخطاء والانحرافات .
ولكن شعار (التغيير) الذى رفعته الجماهير ، لم يطبق بالاسلوب الذى
يجمل الاقتناع بها .. ولم يطبق أيضا بالاسلوب الجاد الذى تحقق فى

القوات المسلحة ، ووصل بها الى خوض المعركة من جديد بعد شهر فقط من الهزيمة القاسية .

كل شئ، في البداية مضى في الطريق القديم . . لم يتغير أحد من اعضاء اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي . . زكريا محيي الدين وابور السادات وحسين الشافعي وعلى صبرى ومحمد صدقي سليمان . هذا اذا استثنينا سقوط المشير عبد الحكيم عامر وهذا أمر يتصل بالحياة العسكرية اتمر مما يصل بالحياة المدنية .

وقد أوضح في الباب الثالث - الفصل الاول - سطحية ماحدث من تغييرات لم نجل وجه النظام ، ولم تبعث فيه الجدية أو الحيوية .

وقد كان المجتمع في هذه الفترة يموج بمختلف الانجاهات ، وتصارع فيه مخالف الاراء والطبقات .

انعكست الرجعية المضروبة خلال سنوات الثورة من أثر الهزيمة على القيادة . . وشعر الاشتراكيون وأصحاب المصلحة الحقيقية في التغيير الاجماعي بالخطر الذي يمكن ان يهدد طموحهم وأهلهم في الوصول الى مجتمع السلام والاشتراكية .

واصبح الصراع الطبقي واقعا لايمكن انكاره او تجاهله رغم فكرة بحالف قوى الشعب العاملة . . وكاد يتمزق الغطاء الذي حاول جمال عبد الناصر ان يستر به عوامل الصراع الكامنه .

وبرزت فضيحة حمايه النورة بصورة رئيسيه .

وكنيت مغالا تحت هذا العنوان في مجلة روزاليوسف عندما كنت رئيسا لتحريرها في ٣١ يوليو ١٩٦٧ قلت فيه (ان ثورة ٢٣ يوليو تتميز بجاذبية فريدة هي انطلاقها من الجيش تعبيرا عن ارادة الشعب المعاة نفسيا ضد النظام الملكي . . والمعتقرة في نفس الوقت الى تنظيم يكسب نقنها ويفود نضالها) .

واشرت فيه الى (الحاجة الى جهاز سياسى صلب ومماسك تتوافر له وحدة الفكر وسلامة الانجاه)

وكان الاتحاد الاشتراكي في ذلك الوقت يعتبر أكثر يسارية وتقدمية من الحكومة ومن القوات المسلحة ايضا .

كانت قد شكلت مكاتب تنفيذية من المتفرغين . . وضمت منظمة الشباب ٢٠٠٠ عضو ، وأنشئ المعهد العالي للدراسات الاشتراكية الذي اداراه الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الامانة العامة ، وانتشرت المعاهد في المحافظات بعد أن كانت قاصرة على السويس ، وتمت دورات تدريبية اخرج فيها ألوف العمال والملاحين .

ومع ذلك فقد عانى الاتحاد الاشتراكي من سلبيات كثيرة تمثلت في عدم اعطاء الطبقة العاملة والفلاحين نقلهم الطبيعي في مراكز القيادة وحل التناقض القائم بينهم وبين البرجوازية ونقص الوعي والقدرة السياسية عند أغلبية اعضاء المكاتب التنفيذية ، وعدم انتظام الاجتماعات ، وغباب الديمقراطية داخل التنظيم ، وتعثر تكوين جهازه السياسى (طلية الاشتراكيين ، ووضع أشخاص غير سياسيين في قمة المسئولية) .

وكانت الرجعية المتريضة بثورة يوليو قد وجدت في الهزيمة فرصتها الهائلة ، وأحاطت النظام بالشكوك والالتهامات .. وتنشط ماسبق ان اسار اليه جمال عبد الناصر من ان هناك حزبا رجعيا لا ينقصه التنظيم .
واسجل منافسة دارت بين عبد الناصر وعامر في احد اجتماعات الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي عام ١٩٦٥ .
قال عبد الحكيم عامر :

(توجد مشكلة سوف نواجه الاتحاد الاشتراكي حتى بعد عملية التنشيط والاستكشاف وهي ان الاتحاد الاشتراكي كقوة ليس أمامه قوة مضادة ظاهرة ولذلك لا يشعر الاتحاد الاشتراكي بأنه يوجد تحدى).
وأجاب جمال عبد الناصر بقوله :

(ان العناصر المضادة موجودة داخل الاتحاد الاشتراكي وهي عناصر (حركية) ونحن ينقصنا داخل الاتحاد الاشتراكي وجود العناصر الاشتراكية الحركية المخلصة)

وقال لي شعراوي جمعة ان عبد الناصر كان ينصور دائما ان الرجعية تشكل قوة تنظيمية متربصة لا يقابلها تنظيم تقدمي مماثل ، وان هذا كان عاملا مؤثرا في بعض قراراته .

كان ذلك قبل الهزيمة .. أما بعد الهزيمة فقد تضاعف نشاط هذه العناصر الكامنة المتربصة في أرجاء الاتحاد الاشتراكي .
ولقد أحست القوى الوطنية والديموقراطية بقلق شديد من موقف قيادة النظام وقدرتها على حماية الثورة وبث الحيوية فيها واستمرارها ، رغم ما قاله جمال عبد الناصر في خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ .

(اذا استطعنا ان نحمل النورة الاجتماعية في مصر وندعم النورة العربية الشاملة .. فاننا نستطيع تحرير الارض المحتلة) .
نعم .. حماية الثورة الاجتماعية كانت قضية رئيسية تؤرق القائد وتؤرق الوطنيين الديموقراطيين ايضا .
وتبلورت هذه القضية في ضرورة وأهمية تكوين تنظيم سياسي ملتزم ، عبرت عنه في مقال نشرته في روزاليوسف عدد ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ تحت عنوان (حزب واحد) ناقشت فيه أفكار الذين يخشون من وجود حزب واحد على مسار الديموقراطية ومضمونها ، وقلت فيه :

(ان الحزب لا يعمل بعيدا عن الاتحاد الاشتراكي وليس منعزلا عنه بل انه يؤدي في داخله دور الجهاز العصبي القادر على نقل توجيهات القيادة ودفع ارادة الجماهير .. والاتحاد الاشتراكي يضم ملايين الافراد الذين لا يمكن أن تتوافر لهم جميعا صفة الالتزام الحزبي .. اى الرغبة الصادقة في التضحية والبذل من أجل العمل السياسي .. وضرب المثل في كافة التصرفات العامة والشخصية .. وهي الصفات الضرورية لعضو الحزب) .
وقلت أيضا :

(عضو الحزب يلتزم بواجبات ومسئوليات تزيد كثيرا عن واجبات ومسئوليات الانسان العادى عضو الاتحاد الاشتراكي .. وعضو الحزب

مستول أمام الجماهير ، هي التي تقتنع به أو ترفضه وتسقطه تبعا لما يظهر به في مواجهتها ٠٠ والحزب ليس تعاليا على الناس ولكنسه عمل دائم في خدمة الجماهير

ورد يوسف السباعي على ذلك بمقال جاء فيه ان هذه الدعوة تعني تكوين حزب شيوعي وحزب يميني وحزب الاتحاد الاشتراكي ٠٠ وهو أمر لاتشير اليه كلماتي مطلقا ٠٠ ولم تكن هذه الفترة التاريخية الحرجة هي أنسب الفترات لاطلاق الدعوة لحرية تكوين الاحزاب بصورة مطلقة ٠ ولذا فقد رددت عليه بمقال نشر في روزاليوسف في ١٨ سبتمبر ١٩٦٧ قلت فيه :

(هل هو وقوف غلي رأى جامد وثابت ؟
هل هو محاولة لتمييز الوحدة الوطنية والشعبية ؟
أم هو استخفاف بمعالجة القضايا السياسية الحيوية ؟

لست أدري أين كان يقف يوسف من هؤلاء ٠٠ ولكنني ادري انه افتعل اساسا واهيا للمناقشة وبنى عليه هرما من الورق لايحتمل البقاء أمام تيار الحق والصديق)

وربما كان يوسف السباعي معذورا في فزعه من فكرة الدعوة الى الحزب معتقدا انني ادعو الى تكوين حزب له صبغة شيوعية ٠٠ فانه في حدود علمي له يكن عضوا مستولا في طليعة الاشتراكيين ، ولكنني أشك في انه لم يكن يعرف تماما القصد مما جاء في الميثاق عن تشكيل جهاز سياسي داخل الاتحاد الاشتراكي ٠

لأشك ان يوسف السباعي كان يعرف ماورد في الميثاق ، ولكنه كان يعبر عن فكر اليمين المتخوف من اتجاه الثورة الى اليسار ، وخاصة بعد الهزيمة التي كان مفروضا أن تقعدا وتصيبها بالجمود فلاتتحرك نحو مزيد من التقدم ،

ولايمكن انكار أن يوسف السباعي قد نال من ثورة يوليو ومن جمال عبد الناصر شخصا أكثر مما كان يراد أحلامه كضابط من ضباط الجيش الذين استكانوا الى نظامه السابق ولم يرتبطوا بالضباط الاحرار من أجل الثورة على النظام الملكي ٠

ولايمكن انكار ان يوسف السباعي قد اصبح علما من اعلام الضباط الذين تولوا مراكز رئيسية حساسة في مجال السياسة (سكرتير عام منظمة التضامن الآسيوي الافريقي) ومجال الادب والفن (سكرتير عام المجلس الاعلى للفنون والآداب) ومجال الصحافة (رئيس تحرير الرسالة وصحف أخرى) ٠٠ ومع ذلك فانه فيما يبدو ظل حريضا على (فرملة) ثورة يوليو عن الاتجاه نحو أهداف التقدم الاجتماعي ، متشبثا بأحلام طبقة التي انتمى اليها في الماضي وفي عهد الثورة ايضا ٠

ولست أعيب على يوسف السباعي موقفه او دعوته ، فهو اختياره الخاص الذي لانملك أمامه شيئا ٠ ولكنني أتخذ من هذا الموقف مثالا على انه كان في صفوف المنتمين الى

ثورة يوليو ، المرتبطين بجمال عبد الناصر شخصيا . الفائزين له في مقدمة كل مقالاتهم (أهلا) .. كان منهم من يأخذ موقفا اجتماعيا مغايرا للاتجاه المعروف عن قيادة الثورة .. ومع ذلك تقابل كلماتهم وانجاساتهم بالصمت .. وربما بالرضا أيضا .

وكان هذا دليلا على انه بعد سنوات من قوانين يوليو ١٩٦١ وصودر الميناق عام ١٩٦٢ مازالت هناك آراء متنافسة ومصادرة ، ومعبرة عن واقع طبني مختلف .. وأن نحالف قوى الشعب العاملة لم يعد قادرا على خلق وحده فكرية وتنظيمية متجانسة .

وعلى قدر ما كان اليمين متربصا للثورة يريد الانفضاض عليها .. على قدر ما كان اليسار قلقا على المكاسب الاجتماعية التي حصلت عليها الطبقات الكادحة .

وقد سقط القناع عن الجانب الفبيح للثورة بعد محاكمات ضباط مجموعة المشير ، فقد أعلن بعضهم في صراحة وهم الذين كان مفروضا انهم حماة الثورة بالسلاح انهم يلجأون الى أمريكا .. ولذا فلم يكن غريبا أن نسمع هذه النغمة من آخرين .

كانت الدعوة لتكوين الحزب هي أول اشارة الى الاحزاب منادسقطنها الثورة واصدرت قرارا بحلها في يناير ١٩٥٣ .

وكانت هذه الدعوة تعنى بعث الحياة في جهاز (طليعة الاشتراكيين) لممارسة دوره النضالي في هذه المرحلة الصعبة من مراحل الثورة .

ولكن امانة طليعة الاشتراكيين لم تكن تجتمع .. وأمينها العام شعراوي جمعة لم يوجه لها الدعوة للانعقاد .. ولذا حرصت على اتارة هذا الموضوع معه أكثر من مرة مندهشا ومستفسرا عن الاسباب التي تدعو الى وقف اجتماع الامانة التي تمثل القلب في جهاز العمل السياسي . وكان يعتذر بكنزة مشاغله ومسئوليته في وزارة الداخلية .

وعندما دعيت الامانة للاجتماع في نوفمبر ١٩٦٧ قال شعراوي جمعة بصراحة في أول جلسة (ان فلانا - يقصد كاتب هذه السطور - كان يسقيني كاسا من السم في كل لقاء معه من أجل دعوة الامانة للاجتماع) .

كانت عودة امانة طليعة الاشتراكيين للانعقاد مؤشرا طيبا ولكنه لم يكن دليلا على أن الامور في الجبهة الداخلية يمكن ان تنطلق بنفس الجدية التي تندفع بها في الجبهة العسكرية أو القوات المسلحة ان صح التعبير .

عندما عادت الامانة الى الاجتماع مارست أسلوبها القديم الذي يدور في حلقة مفرغة من المناقشات دون جدول أعمال أو متابعة للقضايا المختلفة بطريقة علمية مدروسة ، مع عقد اتصالات بيروقراطية مع المحافظين الذين كانوا في أغلب الاحوال هم المسئولون الاساسيون في طليعة الاشتراكيين .

واحتفظت الامانة حتى ذلك الوقت بأعضائها السابقين أمين هويدي ومحمد فائق وسامي شرف وعبد المجيد فريد وحلمى السعيد واحمد شهاب وشوقي عبد الناصر وكمال الحناوي ومحمد عروق وعبد المعبود الجبيلي . ومحمود العالم ويوسف غزولي وعلى السيد على واحمد كامل وكاتب هذه السطور تحت ادارة أمينها العام شعراوي جمعة (١٠ ضباط ، ٦ مدنيين) .

وكان شوقي عبد الناصر قد أبعدته شقيقه عن مركز الامين المساعد للاتحاد الاسرائي بمحافظه القاهرة ، كما أبعد سفيقه الليني عبدالناصر عن امامه الاتحاد الاسراكي بمحافظه الاسكندريه .

ويذكر ان شوقي عبد الناصر كان قد حاول الاسحار عقب هذا القرار الذي اعبره جانرا ، لانه كان يؤدي واجبه في اعماده بما يرضى ضميره دون نشر بموضوع الاخوة . وان جمال عبد الناصر لم يعم بزبانه خلال مرضه ووجوده في مستشفى المعادي .

كان كل ماحدث من تغييرات في الاتحاد الاسراكي هو تطعيم المكاتب السعيدة للمحافظات بسحسبات من مختلف الاتجاهات وامانه القاهرة مثلا اضيف اليها احمد بها ، الدين وفحي عانم وبوسف السباعي واثاب هذه السطور من الكتاب وسمر حلمي وزير الصناعة السابق وسيد يوسف ورر الربيه والتعليم السابق وعدد آخر من السحسيات في مكاتب الاقسام والمراكز .

وكانت بمص الفرارات المختلفة الانحاهات قد بدأت تصدر ايضا . صدر قرار بأنميم بجارة الجملة في ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ ، وفي اليوم التالي مباشرة صدر قرار بعودة الدكتور عزيز صدقي وزيرا للصناعة بعد خروجه من الوزارة في أثناء رئاسه على صبرى لها .

وفي بداية نوفمبر ١٩٦٧ حصر الى مصر مبعوث الرئيس الامريكي جونسون المال الكبير (روبرت اندرسون) حيث اجتمع به جمال عبد الناصر مرين اجتماعات مهدت لصدور قرار مجلس الامن في ٢٢ نوفمبر من نفس الشهر .

وكان جمال عبد الناصر رغم الهزيمة ورغم ثبوت المساندة الامريكية الايجابية لاسرائيل حريصا على عدم قطع صلات الانصصال مع الحكومة الامريكية .

وكان القادة السوفييت ينصحون جمال عبد الناصر دائما بتحاشي اتخاذ مواقف شديدة الانارة للامريكيين الذين لاشك ان لهم دورا في حل المشكلة وعودة السلام للمنطقة .

قال لي صلاح نصر ان جمال عبد الناصر قد طلب منه بعد الهزيمة عدم قطع علاقته بواشنطن ، ولذا فقد استبقى في مصر بعد قطع العلاقات (وليم بروميل) ضابط المخابرات الامريكي لانه كان حلقة الاتصال بين صلاح نصر ورئيس المخابرات المركزية ، كما انه استبقى ايضا وليم بيرجس الذي كانت تربطه علاقات طيبة مع بعض المسؤولين في مصر . ويقول صلاح نصر ايضا انه تلقى رسالة من جونسون في اواخر يونيو تقول :

(بالرغم من العلاقات المتدهورة بين البلدين فان الولايات المتحدة على استعداد لان تدخل في مفاوضات لازالة حدة التوتر القائم ، فاذا ماوافقت مصر فان سفيرنا في روما على استعداد لمقابلة مندوب مصر لوضع الخطوط الرئيسية لمادثات على مستوى اكبر في واشنطن) .

ويذكر صلاح نصر انه حدثت موافقة مبدئية على أن يتولى هذه الاتصالات

احمد حسن الفتى وكيل وزارة الخارجية ورينهارت السفير الامريكى فى روما ولكن لم يتفد ذلك فى اللحظة الاخيرة .
كما يقول ان المخابرات الايطالية وكانت على علاقة طيبة بصلاح نصر والمخابرات المصرية قد توسطت فى ٢٤ يونيو حصول مشروع كانت ابرز النقاط فيه هي :

١ - أن يستبعد نهائيا اجراء أى مفاوضات مباشرة للصالح بين العرب واسرائيل .

٢ - الاعتراف بالكيان الاسرائيل .

٣ - انسحاب القوات الاسرائيلية وعودتها الى ماوراء الحدود على جميع الجبهات حتى يوم ٤ يونيو .

٤ - ان تضمن قوات الطوارئ الدولية ذلك .

٥ - حرية المرور بمضيق تيران

٦ - تعويض البلاد العربية عن الخسائر .

٧ - تعويض اللاجئين الفلسطينيين .

٨ - تعهد من جانب أمريكا والدول الغربية بتنفيذ برنامج اقتصادى مالى وصناعى لمدة ٣٠ سنة بهدف رفع مستوى المعيشة فى جميع الميادين بين شعوب المنطقة العربية وفى مقدمتها مصر مقابل استعادة وتدعيم العلاقات والتعاون الشامل فى الميدان السياسى والاقتصادى بين دول العالم العربى والدول الغربية .

وغنى عن البيان ان هذا المشروع المقترح - اذا صح ماورد فيه - لم يصل الى نتيجة ، بعد اعتقال صلاح نصر .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات المصرية الامريكية متصلة لانتقطع حنى وصلت الى حد السماح للضابط السابق علوى حافظ عضو مجلس الامة بعمل اتصالات شخصية خلال شخصيات لاتخفى صلتها بالمخابرات المركزية الامريكية كما نشر فى مجلة اخبار اليوم .

وكان وصول روبرت اندرسون لمصر هو نهاية لهذه المرحلة من الاتصالات التى يبدو انها لم تغير شيئا فى طبيعة العلاقات ازاء اصرار أمريكا على مساندة اسرائيل وامدادها بطائرات سكاى هوك الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى القول فى خطبته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٨ (لا يستطيع ان يجاهر الآن بصداقة أمريكا الا عميل واضح صريح) .

وقد اقترن شهر نوفمبر الذى صدر فيه قرار مجلس الامن بانارة عدة موضوعات داخلية ، كانت تمثل حساسيات خاصة لثورة يوليو هي :

١ - رفع الحراسات .

٢ - عودة المفصولين .

٣ - الافراج عن المعتقلين .

وقد شكلت لجان خاصة لذلك ، ورفع فعلا العزل السياسى عن اكثر من ألف مواطن ، ورفعت الحراسات أيضا عن بعض الاسر .

واعلن شعراوى جمعة فى بيان خاص ان عدد المعتقلين من ٥ يونيو

الى ١٩ سبتمبر ١٩٦٧ قد بلغ ١٨١ عسكريا ومدنيا منهم ٤٤ فلاحا من قرية المشير ، ٢٤ كتيبة منشورات ١٦٠ ضابط ١٧٠ مدنيا من اقارب المشير ، وضابط شرطة .

كما أعلن يوم ٢٢ ديسمبر ١٩٦٧ ان دراسة شاملة لأوضاع جميع الذين مازالوا في المعتقلات حتى الان تتم تمهيدا لتصفية المعتقلات . كما شكلت لجنة ثلاثية لرفع الحراسات التي وضعتها لجنة تصفية الاقطاع وغيرها .

وأذكر ان موضوع الحراسة قد أثر في اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكي لمحافظة القاهرة ، واني وقفت ضد مبدأ (الحراسة بالتقارير) . وكتبت في روزاليوسف مقالا بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧ جاء فيه :

(الحراسة كانت اجراء من اجراءات الحماية الثورية ضد بعض الذين يستقر الرأي على انهم وقفوا موقفا عدائيا من التطور الاجتماعي والوطني . . . أو الذين هربوا الارض وخالفوا قانون الاصلاح الزراعي . . . ولكن وضع الناس تحت الحراسة لم يكن يستقر تحت مبدأ قانوني واضح وانما كان يتم بعد دراسات تعتمد على تقارير ، والبعض فيها يحتمل التأويل ، والبعض يتعرض للخطأ والصواب . . . مما أدى فعلا الى قبول بعض التظلمات ورفع الحراسة عنها . . . وهذا الموقف نشأ أساسا عن عدم وجود قانون يسمح بالنظر في أخطاء وأخطار البعض مما يمكن ان ينتهي بهم الى الحراسة خضوعا لمواد القانون وعدالة القضاء كضرورة ثورية حاسمة) .

كما قلب أيضا في نفس العدد :

(ليس منطقيا ان يظل الانسان معتقلا طوال عمره لانه كان عضوا في جماعة الاخوان المسلمين في يوم من الايام) .

كان بحث هذه القضايا في هذا التوقيت يمثل نوعا من النقد الذاتي ، وشعورا بخطئ استمرار الاجراءات الاستثنائية المؤقتة .

وقد وجدت بعض العناصر في اثار هذه القضايا مايمكن ان يمثل تراجعا من قيادة الثورة تحت ضغط اليمين .

وهو قلق مشروع عند هؤلاء ، . . . ولكن الاجراء لم يكن يمثل تراجعا حقيقيا عن الموقف الاجتماعي لثورة يوليو . . . بل كان يمثل محاولة لتجميل وجه الثورة أمام أخطاء استمرت أكثر من التوقيت اللازم لها .

كما أن هذه القضايا (الحراسة - الاعتقال - العزل السياسي - الفصل من العمل) لم يكن الاعتداء عليها يمثل اعتداء على اليمين فقط . . . ولكنه كان يمثل اعتداء على اليسار أيضا ، واعتداء على الديموقراطية أساسا .

والديموقراطية هدف من الاهداف الرئيسية التي يناضل من اجلها اليسار ضمانا لحركته .

ويبدو ان الصحافة كانت قد بدأت تلعب دورا هاما في مناقشة القضايا الرئيسية بجراة فرضتها الهزيمة ، ولم تعرفها الثورة من قبل ، ففرضت الرقابة على الصحف ، وعاد الرقيب منذ نوفمبر ١٩٦٧ يمارس

صلاحيات كانت قد اختفت من الصحافة تماما منذ ما بعد عدوان
١٩٥٦ .

الحقيقة انه لم تكن هناك رقابة رقيب على الصحف حتى ذلك الوقت،
وانما كانت هناك رقابة ذاتية يمارسها المسئول عن التحرير ، والمعين من
السلطة .

وكان المبرر لعودة الرقابة هو تحاشي التعرض للمشئون العسكرية ، ولكن المبرر الحقيقي كان تهلة وتبريد الآراء المتفجرة الحارة على صفحات الصحف .

ومع ذلك لم تكن الرقابة مانعا من نشر مقالات تدعو لدعم القطاع الخاص ، ودعوة رأس المال الاجنبي .

وقد تصديت لذلك في عدة مقالات منها مقال نشر في أول يناير ١٩٦٨ تحت عنوان الاشتراكية المفترى عليها) جاء فيه :
(كل من يلحق به الظلم ، يدين الاشتراكية .

الاشتراكية المفترى عليها. ٠٠ التي أصبحت مشجبا تعلق عليه كل
الاعطاء والانحرافات التي يرتكبها بعض المسئولين في مجالات العمل).
وقلت أيضا :

(الديموقراطية سلاح من اسلحة الاشتراكية ولكننا نبقية في الجراب خشية منه ، مع انه في قبضة يدنا) .

(لقد قضى الاستعمار نصف قرن يشوه بدعايته كل ماهو اشتراكي، وهو مازال ينشط بكافة الوسائل في هذا الاتجاه ، وعلينا وقد تبيننا الاشتراكية ألا نتطوع بتشويهها نحن أيضا من جانبنا .. كأنما يمز علينا أن ندعه بلا ذخيرة يضرنا بها) .

وعن الدعوة لرأس المال الاجنبي كتبت تحت عنوان : (هل تهدم الثورة ماينته ؟ مقالاً جاء فيه :

(رأس المال الاجنبي اذا تسرب الى اقتصادنا قضى على تطوره في مهده وهدد نموه ٠٠ لان رأس المال الاجنبي لا يحضر الا مصحوبا بشروطه محصنا بضغوطه ٠٠ ومع ذلك فاننا يجب ألا نرفض ذلك رفضا باتا قاطعا ٠٠ هناك مشروعات تحتاج فعلا الى رأس المال الاجنبي لعدم قدرة اقتصادنا القومي على تنفيذ كل المشروعات .

قال لي الدكتور عزيز صدقي ان رأس المال الاجنبي كان يتعاون معنا في مشروعات البحث عن البترول . وتصنيع الدواء ، وغيرها من الصناعات التي تتكلف الملايين الكثيرة من الجنيهات في الابحاث ومتابعة أحدث التطورات .

كانت حصيدلة مصر من البترول تصل الى ٧٥ ٪ بعد اتمام كشفه واستخراجه على اساس تجارى ٠٠ وكان رأس المال المصرى فى بعض شركات الادوية لا يتجاوز ٦٠ ٪ .

حرصت على إعادة نشر بعض مظاهر في الصحف خلال هذه الفترة
لإعطاء صورة عن النبض الحقيقي للصراع المستمر - رغم ما قد يكون في ذلك

من اطناب - بين قوى الردة وقوى التقدم المجتمعة تحت عباءة ثورة يوليو .

وكان وجود جمال عبد الناصر في ذاته ضمانا للتقدم لان الزعيم يكون مكبلا بتاريخه دائما ، يصعب عليه التراجع عنه أو الارتداد عليه .
وحماية الثورة كانت تعتمد عليه شخصيا وعلى رؤيته للامور . . .
ولم تنطلق أبدا الى ساحة الجماهير للتفاعل الحي معها .

كان جمال عبد الناصر يتطلع الى تعديل الميثاق عام ١٩٧٠ بعد ثمانية سنوات من التجربة . . وكان قد طلب من على صبرى قبل الهزيمة كتابة مقالات تثير مناقشات حية حول تعديل الميثاق .

ويقول فتحى غانم الذى كان رئيسا لمجلس ادارة التحرير ان مقال على صبرى الاول الذى نشر عام ١٩٦٦ كان مقالا تقليديا عن ثورة يوليو ، وان جمال عبد الناصر قد اتصل بعلى صبرى بعد ذلك وطلب منه أن تفتح المقالات أبوابا عريضة لمناقشات جدية .

وبدأت مقالات على صبرى تثير اهتمام الكثيرين وتفتح بابا عريضا لتعليقات مختلفة . . اعتبرها البعض تطرفا الى اليسار . وقال محمد حسنين هيكل لجمال عبد الناصر (ان هذه المقالات ستشعل حربا أهلية) وأجاب عبد الناصر فى هدوء (طيب . . ماتردوا عليه)

كان جمال عبد الناصر يستهدف من ذلك جس نبض حالة المجتمع والتعرف على الاتجاهات الكامنة فيه تمهيدا لتعديل الميثاق .
ولكن الامر بالنسبة للقوات المسلحة كان شديد الحساسية ، فقد ظهر عداء المشير عامر لعلى صبرى بعد هذه المقالات بطريقة أكثر وضوحا .
انتهاز المشير فرصة تقرير وصل اليه يفيد بأنه فى معسكر الشباب بأبو قير التابع لمنظمة الشباب يدرس سؤال حول هذا الموضوع .

كيف يرد الشباب على محاولة انقلاب عسكرى مضاد ؟
واعتبر المشير عامر ان فى تدريس وتلقين الشباب لمثل هذه الاتجاهات تعريضا بالقوات المسلحة .

وصدر فى ابريل ١٩٦٧ قرار يقضى بتشكيل لجنة للشباب يرأسها المشير عبد الحكيم عامر - الى جانب اختصاصاته المتعددة - وتضم كلا من على صبرى وشعراوى جمعة .
لم تجتمع هذه اللجنة مرة واحدة . ولكن تشكيلها كان يعتبر صفة على صبرى .

وتوقف على صبرى عن الكتابة . . أبلغ ذلك الى فتحى غانم يوم ١٥ مايو ١٩٦٧ معلنا تخليه عن صلاحياته الاشرافية على جريدة الجمهورية . .
حيث أصبح المشير فى هذه المرحلة هو المسئول عن الاستعداد الحربي والاعلامى أيضا .

ويقول فتحى غانم انه قد بدأ تجميع مقالات على صبرى فى كتاب تم طبعه والاعلان عنه . . ولكنه لم يوزع أبدا . . فقد توقفت الاعلانات عنه

يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ ، وبقيت أكاداس الكتاب في المخزن لاترى النور .
أوقفت الهزيمة الاتجاه لتعديل الميثاق
وأصبح جمال عبد الناصر حذرا في هذه المرحلة - مابعد الهزيمة -
من ظهور آراء قد يتهما البعض بالتطرف وتستقطب العناصر المتهادنة أو
المعادية في وقت تعلق فيه الثورة جراح الهزيمة ، وتحمل مسئوليات
شاقة لاعادة اكتساب ثقة الناس بها من جديد بعد تجربة مأساوية
فظيعة .

وكان الموقف يتبلور في قضية حماية الثورة حول مطالبة الجماهير
بمراجعة أخطاء التطبيق الاشتراكي . . بينما تحاول قوى أخرى ان توقع
الثورة في الفخ عن طريق هدم ما بنته ، والارتداد عن الطريق الذي
قطعته .

وقد فجر جمال عبد الناصر هذا الموقف عندما قال في خطبته أمام
مجلس الامة يوم ٢٣ نوفمبر ٦٧ ان البعض يتحدث عن أن زكريا محيي الدين
الذي يمثل اليمين وعلى صبرى الذي يمثل اليسار .

المظاهرات . . وبيان ٣٠ مارس

لم يكن ممكنا ان تستمر التناقضات التي فجرتها الهزيمة مكبوتة
في الصدور .

ولم يكن معقولا ان تمضى المقالات والآراء المختلفة التي نشرتها الصحف
وكانها سحابة صيف تمضى بلا أثر .

ولم يكن سهلا أبدا ان يجتمع قلق الثوريين ، وترقب الرجعيين في
هدوء تحت خيمة الاتحاد الاشتراكي .

وتفجر الموقف بصورة عملية في بداية عام ١٩٦٨ في أوساط الطلبة،
حيث يجتمع حماس الشباب وطهارة الوطنية والحرص على سرعة التغيير .

وجمع توقيت واحد بين حديثين يعتبران أخطر ماتعرض له النظام بعد
الهزيمة . . محاكمات ضباط مؤامرة المشير ومظاهرات الطلبة .

وكانت مظاهرات فبراير ١٩٦٨ التي اوضحت جذورها في (الباب
الثالث - الفصل الاول) .

كانت مظاهرات العمال والطلبة هي اول مظاهرات تخرج في مصر منذ
عام ١٩٥٤ ، وهي اول لقاء ايجابي بين الطلبة والعمال منذ عام ١٩٤٦ الذي

شكلت فيه (اللجنة الوطنية للطلبة والعمال) .

وعندما ذهب جمال عبد الناصر ليخطب في عمال حلوان يوم ٣ مارس

١٩٦٨ كان يبدو في مظهر من يريد أن يثبت مساندة الطبقة العاملة له في
مواجهة مظاهرات الطلبة .

ومع ذلك لم يأخذ جمال عبد الناصر موقفا سليما من مظاهرات الطلبة ولم
يفقد اعصابه أمامها . . بل اعتبرها فورة شباب وطني يتلمس الطريق

للخروج من كآبة الموقف وغموض المستقبل .
وبدأت محاولات لاحتواء الطلبة ، كان أولها مقابلة جمال عبد الناصر

لرؤساء اتحادات الجامعات مثل عاطف الشاطر (الاسكندرية) وحلى نهوش (عين شمس) وعبد الحميد حسن (القاهرة) رغم عدم اشتراكهم في المظاهرات ، وعدم قدرتهم على التأثير في جماهير الطلبة ، بعد أن وثبتت اللجنة المنتخبة من مؤتمر ٢١ فبراير ١٩٦٨ ان مركز القيادة الفعلية .
وقد وافق بعد ذلك جمال عبد الناصر على تشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية بعد لقائه مع المثقفين بجامعة القاهرة في سلسله اجتماعاته مع قوى الشعب .

واعاد جمال عبد الناصر تشكيل وزارته في ٢٠ مارس ١٩٦٨ وهي الوزارة التي لم يدخلها زكريا محيي الدين ، واقتصرت على حسين الشافعي نائبا للرئيس ووزيرا للاوقاف . وادخل فيها ٩ وزراء جدد من اساتذة الجامعة هم الدكاترة : محمد حلى مراد واحمد مصطفى احمد والسيد جاب الله والمهندس حسن مصطفى ومحمد بكر احمد وعبد العزيز حجازي . ومحمد حافظ غانم ومحمد صفى الدين ابوالعز وعبد العزيز كامل نائبا لوزير الاوقاف . وذلك كمحاولة من النظام لبعث الهدوء في نفوس الطلبة واشعارهم بمشاركة الجامعة في سلطة الحكم ، وخاصة ان عددا من المختارين كان له دور نشيط في الاتصال بالطلبة .

كان عدد الضباط السابقين في هذه الوزارة ١١ وزيرا ، وعدد الوزراء من اساتذة الجامعة السابقين او الجدد ١٢ وزيرا ، وهي المرة الاولى التي تغلب فيها النسبة العددية لاي فئة من الفئات نسبة العسكريين في الوزارة التي ضمت ٣١ وزيرا .

ولم تقف الاجراءات عند حدود محاولة اقناع الطلبة بان السلطة تقترب منهم وتفتح ابوابها لهم ، وانما تجاوزت ذلك الى تنشيط (طليعة الاشتراكيين) داخل الجامعة في محاولة للسيطرة السياسية عليها . وقد صحب ذلك بعض الاخطاء التي اثارت الطلبة وأبرزت ألوانا من التناقض بينهم وبين عناصر (طليعة الاشتراكيين) الذين كانوا يعملون سرا حتى ذلك الوقت .

كما اكتشفت وزارة الداخلية ان قواتها أعجز من القدرة على مقاومة مظاهرات طلابية جارفة ، فشكلت (قوات الأمن المركزي) بعد بلوكات النظام لتكون قوة ضاربة قادرة على تفريق المظاهرات قبل نزول القوات المسلحة وما يشكله نزولها من أخطار تهدد استقرار النظام ، وأرسلت عددا من ضباط الشرطة الى فرنسا للتدريب على مواجهة المظاهرات .

وفرضت مظاهرات الطلبة وما صاحبها من تأييد شعبي على جمال عبد الناصر أن يعيد النظر في الموقف السياسي .

وفتح جمال عبد الناصر المناقشة حول الأوضاع الراهنة في مجلس الوزراء ، وطلب من الجميع أن يتحدثوا في صراحة مطلقة باعتبارهم مشاركين في قمة المسئولية .

ويقول ضياء الدين داود وزير الشؤون الاجتماعية والذي كان امينا للاتحاد الاشتراكي بمحافظة دمياط ان جميع أعضاء المجلس قد أدلوا بأرائهم في مختلف الاساسيات والفرعيات أيضا .

وانبرى أساتذة الجامعة والوزراء الجدد يطرحون آراءهم .
وتحدث الدكتور عبد العزيز كامل عن المعتقلات والسجون وعما تعرض
له هو شخصيا .

وأثار الدكتور حلمى مراد كثيرا من القضايا ومن ضمنها الصلاحيات
المعطاة لبعض العسكريين ومواقفهم الخاطئة . . وخاصة ماحدث من سفير
مصر فى أسبانيا أحمد أنور قائد الشرطة العسكرية السابق فى سنوات
الثورة الاولى بن اعتداء بالضرب على مستشار السفارة مصطفى توفيق الذى
كان ضابطا صغيرا تحت قيادته فى الشرطة العسكرية ايضا .

ويقول ضياء الدين داود ان جمال عبد الناصر قد قال له ان الضباط
الاحرار الذين قاموا بالثورة كانوا ٩٠ ضابطا تقريبا ، وأن له التزاما معنويا
قبلهم . وخاصة أن منهم من تعرض للاعتقال والمحاكمة ، ومنهم من أبعد
لثبوت عدم كفاءته ، ومعظمهم ترك القوات المسلحة ليشق طريقا جديدا فى
الحياة المدنية ربما لم يتعود عليه .

دافع جمال عبد الناصر عن أخطاء زملائه الذين قاموا بالثورة معه من
موقع انساني . . وكان يدرك انه يتحمل فى النهاية أخطاء وانحرافات
البعض منهم . . ولكنه لم يقبل التخلي عنهم .

كان الاعتماد على الضباط بكل مافيه من ايجابيات وسلبيات هو
الطريق الذى اختاره جمال عبد الناصر ، بدلا عن تكوين كادر سياسى فى
اطار حزبى . . سواء منهم أو من غيرهم دون تفرقة بين العسكريين
والمدنيين .

كانت المناقشات الصريحة التى دارت فى مجلس الوزراء تعبر عن
رغبة جمال عبد الناصر فى التعرف على نبض الجماهير .

وتبلورت محصلة الآراء وغيرها فى بيان عرضه عليهم ووافقوا عليه ،
ثم قال لهم بعد الموافقة : (مفيش حد نفسه فى حاجة نضيفها للبيان) .

هكذا دارت المناقشات وانتهت الى اقرار جماعى للبيان .
وقد حاول الدكتور حلمى مراد فيما بعد ان يصور الامور وكان
عبد الناصر قد أخذ منه موقفا لانتقاداته .

ولم يكن هذا صحيحا على اطلاقه . . كما ان صدور قرار منع اشتغال
الوزراء فى تعاقبات خارجية الا بعد ترك الوزارة بخمس سنوات لم يكن
موجها ضد الدكتور حلمى مراد . . وانما كان موجها ضد تصرفات اثنين
من الضباط السابقين .

الاول : أمين شاكر وزير السياحه السابق ، الذى سجل عليه أحد
كبار الصحفيين اللبنانيين فى دار صحفيه تمولها مصر ، حديثا مليئا بالتهجم
والسباب فى جمال عبد الناصر . فى الوقت الذى كان قد بدأ فيه تعاونا
وثيقا مع بعض الاثرياء فى دول الخليج .

ولم يجد جمال عبد الناصر سبيلا للرد على هذا الضابط الذى كان
مديرا لمكتبه سنوات طويلة الا تحديد اقامته فى منزله .
والثانى : محمود يونس الذى دعتة هيئات ومؤسسات أمريكية لزيارة

بعض مدنها ، وساعدته في فتح مكتب يعمل في شؤون البترول والتجارة في بيروت ، وذلك فور خروجه من الوزارة في ٢٠ مارس ١٩٦٨ .
وكان القرار بمنع اشتغال الوزراء مستهدفا عدم التأثير عليهم مثل وزراء العهود السابقة للثورة الذين كانت ترتبط مصالحهم بالشركات المحلية أو الاجنبية .

وقبل أن يمضي أربعون يوما على مظاهرات الطلبة كان جمال عبد الناصر يخاطب الشعب من الاذاعة والتلفزيون يوم ٣٠ مارس ١٩٦٨ الموافق لرأس السنة الهجرية في بيان اشتهر بهذا التاريخ .

كان البيان محاولة من جمال عبد الناصر لتوضيح الموقف للشعب عامة ولطلبة والعمال خاصة ، وأبرز للناس ما تحقق من إعادة بناء القوات المسلحة ، والنجاح في تحقيق الصمود الاقتصادي ، وتصفية مراكز القوى ومحاكمتها وما صاحب ذلك من كشف للانحرافات . وخلق علاقات صداق مع كثير من الدول وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

وتحدث جمال عبد الناصر عن إعادة تشكيله للوزارة معتبرا (انه جاء الى واقع الحكم بصفوة من شباب هذا الوطن ، لا يدين أحد منهم بمنصبه لاي اعتبار) . كما وعد باجراء تغيير في كافة المجالات . . الانتاج والسلوك الديبلوماسي والإدارة المحلية قائلا :

(ان التغيير المطلوب لا بد وأن يكون تغييرا في الظروف وفي المناخ والا فان أي أشخاص جدد في نفس الظروف وفي نفس المناخ سوف يسيرون في نفس الطريق الذي سبق اليه غيرهم) .

وبعد أن ركز جمال عبد الناصر على أهمية المعركة باعتبارها (اختيارا للنصر والشرف والحياة) . . قال ان الاتحاد الاشتراكي هو الصيغة الملائمة لتجنب (دمية الصراع الطبقي) وأعلن عن ضرورة إعادة بناء الاتحاد الاشتراكي بالانتخاب من القاعدة الى القمة ، على أن يظل المؤتمر القومي قائما الى ما بعد ازالة آثار العدوان ، وأن تظل اللجنة المركزية المنتخبة في حالة انعقاد دائم وأن يوكل اليها الى جانب مسئولياتها المتعددة واجب بناء التنظيم السياسي لطلائع الاتحاد الاشتراكي .

كما أشار البيان الى ضرورة انشاء المجالس المتخصصة ، وعدد بعض المبادئ التي لاخلاف عليها ليتضمنها الدستور الجديد .

أعلن جمال عبد الناصر ان البيان سوف يكون موضع استفتاء الجماهير يوم ٢ مايو ١٩٦٨ ، وانه منذ ذلك التاريخ سوف تشكل لجنة مؤقتة تشرف على انتخابات الاتحاد الاشتراكي من خمسين عضوا ثم تضم بعد ذلك الى المؤتمر القومي .

كان هذا البيان محصلة لتفكير جمال عبد الناصر في هذه المرحلة . . وهو في مضمونه كان وثيقة هامة تضاف الى الميثاق بعد ست سنوات من صدوره .

وافق الشعب على بيان ٣٠ مارس في الاستفتاء العام الذي أجرى يوم ٢ مايو ، وانتهت أعمال أمانة الاتحاد الاشتراكي ، كما انتهت أعمال أمانة

منظمة الشباب • واعيد أحمد كامل محافظاً قبل أن نكتمل خطته التي شجعه جمال عبد الناصر على تنفيذها ، والتي حاول بها تجميع الشباب ، وبعث الامل في نفسه •

وحدث أن قرر جمال عبد الناصر الذهاب الى جامعة القاهرة لالقاء خطبة في قاعة الاحتفالات ، ولم يكن في البرنامج دهوة ممثل عن الطلبة لالقاء كلمة •

وهدد أعضاء اتحاد جامعة القاهرة بالاستقالة اذا لم يتحدث ممثلهم في حضور جمال عبد الناصر ، وأبلغني ابني علاء بذلك محتجاً على اهمال ممثل الطلبة وكان قد أصبح عضواً في الاتحاد عن كلية الآداب ، فاتصلت بشعراوي جمعة موضحاً له ان مظهر الاستقالة سوف يكون مسيئاً ، وانه لابد من اتاحة الفرصة لممثل الطلبة بدعوته للحضور والحديث • وبعد ساعة تقريباً اتصل بي وأبلغني بأن جمال عبد الناصر قد وافق على ذلك ، فأبلغت ابني علاء الذي أبلغ أعضاء الاتحاد الذين قرروا ان يكون الدكتور عبد الحميد حسن رئيس اتحاد جامعة القاهرة هو المفوض في الحديث باسم الطلبة ،

طالب عبد الحميد حسن في خطبته برفع الوصاية عن الاتحادات الطلابية بتشكيل اتحاد عام لطلبة الجمهورية •

تم تشكيل أول اتحاد عام لطلبة الجمهورية في أغسطس ١٩٦٨ ، وانتخب الدكتور عبد الحميد حسن ممثل جامعة القاهرة رئيساً له بفارق صوت واحد عن الدكتور حلمي نهوش رئيس اتحاد جامعه عين شمس • وقد صدرت لائحة عن المؤتمر تنص على إلغاء رواد الاتحاد من الاساتذة واعتبر ذلك من أكبر المكاسب التي حصل عليها الطلبة •

ولكن هذا المكسب لم يستمر طويلاً ، فقد أصدر جمال عبد الناصر قراراً جمهورياً من مادة واحدة في نوفمبر ١٩٦٨ ينص على تعيين رواد من هيئة التدريس في لجان الاتحاد ومجالسه بالنسبة للكليات والمعاهد • وأن يعين رائد للاتحاد العام من أمانة التنظيم •

كما أن عبد الحميد حسن كان قد استقال من رئاسة الاتحاد العام ، تفادياً لطلب بسحب الثقة منه ، نظراً لسفره في مهمات الى الخارج عن طريق مكتب سامي شرف سكرتير الرئيس للمعلومات دون الحصول على موافقة أعضاء الاتحاد العام • وتولى رئاسة الاتحاد من بعده حسن عيد •

بدأ عام دراسي جديد ومشاعر الطلبة لم تهدأ تماماً ، رغم بيان ٣٠ مارس ، وما حصلوا عليه من مكاسب •

وتفجر الموقف في المنصورة ، اثر قرار لمحمد حلمي مراد وزير التربية والتعليم خاص بسياسة القبول في المدارس الخاصة • قامت المظاهرات في المدارس الثانوية لمدة يومين ، ثم تصدى لها رجال الشرطة وأطلقوا الرصاص ، فقتل ثلاثة وأصيب آخرون وتعاطف الاهالي مع الطلبة في هجومهم على مديرية الأمن •

اشترك طلبه طب المنصورة في اليوم الثالث للمظاهرات ، واعتقلت الشرطة عددا منهم ٠٠ وعندما انتقل الخبر للقاهرة خرجت مظاهرة من جامعة القاهرة تصدى لها البوليس عند موبرى الجامعة وتم تفريقها ٠٠ اما الاسكندرية فقد أصدرت اتحادات الطلاب تحت ضغط جماهير الطلبة بيانات تطلب التحقيق مع المسئولين عن اطلاق الرصاص ومحاكمة وزير الداخلية ، والتساؤل عن السبب في عدم تطبيق بيان ٣٠ مارس .

اعتصم طلبة هندسة الاسكندرية ومعهم بعض الطلبة الآخرين بعد قيامهم بمظاهرة حاصرها البوليس الذي اعتدى على عاطف الشاطر رئيس اتحاد الطلبة الذي يحمل علم الاتحاد .

هرع أحمد كامل محافظ الاسكندرية وأمين الشباب السابق الى الجامعة لمواجهة الموقف بنفسه ، ولكن المشاعر الثائرة دفعت الطلبة الى اعتقاله الى حين الافراج عن عاطف الشاطر .

توتر الموقف في المدينة توترا شديدا ، وتجمعت قوات الصاعقة للقوات المسلحة في استاد الاسكندرية ، وحلقت طائرات هليكوبتر فوق مباني الكلية . وكاد يحدث صدام دموى لولا استجابة السلطات لرغبة الطلبة ، وتم الافراج عن أحمد كامل .

دعا جمال عبد الناصر الى دورة طارئة للمؤتمر القومي لمناقشة أحداث الطلبة حيث تلا تقريرا من وزير العدل ووزير الداخلية ضد المظاهرات . وفي نهاية الدورة الطارئة أصدر جمال عبد الناصر القرار الجمهوري الذي أشرت اليه والذي يقضي بعودة نظام (رواد الاتحاد) .

لم تنته المظاهرات الى تصفية سلمية بين السلطة والطلبة ٠٠ وبرز دور أصحاب الاتجاهات اليسارية في تحريك جموع الطلبة والحصول على نقتهم .

وكانت هذه هي المرة الاولى التي يظهر فيها يسار جديد خارج عن حدود تنظيمات ثورة يوليو لمحاولة لعب دور سياسي قيادي ٠٠ وفي مقابل ذلك نشطت (طليعة الاشتراكيين) في محاولة فرض قيادة من بين صفوفهم . وبدأ تنافس واضح في مؤتمر اتحاد طلبة الجمهورية الذي عقد في ابريل ١٩٦٩ لمناقشة قضايا الطلبة وانتخاب مجلس جديد ٠٠ ولكن المؤتمر انجرف تماما نحو الانتخابات ولم يناقش أية قضية أخرى .

ودارت المنافسة على رئاسة الاتحاد بين جمال عفيفي رئيس اتحاد جامعة القاهرة والمرتبطة بتنظيم طليعة الاشتراكيين وبين علاء حمروش نائب رئيس اتحاد جامعة القاهرة والذي لم يكن عضوا في طليعة الاشتراكيين .

تكتلت كل القوى غير المنتمية لطلليعة الاشتراكيين رفضا منها لمحاولة هذا التنظيم فرض أعضائه ٠٠ ورغم اختلاف الانتماءات والاتجاهات السياسية فانهم اتفقوا على انتخاب علاء حمروش المعروف بميله اليسارية . وتصادف بعد ذلك أن توقفت المظاهرات خلال عامي ١٩٦٩ ، ١٩٧٠

حيث بدأ اتحاد طلبة الجمهورية يلعب دورا سياسيا ، ويبادر الى اتخاذ مواقف تعبر عن ارادة الطلبة وترضى مشاعرهم الثورية .

وخرج اتحاد طلبة الجمهورية عن الاطار المحلى لأول مرة ، فقرر الانضمام الى اتحاد الطلبة العالمى ، واستجابت السلطة الى ذلك حرصا على

تفادى الصدام ، كما ظهر نوع من التعاون الأوثق مع المقاومة الفلسطينية نتيجة بروز دورهم المتزايد في ساحة النضال العربي .
وقد فطنت القيادات السياسية في طليعة الاشتراكيين الى انه من الافضل أن يحدث تجاوب مع الطلبة في تنظيماتهم الخاصة دون محاولة فرض بعض الافراد عليهم ، أو اجبارهم على الخضوع الكامل لارادة السلطة .

وقد حدث نوع من التناسق السليم بين شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين ، وبين علاء حمروش رئيس اتحاد طلبة الجمهورية ، أمكن فيه من طريق النقاش والمصارحة تفادى كثير من الازمات .
ولاشك ان ظهور الجدية في مجابهة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، والقتال المستمر في جبهة القتال كان عاملا مؤثرا في تهدئة الطلبة وإبتعادهم عن المظاهرات الى حين .

الاتحاد الاشتراكي .. والانتخابات

الاجراء العمل الوحيد الذى بادرت القيادة الى تنفيذه من بيان ٣٠ مارس هو اجراء الانتخابات في الاتحاد الاشتراكي ليكتمل تنظيمه الهرمي وتدارس لجنته المركزية - التي نص البيان على ان تكون في حالة انعقاد دائم - تمارس صلاحياتها ومسئوليتها السياسية .

جرى الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس في شهر مايو ، وجرت انتخابات الاتحاد الاشتراكي خلال شهري يونيو ويوليو ١٩٦٨ .

كان التكالب واضحا على الترشيح ، ولم تتدخل أى جهة مسؤولة لوقف هذا الاندفاع الذى وصل في بعض الشركات الى حد تقديم ٢٣٠ شخصا لانفسهم كمرشحين للجنة العشرين امام ١٧٠٠ ناخب فقط . ولم تظهر فكرة الاعتراض على أى من المرشحين كما كان قد حدث من اعتراض على عضوية الاتحاد الاشتراكي عند بدء تأسيسه عام ١٩٦٢ ثم سحب هذه الاعتراضات .

وتشير هذه الظاهرة الى ان العمل السياسي خلال السنوات السابقة لم يحدث تأثيرا ونضجا سياسيا يفرز العناصر القادرة على تحمل عبء مسئولية العمل السياسي ، واما انه كان مرفوضا لان الهزيمة حدثت خلال هذه السنوات .

تمت الانتخابات في مرحلة فقد فيها الناس كثيرا من ثقتهم ، وأصبحوا يقدمون الشك على اليقين ، ويرفضون أن يسلموا بشئ دون اقتناع . . . ويتشبثون بالديموقراطية التي أصبحت هدفا يتطلع اليه الناس فيما يشبه التحدي .

ولكن الانتخابات وحدها لم تكن كفيلة بتحقيق الديمقراطية الصحيحة في هذا الجهاز الجماهيري الضخم الذى يضم عدة ملايين ، والذى تسيطر عليه في القمة شخصيات معروفة لم تتغير .

وكتبت في روز اليوسف عدد ٢٤ يونيو مقالا تحت عنوان (ليس

بالانتخابات وحدها) جاء فيه :

(اننا يجب ان نضع الانتخابات فى موضعها الصحيح .. لانقلل من أهميتها كوسيلة لاتسابق ثقة الجماهير ومحاولة الوصول الى صورة صحيحة لارادتها .. ولا نجسم منها باعتبارها فى ذاتها سوف تخلق الثقة وتحقق الديمقراطية .

فانه ليس بالانتخابات وحدها .. تتحقق الثقة ، وتزدهر الديمقراطية) .

أذكر ان طليعة الاشتراكيين قد تدارست موضوع الانتخابات والترشيحات .. وان هذا الموضوع قد أثر فى لجنة الاعلام التى كان يرأسها محمد فائق وزير الاعلام وكانت تضم أحمد بهاء الدين وفتحى غانم ومصطفى بهجت بدوى ومحمد عروق وهمت مصطفى ومحمود العالم وكاتب هذه السطور .

ونظرا لزيادة الراغبين فى الترشيح فقد اقترحنا أن يدخل الراغبون فى ذلك دون قيود وان تترك لهم فرصة الاتصال المباشر مع الناخبين . وخاصة فى الدوائر التى تضم عددا كبيرا من الشخصيات المنضمة لطليعة الاشتراكيين مثل دوائر قصر النيل وعابدين ومصر الجديدة وغيرها حيث كان مطلوبا فى النهاية نجاح ٤ فقط فى دائرة القسم للمؤتمر القومى .

تم الاتفاق على ذلك ولم تصدر تنظيمات طليعة الاشتراكيين فى هذه الدوائر قوائم ترشيحات بالمرشحين الذين سوف يساندتهم أعضاؤها ... وأذكر اننا دخلنا الانتخابات بناء على ذلك متوجهين الى الناخبين فى مؤسساتهم الجماهيرية ومواقع عملهم .

ولكن تدبيرات سرية كانت قد اتخذت لانجاح أسماء واسقاط أخرى .

واذا أخذنا دائرة قصر النيل مثالا لوجدنا ان الاتحاد الاشتراكي فى القسم كان متحيزا مسبقا ضد بعض المرشحين وأنا واحد منهم . وكان الامر المثير أنى كنت مازلت عضوا فى أمانة طليعة الاشتراكيين وعضوا فى لجنة الاعلام أيضا .. وصلتى كانت وثيقة بشعراوى جمعة . ومحمد فائق .

وفى أحد الاجتماعات بمكتب قسم قصر النيل فوجئت بمحاولة بعض الاعضاء بالتدخل لمنى من الخطابة ، ولكنى أخذت منهم موقفا جادا وهاجمت هؤلاء الذين يحاولون ان يقتلوا أول تجربة ديمقراطية داخل التنظيم الواحد وهى مازالت بعد فى مهدها ، فتراجعوا الى مقاعدهم وساد الصمت والهدوء .

وكان ضمن قائمة المرشحين بعض المنتمين لطليعة الاشتراكيين مثل محمد فائق والدكتور حسين كامل بهاء الدين سكرتير منظمة الشباب السابق وضابط الشرطة السابق صلاح عبد المعطى الذى كان يعمل موظفا اداريا معنا فى الأمانة وكان أميننا للاتحاد الاشتراكي بالقسم والدكتور عزت سلامة وكاتب هذه السطور .. ثم الدكتور ثروت عكاشة ويوسف السباعي والدكتور زكى هاشم وآخرين .

وعندما تبينت موقف العداء غير المبرر منى اتصلت بشعراوى جمعة
ومحمد فائق واكد لى الاثنان ان الحركة حرة ومفتوحة .

وخضت الحركة الى نهايتها فى حماس شديد . ثم تبين لى أن أربعة
أسماء قد وزعت على الجميع لتصعد الى المؤتمر وأن عشرين اسما أخرى قد
حددت أعضاء لجنة قسم قصر النيل .

وظهرت النتيجة مطابقة تماما لهذه الاختيارات السرية ، ونجح محمد
فائق وحسين كامل بهاء الدين وصلاح عبد المعطى وأمين حلمى رئيس هيئة
التصنيع وسقط الباقون .

وكان ضمن الذين أحكمت حولهم حلقة التآمر أيضا الدكتور ابراهيم
سعد الدين عضو الامانة العامة لمعهد الدراسات الاشتراكية والذي رشح
نفسه فى دائرة على صبرى وعبد العزيز حجازى بالشرقية وفوجئ أيضا
بتدبيرهم لعملية اسقاطه . . كان هذا اتجاها واضحا ضد اليسار والذي
يمكن ان يحمل كلمة المعارضة .

وتبينت فيما بعد ان هذه الانتخابات قد تمت فى وقت كانت صلتى
فيه بامانة طليعة الاشتراكيين قد انقطعت دون اخطار . . فقد حدث قبل أن
تنفجر مظاهرات الطلبة واثناء اجتماع للامانة فى مكتب شعراوى جمعة
بمقر الوزارة المركزية سابقا فى هليوبوليس أن نهبت الحاضرين وشاركنى
فى ذلك أحمد كامل الذى كان أمينا للشباب وقتها وكان عائدا لتوه من
رحلة الى الوجه القبلى . . نهبت الى خطورة الموقف لبأس الناس من احتمالات
تغيير حقيقى فى المجتمع يؤدى الى تحرير الارض المحتلة ، وقصد كل السدم
الفاسد فى مواقع المسئولية وليس فى القوات المسلحة وحدها كما كشفت
الهزيمة .

وكان اجتماعا ساخنا . . أعلنت فيه مسئوليتنا التاريخية فى هذا
المستوى التنظيمى الذى يمثل القلب . . وطالبت بضرورة مصارحة جمال
عبد الناصر بالموقف باعتباره قائدا للتنظيم .

ولم يجد شعراوى جمعة من سبيل أمام هذا التيار الذى اشترك فيه
عدد من أعضاء الامانة سوى اقتراح تشكيل لجنة من أحمد كامل وسامى
شرف ومحمود أمين العالم وكاتب هذه السطور لصياغة تقرير سياسى لجمال
عبد الناصر عن حقيقة الوضع واقتراح مايمكن ان نراه من علاج لتفادى
مايمكن ان يحدث فى المستقبل .

واجتمعت هذه اللجنة الفرعية فى مساء اليوم التالى مباشرة بمكتب
سامى شرف ، وبدأنا فى تدارس الموقف . . واذا بمنير حافظ أحد كبار
الموظفين بمكتب سامى شرف يدخل علينا معلنا أن هناك تجمعات فى أماكن
كثيرة تعلن احتجاجها على بساطة الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران .

واعتبرت أن فى ذلك دعما لموقفنا . واثباتا لسلامة تصورنا . . .
ولكنى فوجئت بمحمود أمين العالم وكان وقتها مقربا جدا من قمة السلطة .
ومتوليا مسئولية رئاسة مجلس ادارة أخبار اليوم . . فوجئت به يطلب

انهاء الاجتماع حتى تتفرغ القيادة لمباشرة مسئولياتها .
وتلقت حولى باحثا عما يقصده ، فاذا به يشير الى سامى شرف الذى
لم يكذب يسمع هذه الكلمات التى انت اليه كطوق الانقاذ حتى تشبث بها ،
وأعلن تأجيل الاجتماع الى موعد يحدد فيما بعد .
ولكن طال الزمن بلا تحديد لموعد اجتماع جديد .
وقامت المظاهرات ووضحت اتجاهات الجماهير .
وكانت هذه هى صلتى الاخيرة بأمانة طليعة الاشتراكيين .. لم يبلغنى
أحد اننى أقصيت عنها .. ولم أعرف انها تجتمع .. وعادوت محاولاتي
السابقة مع شعراوى جمعة مطالبا باجتماع الامانة ولكنه كان دائما يعتذر
بكثرة مشاغله .

وعرفت بعد وقت طويل انه منذ هذه الجلسة الساخنة ، ومنذ ذلك
الاجتماع فى مكتب سامى شرف ، انه قد أقصى عن الامانة كل من أمين
هويدى والدكتور عبد المعبود الجبيل وكاتب هذه السطور .
وليس هذه الصورة الا نموذجا لفقدان الديمقراطية داخل التنظيم .
والاصرار على التعاون مع الذين لا يعرفون النقد او المعارضة .. فى محاولة
لثبیت سلطة شخصيات معينة .

أذكر اننى أثرت هذه القضية مع على صبرى أثناء مقابلتى له خلال
مظاهرات الطلبة ، واننى اقترحت عليه أن يتم الترشيح لانتخابات الاتحاد
الاشتراكي بتفاعل ديمقراطي داخل طليعة الاشتراكيين حتى يمكن أن
تفرز الانتخابات عناصر صالحة تكتسب ثقة القاعدة .. وانه كان هادئا
ومطمئنا وفيما يبدو واثقا من النتيجة :

والحقيقة ان انتخابات الاتحاد الاشتراكي قد جرت فى ظروف ملائمة
تماما لعل صبرى .. فكان خروج زكريا محيى الدين فى مارس ١٩٦٨
ابعادا لشخصية قوية يؤهلها تاريخها واقداميتها وعضويتها السابقة لمجلس
قيادة الثورة أن تكون البديل لجمال عبد الناصر فى أى ظرف مفاجئ .
وخاصة بعد ترشيح جمال عبد الناصر له ليكون بديله فى رئاسة الجمهورية
أثناء خطاب التنحي .

ولم يكن زكريا محيى الدين قريبا من الاتحاد الاشتراكي ، فقد انتهت
صلته به بعد الجهد الذى بذله فى تكوين منظمة الشباب فى عهدها الاول ،
وبعد انتهاء اشرافه على محافظة الجيزة فى الفترة الاولى لتكوين الاتحاد
الاشتراكي عام ١٩٦٣ .

كان ابعاد زكريا فرصة لثبیت أقدام على صبرى فى أرض المسئولية
.. فقد كان هو الوحيد المرتبط بالاتحاد الاشتراكي وطليعة الاشتراكيين
من بين نواب رئيس الجمهورية السابقين .

أنور السادات كان رئيسا لمجلس الامة .. وحسين الشافعى اقتصر
عمله فى وزارة ٢٠ مارس ١٩٦٨ على أن يكون نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا
للارواقف .. وعبد المحسن ابو النور الذى كان مسئولاً فى الاتحاد الاشتراكي
أصبح وزيرا للإدارة المحلية .

وهكذا كانت الفرصة متاحة لعل صبرى .. بعد انتحار المشير عامر ،

وابعاد ذكرى محيي الدين وقد صدرت وزارة ٢٠ مارس وهو ليس عضوا بها بعد ان كان في وزارة ١٩ يونيو ١٩٦٧ نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للادارة المحلية .

وكان هذا يعني تخصصه في الاتحاد الاشتراكي ومسئوليته عنه .
وكتبت في روزاليوسف تعليقا على انتخابات أعضاء المؤتمر العام قبل انعقاده بيوم واحد في ٢٢ يوليو ١٩٦٨ قائلا :
(علينا ان نفرق بين الالتزام والالتزام .

الالتزام يعني التبعة المطلقة دون حوار أو مناقشات . وهو ما يؤدي الى الغاء الشخصية الذاتية . أما الالتزام فهو الحرص على الارتباط بتنظيم ديموقراطي يحقق هدف أعضائه ، ويتيح لهم فرصة التعبير والمناقشة وتوضيح الرأي الخاص مع الالتزام برأي الأغلبية . وهو ما يؤكد شخصية العضو وارتباطه بالآخرين) .
ولكن الأمر كان قد انقضى . وتشكل المؤتمر القومي بأسلوب الاختيار تقريبا .

ويبدو ان جمال عبد الناصر قد استشعر مدى المعارضة والرفض لاسلوب الانتخابات فأثر أن يؤجل انتخاب اللجنة المركزية حتى يتعارف أعضاء المؤتمر القومي - على حد تعبيره - وأجريت الانتخابات .
ويمكن القول بأن علي صبري كان له الرأي الاول في اختيار معظم أعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ولجنته المركزية ، بل وفي لجنته التنفيذية العليا ايضا التي تم انتخابها يوم ١٩ أكتوبر ١٩٦٨ . فقد حصل على أعلى الاصوات ، وكان ترتيب اللجنة من حيث عدد الاصوات كما يلي من بين ٢٠ مرشحا منهم ٧ ضباط :

علي صبري (١٣٤ صوتا) - حسين الشافعي (١٣٠) - محمود فوزي (١٢٩) - أنور السادات (١١٩) - رمزي استينو (١١٢) - ضياء الدين داود (١٠٤) - عبد المحسن أبو النور (١٠٤) - ليبب شقير (٨٠) .

أما بقية المرشحين فلم يدخلوا اللجنة اذ حصلوا على أقل من ٥٠٪ من الاصوات . كمال الحناوي (٦٤) على السيد علي (٦٢) كمال رفعت (٥٠) - حسن عباس زكي (٣٧) جابر جاد عبد الرحمن (٣٤) سيد مرعي (٣٣) - عزيز صدقي (٣٣) أحمد فهمي (٣٠) - خالد محيي الدين (٢٠) أحمد سيددرويش (١٤) مصطفى أبو زيد فهمي (١٢) - فهمي منصور (١٠) .

وكانت فرصة علي صبري في الحصول على أعلى الاصوات نابعة من صلتة ومعرفته الشخصية بمعظم أعضاء اللجنة المركزية فقد عين سكرتيرا عاما للاتحاد الاشتراكي بعد استبداله كرئيس للوزراء بذكرى محيي الدين عام ١٩٦٥ .

أجل جمال عبد الناصر انتخاب الاثنين اللذين يكملان عدد أعضاء اللجنة التنفيذية إلى عشرة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي لفترة قادمة .
واستقال من الوزارة تبعا لقانون الاتحاد الاشتراكي أيضا أربعة وزراء نجحوا في انتخابات اللجنة التنفيذية العليا وهم : حسين الشافعي

وضياء الدين داود وعبد المحسن أبو النور ولييب شقير .
ويلاحظ ان نسبة الضباط في اللجنة التنفيذية العليا ، وهي قمة
السلطة في الجمهورية العربية المتحدة مازالت عالية (٤ ضباط غيرعبدالناصر
وأربعة مدنيين) ٠٠ بينما لم يتجاوز عدد الضباط في اللجنة المركزية (١٢
ضابطا من ١٥٠ عضوا) .
كما انه لم ينجح أحد من العمال والفلاحين ، ولم يتقدم للترشيح سوى
عاملين واحد الزراعيين ، بينما بلغ عدد المرشحين من الوزراء والوزراء
السابقين ١٢ مرشحا .

والنظرة الى اسماء الناجحين والراسبين تؤكد ان هناك قوة منظمة كانت
تتحرك بايحاء معين مؤثر في توجيه الانتخابات ٠٠ وكل الذين فازوا كان
قد أوحى لهم بترشيح انفسهم ، استمرارا وتأكيدا لاسلوب الاختيار من اعلى
بعيدا عن التفاعل الديمقراطي السليم .
قال لي عدد من الذين سقطوا ان أحدا لم يهمس لهم بالترشيح ٠٠
والقاعدة كانت أن ينتظر الاعضاء تعليماتهم من المستويات الأعلى دون أية
مبادرة منهم .

وكان شعراوى جمعة أمين التنظيم هو الذي رأس اللجنة التي تتلقى
طلبات الترشيح ، واستمر بعد ذلك منضما الى رؤساء اللجان الخمس
الدائمة التي انبثقت عن اللجنة التنفيذية العليا ليشكلوا اللجنة الدائمة
للاتحاد الاشتراكي ، والتي تعتبر بمثابة اللجنة الهامة التي تملك مفتاح
الاتحاد الاشتراكي .

كان توزيع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا قد تم على النحو الآتي :

أنور السادات رئيسا للجنة السياسية - علي صبري رئيسا للجنة
التنظيمية - عبد المحسن أبو النور رئيسا للجنة الشؤون الداخلية - لييب
شقير رئيسا للجنة التطور الاقتصادي - ضياء الدين داود رئيسا للجنة
الثقافة والاعلام .

وكان جمع شعراوى جمعة بين عمله المسئول في التنظيم واستمراره
وزيرا للداخلية هو الاستثناء الوحيد الذي يشير الى أهمية الدور المساعد الذي
كان يدفعه اليه جمال عبد الناصر ٠٠ هذا الى جانب كونه أمينا لطليعة
الاشتراكيين أيضا .

كانت كل الظروف تهيب شعراوى جمعة ليصبح رجل السلطة ورجل
التنظيم القوى بعد جمال عبد الناصر وعلى صبري .

ولكنه كان وحده من أمانة طليعة الاشتراكيين الذي أوكل اليه هذا
الدور ، فلم يصل أحد من أمانة الطليعة الى اللجنة التنفيذية العليا . . .
وشعراوى نفسه لم يكن عضوا رسميا بها ، وإذا حضر اجتماعاتها فليس له
حق التصويت .

الظاهرة الملحوظة ان عدد الضباط قد انحصر في نسبتهم باللجنة
المركزية . وان بعض العناصر المدنية قد بدأت تلعب دورا أساسيا مستولا

يزيد في واقعه ومضمونه عن الدور الذي يلعبه بعض العسكريين أصحاب التاريخ والارتباط بسلطة الثورة .

قال لي شعراوى جمعة ردا على استفسار عن الاسلوب الذى اتبع في انتخابات اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا بان طليعة الاشتراكيين كانت تستقر على ترشيح أعضاء معينين وتطلب من اعضائها مساندتهم ولأيديهم ، دون تدخل أو تزيف في الانتخابات .

وعن انتخابات اللجنة التنفيذية العليا قال ان جمال عبد الناصر كان قد ارتضى ترشيح ستة أعضاء هم أنور السادات وعلى صبرى وحسين الشافعى وضياء داود ورمزى استينو والدكتور محمود فوزى وقام شعراوى بأبلاغ أعضاء طليعة الاشتراكيين بمساندة هؤلاء مضيفا اليهم اسمى لبيب شقير وعبد المحسن أبو النور .

لم يعترض جمال عبد الناصر على ترشيح احد للجنة التنفيذية العليا سوى خالد محيى الدين الذى كان قد ارتضى دخوله اللجنة المركزية رغم اتجاهاته اليسارية . ولم يخفق في انتخابات الاقسام والمراكز كما حدث مع الدكتور ابراهيم سعد الدين ومع كاتب هذه السطور . كانت الرغبة مازالت قائمة فى منع اليساريين من الوصول الى مراكز المسئولية القيادية .

ويقول شعراوى ان الانتخابات بعد ذلك قد تمت دون توجيه او تدخل فى اختيار بقية الاعضاء .

ويقول أيضا ان جمال عبد الناصر كان ينوى تغيير اقدمية أعضاء اللجنة التنفيذية تبعا للاصوات التى يحصلون عليها . ولكنه بعد ظهور النتيجة تراجع عن ذلك (حتى لايزعل أنور السادات) على حد تعبيره .

خلافات على المسرح

كان هناك حرص على ان تدور الخلافات بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى الكواليس ولا تظهر مطلقا أمام الجماهير . كانت أزمة مارس ١٩٥٤ استثناء فجرت استقالة محمد نجيب . . . ثم مضت الامور بعد ذلك فى مظهر يوحى بالوحدة والاتفاق وتقدير زعامة جمال عبد الناصر .

لم يعرف الناس ان هناك خلافا بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . . ولم يطلع أحد على دوافع استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي ثم حسن ابراهيم . كل الخلافات دارت فى الكواليس . . ولم تظهر أبدا على خشبة مسرح الحياة السياسية .

ولكن الهزيمة غيرت هذا الاسلوب .

محاكمة ضباط مجموعة المشير أسقطت القناع عن الوجه القبيح للثورة . . وظهرت كثيرا من الاخطاء والانحرافات . . وكشفت ان عددا من المسئولين عن حماية الاستقلال الوطنى فى القوات المسلحة كانت قلوبهم

تميل الى الولايات المتحدة رغم دورها البارز في التحضير للعدوان والمساهمة فيه بمساعدة اسرائيل ،

ولم تتورع الصحف عن نشر أنباء المحاكمات . والتشهير بما دار فيها من وجهات نظر مختلفة .

ومع ذلك عندما تماذى أحد الكتاب - موسى صبرى - فى التعليق على محاكمة عباس رضوان . وقال ان حقيقه النقود الضائعة تظهر (ان ماخفى كان أعظم) . نقل من جريدة الاخبار الى جريدة الجمهورية كاتباً بعد أن كان رئيساً للتحرير .

يبدو أن الهزيمة قد غيرت من أسلوب المواجهه فلم تعد كلمات التجريح الصريح تحمل لصاحبها الا تغيير موقعه مع الاحتفاظ بقلبه وحقه فى الكتابة . . بعد أن كان البعض يبعد تماماً عن مجال الصحافة ويقصف قلمه لغير سبب رغم انه صديق للثورة فى اتجاهها الرئيسى وهدفها الاجتماعى . . كما حدث فى جريدة الجمهورية عام ١٩٦٤ أيام تولي رئاسته مجلس ادارتها حلمى سلام ونقل منها الى مؤسسات غير صحفية عدد من كبار الكتاب والصحفيين مثل عبد الرحمن الشراوى وعبد الرحمن الخميسى . ونعمان عاشور وسعد الدين وهبه ومحسن محمد وغيرهم .

وكما حدث عام ١٩٦٦ أيضاً للدكتور رشوان فهمى الاستاذ بكلية طب الاسكندرية ونقيب الاطباء عندما خطب فى حفل اقامته النقابة ، وقال فيه ان الذين يقارنون بين قصر العينى وقناة السويس عليهم أن يوفروا لقصر العينى من الأموال ما هو متوافر لقناة السويس ، وكان يلوح دون تصريح لكلمات قالها جمال عبد الناصر فى معرض نقده لتخلف الحال فى القصر العينى وما يروح تحته من اهمال وقذارة .

ورغم ان الدكتور رشوان فهمى كان أحد أساتذة جامعة الاسكندرية الذين بادروا بالاتصال بنا فى منطقة الاسكندرية فور وقوع الحركة العسكرية وبادر بارسال برقية تأييد ، وبقي يحتفظ بعلاقات ودية مع قادة الثورة لسنوات طويلة .

رغم ذلك . . ورغم علاقات صداقة خاصة كانت تربطه بعبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم وشمس بدران فإنه قد صدر قرار جمهورى بوضعه تحت الحراسة ، وإبعاده عن منصبه فى كلية طب الاسكندرية . وتبين بعد الحراسة انه لا يملك هليماً فى البنوك ، وانه يعيش فى شقة متواضعة الاثاث ، وانه معروف عند الناس جميعاً انه رجل شريف وصريح معاً .

لم يكن هناك مبرر لصدور هذا القرار العصبى . وقد قصدت الى المقارنة بين أسلوبين . . أسلوب لم يكن يتحمل كلمة نقد قبل الهزيمة . . وأسلوب يرتضى الصبر على كلمات التجريح بعدها . ليس هذا فقط .

قال لى فتحي غانم ان على صبرى قد اتصل به ، وكان حريصاً على توفير كل وسائل الراحة النفسية لموسى صبرى فى جريدة الجمهورية . . كما

أكد لي موسى صبرى حسن معاملته خلال هذه الفترة .
وكان الاتحاد الاشتراكي بتشكيله الجديد قد بدأ يلعب دورا بارزا
فى توجيه الامور ، وساعد على ذلك سيطرته الفعلية على الصحف عدا
جريدة الاهرام .

كان محمد حسنين هيكل قد تولى مسئولية ادارة مؤسستى الاهرام
وأخبار اليوم رغم تنافسهما التقليدى ، وميل هيكل الطبيعى الى مؤسسته
التي باشر تطويرها .
وحرص هيكل على ان يبدو فى مظهر الحياد أثناء ادارة المؤسستين،
بل انه حرص على منح موسى صبرى علاوة شهرية كبيرة باعتباره أحد
رؤساء تحرير الاخبار ، وذلك ضمن علاوات اعطاها لعدد من محررى أخبار
اليوم .

وأذكر خلال هذه الفترة - وكنت مازلت عضوا فى امانة طليعة
الاشتراكيين - اننى دعيت الى مكتب سامى شرف حيث وجدت هناك الزميل
حسن فؤاد وكان مرتبطا فى التنظيم الطليعى بمدير حافظ أحد مديري مكتب
سامى شرف .

عرض سامى علينا قرارا أصدره محمد حسنين هيكل بإبعاد عدد من
الزملاء عن مؤسسة أخبار اليوم وفى مقدمتهم سعد كامل وصلاح حافظ
وأخرين جملتهم حوالى ٢٠ كاتباً وصحفيًا .

ولما طلب سامى الراى رفضنا مجرد فكرة قبول إبعاد الصحفيين عن
العمل الصحفى . واستجاب سامى لذلك واتصل بجمال عبد الناصر الذى
أوقف قرار محمد حسنين هيكل الذى كان قد سافر فى نفس اليوم فى
رحلة الى الهند والشرق الأقصى .

وكانت أجهزة الاتحاد الاشتراكي قد تحركت لرفع يد هيكل عن أخبار
اليوم ، ونجحت فعلا فى ذلك ، حيث صدر قرار تعيين محمود أمين العالم
رئيسا لمجلس ادارتها .

عادت الى على صبرى مسئولية الاشراف على الصحف وتوجيهها خلال
قيادات عينها وارتضاها . محمود العالم مسئولا عن صحف أخبار اليوم فى
الوقت الذى استمرت فيه عضويته فى امانة طليعة الاشتراكيين وفقصى
غانم فى مؤسسة الجمهورية أو دار التحرير وامتد ذلك الى روز اليوسف .
عندما عين كامل زهيرى رئيسا لمجلس ادارتها بعد أحمد بهاء الدين فى الوقت
الذى بقيت فيه رئيسا لتحريرها ، متعرضا لأساليب صغيرة من الادارة
الجديدة .

وبدأت الخلافات تظهر على خشبة المسرح فى هذه الصراعات الفكرية
التي ظهرت على صفحات الصحف .

وقع خلاف آخر بين الاهرام وهيئة المخابرات العامة عندما صدرت
الاهرام يوم ١٣ اكتوبر ١٩٦٨ وفيها مقال افتتاحى فى الصفحة الاولى تحت
عنوان (واقعة خطيرة) يتحدث عن اعتقال نيابة أمن الدولة والمخابرات لمدير
مركز الدراسات الاجتماعية والاقتصادية بالاهرام نتيجة بلاغ من اللواء جمال

عسكر مدير الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء الذى اعتبر ان مدير مركز الاحرام قد خالف القانون بتبليغه معلومات محظورة الى احدى الشركات اليابانية .

وقد اثارَت الاحرام اعتراضات شتى على سلطة الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، وعلى أسلوب الاعتقال وزوار الفجر ، وعلى عدم وجود حدود مرسومة لجهاز المخابرات . مطالبه بأن يكون الحبس الاحتياطي والاعتقال فى أضيق نطاق ومحاطا بكافة الضمانات .

وكانت هذه المقالة تعتبر أول مقالة تهاجم علنا وصراحة جهاز المخابرات . وهو أمر ما كان يمكن ان يحدث بهذه الصورة قبل الهزيمة . ويجدر بالذكر ان مقال الاحرام قد أشار الى ان مدير المركز لم يتعرض الى أى نوع من الضغط أو التعذيب .

وانبرى أمين هويدى الذى تولى هيئة المخابرات العامة الى جانب وزارة الحربية ثم وزارة الدولة بعد الهزيمة بالرد على الاحرام موضحا ان الاعتقال والتحقيق قد تما بأمر النيابة ومعرفتها ، وأن جهاز المخابرات لم يقم سوى بمهمة جمع الادلة وتقديمها لنيابة أمن الدولة .

وأوضح فى رده تمسكه ببيان ٣٠ مارس الذى أعلن تصفية مراكز القوى وحماية الثورة فى ظل سيادة القانون من أعدائها الخارجيين والداخليين .

الظاهرة البارزة فى هذا الصراع الحواري انه يعطى دلالة على أن النقد حتى لأكثر الاجهزة خطرا لم يعد أمرا محظورا . ويقدم برهانا أيضا على أن محمد حسنين هيكل كان يحارب فى أكثر من جبهة .

وبعد أيام من نشر هذا النقد العنيف ، ورد أمين هويدى الذى قام فعلا بتصفية هيئة المخابرات من كثير من الاساليب القذرة التى كانت تلجأ اليها والتي لا تعتبر شيئا قبيحا فى مخابرات العالم كله تقريبا . بعد أيام نشر محمد حسنين هيكل مقالين بتاريخ ١٨ ، ٢٥ أكتوبر ١٩٦٨ فى الاحرام يدعو فيها الى (المجتمع المفتوح) ومحمود امين العالم يرد عليه بمقالات أخرى فى أخبار اليوم مناقشا فكرة المجتمع المفتوح فى الدول الاشتراكية .

عدد من السياسيين مثل ضياء الدين داود والدكتور محمد أنيس وعبد الهادي ناصف يكتبون فى جريدة الجمهورية مقالات مضادة للآراء التى ينشرها هيكل فى الاحرام

تراشق الآراء كان يعتبر أمرا جديدا فى حياة الثورة . . ومظهر من مظاهر الانفتاح النسبى الذى فرضته الهزيمة .

كان محمد حسنين هيكل هو الكاتب الوحيد الذى أعطيت له فرصة الكتابة دون رقابة مطلقا ، وذلك لصلته الوثيقة بعبد الناصر . . . ولكنه أصبح الآن معرضا للكلمات ومقالات النقد . بل ان لجان الاتحاد الاشتراكي لم تكن تتورع عن مناقشة مقالات هيكل أسبوعيا . . ومعارضة ما فيها من اتجاهات اعتبرها البعض مؤثرة على صلابة الجبهة الداخلية ، ومضعفة للروح المعنوية . وباعثة على مبالاة حكومة الولايات المتحدة تحت شعار (محاولة تحييد أمريكا) .

ولم يكن هذا الصراع العلني أمرا يمكن ان يمضى بغير دلالة .. فمحمد حسنين هيكل قريب الى جمال عبد الناصر الى الحد الذى لم يكن خافيا على أحد .. ومقالاته فى مضمونها ان لم تكن معبرة عن رأى عبد الناصر شخصيا فهي بمثابة مجس يعترف على حقيقة نبض المجتمع وردود الفعل فيه .
ولذا طفا الخلاف بين الاتحاد الاشتراكي ومسئوله القوى على صبرى وبين محمد حسنين هيكل الى السطح .. وأصبحت المبارزة بينهما مشهدا تنابعه الجماهير المرتبطة بالسياسة وتعلق عليه .
ودفع هذا الموقف محمد حسنين هيكل الى الاستهانة بفكرة التنظيم السياسى مقتنعا بأن تأثير شخصية الزعيم خلال أجهزة الاعلام هو أشد تأثيرا واعمق نفوذا .

لم يجد هيكل فى الاتحاد الاشتراكي تنظيما مقنعا له رغم اقتناعه به من الناحية الشكلية .

كان هيكل متأثرا أو مؤثرا فى جمال عبد الناصر بما رواه لقواد مطر فى كتابه (بصراحة) حول دور الحزب والتنظيم السياسى عندما قال :
(ان وسائل المواصلات أثرت الى حد ما فى مفاهيم دور الحزب .. ان لينين عندما أنشأ الحزب كان يستهدف امرين : الاول أن ينقل الحزب عبر كوادره أفكار القيادة الى القواعد ، والثانى ضمان استمرار قوة الجماهير المنظمة وتوجيهها بحيث تكون حامية للسلطة بعد الاستيلاء عليها ..
وعبد الناصر لم يكن يحتاج الى ذلك لانه باستمرار - على عكس لينين أمام الجماهير يخاطبها ويوجهها ، وعندما لا يكون أمامها ، يتوجه اليها ساعة يريد عبر الاذاعة والتلفزيون .. ولقد حرك الجماهير فى معظم ارجاء الوطن العربى بالمخاطبة الاذاعية .. وأسقط حلف بغداد بالكلمة المذاعة على الهواء وأرهمق الوجود الاستعمارى البريطانى فى الجنوب العربى بالكلمة المذاعة ايضا ، وليس بوساطة القيادات الحزبية التى كانت تنتقل من مصر الى الجنوب العربى) .

ويتابع هيكل شرح رأيه قائلا : (كانت لعبد الناصر القدرة على تعبئة الجماهير عن غير طريق الحزب ولو أن العناصر المثقفة ساعدته على انشاء الحزب المطلوب لما كان تأخر فى التجاوب مع تلك العناصر .

(وفى أى حال كان رأيه ان تعبئة الناس بالانجازات أكثر فعالية من تعبئتها عن طريق الحزب) .

هكذا كان يفكر محمد حسنين هيكل .. وسواء كان متأثرا أو مؤثرا فى عبد الناصر فان الحقيقة أن المثقفين الثوريين لم يترددوا لحظه فى التجاوب مع عبد الناصر فى محاولته لتكوين (طليعة الاشتراكيين) بل ان حزبه الطبقة الساملة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى والحزب الشيوعى (قد اتخذوا قرارا بحل تنظيميهما وهو حدث نادر وغير متكرر فى تاريخ الحركة الشيوعية ثقة منها فى أن عبد الناصر كان مخلصا فى تبنيه لفكرة طليعة الاشتراكيين) أو الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكي .
ولكن يبدو ان الامور كانت تمضى فى غير هذا السبيل .. فالحكم

الاولوتوقراطى الفردى لايرحب بتكوين حزب يحد من صلاحيات الحاكم المطلقة .

وصحيح ان كثيرا من الانجازات الهائلة قد تمت في غير وجود حزب . ولكنها أصبحت كالبنا الذى يقوم بلا حارس . . يمكن ان يتسلل اليه اللصوص من الرجعيين .

ولم يمض هذا الخلاف على صفحات الصحف وحدها . . ولكنه اتخذ أحيانا صدمات شرسة . . فقد اعتقل الدكتور جمال العطيفى لمدة عشرة أيام وعندما أثار الزميل الكاتب الصحفى صلاح حافظ هذا الموضوع فى اجتماع الاتحاد الاشتراكى فى قسم النيل متسائلا عن أسباب اعتقال العطيفى كان نصيبه الاعتقال أيضا فى معتقل القلعة لمدة تسعة أيام .

أذكر انى لجأت الى شعراوى جمعة وزير الداخلية محتجا على اعتقال الزميل الصديق ، فاذا بى ألقى منه وعدا بسرعة الافراج دون تعليل مقنع لاسباب الاعتقال .

وانى ذهبت الى محمد حسنين هيكل مستفسرا عن أسباب الاعتقال باعتباره قريبا من جمال عبد الناصر وأن أحد المعتقلين يعمل معه فى مؤسسة الاهرام ، فوجدته لا يخفى دهشته مما حدث ولا يجد له تفسيراً . وهكذا قام بناء الاتحاد الاشتراكى فى بعض جوانبه على ديموقراطية غير سليمة مستهدفا الزام أعضائه دون البحث الجاد فى تقديم ما يؤدى الى حسن التزامهم .

أبرز ما قام به المؤتمر الاول للاتحاد الاشتراكى فى تنظيمه الجديد هو اعادة تعريف العامل والفلاح والذى ينص على أن يكون العامل غير منتميا الى نقابة مهنية ولا متخرجاً فى الجامعة أو المعاهد العليا أو الكليات الحربية ، وأن يكون الفلاح هو من يمارس الزراعة ولا يملك هو وأسرته أكثر من ١٠ أفدنة .

وجاءت هذه التعريفات خطوة فى سبيل تحديد نوعية العامل والفلاح بعد أن كانت تعريفات مؤتمر ١٩٦٢ تسمح لبعض الفنيين وخريجي الجامعات والضباط أن يرشحوا أنفسهم بصفتهم عمالا . . وأن يجلس تحت عباءة الفلاح من يملك ٢٥ فدانا .

كان هذا التغيير دليلا على أن الرغبة فى تغيير الميثاق وتطويره الى مزيد من التقدم فكرة قائمة وموجودة ،

والواقع أن موقف هيكل الذى جعله يستخف بالاتحاد الاشتراكى ولا يحاول وصف العلاج السليم له هو موقف لم يكن يستند الى حقيقة واقعية او علمية . . فمهما عظم سحر شخصية الزعيم واشتد تعلق الناس به ، فان هذا لا يغنى مطلقا عن ضرورة التنظيم الملتزم الذى يعبى الجماهير ويحشد لها وينال ثقتها ويعبر عن ارادتها .

والاستناد الى شخص - أيا كان هذا الشخص - لا يمكن أن يعتبر فى ذاته كافيا لاستمرار الثورة . . وأمامنا مثال واضح فى حياة جمال عبد الناصر شخصيا . . فما أظن ان سوريا قد شهدت مظاهرات وهتافات من

القلب تحيط بزعيم مثلما أحاطت بعبد الناصر خلال فترة الوحدة ٠٠ ومع ذلك وبعد ان رفعت الجماهير عربته فوق الاكتاف في حلب عادت بعد سنوات فأخذت موقفا سلبيا من سقوط نظامه دون مقاومة تقريبا بانقلاب عسكري محدود لم تلعب الجماهير فيه دورا مؤثرا للدفاع عن وحدتها وارادتها التي تعتبر شديدة التأييد والثقة بعبد الناصر اذا أخذنا مظهرها وهي تتظاهر وتحتشد وتهتف له .

كان الخلاف الذي يدور على خشبة المسرح معبرا عن وجود تناقض فكري أصيل بين الاتحاد الاشتراكي الذي كان يعتبر بحكم تكوينه وارتباطه بالجماهير وحرصه على ان يظهر في مظهر المعبر عن ارادتها اكثر يسارية من أجهزة الدولة الاخرى ٠٠ وبين الاتجاه المتعدد عن التنظيم المستخف بدوره، المستمد لقوته من السلطة وليس من الجماهير .

وقد وقف هيكل موقفا مضادا في مقال نشره في ديسمبر ١٩٦٨ من محاولة انشاء مجلس أعلى للصحافة في الاتحاد الاشتراكي .

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد

كان هناك خلاف آخر أظهرته انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التي وضعت على صبرى في المركز الاول وأنور السادات في المركز الرابع . كان أنور السادات بعيدا فعلا عن موقع المسؤولية في الاتحاد الاشتراكي ، ولم يسهم خلال عمله في مجلس الامة بدور مؤثر في تنظيمات الاتحاد .

ولكن أقدميته في مجلس الثورة لم تكن تسمح له بقبول التراجع الى المركز الرابع في اللجنة التنفيذية العليا ٠٠ ولذا أراد الانسحاب من العمل السياسي ليستقر في قريته ٠٠ ولكن عبد الناصر أقنعه بالبقاء . وهكذا تولدت خمية تناقض نفسى حاد بين أنور السادات وعلى صبرى .

ولعب جمال عبد الناصر دور حامل الميزان في هذه اللعبة ٠٠ يثقل كفة الشخص الذي يريد في الوقت الذي يريد .

أعطى لأنور السادات مسئولية اللجنة السياسية في الاتحاد الاشتراكي اما على صبرى فقد أعطى مسئولية امانة اللجنة التنظيمية ، وبدأ يكلفه ببعض المسئوليات السياسية الخاصة التي لم يعتد تكليفه بها من قبل .

كان التناطح واضحا وشديدا بين هذه الشخصيات الرئيسية الثلاث . أنور السادات وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل .

أنور السادات يستند الى تاريخه القديم وصلاته الطيبة

وعلى صبرى يستند الى أجهزة الاتحاد الاشتراكي

ومحمد حسنين هيكل يستند الى علاقته الوثيقة بعبد الناصر والى مقالاته التي كان يتابعها الناس بكل تأكيد .

وكان يجمع الثلاثة في تناقضاتهم ولاء كامل لجمال عبد الناصر . ولا يستطيعون أن يخرجوا عن حدوده . فلم يكن أحد منهم ليجرؤ على اتخاذ

موقف خلاف حاد لان معنى ذلك نهاية لدوره السياسى .. وخروج زكريا محيى الدين لم يكن بعيدا عن انظواهرهم ولا يمكن القول بأن هذا الخلاف كان معصورا فى دائرة المنازعات والمنافسات الشخصية .. ولكنه كائى تعبيرا عن واقع اجتماعى وروية سياسية .

والى جانب هذه التناقضات الرئيسية فى قمة السلطة كانت هناك تناقضات ثانوية .

لم يكن على صبرى مطلق السراح والصلاحيات فى الاتحاد الاشتراكي بل كان الى جانبه بعض الذين وثق بهم جمال عبد الناصر من رجال الصف الثانى ، وفى مقدمتهم شعراوى جمعة أمين طليعة الاشتراكيين والذى كان يملك من النفوذ ما يتيح له الوقوف مع على صبرى فى صف واحد ، ولكنه لم يغامر باللجوء الى مناطحته بل حرص على أن يلعب دور (الشخصية المقبولة) من جميع الاطراف ولو أن هذا لاينفى أنه لم يكن يعطى ولاءه الكامل لعل صبرى أو أنه كان يشكل معه فريقا متجانسا رغم تأكيد شعراوى على أنه لم يكن هناك بينهما تنافس سياسى وأنه كان يحمل احتراما وتقديرا لافكاره التى لم تكن تتناقض مع افكاره .

وكذلك كان سامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات ، الذى كان مسئولاً فى امانة طليعة الاشتراكيين ، ومسئولا فى الاتحاد الاشتراكي عن منطقة شرق القاهرة (هليوبوليس والحلمية والزيتون ومدينة نصر وغيرها) وهى منطقة ازداد التركيز عليها لتبدو فى صورة المنطقة النموذجية من ناحية العمل السياسى .. وكان نفوذ سامى شرف نابعا من (موقعه الجغرافى) ان صح التعبير .. أى من مكتبه الذى كان يطل على غرفه نوم الرئيس ويستطيع ان يتصل به فورا وفى أية لحظة .

هذه التناقضات الثانوية/ لم تجعل من الاتحاد الاشتراكي تنظيما صلبا متجانسا ، وانما أدخلت اليه نوعا من صراعات الممالك امتدت الى المحافظات أيضا فى صورة تناقضات كثيرة بين عدد من المحافظين وأمناء الاتحاد الاشتراكي فى محافظاتهم .

كان بعض المحافظين فى أبهة السلطة الادارية لا يطبقون تدخل أمناء ولا أجهزة الاتحاد الاشتراكي فى أعمالهم .

وفى هذا الجو المشحون بالخلافات الرئيسية والفرعية ، كان جمال عبد الناصر يعطى تركيزه الاول على بناء القوات المسلحة ، ولكنه لم يغفل أبدا عن القطاع المدنى ، مهتما أشد الاهتمام بكل مايتعلق بأمن الثورة . وهو الامر الذى كان يترادى حتى حوصرت تقارير الأجهزة المختلفة التى تحولت عنده الى منظار لا يرى المجتمع الا خلاله .

وكان هذا فوق ما تطبيقه قدرة فرد واحد ، سبق له أن أصيب بمرض السكر خلال فترة الأزمة التى قامت بين الثورة المصرية والثورة العراقية فى عهد عبد الكريم قاسم .

ولذا كانت تتم بعض الاجراءات بطريقة لا يجد أقرب المقربين اليه لها تفسيراً مقنعا .. مثل اعتقال الدكتور جمال العفيفى وصلاح حافظ ووضع الدكتور رشوان فهمى تحت الحراسة .

ومثل هذا الاجراء الذى سمي فيما بعد باسم (مذبحة القضاء) والذى
أفضل ان أسميه (معركة العدالة) .

معركة العدالة

كانت معركة العدالة من أهم معارك الخطوط الخلفية التى ظهرت على
مسرح الحياة السياسية
فوجيء الناس يوم ٣١ أغسطس ١٩٦٩ بصدور أربعة قوانين : ٨١ -
٨٢ - ٨٣ - ٨٤ بإعادة تشكيل الهيئات القضائية وتعديل قانون مجلس
نادى القضاة ٠٠ وقبول استقاله محمد ابو نصير وتعيين مصطفى كمال
اسماعيل وزيرا للعدل .

وعندما اعيد تشكيل الهيئات القضائية من جديد تجاوز التشكيل
١٨٩ من رجال القضاء من بينهم رئيس محكمة النقض ، ١٥ مستشارا
بمحكمة النقض ، وأعضاء مجلس ادارة نادى القضاة .
المظهر الذى تمت به هذه العملية كان يوحي بأن شيئا خطيرا لابدوانه
يختبر في جهاز القضاء ،

واللجنة التى شكلت كانت من قمة السلطة ٠٠ يرأسها أنورالسادات
وتضم كلا من شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف والمستشار عمر
الشرىف المستشار القانونى لرئاسة الجمهورية .
وكانت القضية المطروحة على اللجنة تحمل جذورا تاريخية . فالتطهير
لم يقترب من القضاء طوال عهد ثورة يوليو . وحادث الاعتداء على السنهورى
رئيس مجلس الدولة كان دائما بمثابة النور الاحمر الذى يحذر من اعتداء
جديد ٠٠ والقضايا التى كانت تحتاج الى رؤية واحكام سياسية - من وجهة
نظر الثورة - أوكلت الى محاكم خاصة رأسها بعض أعضاء مجلس قيادة
الثورة مثل محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية أنورالسادات
وحسن ابراهيم ومحكمة الشعب لمحاكمة الاخوان المسلمين برئاسة جمال
سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى ثم المحاكم العسكرية التى حاكت
الشيوعيين وغيرهم من السياسيين ورأسها ضباط من الجيش كان أشهرهم
الفريق محمد فؤاد الدجوى .

وبعض الذين أدينوا مسبقا فى الخطاب العامة أو الصحافة ومنهم محمد
السمنى وكيل وزارة الزراعة ، ورئيس مجلس ادارة شركة المجمعات
الاستهلاكية ، وصلاح الفقى الذى سلطت عليه الاضواء باعتباره مسئولاً عن
اغتيال الشهيد صلاح حسين فى كمشيش ٠٠ كل هؤلاء أصدر القضاء حكما
بتبرئتهم رغم اتهامهم علنا واتخاذهم مثالا للفساد حتى فى بعض خطاب جمال
عبد الناصر ٠٠ ومع ذلك لم يتخذ اجراء ادارى واحد نحو أحد من القضاة او
المستشارين ٠٠ ولم ينقض حكم أية محكمة .

اذن لم تكن للقضاة مع الثورة مشكلة .
ولكن الميثاق كان ينص على أن رجال الجيش والشرطة والقضاء لهم
مكان فى الاتحاد الاشتراكي .

ورغم ان هذا النص لم ينفذ وبقي اعضاء هذه الهيئات الثلاث يعسدين عن الانضمام رسميا للاتحاد الاشتراكي ، الا أن على صبري قد تعرض لهبه المشكلة في سلسلة مقالاته التي كان ينشرها في جريدة الجمهورية ، فكتب خمس مقالات عن تصوره لانضمام القوات المسلحة انتهت يوم ١٧ مارس ١٩٦٧ لتبدأ تسع مقالات عن تصوره لانضمام رجال القضاء ، كما اعطى تصريحاً للاهرام نشر بتاريخ ٢٤ ابريل ١٩٦٧ قال فيه (على ان يكون للقضاء تنظيم سياسي خاص) .

ومضت المقالات بلا أثر ايجابي حتى حدث العدوان وقعت الهزيمة في شهر يونيو ، واوقف نشر الكتاب الذي ضم هذه المقالات كما سبق ان ذكرت .

والحقيقة ان هذه المقالات قد كتبت بايحاء من جمال عبد الناصرا لاجل صدمة في المجتمع يتبين بعدها ردود الفعل ، ويكتشف الطريق الصحيح بعد تعديل الميثاق الذي كان مفروضاً ان يتم مع حلول عام ١٩٨٠ ولذا فقد وجد بين القضاة من يؤيد فكرة الانضمام للاتحاد الاشتراكي ووجد من يعارض الفكرة

وكان بدوي حمودة الذي عين رئيساً للمحكمة الدستورية على سبيل المثال من الذين انضموا للاتحاد الاشتراكي معتبراً انه تنظيم قومي وليس حزبياً . وأن ذلك لا يتعارض مع استقلال القضاء .

ويقول المستشار صادق المهدي الذي كان يشغل منصب وكيل مجلس نأدى القضاة . كما ورد في كتاب الزميل عبد الله امام (مذبحة القضاة) انه أثناء نشر هذه المقالات عقد مجلس ادارة النادي اجتماعاً للمناقشة انتهى الى الموافقة على انضمام القضاة ولكن بطريقة تجعل انضمامهم له مظهره واستقلاله الخاص .

ولم يحدث بعد ذلك ما يمكن ان يفرض هذه المشكلة . فجمال عبد الناصر قد استغرقته عملية اعادة بناء القوات المسلحة وتماسك المجتمع . بل انه خطب في المنصورة يوم ١٨ ابريل ١٩٦٨ قائلاً :
(انني لست ميلاً في الوقت الحاضر لاشتراك القضاء أو القوات المسلحة أو الشرطة في التنظيم السياسي) ،

ولكن الاتحاد الاشتراكي في محاولته لفرض نفوذه أراد أن يقتحم - فيما يبدو - مجال القضاء أيضاً ، مستنداً الى تصرفات قام بها بعض القضاة خرجت بهم عن قدسيته واستقلالهم ، وأدخلتهم في معترك السياسة الذي يتعرض فيه كل من يدخله الى المتاعب والمصاعب والاحجار ،

وكان السبب في ذلك هو تعيين محمد أبو نصير وزيراً للمعدل في وزارة ٢٢ مارس ١٩٦٨ ، وهو شخصية غير محبوبة من رجال القضاء لانه انغمس في العمل السياسي بعد أن كان في مجلس الدولة ، وعين في فترة ما وزيراً للتجارة ، وتصور البعض انه سوف يحمل معه تغييراً يجبر القضاة على الارتباط بالاتحاد الاشتراكي .

ورغم أن محمد أبو نصير قد نفى ذلك ، الا ان بعض القضاة قد اعادوا

بيانا دون معرفة أعضاء مجلس ادارة نادى القضاة او موافقته ، وأن هذا البيان قد تلى على الحاضرين فى اجتماع الجمعية العمومية للنادى يوم ٢٨ مارس ١٩٦٨ ، وأنه استقبل بالموافقة مع التصفيق الشديد

وبعض كلمات البيان لا يمكن أن يعترض عليها أحد . . . فهى تدعو الى أن مآخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وأنه لابد من تأكيد مبدأ الشرعية الذى يعنى فى الدرجة الاولى كفالة الحريات لكل المواطنين وسيادة القانون على الحكام والمحكومين على السواء ، وضرورة سيادة القانون واستقلال القضاء . . . وبعض ماورد فيه يستحق المناقشة مثل (رفض منح سلطة الحكم الى غير القضاة المتخصصين المتفرغين) وهو رفض لمبدأ اشراك الشعب فى القضاء المعروف فى بعض دول الغرب بالحلفين والمعروف فى الدول الاشتراكية . . . وكذلك رفض الانضمام للاتحاد الاشتراكي .

لم يتحرك الاتحاد الاشتراكي الحركة السياسية اللازمة لتهدة القضاة والاقتراب منهم ، وتأجيل أى خطوة نحو ربطهم بالاتحاد الاشتراكي الى مابعد ذلك . . . وإنما بدأ كمادة أجهزة الامن يتووب للانقضاء على اعداء قد لا يكونون موجودين وإنما يخلقهم خلقا .

وكان اتجاه الثورة وقتئذ يسمح باحتضان دعاة سيادة القانون ، بعد قرارات رفع الحراسة والعزل ومنع الفصل والافراج عن المعتقلين وكذلك فإن الجمعية العمومية لمستشارى محكمة استئناف القاهرة المنعقدة يوم اول ابريل ١٩٦٨ قد اعترضت على بيان نادى القضاة عدا عضو واحد وأصدروا بيانا أعلنوا فيه ان بيان النادى يعتبر (خروجاً على حياد القضاء ومهمله) . . . واعتبروا أن بيان ٣٠ مارس هو المعبر عن آرائهم .

كما ان مجلس القضاء الاعلى قد اجتمع برئاسة عادل يونس رئيس محكمة النقض وتوجه اعضاؤه الى القصر الجمهورى حيث سـجلوا (تحيتهم وتقديرهم الى قائد النضال الوطنى الرئيسى جمال عبد الناصر . . . وأشادوا بما جاء فى بيان ٣٠ مارس من كفالة حصانه القضاء) . . . كان ممكنا استغلال هذه المواقف والعمل على تصفية بذور الخلاف النابتة فى أرض القضاء . . . ليس بالاجراء الادارى ولكن بالعمل السياسى والمناقشة والاقتناع .

ولكن تطورت الامور بطريقة تدل على عجز الجهاز السياسى عن كسب ثقة المعارضين .

والموجود فى السلطة عنده دائما فرص اكبر للحوار والمناورة واتخاذ الاجراءات التى تتلاءم مع الظروف القائمة .

ولكن الاتحاد الاشـتراكي ومحمد أبو نصير أكثر انتماء اليه من الانتماء الى رجال القضاء ، أهدر ذلك، وأثران يسلك سلوك أجهزة الامن فيقيم مجموعة من طليعة الاشتراكيين تضم بعض المقربين من رجال القضاء ليتحركوا بطريقة سرية - كما كان متبعيا فى التنظيم حينذاك .

وانتهز البعض فرصة هذا التناقض فحاول ان يركب موجة الخلاف ليبدو فى مظهر المدافع عن حقوق المظلومين . . . مثل حلمى مراد الذى كان

وزيرا وأفشى بعض مداولات مجلس الوزراء التي أقسم على سريتها . ولما وصل ذلك الى زميله محمد ابو نصير لم يجد سبيلا سوى كتابة تقرير ضده رفعه الى جمال عبد الناصر ، الذي استناره ماحدث واعتبر أن مايقوم به بعض القضاة هو نوع من التخريب الذي صبر عليه سنة كاملة ، وأصدر قرارا يوم ٩ يوليو ١٩٦٩ بأعفاء حلمي مراد من منصبه الوزاري .

وقال لعل نور الدين أثناء حوارهم معه (أنا هابص للجيش اللي بيحارب ولا لى عاوزين يعملوا لى ثورة مضادة فى الداخل) .
نعم . . . كانت حرب الاستنزاف تقترب من ذروتها .
وكان ممكنا ان تكون هناك بذور ثورة مضادة فى مجال القضاء استغلته بعض السفارات الاجنبية المعادية التي أعادت طبع بيان النادى .

ولكن القضاء عليها لم يكن أبدا بانارة الراى العام حول فصل ١٨٩ قاضيا منهم رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورؤساء لبعض محاكم الاستئناف . . . والناس تحمل تقديرا خاصا للقضاة ولذا لايسهل اقناعهم بأن الاعناء عليهم كان تفاديا لثورة مضادة .
والاجراءات الادارية كانت أسهل كثيرا بالنسبة لقيادة الثورة حتى بعد الهزيمة .

أصدرت اللجنة التي شكلها جمال عبد الناصر هذه القرارات التي خلقت ١٨٩ شهيدا فى المجتمع فى وقت كان يتساقط فيه الشهداء الحقيقيون على ضفاف القناة .

وهكذا أظهرت هذه التراجيديا السياسية التي ظهرت على المسرح واستمرت عليها التعليقات فترة طويلة ان قيادة الثورة لم تسنفذ كثيرا من خبرة الهزيمة . . . وأن جمال عبد الناصر كان يائسا من المحيطين به الذين حولوا العمل السياسى الى صورة باهتة مما تقوم به أجهزة الامن ، ولم يحاولوا كسب مختلف الفئات بالعمل السياسى الناضج .

أسدلت الستار على هذه التراجيديا السياسية ، ولكنها ظلت حديث المجتمع . . . تثبت ان بعض المعارك الداخلية التي لاتسيل فيها الدماء تكون أحيانا أشد تأثيرا من معارك القنال فى نفوس الجماهير .

ظهرت قرارات القضاء فى أول يوم من أيام سبتمبر ١٩٦٩ . . . نفس اليوم الذى انطلقت فيه الحركة العسكرية فى ليبيا لتسقط حكم الملك السنوسى وتبنى الجمهورية العربية الليبية . . . وذلك فى الوقت الذى كان مجتمعها فيه ملوك ورؤساء ومندوبو دول المواجهة فى القاهرة . . . الملك حسين ونور الدين الاتاسى وهـوارى بومدين وجعفر نمسيري وحسردان التكريتي .

وكان توافقا غريبا . . .

سبقت حركة القضاء ، الحركة العسكرية الليبية بيوم واحد وانتقل جمال عبد الناصر من تقارير محمد أبو نصير وأعضاء لجنة القضاء الى تقرير الفريق أول محمد فوزى الذى أعده مع رؤساء أركان دول المواجهة

والذى ينتهى الى خلاصة تقول بأن دول المواجهة تكون جاهزة للمعركة خلال ١٨ شهرا .

مسئولية التحرير تدخل مرحلة حاسمة من الجدية . والحركة العسكرية الليبية يمكن أن تمنح مصر عمقا استراتيجيا هائلا جهة الغرب ، كما منحها الحركة العسكرية السودانية فى ٢٥ مايو من نفس العام عمقا استراتيجيا جهة الجنوب .

والاندفاع الى المعركة كان يضى فى سرعة متزايدة ، منذ بدأت حرب الاستنزاف فى ٢ يوليو ١٩٦٩ كما قال لى الفريق أول محمد فوزى .

مرض عبد الناصر :

كان حارا صيف ذلك العام . . أمضى جمال عبد الناصر معظم الايام فى القاهرة قريبا من القيادة العامة للقوات المسلحة . . تمكر عليه أخبار الغارات الاسرائيلية المتزايدة الصفو والهدوء . . ويفقد بين حين وآخر ضابطا من الشباب الذين اعتاد أن يلتقى بهم فى مناقشات التحضير للمعركة .

قال لى اللواء حسن البدرى الذى عمل مستشارا عسكريا لجمال عبد الناصر ثم اشتغل فى ميدان الصحافة والتأليف بجريدة الاهرام ومركزها للدراسات الاستراتيجية . . ان جمال عبد الناصر كان يحضر ندوات للقيادات المسئولة لمناقشة اخطاء ودروس عدوان ١٩٦٧ ، ومتابعة آخر التطورات فى فن وتكتيك الحروب الحديثة . . وان المناقشة فى هذه الندوات كانت تتميز بالصراحة المطلقة الى حد مواجهه الذين اخطأوا عام ١٩٦٧ بأخطائهم فى حضورهم . . وتحذيرهم من أى اخطاء جديدة

كان الجهد الذى يبذله جمال عبد الناصر أكثر مما يحتمله فرد حتى ولو كان فى عمر الشباب . . وجمال عبد الناصر كان قد تجاوز الخمسين . وكان الاسلوب الذى اعتمد عليه فى نظام حكمه ينهض على أساس المركزية المطلقة ، والاعتماد الكبير على تقارير الأمن من شتى المصادر .

ولذا كانت تختلط أحيانا المواقف الوطنية الكبيرة ، بمواقف داخلية صغيرة . . وكان جمال عبد الناصر يلبس غالبا ثياب رجل الدولة المتمرس الذى تصفله التجارب والاحداث وخاصة بعد النكسة . . ولكنه أحيانا يظل فى ثياب البكباشى الذى يتعامل مع الآخرين فى حذر ، تؤرقه التقارير وتدفعه الى اتخاذ اجراءات لاتتناسب مع شخصيته البارزة .

لم يدرك جمال عبد الناصر أن أمنه الشخصى وأمن النظام ينبع اساسا من المواقف الوطنية والاجتماعية الصلبة والمتقدمة . . وانما ظلت المخاوف والهواجس تحيط به ، وتدفعه الى تصرفات لاتخدم فى المدى الطويل أمن النظام ولا تبعث فى انصار الثورة الاطمئنان .

ولذا أصاب الارهاق جمال عبد الناصر ، وخاصة بعد تأثير مرض السكر عليه وتصلب الشرايين الذى عالج فى أغسطس ١٩٦٨ بصحة تسخالطوبو فى الاتحاد السوفيتى وكان مفروضا أن يعاود السفر الى هناك فى نفس الوقت من العام التالى ١٩٦٩

ولكن تلاحق الاحداث وزحمتها ٠٠ واختلاط المسئولية العسكرية مع تخوفات الامن ، والحذر الشديد من الاشخاص المقربين اليه وخاصة بعدما لمسه من صراع بين الشخصيات البارزة حوله ٠٠ وما كشفه من ضغوط في انتخابات الاتحاد الاشتراكي كانت لاتخرج عن طاعنه ، ولكنها لاتتمل كامل ارادته ، وتظهر له عنصر منافسة يبدو كبرعم صغير امام شجرة باسقة .

كل هذه الاحداث ٠٠ والاخبار اليومية المتلاحقة عن حرب الاستنزاف ومؤتمر قمة دول المواجهة ، وحركة الفاتح من سبتمبر في ليبيا ٠٠ احاطت عبد الناصر بجو من القلق والتوتر

وصل هذا القلق ذروته يوم ٩ سبتمبر ١٩٦٩ عندما هاجم الاسرائيليون الزعفرانة كما اوضحت في الباب السابق

وفي يوم ١٠ سبتمبر سقط جمال عبد الناصر في القاهرة فريسة اول ذبحة صدرية واستدعى الى منزله في هذا اليوم كلاً من انور السادات والفريق اول محمد فوزي وشعراوي جمعة وامين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للاشراف على شئون الدولة خلال فترة المرض التى منح فيها اطباء جمال عبد الناصر عن الحديث أو الحركة أو مباشرة أية مسئولية .

ويلاحظ أن على صبرى لم يستدع لعضوية هذه اللجنة . ولم تقتصر العناية الطبية على المصريين ٠٠ حضر الى القاهرة الطبيب السوفييتى الدكتور شازوف أخصائى امراض القلب الذى نصح بالفاء رحلة عبد الناصر الى تسخالطوبو ٠٠ فلم يعد القلب يحتل ٠٠ ونصح بالبقاء فى الفراش لمدة ستة أسابيع مع ابطال التدخين والبعد عن التوتر ، ونشرت الاهرام خبر حضوره يوم ٢١ سبتمبر .

كانت تعليمات الأطباء تعنى النهاية لكل ما يحب عبد الناصر . . . مباشرة المسئوليات المختلفة بنفسه ، ومقابلة الشخصيات السياسية والتدخين أيضا .

وبقى المرض سرا لا يذاع مما اضطر جمال عبد الناصر الى مقابلة بعض الشخصيات وهو فى فراش المرض مثل بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن الذى هدد بالاستقالة اذا لم يقابل عبد الناصر وبابكر عوض الله الذى كان جعفر نميرى يدبر خطة لاجراجه من الوزارة وكان عبد الناصر يريد منه أن يكون صبورا فيقبل منصب وزير العدل الذى أعده له نميرى بعد أن كان نائبا لرئيس مجلس قيادة الثورة .

بقى الدكتور شازوف عشرة ايام فى مصر عاد بعدها الى موسكو . ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان جمال عبد الناصر قد اتصل به تليفونيا فى اليوم الثالث لمرضه ٠٠ وانه لم ينفذ تعليمات الأطباء بالبقاء ستة أسابيع فى الفراش فعاد الى ممارسة عمله فى اواخر سبتمبر .

ويقول أمين هويدى ان عبد الناصر لم ينقطع انقطاع المرضى عن مباشرة العمل ، فقد ظل على اتصال مستمر به .

ويقول شعراوي جمعة انه كان حريصا على عدم الاتصال بجمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ، ومع ذلك كان يتلقى منه مكالمات تليفونية تحمل تعليماته وتوجيهاته .

وخلال الفترة القاسية للمرض ودون أن تعرف الجماهير شيئا عن الحالة الصحية للزعيم فوجيء القراء صباح يوم ٢١ سبتمبر بأخبار مثيرة في جريدة الاهرام تقول ان وكالات الانباء الغربية تروج ان على صبرى كان يعد لانقلاب في مصر ، وان الاتحاد السوفييتي كان ضالعا فيه .

وكانت الاهرام نفسها قد نشرت قبل ذلك بيومين أن لجنة التنظيم للاتحاد الاشتراكي تجتمع (غدا) للبحث في موضوعات يتحتم البحث فيها قبل المؤتمر القومي .

ونشرت صحيفة الاهرام تفسير لما حدث جاء فيه ان على صبرى قد حمل أمتعة كثيرة في طريق عودته من موسكو خلال شهر يوليو وانها خرجت في أحد لوريات الاتحاد الاشتراكي ، ولم تدفع عنها جمارك .

وقالت الاهرام ان تحقيقا قد بدأ في هذه الواقعة . . وأن على صبرى قدرأى أن يدفع كل المطلوب منه للجمارك حتى على الامتعة التي لا تخصه شخصا ، وأن يضع استقالته تحت يد جمال عبد الناصر من جميع مناصبه .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بأن يتولى شعراوي جمعة أمانة اللجنة التنظيمية بدلا من على صبرى الذي استمرت عضويته في اللجنة التنفيذية العليا .

ونشرت الاهرام صورة للجنة الدائمة للاتحاد الاشتراكي برئاسة أنور السادات وحضور على صبرى وعبد المحسن ابو النور ولييب شقير . وضيء الدين داود وشعراوي جمعة . . وذكرت أن كمال سستينو لم يحضر لوجوده في بلغاريا . . وفي هذا الاجتماع تقرر قبول استقالة على صبرى وتعيين شعراوي جمعه بدلا منه . الامر الذي أقرته اللجنة المركزية في أول اجتماع لها بتاريخ ٤ فبراير ١٩٧٠ .

كانت الاجراءات التي اتخذت ضد على صبرى دليلا على ان ثقة جمال عبد الناصر فيه قد تبددت نهائيا . وانه أثر تعطيله بفضيحة تتصل بالسلوك . . وهو الامر الذي يثير مشاعر الجماهير .

كان الاجراء مدبرا ومتعمدا ومثيرا لاكثر من علامة استفهام هل نجح أحد في اثاره جمال عبد الناصر ضد مدير مكتبه الصامت والمخلص له طوال سنوات الثورة ؟

هل ارتكب على صبرى عملا أثار شكوك عبد الناصر لانه لم يبلغه عنه ؟

هل علت موجة احتجاج الذين سقطوا في انتخابات الاتحاد الاشتراكي حتى جرفت المسئول الاول فيه ؟

هل صدق عبد الناصر ماقاله البعض من أن على صبرى كان يروج لخلافته وخاصة بعد مرضه ؟

هل أثر المرض على قرارات جمال عبد الناصر فجعلها تصدر في صورة عصبية ؟

المؤكد ان الحدث في ذاته - أى تمرير بضائع دون دفع جمارك - لم يكن ليؤدى الى هذا الاجراء العنيف .. فكثير من ضباط الثورة والمصريين من السلطة قد قاموا بذلك بصورة معروفة ومتكررة

ولم يعرف عن جمال عبد الناصر انه حاسب واحدا من زملائه في المجلس على عدوانه على الاموال العامة

كما لم يعرف عنه انه قد اتخذ من التشهير العلنى سلاحا للقتل . ولم يكن أكثر الناس اقترابا من السلطة يتصور ان على صبرى يمكن ان يعامل فجأة هذه المعاملة القظة

قال لى أمين هويدى انه عندما عرف النبأ اتصل بجمال عبد الناصر قائلا له فى دهشة : (والله انا مانا عارف حاجه) .

وقال جمال عبد الناصر : (احسن) واستأذن هويدى فى زيارة على صبرى مع شعراوى جمعه ، ووافق عبد الناصر على ذلك

وعندما ذهب الاثنان الى زيارته كان هناك طبيب القلب اللواء رفاعة كامل الذى ذهب لعيادته خوفا عليه من الام ربما كانت من معاودة الذبحة القلبية له وهى التى أصيب بها أثناء عودته جوا من رحلة الى نجع حمادى عقب الغارة الاسرائيلية عليها قبل ذلك بشهور .

وفى هذه الزيارة كان على صبرى فى غاية الضيق .. يكيل السبب بلا حساب .. وتستبد به الدهشة من هذه المعاملة الشاذة .

طبعاً لم يكن استغلال النفوذ أو التهرب من الجمارك هو السبب فى توجيه هذه الضربة القضائية للشخصية السياسية المؤهلة لقيادة العمل السياسى ..

ويقول البعض ان ذلك كان نتيجة لما حدث فى امانه القاهرة عندما تقدمت فنانة معروفة متزوجة من أحد الصحفيين بتقرير قالت فيه ان بعض أعضاء أمانة القاهرة يتهاجمون على جمال عبد الناصر

وأصدر عبد الناصر أوامره باخراج أمين عز الدين وسامى الليثى من أمانة القاهرة ، وكذلك اخراج عبد المجيد فريد من أمانة رئاسة الجمهورية، وقصر عمله على الاتحاد الاشتراكى .

وذهب عبد المجيد فريد الى على صبرى يطلب منه أن ينفذ الامر فى هدوء وعلى مراحل ، وليس دفعة واحدة ، ووافقه على صبرى على رأيه .. ولكن الامر بعد ذلك وصل الى جمال عبد الناصر وكأنه يكسر أوامره

ولعل خلافات سامى شرف (التحتية) مع على صبرى كانت سببا فى تجسيد هذه القضية .

وقال لى شعراوى جمعة ان صورة على صبرى ربما تكون قد اهتزت أمام جمال عبد الناصر عندما أبلغه حسين الشافعى بواقعة الجمارك التى عرفها من شقيقه الذى كان يعمل فى الاتحاد الاشتراكى والتى تلتخص فى

أن سكرتير على صبرى مصطفى ناجى قد اتصل تليفونيا من موسكو وطلب
عربة لورى تنتظر فى المطار لحمل الحقائب الكثيرة ، والانصال بشركة مصر
للطيران لتدفع العفش الزائد .

ويقول شعراوى ان على صبرى عندما علم بأن سكرتيره قد أرسل
الاشارة طلب الغاءها . . ولكن بعد فوات الاوان .

ولما استثارت هذه الواقعة التى أبلغها حسين الشافعى حفيظه جمال
عبد الناصر طلب شعراوى جمعةً مقابلته للتحدث معه فى هذا الموضوع
قبل ظهوره فى صحيفة الاهرام . . . ويقول ان عبد الناصر كان غاضبا وكان
يردد (ان على صبرى كان يعمل لى والآن يعمل معى) . . وكان بذلك قد
تجاوز حدودا رسمها عبد الناصر له .

صدر قرار (كسر) على صبرى بعد أن كانت الظروف قد أقصت
من امامه عددا من أخطر المنافسين .

انتحر المشير عبد الحكيم عامر ، وهو الذى لم يفتن يوما بأهيمه
الاتحاد الاشتراكي ، والذى اتخذ موقف العداء من منظمة الشباب التى أنشأها
على صبرى .

واستقال زكريا محيى الدين وهو الشخصية المؤهلة بعد عبد الناصر
فى تاريخ الثورة لتكون (رجل دولة)
كان الطريق ممهدا امام على صبرى ليؤدى دور الرجل الذى لا تقدر
المنافسة على النيل منه

ولكن أنور السادات وحسين الشافعى ومحمد حسنين هيكل كانوا من
الشخصيات التى لا تقبل من على صبرى أداء دور أكبر من طاقته . . كما أن
شعراوى وسامى شرف كانا لا يريدان الذوبان فى شخصية على صبرى
كان التنافس واضحا ، وصراع القوى لا يهدأ
ولم يكن اخراج على صبرى - فى يقينى - رد فعلى لحادث الجمارك ، فقد
سبق ذلك تغييرات تعتبر مؤشرا لنية جمال عبد الناصر

كان قد أعاد حسن التهامى سفير مصر فى فينا لمدة سبع سنوات
للعمل مستشارا له ثم أمينا لرئاسة الجمهورية فى ١٥ يوليو ٦٩ بدلا من
عبد المجيد فريد الشخصية القريبة من على صبرى أيضا ، والذى ظل مع ذلك
فى موقعه أمينا للاتحاد الاشتراكي بالقاهرة ، وسكرتيرا لجلسات مجلس
الوزراء .

وحسن التهامى هو أحد الضباط الاحرار الذين كانوا يعملون فى
ادارة المخابرات الحربية قبل الثورة ، وكان فى نفس الوقت مقربا من جمال
عبد الناصر . . اشترك معه هو وحسن ابراهيم وكمال رفعت فى محاولة
اغتيال اللواء حسين سرى عامر قبل أسابيع من قيام حركة الجيش .

وقد أبعد الى فينا بعد صدور قرارات يوليو ١٩٦١ لموقفه المصاد لها
حيث كان يعتبر ان مثل هذه الاجراءات تعتبر انحرافا نحو الماركسية بعيدا
عن الاسلام . . على حد تصريحه بذلك فيما بعد .

ولذا كان استدعاء جمال عبد الناصر له وتعيينه في هذا المنصب الحساس بدلا من شخصية كانت تؤدي دورا بارزا في العمل السياسي - عبد المجيد فريد - كان الاستدعاء يعتبر مؤشرا ودليلا على تغيير كان يختم في صدر جمال عبد الناصر .

ربما أسرع المرض في اخراج قرار على صبرى الى العلانية . ولكن الموقف فيما يبدو لم يكن قاصرا على علي صبرى وحده ، ولكنه تجاوزه الى المرتبطين به ارتباطا سياسيا . الامر الذي يعطى ابعادا جديدة للموقف ، رغم محاولة الاهرام تفسير ذلك بأنه تم نتيجة امور ادارية .

صدر قرار أيضا في نفس اليوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ باقصاء رئيس مجلس ادارة اخبار اليوم محمود أمين العالم ، ولم يعين أحد بدلا منه الذي كلف من عبد الناصر بتنفيذ الامر . . كان انور السادات الذي اعتمد على احسان عبد القدوس وموسى صبرى . . وبقي اسم محمود أمين العالم مكتوبا على صحف الدار ببنط صغير لا يكاد يقرأ الى أن عين رئيسا لمؤسسة المسرح .

كان انور السادات قد بدأ يؤدي دورا متزايدا في الحياة السياسية . ولم يعد له بين الرسميين من أعضاء مجلس الثورة منافس سوى حسين السافى الذي ظل محتفظا بموقفه الفكرى الذى لم يتطور مع تطور الثورة

مثل انور السادات مصر في اجتماع القمة الاسلامى في الرباط . . يوم ٢١ سبتمبر ١٩٦٩ .

وفي يوم سفره نشرت صورته وهو يرأس اللجنة الدائمة بحضور على صبرى في آخر اجتماع له بعد استقالته .

ومما يذكر انه قد حدث خلاف في هذا المؤتمر حول تمثيل الهند التى سبق ان وجهت الدعوة الى رئيس جمهوريتها فخر الدين على أحمد ولكن المؤتمر رفض قبول تمثيله رغم سفره للمغرب .

وكانت هذه هي المرة الاولى بعد الهزيمة التى يقوم فيها انور السادات بتمثيل مصر في مؤتمر دولى تحضره ٢٥ دولة يمثل عشرة منها الملوك والرؤساء .

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف انور السادات بعمل اجتماعات اسبوعية مع السفير السوفيتى سيرجى فينوجرادوف لمناقشة القضايا السياسية والتعرف على ابعادها ، ونقل صورة عنها الى جمال عبد الناصر حسب قوله في تصريحات مختلفة

وهكذا دخل انور السادات في دائرة المسؤولية العليا للعمل السياسى وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الامة في ٧ نوفمبر ١٩٦٨ بعد انتهاء اجتماعات المؤتمر القومى في دورته الثانية وتغيير تعريف العامل والفلاح ، قبل ان تنتهى مدته الرسمية بعدة أشهر . جرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وتغيرت معالم

المجلس الجديد فقد نجح من الاعضاء القدامى ٩٢ نائبا من ١١٧ رشحوا
انفسهم .

وتغيرت التركيبة الاجتماعية للمجلس .
وفى عام ١٩٦٤ كان هناك ٧٥ عاملا - ١٠٨ فلاحين أما فى مجلس ١٩٦٩
فقد نجح ١١٩ عاملا ، ٦٤ فلاحا . وكان هذا دليلا على أن فرص النجاح قد
أصبحت أقل للفلاحين الذين يملكون أقل من عشرة فدادين حسب التعريف
الجديد للفلاح .

كما نجح ٢٢ نائبا من المنتسبين للانحد الاشتراكي باعتبار ذلك شرطاً
لترشيح ولكنهم لم يكونوا من مرشحي قيادة الاتحاد الاشتراكي
وانتخب لبيب شقير رئيسا للمجلس الجديد . وتفرغ السادات
للمهام السياسية وكلف أنور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير
الخارجية وفريق أول محمد فوزى الى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة
القادة السوفيت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية .
أذكر اننى التقيت به قبل سفره وطلب منى اعداد ورقة له عن (لينين
وقضايا التحرر الوطنى) لانه ينوى مناقشة كادر الحزب الشيوعى السوفييتى
فى موقف الشرق الاوسط . وأعددت له بحثا مختصرا حول هذه
القضية .

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من اقضاء على صبرى ، وفى
يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه الى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر
١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه الى
المطار أن يحلف اليمين القانونية نائبا لرئيس الجمهورية .
قال لى حسين الشافعى انه كان حاضرا وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة
مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى اجراءات رسمية . هذا رغم أن
جمال عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة انه سيعين نائبا لرئيس
الجمهورية دون تحديد اسمه .

ويقول محمد حسنين هيكل الى فؤاد مطر فى كتابه (بصراحة) ان
عبد الناصر عندما عين أنور السادات نائبا له كان بسبب معلومات وصلته
ومفادها ان هناك مؤامرة لاغتياله فى الرباط خلال مشاركته فى مؤتمر القمة
العربى الخامس . وهو مارواه لهيكل فى الطائرة .

سواء صح خبر المؤامرة أم لم يصح فقد اختار جمال عبد الناصر من بين
زملائه أنور السادات ليكون نائبا له ، وبالتالى يكون أقرب المرشحين
لرئاسة الجمهورية فى حالة وقوع القدر .

ولم يقتصر دور أنور السادات على الشؤون الخارجية فقط ، ولكنه
أصبح الشخصية الرئيسية فى اللقاء مع الجماهير . عقد فى شهر يناير ١٩٧٠
اجتماع مع قيادات الاتحاد الاشتراكي بالوجه القبلى والوجه البحرى حضرها
عبد المحسن أبو النور ولبيب شقير وضيء داود وشعراوى جمعة .

ولذا فقد وافقت اللجنة المركزية دون تعقيب فى اجتماعها يوم ٤ فبراير
١٩٧٠ على استقالة على صبرى من أمانة لجنة التنظيم واستبداله بشعراوى
جمعة . وذلك لما لمستته من تغيير فى أهمية الادوار التى يلعبها المحيطون
بعبد الناصر .

وكان من أهم مظاهر معركة الصفوف الخلفية ما يرتبط بالناحية الاقتصادية والاتجاهات التي فرضتها الهزيمة :

أولاً - اصطدمت قضية التنمية المخططة منذ نهاية الحطة الخمسية الأولى بمشكلات حادة منها : أزمة شديدة في النقد الاجنبي منذ عام ١٩٦٣ وصلت لأقصى حد عام ١٩٦٥ بقطع اتفاقيات القمح الأمريكية والاضطرار لاستيراد القمح والدفع بالعملات الحرة (٦٠ مليون دولار سنوياً) ثم هجوم القوى المحافظة على التجربة ورفض أسلوب التنمية المخطط . واستجابة نظام الحكم جزئياً لهذه الدعاوى وتأجيل الحطة الخمسية الثانية (وضع خطة لمدة سنتين انكماشية مع وزارة زكريا محيي الدين ورفع أسعار بعض السلع الغذائية مثل الأرز)

وأخيراً بدء تقديم بعض التنازلات للرأسمالية الزراعية برفع أسعار السلع الزراعية .

ثانياً - ارتفع الناتج القومي الاجمالي فيما بين عامي ١٩٥٢ وحتى ١٩٦٥ بمتوسط ٥٪ . ارتفع ما بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٥ بمتوسط ٦ ٪ سنوياً ثم توقف الارتفاع في عام ١٩٦٥ وأخذ في الهبوط وبخاصة بعد حرب يونيو سنة ١٩٦٧ .

ثالثاً - حدث تدهور مطلق في حجم الاستثمار الحقيقي بعد عام ١٩٦٥ وتأكد هذا الاتجاه الانكماشى بعد حرب يونيو ١٩٦٧ . وهكذا تعثرت التنمية الاقتصادية منذ منتصف الستينيات وارتفع الدين الخارجى وأصبح التمويل الخارجى أكثر صعوبة فاضطر النظام لتخفيض الواردات وأصاب التخفيض مستلزمات الانتاج أساساً مما أضر بالصناعة . أما قيمة الواردات الغذائية فقد ارتفعت نتيجة لارتفاع أسعارها أساساً بمعدل ١١٠٥٪ سنوياً فيما بين عامي ٦٤/٦٥ وعامي ٦٦/١٩٦٧ كما ارتفعت أيضاً نتيجة للتوسع في استيرادها اسكاناً لأصوات الطبقة الجديدة الساخطة .

رابعاً - بعد الهزيمة كان لابد من تمويل اتفاق عسكرى متزايد . وكان أمام الحكومة أسلوبان : اما الحد من الاستهلاك وخاصة للطبقات القادرة وتخفيض الاستهلاك العام المدنى واما الاقتطاع من مخصصات الاستثمار . وقد اختارت الحكومة البديل الأسهل فنياً وسياسياً عن طريق التخفيض فى الموارد الاستثمارية ودون المساس بالاستهلاك الخاص والعام المدنى لتمويل عبء الزيادة فى الاتفاق الحربى . فتحمل الاستثمار «عبء المعركة» وهوبديل يحافظ على مصالح البرجوازية أساساً .

وقد انخفض الاستثمار عام ١٩٦٨ بمعدل ٥٠٪ عن مستواه سنة ١٩٦٧ واستمر الانخفاض بعد ذلك . وقد ترتب على الانخفاض المستمر فى حجم الادخار والاستثمار الانخفاض فى معدل تكوين الطاقة الانتاجية وبالتالي الانخفاض فى معدل زيادة الناتج القومى .

خامساً - انخفض الدخل الحقيقى للفرد فى العام الاول بعد الهزيمة بنسبة ٥٧٪ وتدهور استهلاك السلع الغذائية الأساسية (بالرغم من

المعونات الخارجية الكبيرة من الدول الاشتراكية بعد عام ١٩٦٧ لسند النظام المصري) وانخفض متوسط نصيب الفرد اليومي من السعرات الحرارية من ٢٩٤٢ سعرا عام ٦٤/٦٥ الى ٢٨٩٦ سعرا عام ٦٨/٦٩ وانجهت الاسعار للارتفاع . ومن جهة أخرى تضاعفت أرباح الرأسمالية فزاند عوائد التملك بمعدل ٦٨٪ في العام الاول بعد الحرب بمقدار ١١٣٪ في العام الثاني وزادت أرباح الجار ومقاولي الباطن بنسبة ٣٩٪ تم ٧٨٪ في أعوام ٦٨/٦٩ و ٦٩/٧٠ على التوالي . وهكذا فان التضحية تحملها أساسا الشعب العامل من استهلاكه .

سادسا - ان السيطر الجديد لاستخدام الموارد بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على الموارد المحلية بل امتد ليشمل موارد النقد الاجنبى النادرة . فقد تمت التضحية بموارد النقد الاجنبى المانحة للاستثمار والاستهلاك الوسيط (أى مستلزمات الانتاج) اللازمة لتشغيل الطاقة الانتاجية فى المجتمع وقد ترتب على ذلك انخفاض الواردات من السلع الرأسمالية مما ترتب عليه انخفاض معدل زيادة الطاقة الانشائية .

وانخفاض حجم الواردات من مستلزمات الانتاج مما ترتب عليه انخفاض تشغيل الطاقة الانتاجية القائمة وظهور الطاقة العاطلة فى كثير من الصناعات ووصلت الى مايزيد عن ٦٠٪ من الطاقة الانتاجية لبعض الصناعات مثل الصناعات الكيماوية والهندسية وصناعة الادوية .

وقد ترتب على ماسبق انخفاض معدل نمو الانتاج الصناعى من ٨٥٪ سنويا خلال فترة الخطة الخمسية الاولى الى ٢٪ سنويا خلال الفترة من ١٩٦٨ الى ١٩٧٣ .

ولقد ترتب على العبء الدفاعى والوفاء بالاحتياجات الاستهلاكية - نتيجة لعجز الانتاج الزراعى عن الوفاء بمتطلبات الزيادة عن الطلب على المواد الغذائية - أن وقع عبء مواجهة هذه المستلزمات على الواردات مما ترتب عليه الازدياد فى عجز ميزان المدفوعات وذلك لعدم قدرة الحكومة على وضع خطة لاستخدام القطاع الصناعى وتوجيهه لخدمة أغراض الدفاع . (نودى بقوة فى ذلك الوقت من جانب القوى الوطنية بوضع نظام لاقتصاد الحرب ولم تحاول الحكومة الاستجابة لهذا الامر أبدا الا فى حدود شكلية وذلك لعدم استعدادها لتحميل الطبقات الفادرة بأى تضحية بحجة جماعية التحالف الوطنى) .

وكان يواجه هذا الاتجاه الانكماشى الذى قارم ضرورة فرض اقتصاديات حرب . . اتجاه آخر لتنمية السلع الوسيطة . . والاتفاق على اقامة مجمع الحديد والالومنيوم . .

كان جمال عبد الناصر هو الراغب فى اقامة مشروعات صناعية كبيرة تبديد وهم الانحسار الكامل ، وتدفع الطاقة الانتاجية للامام : كما قال لى وزير التخطيط .

وهكذا تحددت معالم الصراع بعد الهزيمة فى الناحية الاقتصادية .
وكان هناك صراع آخر . .

اليسار .. واليمين

لم تحسم المعركة بين (ممالك السلطه) اذا صبح التعبير لمصلحه شخص دون الاخرين .

كان جمال عبد الناصر يلعب لعبة التوازن بمهارة اكتسبها من أسلوب قيادته خلال السنوات السابقة

عاد على صبرى للظهور من جديد ، بعد أن كانت صورته وأخباره قد اختفت من الصحف تماما .

كان الاحتفاظ به عضوا في اللجنة التنفيذية العليا دليلا على أن له دورا يمكن أن يؤديه في مرحلة قادمة .. وان وجوده مهم في نجاح لعبة التوازن .

ظهر على صبرى في حفل افتتاح الدورة البرلمانية يوم ٦ نوفمبر وهو يستقبل عبد الناصر واقفا بعد أنور السادات وحسين الشافعي .

وكان عبد الناصر قد عاد لممارسة عمله الطبيعي واستقبال الشخصيات السياسية .. وأول صورة ظهرت له كانت مع الرائد عبد السلام جلود عضو مجلس قيادة الثورة الليبية يوم ٢٣ أكتوبر ١٩٦٩ .

وفي خطبته أمام مجلس الأمة تحدث جمال عبد الناصر لأول مرة عن (لجنة المواطنين من أجل المعركة) ، وقال وفي ذهنه تصاعد حرب الاستنزاف (اذا كان العدو لا يملك أن يخسر معركة . فنحن لم نعد نملك ان نخسر معركة) .

وعقب عودة عبد الناصر من رحلته السرية الى موسكو التي قام بها يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ دعا الى مؤتمر قمة لدول المواجهة عقد في القاهرة يوم ٨ فبراير ١٩٧٠ حضره جعفر نميري أيضا .. وتشكل الوفد المصري من حسين الشافعي وعلى صبرى

ويوم ٢٦ ابريل ١٩٧٠ حدث تغيير جديد في مواقع السلطه .. تغيير فوجيء به أقرب الناس الى عبد الناصر ، فقد حدث تغيير وزاري فيه كل من حسن التهامي وسعد زايد وسامى شرف وزراء دولة ، كما عين محمد حسنين هيكل وزيرا للإرشاد .

وعين أيضا حافظ اسماعيل رئيسا لهيئة المخابرات العامة بدلا من أمين هويدي الذي اقتصر عمله على وزارة الدولة ، وأصبح محمد فايق وزير دولة للشئون الخارجية

كانت هذه التغييرات تظهر اتجاها جديدا لشرع السلطه .. محمد حسنين هيكل لم يكن راغبا في منصب وزاري . وكان مكتفيا بدوره رئيسا لتحرير الاهرام وصديقا مقربا من رئيس الجمهورية .. وعندما حاول الاعتذار عن عدم القبول رفض جمال عبد الناصر ، وارتضى له أن يجمع بين المنصبين بصفة استثنائية .

ولم يقف التغيير عند هذا الحد .. عاد على صبرى الى موقع هام في الاتحاد الاشتراكي .. أنشئت في نفس اليوم لجنة سادسة منبثقة عن اللجنة التنفيذية العليا هي (اللجنة الدائمة للشئون الخارجية) وانتدب

على صبرى أمينا للجنة الجديدة ٠٠ وبعد ذلك عين على صبرى فى منصب فريق بالقوات الجوية ٠٠ ولكن حرص جمال عبد الناصر على ان يؤكد لمحمد فوزى انه منصب شرفى ليس له أية اقدمية ، وأن يوجه نظره الى الحذر من ناحيه مرور على صبرى على القوات الجوية ٠

لعبه التوازن لايحتمل السكوت الطويل ٠٠ وعودة على صبرى مقلم الاطافر تشير الى ان له دورا ، ولكنه ليس دور البطولة ٠٠ وربط هيكل بالوزارة يضعف من قدره على الحركة والمناورة ويضعه تحت سلطه الرقابه الشعبية فى مجلس الامه ٠ وينهى فرصه فى نقد أجهزة الاعلام الامر الذى أطاح بمحمد فائق بعيدا عنها ٠

وحدث خلال هذه الفترة أن طهر صراعات الماليك بصورة غريبة ٠٠ فقد سجلت أجهزة الامن حدثا دار فى شقه لطفي الخولى رئيس تحرير (الطليعة) ونوال المحلاوى السكريرة الشخصية لهيكل والسيدة صاحبة النفوذ فى المؤسسة ، وهما بنبادلان مع بعض الاصدقاء حديثا حول تعيين هيكل وزيرا ، يجمع بين ندد الاحراء منسوجا ببعض السباب ٠٠ واصدر عبد الناصر أوامره باعتقال لطفي وزوجه ونوال المحلاوى ٠٠ واستمر الاعتقال عدة سهور ٠

وكان ذلك الاجراء صدمة لهيكل ، واضعافا لمركزه ، فهو لم يستطع ان يفعل شيئا للمنعقلين وهم من أقرب الناس اليه ٠٠ ولكنهم ضبطوا متلبسين بتهمة الهجوم على رئيس الجمهورية الذى يضم هيكل فى كنف حمايته ٠

ولذا كان موقفه حرجا ٠٠ ودخله شديد الحساسيه ٠

وينضج من ذلك أن جميع الاقوياء فى هذا الوقت لم يكن الارض باهته تحت اقدامهم ٠٠ فلم يكن أحد منهم يسمد سلطه الا من الزعيم الذى لنيرا ماكان يوجه لهم كلمات النعد سواء فى حضورهم او غيابهم هكذا كانت تبدو معركة الخطوط الحلفيه ٠٠ لم أنسا أن أدخل فى فرعاتها وجزئياتها وبفاصيلها ٠٠ مكسبا بنوضيح هذا القدر الذى يؤكد ان التجانس والتنسيق كان عائبا فى دائره السلطه العليا

ولكن معركة الخطوط الخلفيه لم تكن (صراع ممالك) فقط ٠٠ فقد دفعت الهزيمة بالمعركة الى خارج حدود السلطه ، وأصبحت تعبر بصورة أكبر وضوحا عن (صراع طبقات) طل هادبا أو مكبونا خلال فترة ما قبل الهزيمة التى حفلت بغيراب اجتماعية ملحوظه ٠

كان صراع الماليك فى دائره السلطه يعبر عن تناقصات وخلافات شخصية اكثر مما يعبر عن مواقف طبقية واجتماعية ٠٠ كان الجميع ينمون الى الطبقة نفسها التى ينمى اليها جمال عبد الناصر (البرجوازية الصغيرة) ولكن مواقعهم فيها تختلف ٠٠ البعض أكثر اقترابا للطبقة العاملة والعاملين والبعض معبر عن مصالح طبقه خسر تعبیر ، والبعض يجذب اغراء البرجوازية الكبيرة بكل ماتحفل به حياتها من بريق ٠٠ ولكنهم فى النهاية أبناء طبقة واحدة ، تجمعهم رؤى واحدة ، فد تكون محدودة وضيقة عند البعض ٠ وأكثرا اتساعا وشمولا عند البعض الآخر ٠

وقد وضحت هذه الظاهرة تماما في المجالات القيادية للاتحاد الاشتراكي الذي كان يعتبر أكثر أجهزة السلطة تقدما ويسارية .. فلم يكن بين أعضاء اللجنة التنفيذية العليا عامل أو فلاح .. ولم يحتفظ بهذه النسبة في المكاتب التنفيذية بالمحافظات وخاصة القاهرة والاسكندرية - رغم أن ذلك لا يعتبر مؤثرا في ذاته على القدرة القيادية عند العامل أو الفلاح دون تأهيل ونضج سياسي .

لم يكن التحالف قائما على أساس الثقل والوزن الطبيعي للطبقات التي يمثلها المجتمع .. ولكنه كان تحالفا يتحرك بقبضة الطبقة الوسطى للسيطرة على بقية الطبقات .

ولذا فإن الخلافات التي بدأت تظهر بين الشخصيات الكبيرة على مسرح الثورة لم تجذب الجماهير إليها ، ولم يفعل بها احد من المشاهدين كانت كل الشخصيات تتحرك من موقع السلطة دون اعتماد أو ارتباط مع الجماهير .

ولم يكن على صبرى مختلفا عن الآخرين .. فانه رغم تأثيره ونفوذه في الاتحاد الاشتراكي وارتباط عدد من قاداته به شخصيا .. الا أنه لم يكن شخصية جماهيرية .. ولذا فإن الاجراء العنيف الذي اتخذ ضده في سبتمبر ١٩٦٩ لم يحرك أحدا للدفاع عنه .. ونظر الناس اليه على أنه ضربة خاطئة تحت الحزام وجهت اليه في مباراة للملاكمة ، سرعان ما ينفذ - الناس عنها ويعودون الى بيوتهم

ولكن معركة الخطوط الخلفية .. لم تكن محصورة في حدود (صراع المالكي) .. كانت في مضمونها الحقيقي معركة بين أنصار التقدم .. وبين المحافظين والرجعيين .. معركة في داخل دائرة السلطة وخارجها كانت الرجعية تتربص بالثورة المهزومة المتخنة بالجراح .. تعمل على أن تنزف دمه لتسقط منهية دورها التاريخي كما أرادت اسرائيل والامبريالية .. وكانت قوى اليسار والتقدم تناضل من اجل استمرار الثورة مع قصد دمه الفاسد .

وكان جمال عبد الناصر يمارس لعبة التوازن بمهارة ، بين ممالك السلطة .. وبين القوى الاجتماعية المختلفة .

وكان في هذه الممارسة (سجينا لتاريخه) .. أي انه لم يكن قادرا على التراجع بأهدافه الى حد اسقاطها منحازا لليمين .. بل ظل مدافعا عن أفكاره وعقائده مستلهما الظروف التي يمكن ان تنفذ ثورته .

وفي نفس الوقت لم يندفع جمال عبد الناصر الى اليسار ليصبح فيديل كاسترو آخر في العالم الثالث

لم يكن واقعه .. ولم تكن ظروف مصر تسمح بذلك حدثت الهزيمة في مصر .. والاحزاب الشيوعية قد حلت نفسها وارتفعت قيادة جمال عبد الناصر .. وبذلك غاب تأثيرها وضعف دورها في الطبقة العاملة والطبقات الكادحة الاخرى لم يتوافر تنظيم ثوري مناضل ، يستطيع ان يجذب بقوته جمال عبد الناصر الذي كان يقف في يسار طبقته .

وكان بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية السابقة قد عينوا فى أماكن ومراكز هامة . ولكنهم كانوا ينصرفون ككفراد دون انتماء . يحسنون ويخططون بلا حساب . ينلمسون النفع بهم من المسئولين وليس من الجماهير التى يتعاملون معها ، أو من التنظيمات التى سبق لهم ان ربطوا حياتهم بها . ولم تحدث بعد الهزيمة معاودة نظر سريعة لقضية حل الاحزاب والتنظيمات الشيوعية . بل استكان الكثيرون الى وضعهم الجديد . لم يتضامنوا مع الذين اهلهم السلطة ولم نعدهم الى أعمالهم . كانت الثورة أكثر ميلا لاجتذاب الشيوعيين المنغفين منها الى اجتذاب الشيوعيين من العمال أو الفلاحين

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة التنفيذية العليا انه عندما كلف بصفته مسئولاً عن الدعوة والفكر باختيار أساتذة معهد الدراسات الاشتراكية اختار عددا من الشيوعيين السابقين . وعرض اسماءهم على جمال عبد الناصر ، قال له :

(اننى لأعتبر التناقض بيننا وبين الماركسية تناقضا عدائيا . واننى استعنت فى تحضير أفكار الميثاق بكتابات ماركس ولينين وستالين وماوتسى تونج ولاسكى وغيرهم) . ثم أضاف قائلا :

(اننى أعتقد ان التعاون معهم أولى من كسب عدائهم . . . ورايى ان نلهم جميعا فهذا أفضل من ان نخسرهم)

ورغم ذلك فقد بذل معظم هؤلاء - كل فى موقعه - غاية مايملك من جهد لتغليب تيار اليسار والتقدم . وتعاون بعضهم بإخلاص مع عناصر السلطة اليساريين .

وأمكن خلال هذا التعاون تقليل الحساسية والصدام بين أفكار يوليو وبين الماركسية . ولو أن أحدا لم يحاول وضع حل للمعادلة التى يمكن أن تجمع بين كل قوى اليسار والتقدم فى جبهة واحدة

كأن الحذر من الماركسية والماركسيين يكاد يستوى عند بعض المسئولين بالحذر من الرجعية والاخوان المسلمين . . . وكلما تأزمت الامور حول قضية أو قامت مظاهرات ، أسرع اصابع الاتهام تشير للاتجاهين معا .

ورغم كل التغيرات الاجتماعية التى قامت بها ثورة يوليو ، الا أن البرجوازية المصرية ظلت متأثرة ومرتبطة بنموذج الحياة الغربي . واستمرت الجامعات ترسل بعثاتها الى انجلترا والولايات المتحدة ، ويعود الخريجون متأثرين بالأفكار والاتجاهات الرأسمالية . فينشرون ذلك بين طلبتها .

وظل معظم أساتذة الجامعة من الناحية السياسية عنصرا من عناصر اعاقة التطور الفكرى . . . وكانت عيون الكثيرين منهم تنجذب الى جامعات الدول البترولية التى تفدق الاموال على الاساتذة .

وعرفت مصر فى هذه الفترة هجرة بعض أبنائها الى الخارج ، بعد أن كان هذا أمرا نادر الحدوث فى مصر .

كتابة الهزيمة ، وصعوبة الحياة ، وعدم حدوث تغيير جذرى حقيقى .

يضع المجتمع على الطريق الصحيح للتقدم .. كل ذلك دفع المثقفين الى الاتجاه للهجرة بصورة متزايدة .

ومصر تؤثر وتتأثر بالوطن العربي .. لها دور قيادي لاشك فيه .
وكما فرضت الهزيمة ظروفًا صعبة في مصر .. خلفت اتجاهًا واضحًا نحو الافكار الماركسية في الحركات السياسية العربية

وحلت بعض الدول معادلة تعاون النظم الوطنية الديموقراطية مع القوى الشيوعية . ونادى حزب البعث في العراق بإنشاء جبهة وطنية وقومية تقدمية ينضم اليها الحزب الشيوعي والحزب الديموقراطي الكردستاني ، واستمر في ندائه حتى تحقق هدفه ..

وفي قوى المقاومة الفلسطينية نما الاتجاه الماركسي وأصبح عقيدة لعدد من المنظمات ، واعداد متزايدة من الشباب .

ولكن هذا الاتجاه الجديد لم يؤثر كثيرا في مصر .. وغيبة الاحزاب والتنظيمات الشيوعية لم يفرض واقعا جديدا على النظام .. والعناصر الماركسية استغرقتها مسؤولياتها ولم يجد يربط بينها روح الانتماء ولا وحدة التنظيم .

وجمال عبد الناصر مازال هو الزعيم المؤهل لقيادة أى تغيير اجتماعي .

وبعد أن قرر تحديد مواصفات العامل والفلاح بصورة أكثر واقعية أدت الى اعادة انتخاب مجلس الامة .. وافق مؤتمر الاتحاد الاشتراكي في ٢٣ يوليو ١٩٦٩ على النزول بالحد الاقصى للملكية الى خمسين فدانا . مع اقرار قيام شركات عامة لادارة ٧٠٠٠٠٠ فدان وهو مايؤدي الى ظهور بشائر المزارع الجماعية .. كما اتخذ المؤتمر قرارا بأن تخصص دورته القادمة لقضايا التحول الاشتراكي

ولكن جمال عبد الناصر في نفس هذا المؤتمر قاوم اتجاهها لفكرة حرب التحرير الشعبية بدعوى نقص السلاح كما ذكرت سابقا .. وكان عبد الناصر منطقيا مع نفسه وواقعه .. فهو لم يكن هوشى منه ، ولم يكن الاتحاد الاشتراكي هو حزب العمل الفيتنامي ، ولم تكن هناك جبهة مثل جبهة تحرير فيتنام تضم كل القوى الوطنية بتضاريسها وقدراتها الطبيعية

كانت قدرات جمال عبد الناصر في الخروج من طبقته والاندفاع الى اليسار مع الفلاحين والطبقة العاملة قدرات محدودة بطبيعته الشخصية والاسلوب الاوتوقراطي الذي اعتمد عليه حكمه ، وعدم توافر تنظيم سياسي ملتزم يمكن أن تتبلور الافكار الجديدة في صفوفه بطريقة ديموقراطية .

ولم يكن مطلوبا من جمال عبد الناصر في هذه المرحلة أن يتحول الى فيديل كاسترو جديد .. ولكن كان مطلوبا منه أن يساند وينمي قوى التقدم صاحبة المصلحة الحقيقية في الاشتراكية .

ولكنه ظل حبيس نظامه ، أسير الشخصيات التي فرضها ، يلعب لعبة التوازن .. ويخشى أن يأخذ خطوة أكثر راديكالية الى اليسار . كانت فرصة تاريخية لنظام ثورة يوليو يمكن بها أن يتقدم وتمتد جذوره الى الطبقات الكادحة التي لو شعرت بالمشاركة الحقيقية فى النظام لنبتت منها طاقات هائلة

ولكن النظام ترك هذه الطبقات فى الظل .. تمنى من الأمية والتخلف ولايربطها بالنظام وبعبد الناصر شخصيا .. سوى الامل وما حصلت عليه من مكاسب نسبية

كانت فرصة عبد الناصر لبناء أساس صالح لقيام مجتمع اشتراكي موجودة وليست مستحيلة . ولكنه ترك التناقضات والحساسيات والصراعات مكبوتة وغير محلولة ،

وأصبحت الاشتراكية هي المشجب الذي تعلق عليه كل أخطاء النظام وهي بريئة ومفترى عليها .. وأصبح المحافظون والرجعيون وعملاء الامبريالية يصورون أن ما يحدث في مصر هو ماركسيه شيوعيه .. وهم يعرفون تماما أن الشيوعيين والماركسيين كانوا بعيدين تماما عن مركز التأثير فى السلطة ولكنهم كانوا يقيمون سدودا أمام احتمالات انطلاق القوى الكادحة من عمال وفلاحين للقيام بدور مؤثر فى النظام طالما أن اسرائيل ترفض السلام والمركة الوطنية محتدمة .

ويقول دكمجيان فى كتابه (مصر تحت حكم ناصر) ان هناك خمسة أسباب حالت دون اختيار طريق أكثر يساريه وهي :

- ١ - القوة المستمرة للدين الاسلامي والازهر
- ٢ - الفتوية (الوسطى) عموما للقوات المسلحة .
- ٣ - الضعف النسبي للييسار المصرى مقارنا بالقوات المسلحة والمؤسسات الدينية .
- ٤ - الرغبة فى حفظ العلاقات مع الولايات المتحدة لاحداث توازن مع النفوذ السوفييتى المتزايد ، ولتكون وسيطا محتلا مع اسرائيل .
- ٥ - الزعامة المركزة حول شخص عبد الناصر

ويقول (دكمجيان) انه ماكان يمكن لعبد الناصر أن يرسو بنجاح على مرفأ أكثر يساريه حتى لو أراد ذلك نتيجة للعوامل الثلاثة الاولى .. وانه لذلك لعب دورا رئيسيا لمنع أى تطور يسارى معتقدا فيما يبدو بقدرة الصيغة المعتدلة التي وضعها للييسار العربى القومى فى التغلب على مشكلات مصر مع اسرائيل

ومع ذلك لا يستبعد (دكمجيان) فى المستقبل اختيار عبد الناصر لبرنامج ايدىولوجى يسارى او شيوعى مشيرا الى أن ذلك يعتمد على أسلوب الولايات المتحدة واسرائيل فى معالجة المشكلة سواءى أن تمزق للحركة الثورية العالمية قد يعطل تطور الشيوعية فى مصر ويضرب مثلا بالخلاف الصينى السوفييتى .

ويعتقد (دكمجيان) ان رفض اسرائيل للانسحاب من سيناء قد يدفع

العبادة في حالة اليأس الى الابتعاد عن الطبقة الوسطى والسياسة الاشتراكية المعتدلة ومحاوله بناء حركة يسارية ثورية مشابهه لحركة فيديل كاسترو القائمة على الطبقة العاملة والفلاحين ، والتي تواءمت مع الدين والوطنية وهو ما يمكن أن يتم في مصر ايضا

ولكن عبد الناصر لم يتحول الى كاسترو الهزيمة لم تدفعه الى اليسار تماما ٠٠ كما أعلن كاسترو الاشتراكية بعد وضوح المساندة الامريكية في الغزو الفاشل لمنطقه (خليج الخنازير) ، وعبد الناصر لم يحاول دعم وتقوية الاحزاب الشيوعية أو العناصر الشيوعية التي تعاون معها وانما عمل على احتوائها ٠٠ أما كاسترو فقد تعاون تماما مع الحزب الشيوعي الكوبي حتى انتهى الامر باندماج الحزب مع قوته الثورية في تنظيم ماركسي واحد وعندما لم يتخذ عبد الناصر الموقف الذي تحدث عنه (لاكمبيان) ، وواصل لعبة التوازن ، ظهر ذلك في عدة مجالات هامة بصورة انحراف الى اليمين .

اولا : الاقتصاد

أخذت صيحات الدعوة لاقتصاد حرب تخفت يوما بعد يوم ، وارتفعت الدعوة لدعم القطاع الخاص ، وتشجيع رؤوس الاموال الاجنبية كما سبق أن اشرت .

ووضح ذلك في المنهج الذي سار عليه حسن عباس زكي ومن بعده عبد العزيز حجازي في وزارة (اساتذة الجامعة) التي شكلت بعد مظاهرات الطلبة .

وفي مقابل التسهيلات التي أعطيت للقطاع الخاص ، أعطيت علاوات لعمال القطاع العام ٠٠ لعبة التوازن مستمرة

ثانيا : الثقافة

تعرضت الثقافة بعد الهزيمة لهزات مثيرة ٠٠ وكان وزيرها عندئذ هو الدكتور ثروت عتاشة الذي كان قد بدأ يعيد تنظيم الوزارة التي عاد اليها على أسس واقعية وعلمية ، ويختار لأجهزتها شخصيات تنال احترام المثقفين .

الاديب نجيب محفوظ رئيسا لمؤسسة السينما والدكتور عبد الرزاق حسن عضوا منتدبا والدكتور علي الراعي رئيسا لمؤسسة المسرح ، وسعد كامل مديرا للثقافة الجماهيرية والدكتورة سهير القلماوي ثم محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة النشر ، وحسن فؤاد مديرا للسينما التسجيلية . والمستشار مصطفى درويش رقيبا على المصنفات الفنية

وكانت وزارة الثقافة قد بدأت تستعيد ثقة المثقفين بها ٠٠ وتمارس دورا هاما في حياة الجماهير ٠٠ وقد أدى رؤساء الاجهزة دورا بارزا في هذا المجال ، وبدت الوزارة تعمل في تناسق وتوافق الاوركسترا السيمفوني . ولكن الهزيمة أحدثت اضطرابا ملحوظا في مجال الوزارة ، أعاده

البعض الى صلة الصداقة الوثيقة التي كانت تربط بين المشير عامر وصلاح نصر وبين ثروت عكاشه .

ولكن محاكمة المؤامرة مضت .. وثبت أن ثروت عكاشه لم يكن ضالعا فيها واستمر في منصبه .

تم جاءت انتخابات الاتحاد الاشتراكي (يونيو ١٩٦٨) التي اشترت اليها وسقط ثروت عكاشه في دائرة قصر النيل وكان هذا دليلا على وجود تناقض بينه وبين علي صبري او أجهزة الاتحاد الاشتراكي .

وهو الامر الذي دفع ثروت عكاشه الى التخلي عن بعض الذين عملوا معه في اخلاص دون اى تفسير لهم ، معتفدا بذلك أنه ينقد نفسه من ملاحظات أجهزة الامن وأجهزة الاتحاد الاشتراكي التي كانت تحاول تصوير نشاط الوزارة وكأنه نشاط شيوعي كما قال لي .

وافصح ثروت عكاشه للمسئولين في الوزارة عن رغبته في ان تقدم أجهزتها أعمالا ترفيقيه ، وهو اتجاه يرتبط مع فكرة تدليك اعصاب الجماهير حتى تبعدهم مرارة الهزيمة .

اقول بدأت هذه الاتجاهات التي تتعارض مع القيم الثقافية التي يؤمن بها المثقفون الذين يتولون مسئولية أجهزة الوزارة ، تتحول الى اجراءات ايجابيه عن طريق حصار هذه الشخصيات تم ابعادها عن مواقع المسئولية .

تولى عبد الحميد جوده السحار رئاسة هيئة السينما بدلا من نجيب محفوظ ، ووضع عبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاي ومحمود توفيق وراعت الخياط في ففص لجنة القراءة بلامسئولية تقريبا

وتولى عبد المنعم الصاوى رئاسة هيئة المسرح بعد أن كانت العلاقات قد توترت بينه وبين ثروت عكاشه ، بعد عمل مشترك امتد طوال سنوات الثورة تقريبا سواء في مجال الصحافة او الثقافة ، وأحيل الدكتور على الراعى الى المعاش رغم عدم وصوله الى الخمسين

وأقيل سعد كامل من منصبه كمدير للثقافة الجماهيرية وهى الادارة التي أنشأها ببجده وعرقه وتعاون المثقفين معه ، وامتدت أجهزتها ومراكزها الى معظم المحافظات فاجدثت فيها نهضة ملحوظة .. لم تقابل من بعض المحافظين بالتأييد ، وبأدروا بالقاء تهمة الشيوعية على عدد من الشباب الذين تولوا ادارة هذه المراكز باخلاص شديد ، واستجابت وزارة الداخلية لهذا الاتجاه أيضا .

وحوصر حسن فؤاد في ادارة الافلام التسجيلية حتى لم يجد سبيلا الا الفرار والعودة للصحافة

أما محمود أمين العالم فكان قد انتقل من المسرح الى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم .

وحلت السيدة اعتدال ممتاز محل المستشار مصطفى درويش أكثر المثقفين خبرة بفن السينما

ويلاحظ ان معظم الشخصيات التي أبعدتها ثروت عكاشه تتميز باحترام المثقفين ، والفكر المتفتح المتقدم .. وأن العناصر البديلة لم تكن من ناحية الثقافة فى المستوى الذى يؤهلها لاحداث (ثورة ثقافية) كان المجتمع فى أشد الحاجة اليها خلال هذه المرحلة الحاسمة .

ولقد بدأت نضارة الثقافة تذبل ، وتدفع البيروقراطية العناصر المباشرة والمفتحة للهجرة من مواقعها .. وفقدت وزارة الثقافة دورها الذي خلقت من أجله .

عبرت هذه (الردة الثقافية) عن نفسها في رفض كثير من الافلام والمسرحيات التي حاولت نقد الاوضاع من موقع الحرص على الثورة .. ومنعت مسرحيات ليوسف ادريس وسعد الدين وهبه وعبد الرحمن الشراوى .. وخلت خشبة المسرح من فرسانها .

وبدا الانحدار في هيئة السينما واستمر ذلك حتى وصلت الى القاع وهكذا كان التغيير في وزارة الثقافة رجوعا الى الوراء . وانحرافا الى الترفيه والتفاهة . وتقليبا للعناصر الرجعية والمحافظه ، واطفاء لنور كان مفروضا أن يضيء ظلام الهزيمة . ويرتبط هذا الموقف في الثقافة بموقف آخر في الاعلام والصحافة .

ثالثا : الاعلام والصحافة

لم يكن اهتمام جمال عبد الناصر بتعيين التقدميين في مواقع المسئولية الصحفية نابها من فراغ .. فانه كان يدرك ان الصحافة هي المشعل الذي ينير الطريق والموجه الذي يحدث التغيير الحقيقي في عقول الجماهير ، والقاموس الذي يفسر اتجاهات الثورة . وان المثقفين الاشتراكيين هم أقدر الناس على التعبير في اخلاص عن رؤية الجماهير لحركة المجتمع .

ويمكن القول بأن تغييرات الصحافة كانت بمثابة (الترمومتر) الذي يظهر حقيقة اتجاهات الثورة ، وهي بذلك كانت أكثر تقدمية لسببين :

أولا - انها كانت مثل المدفعية الثقيله التي تمهد للهجوم ، وثانيا .. انها كانت مرتبطة بالاتحاد الاشتراكي وهو أكثر أجهزة الدولة تقدما ويسارية .

والعودة الى احسان عبد القدوس رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم بدلا من محمود أمين العالم ، وكامل زهيرى بدلا من أحمد بهاء الدين في ادارة روز اليوسف - رغم مطالبة بهاء المتكررة بترك روز اليوسف والتفرغ لدار الهلال .. كان دليلا على أن اندفاع الصحافة الى اليسار قد وصل غايته وأن موجة المد قد آلت الى انحسار . هكذا كانت المعركة في الخطوط الخلفية تتضمن صراعا بين اليمين واليسار .

ولكن وجود جمال عبد الناصر في قمة القيادة كان يعطى ضمانة نسبية بأن كفة اليمين لن ترجح .. وأن هذه الاجراءات كانت بمثابة انتزاع بعض الثقل من كفة اليسار حتى تتعادل مع كفة اليمين . وهو دليل على أن جمال عبد الناصر لم يشأ أن يدخل معركة اليمين واليسار منحازا بكل طاقته وزعامته وتأثيره الى جانب اليسار الحقيقي ،

خسبته ان تخرج الامور من يديه ومن طبقه . لتصل الى ايدي العمال
والفلاحين .

ودليل ذلك انه عندما رادت العازات الاسرائيلية على الداخل . وناقس
الامر مع فاده الاتحاد السوفيتي في زيارته السرية في سائر ١٩٧٠ لم يفكر في
هزل المعركة التي يد السبع في حرب تحرير سعنة . وانما عهد بان بسلم
السلطة الى من يستطيع ان يفاهم مع أمريكا كما اوضح بعضا في
الفصل السادس (المعركة هي الخطوط الامامية) وهو يدرك ان أمريكا لن تجلب
سلاما في مصاحه السبع . وانما في نفس الوقت عاجزه وحدها عن فرض
حل برصاص الجماهير .

كانت هذه المعركة بين اليمن واليسار هي ابرز المعارك مصمونا في
المجمع المصري . . . ولكنها كانت تدور في صمت . تعلو عليه اصوات (صراخ
المطالب) في ملك السلطة .
ولم تكن احد يستطيع ان تنبأ بما يمكن ان يفرضه موقف ائبل
على المنطقه من اتجاهات سياسة فيما لو رفضت الانسحاب عدت
المعركة كما كان يحدث فعلا .

ولكن كانت هناك الى جانب مفارك الخطوط الامامية والخلفية . . .
محاولات جادة للسلام .

الباب الخامس

السلام ... من فوهة البندقيّة

الفصل الاول

الحرب والسلام

● (الى المطبخ يا جولدا ٠٠ الى القاهرة
يا جولدمان)

متافات المتظاهرين في اسرائيل
أبريل ١٩٧٠

(ان مسألة جولدمان أحدثت خلافات حادة
في الراى داخل الكنيسيت وفي داخل الاحزاب
نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف
الوزارى داخل الحكومة)

وكالة الأنباء الفرنسية
١٨ أبريل ١٩٧٠

لم يكن القتال وعودة المعركة هدفا في ذاته ، ولكنه كان عند جمال
عبد الناصر وسيلة للوصول الى السلام العادل في المنطقة ٠٠ فقد كان مقتنعا
بأن ماأخذ بالقوة لابد وأن يسترد بالقوة ٠٠ ولذا ركز جهده وطاقته كما
أوضحنا في اعادة بناء القوات المسلحة ، والدخول بها في معارك متصلة
وصولا الى مركز قوة يتيح له فرض السلام ٠

لم يكن هناك من سبيل للوصول الى السلام في مواجهة عدومنتصر
تغمره الفطرتة والكبرياء ٠٠ الا القتال ٠٠ ولذا لم يتردد جمال عبدالناصر
لحظة في تصعيد المعركة تبعا للخطة ٠٠ ولكنه لم يتردد أيضا في البحث عن
وسائل ايجابية لتحقيق السلام ٠

أثبتت عودة المعركة أن الحرب لم تعد (حرب الايام الستة) ولكنها
أصبحت حرب شهور وأعوام مستمرة ٠٠ يتراشق الطرفان فيها بقنابل
المدفعية والطائرات ، ويتبادلان الهجوم الخاطف بالدوريات والعمليات
الفدائية ٠٠ وتتربص القيادة المصرية اللحظة المناسبة للانتفاض على العدو
وتحرير الارض ٠

دماء الشهداء لم تتوقف عن رى الارض في سيناء ومنطقة القتال
والبحر الاحمر ٠٠ وفي داخل مصر أيضا قبل وصول قوات الدفاع الجوى

السوفييتية في ابريل ١٩٧٠ ٠٠ لم يكن يمضى يوم دون قتال يسقط فيه الضحايا من ابناء القوات المسلحة ٠٠ ومن المدنيين الذين اسهموا في اعداد الدفاعات والذين بلغ عدد شهدائهم حوالى ٤٠٠٠ شهيد ٠ ومع ذلك لم يكن الموقف السياسى العربى مريحا تماما لجمال عبد الناصر ٠

كانت ثورة ١٧ يوليو ٦٨ فى العراق تأخذ موقفا متشددا ، وكانت المظاهرات كثيرا ما تجتاح بغداد مطالبة بالقتال ورفض محاولات التسوية السياسية ٠ وقد سرب جمال عبد الناصر الى الصحافة خطبا أرسله الى أحمد حسن البكر يقول فيه ان توحيد الجهد فى قتال الاسرائيليين أفضل من اطلاق المظاهرات فى الشوارع ٠

وكانت سوريا التى رفضت قرار مجلس الامن ، ورفضت حضور مؤتمر الخرطوم تأخذ نفس النهج تقريبا ٠ الامر الذى دفع جمال عبد الناصر الى مواجهة نور الدين الاتاسى بذلك عند مقابلته له فى ليبيا أثناء حضور الزعماء العرب لحفل جلاء الامريكيين عن قاعدة (هويلى أو عقبة بن نافع) ومصارحته بأنه يشعر أن موقف الحكم فى سوريا يشكل نوعا من نكران الفضل والجحيل ٠٠ وذلك حسب ماجاء فى كتاب ناتنج (ناصر) ٠ كما ان الجزائر واصلت سياستها المبدئية الراضية أصلا لوقف اطلاق النار ٠

ولكن جمال عبد الناصر وجد انه يمكن ان يحضر مؤتمرا للقمة بعد نجاح الحركة العسكرية فى السودان وليبيا ، وبعد نجاح الحركة العسكرية التى قادها محمد سياد برى فى الصومال وأيدها جمال عبد الناصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٩ ، وبعد جلاء القوات البريطانية عن اليمن الجنوبية ٠٠ وبعد زيادة توثق العلاقات بينه وبين المقاومة الفلسطينية عقب تدخله فى الازمة اللبنانية فور شغائه من الازمة القلبية التى تعرض لها ، الامر الذى انتهى الى عقد ما عرف باسم (اتفاقية القاهرة) فى ٢ نوفمبر ١٩٦٩ والتى وقعها ياسر عرفات ورئيس أركان حرب الجيش اللبنانى ٠

ذهب عبد الناصر الى الرباط بعد أن استقطت قوات الدفاع الجوى المصرية أول طائرة فانتوم اسرائيلية يوم ١٠ ديسمبر ١٩٦٩ من الطائرات التى سلمت لاسرائيل فى سبتمبر من نفس العام ٠٠ ذهب وفى قبضة مصر أيضا عدد من الاسرى الاسرائيليين ٠

ولذا وقف جمال عبد الناصر فى مؤتمر الرباط موقفا حازما من الذين كانوا يعارضون التسوية السلمية بينما قواتهم المسلحة لاتشترك فى القتال ٠

سألهم - حسب ماورد فى كتاب انطونى ناتنج (ناصر) - عما اذا كانت عندهم خطط محددة للحرب ضد اسرائيل ٠٠ وعما اذا كانت معارضتهم لقرارات الامم المتحدة بصورة مطلقة سوف تؤدى الى استراتيجية بديلة تخرج اسرائيل من الارض المحتلة ٠ وتسأل ايضا ٠٠

هل ستقوم الجزائر مثلا بدعم قدرة الضربة الجوية الرئيسية ؟

وكم عدد القوات التي ستشارك بها سوريا والعراق في المعركة ؟
وهل سيهاجمون من سوريا فقط ، ام ان هناك خططا للهجوم من الارض
الاردنية ؟

ما هو الدور الذي رسم لتؤديه مصر ؟
ومن الذي سيدفع المال .. ومن اين سيحصلون على الاسلحة لشن
الحسب ضد العدو ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها أثارها جمال عبد الناصر طالبا عنها اجابة
وافية قبل مطالبته بالابتعاد عن طريق البحث في عقد تسوية سلمية .
يبدو ان جمال عبد الناصر كان يريد ان نرزداد استراتيجية مصر
وضوحا .. وهي الجمع بين القتال في اشد صورة ، والبحث عن السلام في
سكى طرقه .. واستعار الجميع بانه ما سم يتوافر للعرب خطط بديلة ، قادرون
على تنفيذها لتحرير الارض ، فان الامر يدخل عندئذ في باب المزايدة وعدم
تقدير الامر الواقع ، وتجاهل كل فرص الوصول الى تسوية .

قال لى الفريق اول محمد فوزى الذى كان قد قرأ تقريرا امام قادة
دول المواجهة في بداية سبتمبر ١٩٦٩ يؤكد فيه الثقة في قدرة مصر على
الحرب التحريرية خلال ١٨ شهرا ان جمال عبد الناصر لم يشأ أن يفصح
عن اسرار خطته القتالية حرصا على السرية الضرورية .
ومن الجوانب الآخر كانت تساور بعض القادة العرب التورين شكوك
حول أسلوب النظام المصرى في مواجهه الهزيمة .

كانت بعض الاحداث المثيرة تخلق شعورا بالشك في قدرة القوات
المصرية المسلحة .. مثل حادث الزعفرانة وشدوان وضرب قناطر نجع حمادى
وغیرها .. كما ان عدم المعرفة الكاملة بتطورات الخطة المصرية كان يخلق
بوعا من الغموض في العلاقات .

واذا كان جمال عبد الناصر لم يشأ ان يفصح عن اسرار خطته القتالية
فانه لم يشأ ان يفصح أيضا عن اسرار خطته السلامية .

كان مؤمنا بالسرية في حركته سواء في الحرب أو السلام .. تماما
كما اعتمد على السرية المطلقة في اعداد حركة يوليو ١٩٥٢ العسكرية ، وفي
تأميم القناة ١٩٥٦ ، وفي اعلان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية .

غادر جمال عبد الناصر مؤتمر الرباط تلاحقه بعض الشكوك وعلامات
الاستفهام .

قال الفريق صالح مهدى عماش انه غادر بغداد بالطائرة الى القاهرة ،
ودخل الاجواء المصرية دون تبليغ ، وأن احدا لم يعترضه فى الجو ، ولم تطلق
على طائرته طلقة اذار الى ان اقترب من القاهرة وابلغ عن وصول طائرته .
وقد زرع ذلك فى نفسه شكوكا عميقة فى قدرة الدفاع الجوى المصرى ، وفى
اتجاه جمال عبد الناصر للتسوية السياسية .

ذهب جمال عبد الناصر الى طرابلس حيث اجتمع مع القذافى ونميرى
وهناك تم التوقيع على ماعرف باسم (ميثاق طرابلس) والذى يضمن لمصر
عمقا استراتيجيا فى الغرب والجنوب .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان طائرات T. U. 16 البعيدة المدى

كانت في الجزائر وفي قاعدة العظم بليبيا ، وأن ميناء طبرق فتح أبوابه للبحرية المصرية ٠٠ كما انها تواجدت أيضا في مطار وادي سيدنا شمال الخرطوم وهو مطار يخرج عن آخر مدى للفانتوم .

ويقول أيضا ان طائرات أخرى حديثة - ميغ ٢٥ - كان لها دور في الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، ولكنها كانت تقبع في الاتحاد السوفيتي ، على أن تكون في الاجواء المصرية بعد ٦ ساعات فقط من اشارة استدعائها للمعركة .

كان جمال عبد الناصر مهتما بتحسين العلاقات مع السودان وليبيا ، تأمينا لحركتهما العسكرية ، وضمانا لأمته الاستراتيجية ٠٠ ولذا زار السودان أيضا بعد أيام في أول يناير ١٩٧٠ للاحتفال معهم بعيد الاستقلال . كان جمال عبد الناصر يبحث عن السلام ٠٠ من فوهة البندقية . ولذا لا يمكن اصفاء شبهة الضعف أو التهاون على محاولات جمال عبد الناصر السلمية ، للوصول الى تسوية سياسية ٠٠ بل انها يمكن ان تعتبر رصيда لصقل شخصيته كرجل دولة مسئول .

اتصالات ٠٠ من اجل السلام

لا يمكن القول بأن هناك اتصالا واحدا من أجل التسوية السياسية والسلام ٠٠

كانت هناك اتصالات كثيرة تضلفها السرية ٠٠ بدأت مع الهزيمة . وما قاله صلاح نصر من وجود اتصال مع جونسون في محاولة لعقد معاملة بين السفير الأمريكي في روما ومستول مصري مفوض (أحمد حسن الفقي وكيل وزارة الخارجية) خلال شهر يوليو ١٩٦٧ ، هو امر يثبت - ولو انه لم يتم - ان جمال عبد الناصر كان يحاول سلوك كل سبيل ممكن للتعرف على امكانيات السلام .

ويؤكد ذلك أيضا مانشره النائب علوي حافظ من اتصالات قام بها مع الأمريكيين خلال شخصية هندية الاصل كانت تعمل لحساب المخابرات المركزية الأمريكية ٠٠ وهي اتصالات لا يمكن أن تتم الا بمعرفة جمال عبد الناصر شخصيا ٠٠ ورغم انها لم تنته الى شيء لصالح مصر الا انها اثبتت اليقين في أن أمريكا ليست مخلصه في تحقيق سلام عادل ، ويمكن الاطلاع على تفاصيل هذه الصلات في كتاب نشره علوي حافظ حول هذا الموضوع .

وقد نشطت اتصالات الأمريكيين في الاتصال بمصر بعد الهزيمة محاولة من حكومتها في تجسيد فكرة ان الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة القادرة على فرض السلام عن طريق الضغط على اسرائيل .

ولم تقتصر محاولات الاتصال على صلاح نصر أو علوي حافظ وانما وصل الى القاهرة أيضا المالى الأمريكى المعروف اندرسون بوصفه ممثلا شخصيا للرئيس الأمريكى جونسون ، وعقد مقابلة مع جمال عبد الناصر

صدر بعدها قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .
كما انها لم تقتصر على المصريين فقط .

حاول بعض الزعماء من أصدقاء مصر وعبد الناصر ان يسهموا بدور في اقرار السلام بالمنطقة . . أرسل شاوشيسكو سكرتير الحزب الشيوعي الروماني نائب وزير الخارجية جورجيو ماكونسكو للاتصال بعبد الناصر في يونيو ١٩٦٨ ، بعد ان أمضى جدهون رافائيل أحد كبار المسؤولين في وزارة الخارجية الاسرائيلية فترة في بوحارست لمحاولة اقامة اتصالات مع القاهرة سواء سرية او علنية . . وكانت رومانيا هي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي احتفظت بالعلاقات الدبلوماسية مع اسرائيل .

ولم يرفض جمال عبد الناصر العرض وانما طلب من المسئول الروماني ان يعود اليه ومعه خريطة يوضح عليها الحدود التي تبغى اسرائيل أن تقوم السلام عليها .

وسافر المسئول الروماني ولم يعد . . فلم يكن هناك رد من الحكومة الاسرائيلية .

وكذلك فعل عبد الناصر مع هيلاسلاسي عندما حاول التدخل في القضية خلال يونيو ١٩٦٩ قبيل زيارة أبا اسان وزير خارجية اسرائيل لاديس ابابا وقد طلب من الامبراطور أن يناقش الامر مع ايبان ويحصل منه على خريطة بالحدود التي تنصورها اسرائيل . . ولم يصل الجواب أيضا .

وأبلغ الملك حسين جمال عبد الناصر انه تلقى رساله من ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل عن طريق يارنج وسيط الامم المتحدة ولكنه رفضها . وقال الملك انه يعتقد ان يارنج واقع تحت ضغط اسرائيل يوجهه نحو تواجد مندوبين سريين للدول العربية لمابلة مندوب اسرائيلي في حضور يارنج . كانت اسرائيل تصرح علنا بأنه لايد من مفاوضات مباشرة بين الطرفين . وكانت تمهد لذلك بفكرة الاجتماعات السرية . . التي رفضها العرب جميعا باعتبار أن مبدأ المفاوضة يعنى قبول الهزيمة أمرا واقعا يدعز له العرب بالجلوس مع المنصرين على مائدة واحدة .

كان هذا المبدأ الذي اتفق عليه في الخرطوم مازال ساريا ومؤكدا ، والتشائعات التي لاحقت الملك حسين من انه قد عقد اجتماعات سرية في هذه الفترة مع بعض المسئولين الاسرائيليين لم تثبت صحتها . . وكان الملك يعوم بدور الوسيط ليس بين الدول العربية واسرائيل ، وانما بين القاهرة والرياض حيب بقيت العلاقات باردة بعد مؤتمر الخرطوم الى أن زار الملك فيصل القاهرة أثناء زهابه الى مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) . . وكان الملك قد أخذ موافقة مؤتمر القمة بالخرطوم على ان يبذل كل جهده وصلاته مع الغرب لمحاولة تحرير الضفة الغربية دون حرج .

ولكن صلات الملك حسين مع الغرب لم تهر .
ومحاولات الامريكيين مع القاهرة لم تقدم شيئا نافعا يقبر من طبيعة دورها .

ووساطات اسرائيل لعقد اجتماعات سرية مع مندوبي الدول العربية كانت تمضى في طريق مسدود .

اتصالات شعبية ٠٠ من أجل السلام

لم تتوقف اتصالات السلام عند الحدود الرسمية الحكومية ، وإنما انطلقت الى مجال جديد . هو مجال الاتصالات الشعبية داخل اسرائيل .
والتي كان الهدف منها هو تشكيل قوة مضاعفة ضد الحكومة الاسرائيلية التي كانت ترفض الاسحاب من الارض المحتلة ثمنا لاسرائيل .
وقد شاعت الظروف ان اكون طرفا في هذه الاتصالات سفوسا من

جمال عبد الناصر .
بدأ ذلك عقب زيارة الى فرنسا في مايو ١٩٦٩ التقيت فيها بعدد من اليهود المصريين الذين اخرجوا من مصر بتهمة الشيوعية ، وفي مقدمتهم هنري كورييل .

كان التحليل السائد حتى هذه اللحظة ان سكان اسرائيل يشكلون مجموعة متماسكة موحدة غير قابلة للانقسام فيما يختص باهدافها او اغراضها ٠٠ وهو تحليل خاطيء لانه ينكر وجود تناقضات رئيسية وفرعية داخل المجتمع الاسرائيلي .

كان الموقف العربي الذي دام سنوات طويلة يعتبر (سلبيا) لانه ينكر وجود اسرائيل وحقوق سكانها ، بل ورفض اي صلة مع أي شخص ينتمي الى هذه الدولة حتى اذا كان معارضا معروفا لسياسة الحكومة الاسرائيلية ومناصرا للمواقف العربية .

وفي كافة المؤتمرات الدولية ، كان (حضور) المندوب الاسرائيلي يفرض (انسحاب) المندوب العربي أو مطالبته باخراج مندوب اسرائيل .
وكان هذا الموقف يتجاهل تماما التناقضات التي نهب المجتمع الاسرائيلي وتقوم بين اليهود الشرقيين (سفرديم) واليهود الغربيين (اشكنازي)، والتي تقوم ايضا بين العرب واليهود حاملي الجنسية الاسرائيلية ، وبين الاحزاب المدنية - الماباي والمابام - والاحزاب الدينية ، وبين جبهة انصار السلام التي تزداد اتساعا وتطالب بالانسحاب ثمنا للسلام ٠٠ وبين الحكومة التي تلتج سياسة توسعية معادية للسلام ٠٠ واخيرا بين الاحزاب التقدمية وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (راكاح) الذي يتبنى سياسة مؤيدة للحق العربي ، وبين الاحزاب الاخرى التي تتبنى سياسة صهيونية مغامرة ورجعية .

هذه التناقضات - رئيسية او فرعية - لم تكن موضع اهتمام السياسة العربية ، ولم تأخذ حيزا مناسبيا في مجال الدعاية العربية ٠٠ ولذا فانه بعد مناقشات طويلة في فرنسا تبين ان يمكن للسياسة التي تستهدف السلام ان تلعب دورا مؤثرا داخل اسرائيل لاجتذاب العناصر الديوقراطية والسلامية داخلها ، وانه يمكن لهذه العناصر بالتالي ان تلعب دورا مؤثرا في الحياة السياسية والاعلامية الاسرائيلية لتغيير العقيدة التي رسختها القوى الصهيونية بأن العرب يطلبون تدمير اسرائيل وهدم كيانها ووجودها .

وعندما عدت الى القاهرة خاطبت جمال عبد الناصر بهذا الرأي ، وأوضحته له انه يمكن خلال الاتصال بالعناصر المصرية الاصل في باريس ان تلعب دورا ايجابيا مناصرا للسلام العادل ، داخل اسرائيل .

لم يتردد جمال عبد الناصر في الموافقة على بدء هذه الاتصالات متابعيا سياسة (السلام من فوهة البندقية) فقد اقترنت هذه المرحلة بحرب

الاستنزاف التي قال لى بعض من اتصلت بهم انها كانت تعنى كارته للامهات
اللاتى يذهب اولادهن لجبهه سيناء .

والتقيت خلال الزملاء المصريين مع أمنون كابلوك - الكاتب الصحفى
المعروف عضو حزب المابام ومراسل الموند فى اسرائيل - وناتان يالين مور
مؤسس جماعة (شتيرن) التى اغتال اعضاءها للورد موين عام ١٩٤٦ فى
القاهرة ثم تحول مع الوقت ليصبح معاديا للارهاب ونصيرا للسلام ،
والكاتب والاديب الاسرائيلى المشهور عاموس كينان ، وشالوم كوهين نائب
الكنيست عن جماعة (القوات الجديدة) التى كان يرأسها (يورى افيرى)
عضو الكنيست أيضا ، ورئيس تحرير صحيفة (هاعولام هوزيه) ومؤلف
كتاب (اسرائيل بلا صهيونية) . هذا الى جانب عناصر قيسادية من
حزب راكاح .

كانت هذه الاجتماعات تأخذ طابع البحث الجاد فى طريق الوصول الى
السلام العادل . وكانت فرصة مفيدة لتوضيح استراتيجيه جمال
عبد الناصر التى أصبحت محل اقتناعهم تماما بأهدافها السلاميه اسر تقوم
على أساس قرار مجلس الامن الذى يعترف فى مضمونه بوجود اسرائيل
تكررت هذه الاجتماعات وتعددت حتى كسرت تماما حاجز الشك من
ناحية السياسة المصرية فى نفوس العناصر التقدمية اليهودية داخل اسرائيل .
وبدأ تحول واضح فى أسلوب الكتابة . بل وفى أسلوب تجمع العناصر
الديموقراطية داخل اسرائيل .

وأصبح لسياسة مصر أنصار داخل اسرائيل .
ولكن هذا لايعنى ان السلام قد أصبح فى متناول اليد . ولكنه تحول
من سراب الى هدف يزداد الاقتراب منه يوما بعد يوم .
وقد دش جمال عبد الناصر هذه الاتصالات ، ومنحها دفعة سياسية
قوية - وهى التى ظلت مغلقة بالسرية الضرورية - بحديثه لأول مرة فى عيد
العمال أول مايو ١٩٧٠ بشبرا الخيمة عندما ذكر دور العناصر أنصار السلام
داخل اسرائيل .

كانت هذه هى أول مرة فى تاريخ السياسة العربية بعد قيام اسرائيل
عام ١٩٤٨ ، يتحدث فيها زعيم عربى . بل أعظم زعماء المرحلة . عن
العناصر المعارضة لسياسة الحكومة الصهيونية التوسعية ويشيد بدورها .
ويثبت بذلك ان النظرة العربية السابقة الى اسرائيل ككيان موحد متماسك
قد تغيرت .

وقد وصلت هذه الاتصالات الى الحد الذى دفع ناتان يالين مور الى
نشر حديث مع كاتب هذه السطور يوم ٣ مايو ١٩٧١ فى صحيفة (هآرتس)
اليومية ، ومجلة (اكنواليتيه) الفرنسية ، وقد أعادت نشره جريدة الاتحاد
العربية التى تصدر عن حزب (راكاح) فى حيفا ، أتاح لى فيه فرصة تفسير
الموقف المصرى للمواطنين العرب واليهود داخل اسرائيل ، وإدانة موقف
حكاه اسرائيل . وكان هذا أول حديث مع مصرى ينشر فى الصحف
الاسرائيلية .

كان جمال عبد الناصر يتابع خطوات الاتصال، ويدخلها فى حساباته

السياسية ، تماما مثل لاعب الشطرنج الذى يحسن استخدام كل القطع ، مستخدما المبدأ العسكرى (استغلال النجاح) .

قضية جولدمان

وتصادف أن انتقل موضوع هذه المقالات الى مجال جديد لم أخطط له ، واما جاء مصادفه وبمبادرة خاصه .
البلغنى الزميل الكاتب الصحفى ايريك رولو مسئول قسم الشرق الاوسط بصحيفه (لوموند) الفرنسيه ان ناحوم جولدمان يتبى افكارا تتعارض مع سياسته الحكومه الاسرائيليه . وتلتقى مع افكار جمال عبد الناصر السلامية . . . وانه قد تلقى دعوة لزيارة مصر عن طريق الماريشال تيتو ، وانه عندما علم بوجودى فى باريس ، وبالدور الذى اقوم به ، طلب مقابلتى .

ولم يكن فى ذهنى أن ألتقى مع مثل هذه الشخصية الصهيونية الكبيرة التى تراس (المجلس اليهودى العالمى) ، ولكنى عندما علمت أن هناك دعوة موجهة له لزيارة مصر لم أتردد فى مقابلته . . . واجتمعنا فى منزل ايريك رويدو المطل على (البانثيون) مقبرة العظماء فى باريس .
وجولدمان شخصيه عالميه معروفة له صداقات مع عدد كبير من زعماء العالم ، تجاوز السبعين ولكنه يمتلك صحة جيدة وحدينا فيه مرح الشباب وقدرنا وفرا من المعلومات .

كتب هيكى فى كتابه (الطريق الى رمضان) يقول ان ناحوم جولدمان حاول الاتصال بعبد الناصر عن طريق بيتو ، ولكنه بعد تبادل خطابين بين جولدمان والماريشال بدا واضحا أن الامر لا يؤدى الى شئ ما .
ولكن جولدمان كان قد بدأ يدرك الاخطار التى نتعرض لها اسرائيل نتيجة عناد سياسة حكومة جولدا مائير .

قال لى انه أثناء محادثة تليفونية مع بنحاس سابير وزير الخزانه الاسرائيلى يسأله فيها عن زوجته المريضة بالسرطان قال له سابير : ان حالة زوجته ميئوس منها تماما مثل حالة الدولة الاسرائيلية .
وأوضح لى أن عنده اقتراحات لتحريك القضية ودفعها نحو السلام ، بدلا من انفجار حربى قد يعرض الطرفين لآخطار شديدة ، ويزيد المراسرة بينهما . . . وانه يوجد داخل الدوائر الحاكمة الاسرائيلية عناصر تؤيد موقفه وتسانده . . . وطلب منى ان أحمل هذه الرسالة الى عبد الناصر حتى يقرب ذلك من موعد زيارته المحتملة .

واعتقدت ان الدعوة تمضى فى طريقها خلال وساطة تيتو . . . وأن دورى لن يتعدى شرح وجهة نظره الى جمال عبد الناصر .
وكانت هذه المقابلة ليلة سفره الى تل أبيب . . . ويبدو انها شجعتة على مصارحة جولدا مائير بأن عنده دعوة لمقابلة جمال عبد الناصر .
ثارت جولدا مائير ، ورفضت ان تصرح له بقبول الدعوة . . . وقامت بين الاثنين - وهما من الرعيل الاول للصهاينة - مشادة انتهت الى حد التهديد

بالتنازل عن جواز سفره الاسرائيلى وهو يحمل أربعة جوازات سفر (أمريكى وبريطانى وسويسرى واسرائيلى) .

وعندما وصل الامر الى أجهزة الاعلام تفجرت التناقضات داخل اسرائيل فجأة ، ونشرت الصحف ان جولدمان قد صرح بأنه قد التقى بمندوب مصرى فى باريس حمل له دعوة من جمال عبد الناصر . وكان ذلك يوم عودتى من باريس الى القاهرة ، وقد فوجئت بذلك عندما طالعت الصحف الفرنسية . وتخيلت التأثير المفاجئ لذلك على نفسية جمال عبد الناصر .

ولذا أسرع فور عودتى بكتابة خطاب الى عبد الناصر شرحت له فيه ظروف المقابلة وما دار فيها . وتلقيت فى المساء مكالمة تليفونية من صديق فى مركز السلطة يتساءل فى دهشة عن الاسباب التى دفعتنى لمثل هذا اللقاء . وما قد يجلبه ذلك على من متاعب .

تصادف أن كان صديقى الشهيد عبد الخالق محبوب موجودا فى القاهرة بعد ابعاد جعفر نميرى له هو وصديق المهدي . فاستمعت لنفسى أن اكسر حصار السرية التى تفرضها مثل هذه المقابلات على الانسان ، وصارحته بما حدث ، وبمكالمة الصديق وما يتوقعه من متاعب . ولكن عبد الخالق كانت له وجهة نظر مختلفة ، وهى انه طالما ان جولدمان ينفج سياسة سلامية معادية للحكومة الاسرائيلية فان جمال عبد الناصر لن يقيم سدا فى هذا الطريق ، ولن يمنع أحدا من السير فيه .

وكانت خلافا جولدا مائير وناحوم جولدمان قد أثارت عاصفة حقيقية داخل اسرائيل وعبرت عنها صحيفة (الاهرام) بما نشرته صباح ١٨ ابريل ١٩٧٠ عندما قالت :

فجرت (حكاية جولدمان) والدعوة المزعومة التى قيل انه تلقاها لزيارة القاهرة خلافا عميقة داخل المجتمع الاسرائيلى وكشفت عن القشرة الدفينة التى تغطي التمزق داخل الائتلاف فى حزب العمال وفى الحكومة وفى الحركة الصهيونية عموما .

وقالت عن وكالة الانباء الفرنسية (ان مسألة جولدمان أحدثت خلافا حادة فى الرأى داخل الكنيست وفى داخل الاحزاب نفسها وان هذه الخلافات امتدت الى الائتلاف الوزارى داخل الحكومة ومن أبرز مظاهر هذا الخلاف :

١ - ان مجموعات من (العسكريين) والطلبة تظاهروا أمس أمام مبنى الوزارة وهم يحملون لافتات تؤيد جولدمان وتعارض مائير قائلة (الى المطبخ يا جولدا . الى القاهرة يا جولدمان) .

٢ - الصحف تنقد الحكومة لانها أساءت معالجة الازمة .

٣ - طالب بعض النواب بمناقشة الموضوع فى البرلمان .

٤ - جولدا دعت اللجنة المركزية لحزب العمل .

ونذكرت يونيتدبريس (ان جلسة الكنيست كانت عاصفة وتبدلت فيها الاتهامات الى حد السباب ، وبأدبرت الحكومة الى اغلاق الباب على القضية) .

وكانت الحكومة قد هاجمت جولدمان لانه (أثار دراما كبيرة حول موضوع لأساس له) .

كما ان أبا اييان وزير الخارجية قال (انها ففاعة صابون كبيرة)
وأخيرا صرح جولدمان بأنه (لم يتلق دعوة وان كانت هناك اقتراحات
بذلك)

واكتملت القضية أو كادت عندما وصلت الى القاهرة برقية لوكالة
الانباء الفرنسية تقول :

صحيفة اسرائيلية تتحدث عن مسألة الوسيط المصري
تل أبيب في ٨ ابريل ٠٠ قالت صحيفة هآرتس الاسرائيلية المستقلة
ان الوسيط المصري الذي قال الدكتور ناحوم جولدمان انه قابله في باريس
هو أحمد حمروش رئيس التحرير الحالي لمجلة روزاليوسف المصرية الاسبوعية
الهامة

وأضافت الصحيفة تقول ان أحمد حمروش يعتبر من الايديولوجيين
المقربين من موسكو وأنه قام عدة مرات بزيارة الاتحاد السوفييتي

وقالت صحيفة ها رتس انه على الرغم من أن أحمد حمروش ليس مقربا
من الرئيس عبد الناصر مثل محمد حسنين هيكل رئيس تحرير (الاهرام)
فان الرئيس المصري لم يكن ليعهد اليه برئاسة تحرير مثل هذه
المجلة الاسبوعية لو لم يكن يقدره تقديرا كبيرا)

وبقيت أنتظر ردود الفعل في القاهرة ٠٠ وأحدث نفسي عما يمكن أن
يقوم به عبد الناصر في معالجة الموضوع ٠٠ الى أن تلقيت مكالمة تليفونية من
الزميل أمين هويدي وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يدعوني فيها الى
مكتبه برئاسة مجلس الوزراء ٠٠ وما أن دخلت حتى قدم لي الخطاب الذي
رفعته الى جمال عبد الناصر وعليه هذه التأشيرة (حمروش ٠٠ لمواصلة
الاتصال بجولدمان ومحاولة أن يكون صديقا له)

وهذأت أنفاسي ، وأدركت ان جمال عبد الناصر يتصرف بأسلوب رجل
الدولة المستول ، وأن ظروف ما بعد الهزيمة قد صقلت تجربته وخبرته
وأنه في حرصه على السلام العادل يسلك السبيل السليم

وطلب مني أمين هويدي ان أستعد للسفر الى باريس لمقابلة جولدمان
بناء على تعليمات عبد الناصر فقد كان مفروضا ان يعود من تل أبيب اليها
في اليوم التالي

وهكذا بدأت قضية جولدمان ٠٠ وتعددت مقابلاتي معه في منزله
بباريس أو في منزل ايريك لو ٠٠ وكان مصدرا من أهم المصادر الزاخرة
بالمعلومات ٠٠ فكيسنجر - حسب قوله - هو ابن المربية التي كانت تشرف
على بيت أسرة ناحوم جولدمان

ولم يعلم بهذه الصلة من المصريين غير الذين تتيح لهم مراكزهم فرصة
معرفة مثل هذه الامور سوى الزميل الكاتب الصحفي سعد كامل الذي وافق
جمال عبد الناصر على تعريفه بما يدور ٠ لاهمية الدور الذي يمكن ان يؤديه
حيث كان قد قرر الإقامة في باريس عدة شهور للدراسة والمراسلة الصحفية
٠٠ وهو صديق أيضا للمجموعة التي بدأت اصلتي معها من اليهود المصريين
في فرنسا ٠٠

والاتصال بناحوم جولدمان وهو مالى كبير .. مع الاتصال بالتقدميين داخل اسرائيل كان يجمع في نفس الوقت بين عناصر مختلفة سياسيا ولكنها متفقة في النظرة الى ضرورة واهمية العمل من اجل السلام .. وهو ما كان يتفق مع اهداف جمال عبد الناصر .

كتب ناحوم جولدمان خلال فترة اتصاله به ثلاث مقالات نشرت في صحيفة الموند بتاريخ ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مايو ١٩٧٠ بذاها بقوله :

(لم اكن اعتقد حتى بعد الانتصار الساحق في حرب الايام الستة ان هذا النصر يمكن ان يؤدي الى تسوية للصراع العربى الاسرائيلى . وينطبق نفس هذا الاعتقاد على الوسائل التى يلجأ اليها المسئولون عن السياسة الخارجية في اسرائيل . ومع ذلك فقد امتنعت لمدة سنتين ونصف عن الافصاح عن آرائى غير الملتزمة حتى لا اعقد مهمة الحكومة التى انتسب اليها) . ويستطرد جولدمان في شرح آرائه الجديدة قائلا :

(كان حايم وايزمان — وهو من أكثر رجال الدولة الصهيونيين تبصرا وبعدا للنظر — يرى أن الصراع العربى اليهودى ليس صراعا بين الحق والظلم ولكن بين حقين) . ويقول ايضا :

(ان سياسة الانتقام التى نشأت بوحي من بن جوريون لم تؤد الا الى زيادة عداوة العرب وتوسيع الهوة التى تفصل بيننا وبينهم) . ويعارض جولدمان مطالبة الحكومة الاسرائيلية بالمفاوضات المباشرة قائلا : (ان هذه الطريقة يجب أن نكون غايه وليست بداية .. لان العرب يرون ان المفاوضات المباشرة في الوقت الحالى تساوى الاستسلام .. وقد ضعف موقف اسرائيل في المجال الدولى بسبب سياستها المتشددة غير المرنة) .

كما يدعو الى ضمان الدول الكبرى بعدم انتهاك الحدود التى يتفق عليها ديمانا فعليا لموسا . وليس ضمانا ا انلاطونيا) كما ينادى بعقد اتفاقية دولية تحدد شحنات الاسلحة المرسلة الى دول الشرق الأوسط .

وقد صرح جولدمان في باريس بتصريح نقلته عنه رويتر يقول فيه :

(انه يعتقد انه من الممكن ان يسمى الزعماء المصريون والاسرائيليون الى التوصل لتسوية سلمية في الشرق الاوسط عن طريق الاتصالات السرية) .

ثم يدون جولدمان عدة مقترحات تصلح اساسا للمناقشة لانها تتضمن الانسحاب من الارض العربية المحتلة . وتتضمن اقتراحا عن القدس يقول فيه بجعل هذا القطاع منطقة مستقلة ذاتيا يتولى سكانها ادارتها ، ويكون لها وضع دولي .

ثم يطالب جولدمان حكومة اسرائيل بقبول قرار مجلس الامن — دون غموض — وذلك اذا ارادت الاسراع في التسوية .. وحكومة اسرائيل لم تكن قد قبلت قرار مجلس الامن .

واكد ان السريه امر ضرورى ، وأضاف انه يعتقد أن جولدا مائير وافعه تحت ضغط من المتقنين الذين ينتقدونها لعدم بذلها القدر الكافى من الجهد لاجل السلام . ولكن مثل هذه التصريحات من جانبها قد نسيء الى العرض الممكنه لاجراء اتصالات سريه بين الممثلين المصريين والاسرائيليين وأضاف ان المصريين مستعدون للتوقيع على معاهدة سلام رسميه مع اسرائيل ، ولكنهم سيفعلون ذلك فقط فى حالة انسحاب الاسرائيليين من صحراء سيناء وتحويل شبه الجزيرة الى منطقة منزوعة السلاح ومن بينها شرم الشيخ وهى نقطة أساسية تحرس المدخل الى مضائق نيران وأضاف ان من بين الترتيبات أن يتم فتح قناة السويس وخليج العقبة للملاحة الدولية وأن تقوم قوة حفظ للسلام تابعة للأمم المتحدة تحت الاشراف المباشر لمجلس الامن لحراسة سيناء . . وأضاف ناحوم جولدمان ان المشكلة الكبرى هى القدس ويمكن التوصل الى حل بالنسبة لايجاد وضع خاص للقدس التى يمكن ان تحتفظ بأغلبيتها اليهودية)

وقد نمت آراء جولدمان وانتشرت بين عدد كبير من اليهود داخل وخارج اسرائيل . . وقد أبلغنى خلال مقابلاتى معه ان عددا من المسؤولين الاسرائيليين يهيمون له برغبتهم فى التوصل الى اتفاق ينقذ اسرائيل من ورطتها - على حد تعبيره .

وكان جولدمان يعتبر ان بنحاس سابير وزير مالية اسرائيل هو اكسر الوزراء تفهما للموقف ورغبة فى السلام . . كما ان موسى دايان كان يحاول الاتصال عن طريق جولدمان ، وعندما أنرت مداعبا عصابة عينه السوداء التى تكشف كل محاولة سريه ، قال جولدمان انه قد أبدى استعدادا للبس نظارات سوداء ، وانه قد سبق له ممارسة ذلك فى اتصالات خاصة .

ولكن جمال عبد الناصر لم يتخذ قرارا نهائيا فى حضور جولدمان للقاهرة أو فى السماح لى بمقابلة المسؤولين فى الحكومة الاسرائيلية مكتفيا بتكتيف الضغط على الحكومة خلال كماشه طرفها حرب الاستنزاف المتصاعدة وطرفها الثانى جماهير اسرائيل المتعطشة للسلام مع الشخصيات المفكرة من المتقنين والادباء والعلماء والسياسيين الذين اتسعت جبهتهم حتى شملت اولياف سكرتير حزب ماباى والذى اتصلنا به فاقننح رغم افكاره الصهيونية بأهمية الانسحاب من الارض المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين كوسيلة لاقرار السلام الدائم وهو الموقف الذى انتهى به الى الاستقالة من حزب العمال وتشكيل حزب خاص .

وقد كانت الفرصة متاحة لناحوم جولدمان لعرض آرائه ونشرها فى مختلف صحف العالم باعتماده رئيسا للمجلس اليهودى العالمى . . وكان ناحوم جولدمان يفكر تفكيرا بعيدا عن الحكومة الاسرائيلية . . ولو انه ينبع من حرص على بقاء اسرائيل وضمان أمنها فى المستقبل . آراء جولدمان التى ضمنها مقالاته ثم كتابه (رئيس دولة بدون دولة) أثار ضجة فى اسرائيل والحركة الصهيونية ، لانها أظهرت ان سياسة حكومة اسرائيل تزاد افلاسا وافتقادا للحس التاريخى ، وانها تخلق تقاضا بين اسرائيل ويهود العالم .

ولا اريد ان اتعرض في هذا الكتاب لآراء جولدمان بالنقد أو التحليل
لانه ذلك أمر يطول ٠٠ ولكنني أقف فقط عند التناقض الذي افتنصه جمال
عبد الناصر ولعب عليه ٠٠ فليس أمرا سهلا ان يخلف زعماء الحركة
الصهيونية حول مفهوم السلام .

وقد اراد جمال عبد الناصر ان يزيد التناقض حدة فكشف عن صلتى
مع ناحوم جولدمان في خطابه أمام المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى في ٢٣
يوليو ١٩٧٠ مدلا بذلك على رغبة مصر فى السلام وعناد حكومة اسرائيل .
ولا نظوى صفحة هذه القضية قبل التأكيد بأن سياسة جمال عبد الناصر
السلامية قد اكسبته تأييدا كبيرا فى الراى العام العالمى ٠٠ وفى داخل
اسرائيل .

مبادرة روجرز

وجاءت مبادرة روجرز بعد فضية جولدمان .
حرب الاستنزاف مازالت فى عنفوانها ، وجمال عبد الناصر لاينجرف
لاحلام السلام وحدها ٠٠ ولكنه يقبض على بندقيه لها فوهتان ، واحدة
للحرب وأخرى للسلام .

كان جمال عبد الناصر قد اطمأن الى الدفاع الجوى عن داخل مصر منذ
١٨ ابريل ١٩٧٠ عقب وصول أطقم الدفاع السوفيتيه وإعلان موسى ديان
وفف غارات الاعماق لانه لا يريد مواجهة السوفييت . كما سبق أن اشترت .
ولكن المعركة فوق منطقة القنساء كانت تزداد شدة ٠٠ والغارات
الاسرائيلية لاتتوقف معظم ساعات اليوم . والجنود يعانون من الجهد والارهاق
ولو أن الخسائر كانت تقل مع الوقت نظرا لاعتيادهم المعركة ، وكذلك كانت
ترنفع روحهم المعنوية ، عندما يكتشفون ان الغارات التى أعلن جمال
عبد الناصر فى احدى خطبه انها تكلف اسرائيل مليون دولار يوميا قد انتهت
بغير خسائر أو بخسائر محدودة .

وكان التركيز الشديد للغارات الاسرائيلية يؤرق عبد الناصر كثيرا ،
لانه يعطل - الى حد ما - ترتيبات انجاز الخطة الدفاعية ٢٠٠ ، كما انه كان
يتأثر كثيرا لاخبار الضحايا من الضباط والجنود ، وخاصة الذين شاءت
الظروف له ان يلتقى بهم .

قال لى الفريق أول محمد فوزى ان جمال عبد الناصر قد اعتاد فوق
زياراته المتكررة للجبهة وحضور المناورات والتدريبات ٠٠ كان يذهب
للقيادة العامة مرتين كل اسبوع ويتناول طعام العشاء هناك .

وخلال هذه الحرب المركزة المتصاعدة كانت الاعصاب مشدودة واليقظة
فى قممتها والتعاون مع الاصدقاء السوفيت فى أوثق صورته .

قال لى الفريق أول محمد فوزى انه حدث ان تحطم ١٢ ايرال رادار
فى احدى الغارات ، فاتصل بالخبر السوفيتى الذى أرسل رسالة عاجلة
الى موسكو بالشفرة ، ووصل المطلوب خلال ١٢ ساعة فقط .

كما يقول ان ٣٠ خبيرا ومستشارا سوفيتيا قد قتلوا اثناء المعارك ،
وأن أربع طائرات هيج سوفيتية قد سقطت نتيجة توجيه سيء من غرفة
(الكنترول) فى بنى سويف ، حيث وضعتهم فى موقع الفريسة من طائرات

اسرائيلية مهاجمة ٠٠ ولم يكن العيب في الطائرات أو الطيارين كما حاول البعض التلميح لذلك ٠

ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد سافر الى موسكو في رحلته السريه يوم ٢٢ يناير ١٩٧٠ التي توصل فيها الى أخذ الموافقه على ارساء وحشدات دفاع حديه سوفيتيه الى مصر لأول مرة في تاريخ العلاقات بين الدول الاشتراقيه ودول منطقه البحر الوطني ٠٠ رغم ذلك فانه سافر الى موسكو مرة ثانيه يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ على رأس وفد مشكل من على صبري ومحمود رياض ومحمد حسين هيكل ومراد غالب ٠

قال لي الفريق أول محمد فوزي وكب محمد حسين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) انه في بداية المحادثات قال جمال عبد الناصر لبريجنيف (ان عندي أخبارا سارة فقد اسقط أولادنا أمس ثلاث طائرات اسرائيليه - ٢ فانوم وطائرة سكاى هوك - ولكن بريجنيف نظر الى جرينشكو الذي اخرج ورقه من جيبه ونظر فيها ثم تحدث بالروسية مع بريجنيف الذي قال (يبدو يارفيق ناصر انك قد اخطأت في الحساب فانه بناه على معلوماننا فانكم اسقطتم ٦ طائرات وكان هناك خط ربط تليفوني بين وزارة الدفاع السوفيتيه وقيادة الخبراء السوفيت في القاهرة ٠

وبين الزيارة الاولى ٠٠ والزيارة الثانية ٠٠ كانت قد حدثت في مجال الاتصالات الدولية والسياسية أحداث هامة ٠

تحدث ولیم روجرز وزير الخارجية الامريكية يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ في أحد المؤتمرات قائلا :

(سياسة الولايات المتحدة الامريكية تهدف الى تشجيع العرب على قبول سلام دائم وفي الوقت نفسه تشجع اسرائيل على قبول الانسحاب من اراض محلبة بعد توفير ضمانات الامن اللازمة ، وان ذلك يتطلب اتخاذ خطوات نحت اشراف جونار يارنج ونفس الترتيبات التي اتخذت في رودس عام ١٩٤٨ ، وكعبداً عام فانه عند بحث موضوعي السلام والامن فانه مطلوب من اسرائيل الانسحاب من الاراضي المصرية بعد اتخاذ ترتيبات للامن في شرم الشيخ ، وترتيبات خاصة في قطاع غزة مع وجود مناطق منزوعة السلاح في سيناء) ٠

ويلاحظ ان هذا التصريح الذي يعتبر جديداً في موقف الولايات المتحدة لم يصدر الا بعد اشتداد حرب الاستنزاف ٠ وتأثيرها على القوات الاسرائيلية والمجتمع الاسرائيلي ، وهو مايجب ان نحرص على توضيحه دائما ، فقد كانت هذه المرحلة من أبهر مراحل نضال الجنود المصريين ٠ قابلت القاهرة تصريح روجرز بالصمت التام وبغير تعليق يظهر الرفض او القبول ٠

أما اسرائيل فقد بادرت الى رفض مبادرة روجرز ٠ ويبدو ان حكومة اسرائيل في صلتها مع الحكومة الامريكية خلال هذه لفترة كانت تركز وتعتمد على هنري كيسنجر الذي كان مستشار الرئيس لاميكي للامن القومي فقط ٠٠ وذلك كما أبلغني ناحوم جولدمان وهو يقول : كيسنجر كان يستخف بروجرز ويسعى لان يحل محله ٠

وقد وصل تأثير حرب الاستنزاف على اسرائيل الى الحد الذى دفع الحكومة الامريكية الى تقديم مذكرة يوم ٢ فبراير ١٩٧٠ عقب ايام من عوده عبد الناصر من موسكو تطلب فيها وقف حرب الاستنزاف والعودة لوقف اطلاق النار والا فان اسرائيل سوف تستمر فى غارات العمق ولن تستطيع أمريكا ان تفعل شيئا .

وتابعت حكومة الولايات المتحدة دورها ، فصرحت مصادرها الرسمية بابداء الرغبة فى زيارة جوزيف سيسكو وكيل الخارجية الامريكية للجمهورية العربية المتحدة اذا قبلت القاهرة ذلك .

رحبت القاهرة ٠٠ ووصل سيسكو اليها يوم ١٠ ابريل ١٩٧٠ أثناء انتقال معدات الدفاع السوفييتية سرا الى مصر .

بقى سيسكو اربعة ايام ، وقابل جمال عبد الناصر يوم ١٢ ابريل ، ويقول أمين هويدى وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية فى ذلك الوقت فى كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧ وعلى حرب الاستنزاف) :

(تحدثت سيسكو عن رغبة حكومة نيكسون فى تحقيق سياسة متوازنة فى المنطحة فهى - فى رأيه - أكثر مرونة من غيرها من الحكومات التى سبقتها اذ انها ترفض مبدأ المفاوضات المباشرة الذى تتمسك به اسرائيل ٠٠ واصاف سيسكو ان المبادرة التى يعدها روجرز سوف تكون فى صف العرب بمقدار ٩٥ بالمائة) .

ولم تنته المحادثات الى نتائج مادية محددة .

ومع ذلك فقد وجه جمال عبد الناصر رسالة مفتوحة الى نيكسون فى خطابه بشبرا الخيمة يوم أول مايو ١٩٧٠ أثناء الاحتفال بعيد العمال ، اشار فيها الى مقابلته مع سيسكو ، واعتبر ان الولايات المتحدة على وشك ان تعوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الامم العربية عندما وافقت على عقد صفقة طائرات فانتوم وسكاي هوك جديدة لاسرائيل ، لانها تؤكد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل ، وهو ما (سوف يؤثر على علاقات الولايات المتحدة بالامم العربية لعشرات بل مئات السنين) .

وقال جمال عبد الناصر فى نفس الخطاب (انه اذا كانت الولايات المتحدة ترغب فى السلام فعليها ان تأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ٠٠ ان ذلك فى طاقة الولايات المتحدة التى تأمر اسرائيل بامرها لانها تعيش على حسابها) .

(والحل الثانى ٠٠ اذا لم يكن فى طاقة أمريكا ان تأمر اسرائيل فنحن على استعداد لتصديقها اذا قالت ذلك مهما كانت آراؤنا فيه ، ونسكننا فى هذه الحالة نطلب طلبا واحدا هو بالتاكيد فى طاقة أمريكا ٠٠ ذلك الطلب هو ان تكف عن أى دعم جديد لاسرائيل طالما هى تحتل اراضينا العربية) . وخلص عبد الناصر بانه (اذا لم يتحقق الحل الاول او الثانى فان على العرب ان يخرجوا بحقيقة لا يمكن المكابرة فيها بعد الآن وهى ان الولايات المتحدة تريد لاسرائيل ان تواصل احتلال اراضينا حتى تتمكن من فرض شروطها علينا بالاستسلام ٠٠ وهذا لن يحدث ٠٠ وكل المؤامرات التى تجرى ضدنا لن تنجح) .

وختم خطابه قائلا :
(اننى اقول للرئيس نيكسون ان هناك لحظة فاصلة قادمة فى العلاقات بين بلدينا اما ان تكسر القطيعة ، واما ان تكون بداية اخرى جادة ومحددة)

بعد توجيه هذا النداء من عبد الناصر الى نيكسون دارت عدة اتصالات بين سيسكو ودونالد بيرجس المشرف على رعاياه المصالح الامريكى فى السفاره الاسبانيه وبين وزير الخارجيه محمود رياض بضمنت رساله من روجرز سلمها بيرجس الى صلاح جوهر وكيل وزارة الخارجيه يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ .

وتضمنت الرسالة الموجهة الى محمود رياض من روجرز المقترحات الآتية :

- ١ - ان توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، على العودة الى وقف اطلاق النار ولو لمدة محدودة .
- ٢ - أن توافق كل من اسرائيل ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاردن على التصريح التالى الذى يصدره يارنج فى شكل تقرير الى السكرتير العام يوثانت :

(ا) ابلغتنى ج.ع.م والاردن واسرائيل انها توافق على :
(ا) انه بعد ان قبلت وابتد رغبته فى تنفيذ قرار ٢٤٢ بكل اجزائه فانها سوف تعين ممثلين لها فى المناقشات التى تعقد تحت اشرافى طبقا للاجراءات والمكان والزمان الذى قد اوصى به مع الاخذ فى الاعتبار - كلما كان ذلك مناسباً - مايفضله الاطراف بالنسبة لاسلوب الاجراءات وبالنسبة للتجارب السابقة بينهم .

(ب) ان الهدف من المناقشات المشار اليها عاليه هو التوصل الى اتفاق حول اقامة السلام العادل والدائم بينهم مستندا الى :

- ١ - الاقرار المتبادل من ج.ع.م والاردن واسرائيل للسيادة وسلامة الاراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر .
- ٢ - الانسحاب الاسرائيلى من اراضى احتلت خلال نزاع عام ١٩٦٧ وذلك طبقا للقرار ٢٤٢ .

(ج) وانه لتسهيل مهمتى للعمل من أجل التوصل الى اتفاق كما تضمن قرار ٢٤٢ فان الاطراف ستحترم بكل دقة ابتداء من اول يوليو حتى اول اكتوبر على الاقل قرارات مجلس الامن الخاصة بوقف اطلاق النار)
هكذا كانت مبادرة روجرز الرسمية تقضى بوقف اطلاق النار لمدة ٣ شهور فور قبولها . وكانت الجمهورية العربية المتحدة هي الدولة الوحيدة من دول المواجهة التى خرقت قرار وقف اطلاق النار الذى نص عليه قرار مجلس الامن ٢٤٢ ، واستمرت المعركة كما أشرنا دون توقف . ورفضت أكثر من محاولة قامت بها اسرائيل للارتداد الى قرار وقف اطلاق النار .
ولذا كان مجرد النظر والبحث فى وقف اطلاق النار من جانب القاهرة يعنى أن شيئا ما يدفع الامور فى هذا الطريق .
وقد أبدى بيرجس لصلاح جوهر بعد تسليمه الرسالة ملاحظات تشير

الى أهمية الالتزام بوقف اطلاق النار سكلا ومضمونا ، وقد كتب أمين هويدي هذه الملاحظات تفصيليا في كتابه (اضواء على اسباب بكسه ١٩٦٧) وهي تشير اساسا الى أن وقف اطلاق النار يجب ان يشمل الارض والبحر والجو وعدم تغيير الوضع العسكري سرى أو عرب العملة بوضع صواريخ واسامه منصات حربيه . كما أن الولايات المتحدة سوف تطالب اسرائيل بالدخول في مفاوضات غير مباشرة والموافقه على مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات . وهو ما يعتبر تنازلا - من وجهة النظر الاسرائيلية .

كما تضمنت ملاحظات بيرجس استبعاد الولايات المتحدة للمشاركة في بذل الجهود من أجل السلام بعد بدء المفاوضات ، واستبعادها أيضا لتنفيذ تعهداتها مع اسرائيل للامداد بالسلاح دون زيادة اطلاقا (١٠٠ طائرة سكاي هوك تم التعاقد عليها عام ١٩٦٦ . ٦٠ طائرة فانتوم تم التعاقد عليها ١٩٦٨) . وان التوصل الى اتفاق سوف يخلق جواملا لثا لاستئناف العلاقات بين ج.ع.م والولايات المتحدة . . ويقول أنور السادات في خطابه لاساندة الجامعات يوم ٨ يناير ١٩٧٠ ان أمريكا تعهدت بعدم امداد اسرائيل بالاسلحة خلال شهور وقف اطلاق النار (٩٠ يوما) .

تسلم محمود رياض المبادرة أثناء زيارة جمال عبد الناصر الى ليبيا خلال الفترة من ١٩ الى ٢٧ يونيو ولذا فقد أرسلت له رسالة روجرز في طرابلس .

ويقول محمد حسنين هيكل في كتابه (الطريق الى رمضان) انه شعر بأن عبد الناصر قد وافق على المبادرة فور قراءتها دون أن يصرح لاحد بحقيقة رايه ، وكان هيكل معه في زيارة ليبيا .

وقال لى العريق أول محمد فوزى انه عندما استشير في بنود المبادرة ضغط لقبولها من وجهة نظر عسكرية بحثة . . فقد كان يود الوصول بحائطه الصواريخ الى الضفة الغربية للقناة وذلك لحماية قوائنا في الغرب من الغارات الاسرائيلية وتهديد الطائرات المعيرة الى مسافة ١٥ كيلو مترا شرقها ، وهي مسافة كافية تتبع لقوائنا العبور تنفيذًا للخطة الدفاعية ٢٠٠ بأمان نسبي . . وذلك لصعوبة نقل الصواريخ تحت قنابل الغارات المستمرة .

كان تأمين القوات المسلحة المصرية من الغارات الاسرائيلية ، مع الاستعداد للعبور والهجوم هدفا من أهم الاهداف التي كانت تشغل فكر عبد الناصر في ذلك الوقت .

وفور عودة جمال عبد الناصر من طرابلس عقد اجتماعا للجنة التنفيذية العليا ، عرض عليهم فيه مشروع مبادرة روجرز .

ويقول ضياء الدين داود عضو اللجنة في ذلك الوقت ان جمال عبد الناصر أعطى المشروع للى صبرى وكان مكتوبا بالانجليزية ولم يترجم للعربية بعد . . وطلب منه قراءته . . ثم طلب بعد سماع اللجنة معرفة رأى اعضائها ، مبتدئا بالذكور محمود فوزى مساعد رئيس الجمهورية .

وأدى الاعضاء بآرائهم . . ولم تكن في جملتها تميل ميلا واضحا لقبول المبادرة ، بل كان الاتجاه السائد هو التحفظ والرفض .

ولم يناقش جمال عبد الناصر الامر . . طوى الاوراق بلا كلمة واحدة

معلنا أنهم سيواصلون المناقشة بعد عودته من الاتحاد السوفييتي .
وسافر جمال عبد الناصر الى موسكو دون أن يفصح لأحد عن رأيه
بالنسبة لقبول المبادرة .

وبعد المباحثات مع القادة السوفييت ذهب عبد الناصر الى مصحة
(بريخا) لمدة اسبوعين ، ولتغطية ذلك أعلن انه يقوم بمباحثات مطولة مع
الزعماء السوفييت الذين كانوا يقومون بزيارته في المصحة بين حين
وأخر .

قال لي الدكتور مراد غالب سفيرنا في موسكو ان عبد الناصر كان
يطلب في هذه الرحلة مزيدا من الاسلحة اقترابا لساعة تنفيذ الخطة . وقال
لي الفريق أول محمد فوزي ان التدريب كان قد وصل الى ذروته في كافة
مستويات القوات المسلحة .

على مستوى الجنود ٥٠ وصلوا الى حد عبور (مصرف المحيط) عند
برقاش في الحيزة تدريبا على عبور القناة وهم معصوبو الاعين لعدة مرات .
كما درسوا مناطق العبور الاصلية في القناة الى حد معرفة تفاصيل الارض
معرفة دقيقة .

على مستوى الدفاع الجوي ٥٥ سقطت الطائرات الاسرائيلية التي تحدث
عنها عبد الناصر وبريخيف في لقائهما الاول يوم ٢٩ يونيو ، وسقط طيار
اسرائيلي عند جنيفا حيث التقط بهليوكبتر اسرائيلي بعد اتصال لاسلكي معه
كما أسر خمسة طيارين اسرائيليين احياء لأول مرة في تاريخ المعارك . . .
واعتبر ذلك اليوم ٣٠ يونيو عيدا سنويا للدفاع الجوي .

وعلى مستوى القيادة درست كافة احتمالات خطط الهجوم المضاد
الاسرائيلي ومنها محاولات الاختراق عند الديفرزوار التي عرفت فيما بعد
باسم خطة (الغزالة) ونسبت الى الجنرال شارون الذي نفذها يوم ١٦ أكتوبر
١٩٧٣ .

كانت القوات المسلحة قد وصلت الى ذروة الاستعداد تقريبا ولم يعد
باقيا الا دفع حائط الصواريخ الى الامام . الى الضفة الغربية للقناة .
واختلفت الآراء حول (مبادرة روجرز) بين الذين يعلمون تأثير قبولها
على موقف قواتنا المسلحة . وبين الذين لا يعلمون .
يقول أمين هويدي في كتابه (أضواء على أسباب نكسة ١٩٦٧) وهو
يومها كان في مركز يتيح له معرفة مايدور في كواليس السياسة
المصرية :

(حينما درست هذه الرسالة - يقصد مبادرة روجرز - بوساطة
الجهات المعنية هنا في القاهرة انقسمت الآراء بين مؤيد ومعارض ، وابلغت
آراء المؤيدين والمعارضين للرئيس جمال عبد الناصر مع ذكر الاسباب التي
تؤيد وجهات النظر المختلفة ، وأذكر انني كنت أحد المؤيدين القلائل لهذه
المبادرة) .

وقد وجد أنور السادات بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ورئيسا للجنة
السياسية بالاتحاد الاشتراكي أن يعلن رأيه بالنسبة للمبادرة . . فدعا

اللجنة السياسية للجنة المركزية الى اجتماع تقرر فيه بالاغلبية عدم قبول المبادرة .

ولكن جمال عبد الناصر كان له رأى آخر ، لانه كان يعلم كل شئ ويمسك كافة خيوط الموقف .

وفى اجتماع مع بريجنيف عقد يوم ١٦ يوليو وهو اليوم السابق لعودته الى القاهرة قال جمال عبد الناصر انه قرر قبول المبادرة الامريكية، ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان بريجنيف كان مندهشاً ولكنه تفهم الموقف عندما قال له عبد الناصر مجيباً على تساؤله عما اذا كان سيقبل اقتراحا عليه العلم الامريكى (بالضبط ٠٠ انى ساقبلها لان عليها علم امريكى ٠٠ فاننا يجب ان نأخذ فترة لالتقاط الانفاس حتى نستطيع ان ننتهى من بناء مواقع الصواريخ ٠٠ اننا نحتاج ان نعطي فترة راحة لقواتنا المسلحة ، وأن نقلل من خسائر المدنيين - نحن نحتاج الى فترة وقف اطلاق نيران ٠ وهذا التوقف لن تحترمه اسرائيل الا اذا كان اقتراحا امريكيا ٠٠ ولكننى لاعتقد ان لهذه المبادرة أى نصيب من النجاح ، وفرصتها فى ذلك لا يتجاوز ١/٢ .

كانت خسائر المدنيين الذين يشتركون فى بناء قواعد الصواريخ قد بلغت ٤٠٠٠ شهيد كما ذكرنا .

كان هذا يعنى رفضاً من جمال عبد الناصر لقرار نائبه فى عدم قبول مبادرة روجرز ،

سافر أنور السادات الى قريته (ميت أبو الكوم) .
قال لى أحد أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن جمال عبد الناصر قد أعطى لهم توجيهاً بزيارة أنور السادات فى قريته ٠٠ وان جمال عبد الناصر قد زاره هناك وصحبه معه فى عربته الى الاسكندرية .

ودعا جمال عبد الناصر أعضاء اللجنة التنفيذية العليا مرة أخرى لمناقشة المبادرة فاجتمعت عدا أنور السادات وبدأت المناقشة بالدكتور محمود فوزى مرة أخرى ، وحدث تغيير فى اتجاه الأعضاء نحو القبول ، شعوراً منهم بأن جمال عبد الناصر قد اتخذ قراراً بالقبول .

وفى هذا الاجتماع دارت مناقشة طويلة أوضح فيها جمال عبد الناصر المبرر العسكرى لقبول المبادرة دون الدخول فى تفاصيل سرية ٠٠ كما قدم للأعضاء المبرر السياسى لقبولها أيضاً ، باعتبار أن ذلك سوف يحسرج اسرائيل أمام الرأى العام العالمى ، وأمام امريكا أيضاً ٠٠

ويقول ضياء الدين داود انه بعد أن انتهت المناقشات وانعقد اجماع الأعضاء على قبول المبادرة طلب منهم ان يتحدثوا مع الناس فى المبرر السياسى .
دون أن يكشفوا عن المبرر العسكرى ، منبها الى أهمية ذلك .

اعلن جمال عبد الناصر قبوله للمبادرة فى خطابه يوم ٢٣ يوليو فى

العيد الثامن عشر للنصرة ٠٠ وتفجرت ردود الفعل في مختلف أنحاء العالم .
 فقد بان الاعلان معاجئا بعد فترة صمت امتدت الى أكثر من شهر .
 ولاحظ جمال عبد الناصر ان قبول المبادرة لم يصادف استجابة عميقة
 عند اعضاء المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكي ، فقرر ان يعقد جلسته تالته
 سرية ، حتى لا ينفض المؤتمر والاعضاء على غير افتتاح .

وفي هذه الجلسة السرية أفصح جمال عبد الناصر عن بعض الحقائق
 التي كانت مغلفة بالسرية حتى ذلك الوقت .

والظاهرة التي يجب الوقوف عندها طويلا هي خروج الاسرائيليين الى
 الشوارع في مظاهرات ترقص وتبتهج فقد انتهت بالنسيه لهم حرب
 الاستنزاف التي أرهقتهم نفسيا وماديا وكبدتهم خسائر كثيرة في الارواح .
 انقذ قبول المبادرة الاسرائيليين من تكرار ما حدث في ذلك اليوم الذي
 أطلقوا عليه اسم (السبت الحزين) عندما وقعت احدى دورياتهم في كمين
 للقوات المصرية المتسللة في سيناء ، وقتل منها ٤٠ جنديا ، وعاد المصريون
 باتنين من الاسرى .

رقص الاسرائيليون تصورا منهم ان المبادرة هي خطوة أولى نحو
 السلام فعلا ٠٠ وهكذا كانت قناعة الرأي العالمى أيضا .

كان محمود رياض قد سلم رد مصر الى دونالد بيرجس يوم ٢٢ يوليو
 وبدأت مفاوضات وقف اطلاق النار ، في وقت كان يتولى فيه محمد
 حسنين هيكل أعمال وزارة الخارجية بجانب وزارة الارشاد القومي لوجود
 محمود رياض في رحلة بالخارج لزيارة دول البلقان .

قال لي محمد حسنين هيكل انه فوجئ بان دونالد بيرجس المشرف على
 المصالح الامريكية في القاهرة يطلب منه Stand still cease fire أى وقف
 اطلاق النار مع تثبيت الاسلحة والصواريخ في مواقعها ٠٠ وانه عندما أبلغ
 عبد الناصر ذلك طلب منه أن يماطلهم عدة ساعات حتى يدفع صواريخ
 هيكلية الى الضفة الغربية للقناة ، ثم يستبدلها ليلا فيما بعد بصواريخ
 حقيقية ٠٠ وكان الامر يحتاج منه الى مدة لاتقل عن ٦ ساعات .
 وأبلغ هيكل بيرجس الذي كان يستعجله في لهفة قائلا له ان واشنطن
 معه على الخط ، وورجرز ينتظر النتيجة .

وقال له هيكل انه لا يستطيع ان يعطى تأكيدا الا بعم ضمان وصول
 التعليمات الى كافة القوات المنزلة والبعيدة في منطقة البحر الاحمر .
 وهكذا حصل جمال عبد الناصر على الساعات التي طلبها .

وقال لي الفريق أول محمد فوزي ان القوات أمضت الليل وهي تدفع
 صواريخ هيكلية الى الامام ، حتى اذا أشرق الفجر بدت تحت عدسات الاقمار
 الصناعية ، وكأنها صواريخ حقيقية في موضعها .
 ويقول هيكل ان الامريكيين قد انزعجوا من تحريك الصواريخ وانهم
 - حسب قوله - في كتابه (الطريق الى رمضان) قد اتهموا المصريين بالغش
 وانهم قرروا امداد الاسرائيليين بمزيد من الاسلحة .
 يؤكد ذلك ان الدافع الرئيسى لقبول المبادرة الامريكية كان دافعا

عسكريا أساسا وهو تحريك حائط الصواريخ الى الضفة الغربية .
 ووضعت المبادرة موضع التنفيذ مع وقف إطلاق النار في الساعة
 الواحدة من صباح السبت ٨ أغسطس ١٩٧٠ لمدة ٩٠ يوما ٠٠ وأبلغ جمال
 عبد الناصر الفريق اول محمد فوزى بأن يستعد لتنفيذ المرحلة الاولى من
 الخطة الدفاعية ٢٠٠ وهى ماسميت بالاسم الكودى (جرانيت ١) والى
 تتضمن عبور القناة ودفع العدو الى الممرات .

وقد كتب الفريق محمد على فهمى فى الاهرام يوم ٥ اكتوبر ١٩٧٧
 يقول :

(فى صباح يوم ٩ اغسطس ١٩٧٠ وهو اليوم النالى لوقف اطلاق
 النار دعا قائد قوات الدفاع الجوى لاجتماع فى مكتبه حضره قادة التشكيلات
 وهيئة الاركان فى قيادة الدفاع الجوى)
 ثم يحدد محمد على فهمى مهمة الاجتماع بقوله :

(طلب من المعاونين اعداد دراسات تفصيلية كل فيما يخصه عن المشاكل
 والصعوبات المنتظر ان تلاقيها قوات الدفاع الجوى فى معركه العبور والتحرير
 واعداد المقترحات كلها) .

ويعبر محمد على فهمى عن الروح التى سادت فى هذه الفترة بقوله
 أيضا :

(ان التفوق الجوى الاسرائيلى حقيقة يجب أن نعترف بها ، ولكن ينبغى
 أيضا ألا ننسى اننا استطعنا تحدى هذا التفوق مرات عديدة خلال حرب
 الاستنزاف بل واستطعنا تحقيق بعض الانتصارات عليه ، وفى معركتنا
 المقبلة لن يقتصر دورنا على مجرد تحدى هذا التفوق ، بل سيكون علينا أن
 نهزم هذا التفوق ونحطم الاسطورة) .

والفريق محمد على فهمى كان قائدا للدفاع الجوى خلال حرب
 الاستنزاف وأثناء قبول مبادرة روجرز ٠٠ وهو ما يؤكد جدية الاسعداد
 للعبور والتحرير خلال فترة وقف اطلاق النار التى فرضتها المبادرة .
 ليس هناك شك فى ان السبب العسكرى كان فى مقدمة الاسباب
 الدافعة لقبول مبادرة روجرز .

انعكاسات قبول المبادرة :

كان قبول عبد الناصر لمبادرة روجرز بمثابة (القنبلة السياسية) التى
 تفجرت فى انحاء العالم .

بدأت الصحف الاجنبية تقرن اسم عبد الناصر بلقب (بطل السلام) .
 انتعشت العناصر التقدمية داخل اسرائيل ، ورأت ان حلمها فى السلام
 يقترب ٠٠ وصرح ناحوم حولدلمان بان قبول مبادرة روجرز هو خطوة هائلة
 للسلام من جانب عبد الناصر وأن على الحكومة الاسرائيلية أن تلتقى معه فى
 منتصف الطريق ، وخاصة ان قبولها يعنى ضميا قبول اسرائيل لقرار
 مجلس الأمن .

صدمت العناصر الصهيونية التوسعية بقبول القاهرة للمبادرة وبدأت في محاولة تحطيم آثارها ، بتسليط الضوء على تحريك الصواريخ ، وجعله الموضوع الرئيسي المتكرر في الصحف . . . ومع ذلك نحطم الائتلاف الحكومي الاسرائيلي وانسحب وزراء حزب (جاخال) الستة ومنهم مناحم بييجين وزير الدولة وعزرا وايزمان وزير المواصلات . . . وهكذا اهتزت الجبهة الداخلية الاسرائيلية . . . وسافرت الى باريس بناء على موافقة جمال عبد الناصر لدفع التحركات المضاعطة على الحكومة الاسرائيلية ، ومحاولة اظهار موضوع الصواريخ كأنه موضوع فرعى لا يستحق الضجة والاحتجاج التي تثيرها الحكومة الاسرائيلية وأعوانها من الامريكيين .

ولكن موسى ديان أعلن في الكنيست ان اسرائيل تنظر الى الوضع الجديد للصواريخ نظرة خطيرة . وأن حكومته قد قررت وقف بدء الاتصالات مع يارنج حتى تسحب الصواريخ المصرية .

وفي يوم ٦ سبتمبر أعلنت اسرائيل انسحابها من الاتصالات مع المبعوث الدولي يارنج بدعوى (انتهاك مصر لترتيبات وقف اطلاق النار . ورفضها العودة بالموقف الى ماكان عليه قبل بدء تنفيذ وقف اطلاق النار في ٨ أغسطس ١٩٧٠) . ويذكر أن اسرائيل لم تعد للاتصال بيارنج الا بعد حصولها على صفقة اسلحة أمريكية قيمتها ٥٠٠ مليون دولار .

ورغم ان قبول مبادرة روجرز كان يعتبر من الوجهة السياسية انتصارا للسياسة السلمية اكسبت عبد الناصر تقديرا واسعا في الرأي العام العالمي مما اعتبره وقتها حسب مقال نشرته في روزاليوسف (ضربه معلم) . ورغم انه كان يعتبر من الناحية العسكرية انتصارا حربيا لاشك فيه اذ ان العودة الى اطلاق النار كانت سوف تتم والقوات المسلحة المصرية في وضع افضل كثيرا عن ذي قبل .

ومع ذلك فان انعكاس قبول المبادرة من وجهة النظر العربية كان سلبيا .

لم تقدر بعض القوى أهمية قبولها تقديرا واقعيا سليما ، وانجرفت الى ارفضها . . . أعلنت ذلك كل من سوريا والعراق .

وأصدرت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) بيانا قالت فيه اذا كان بعض العرب قد أجهدهم النضال فعليهم ان يتنحوا للجبل الجديد المستعد للتضحيات الضرورية . . . ووجدت المنظمات الاخرى نفسها منجرفة الى هذا الاتجاه خوفا من اتهامها بالتفريط في القضية الفلسطينية . . . وخرجت المظاهرات في شوارع الأردن ولبنان تهتف لأول مرة ضد عبد الناصر وحسين معا وفي مواجهتها مظاهرات أخرى تدافع عن موقف عبد الناصر .

وانعكس ذلك في اذاعة (صوت فلسطين) الصادرة من القاهرة ، والتي اتهمت الذين قبلوا المبادرة بالخيانة ، وهاجمت عبد الناصر الذي لم يحتمل مثل هذا الاسلوب ، وطلب وزير الارشاد محمد حسنين هيكل أن يبحث الامر مع قادة منظمة التحرير ، ويقول هيكل انه قابل فاروق قديمي وأبلغه بأنه يمكن لهم أن يهاجموا المبادرة كما تشاء لهم نظرتهم السياسية . . . أما

أن يتعدى الامر اتهام الذين قبلوها بالخيانة فأمر غير مقبول .
ويقول هيكلم ان أجهزة اللاسلكى استقبلت بعد ذلك اشارة واردة
لاذاعة (صوت فلسطين) نقول - لاتستجيبوا للضغط من احد . هاجموا اى
شخص تريدون) .

وصدر قرار جمال عبد الناصر بوقف اذاعة (صوت فلسطين) يوم ٢٩
يوليو ١٩٧٠ .

وكان الامر فى حقيقته كارثة سياسية . لان تفسير الامر للقيادة
الفلسطينية لم يكن أمرا صعبا او مستحيلا . والعوامل التى دفعت لقبول
المبادرة لايمكن ان يرفضها وطنى وخاصة بعد أن تكتشف الامور عن موجة
الاحتجاج الاسرائيلية العارمة على تحريك الصواريخ ، وبعد أن صارح جمال
عبد الناصر أبوعمار بأن احتمالات نجاح المبادرة لاتتجاوز ١/٢ وأن مدتها
مشروطة بتسعين يوما فقط . وماكان سهلا على عبد الناصر أن يفقد بقبوله
المبادرة حصاد ثلاث سنوات من القتال والنضال والتضحية .

كانت كارثة سياسية الا يتفهم القادة المصريون والفلسطينيون حقيقة
الموقف . وكانت كارثة أيضا ان يخرج صدامهم الى الرأى العام ولايصنفى
بالاجتماعات الخاصة التى يمكن أن تزيد الامور وضوحا وتفسيرا ، وتذيب
الحساسيات والشكوك .

كارثة سياسية . لم تبدأ فى الحقيقة مع قبول مبادرة روجرز وانما
بدأت قبل ذلك بشهور .

كان الفلسطينيون قد أصبحوا بقواتهم المسلحة المتزايدة ، ومقاومتهم
الباسلة ، مثل قبيلة زمنية تخشى الانظمة أن تتفجر فوق أرضها .
وكان ماحدث فى لبنان مما انتهى الى اتفاقية القاهرة فى نوفمبر
١٩٦٩ هو البداية التى كشفت التناقض بين القوى والتنظيمات السياسية
العربية .

العرب . يقتلون العرب

ثم كان ماحدث فى الاردن
قوات المقاومة الفلسطينية كانت تعيش أساسا فى الاردن ، وهناك
نوع من التعايش السلمى وقبول الامر الواقع بينها وبين السلطة
الاردنية .

الفدائيون المقاتلون يحتلون المواقع فى الوديان والجبال على حدود
الأرض التى تحتلها اسرائيل . والقيادات تقيم فى عمان . ومعسكرات
التدريب تنتشر فى أكثر من مكان

ومع الوقت أصبح للمقاومة الفلسطينية نوع من النفوذ الادارى المباشر
على الفدائيين . وأصبحت بطاقاتهم صالحة كجواز مرور على الحدود
ولم تكن نظرة التنظيمات الفدائية موحدة فيما يتعلق بالنظام الاردنى .
كانت (فتح) أكبر المنظمات تعلن انها لاتتدخل ولا تريد أن تتدخل فى الامور
الداخلية للاردن . بينما كانت هناك منظمات أخرى تعلن ان طريق التحرير
الى تل أبيب يمر بعمان وعواصم الدول العربية التى تسيطر عليها انظمة

رجمية ٠٠ ولم يكن ياسر عرفات (أبوعمار) مسيطرا على كافة التنظيمات .
قمت خلال هذه الفترة بزيارة الى الاردن مدعوا من منظمة (فتح)
ولست ان المقاومة الفلسطينية قد أثبتت وجودها بالتأثير المعنوي والنفوذ
الانتظيمي بين جماهير الشعب الفلسطيني . وان هناك قتالا حادا يتزايد
داخل اسرائيل والارض المحتلة . وشعرت بان هناك تناقضا بين السلطة
وقوات المقاومة يحاول الطرفان ان يتحدثا به همسا ، دون أن يتمجرو يظهر
فوق السطح .

ولكن كتمان هذا التناقض ، وانتصار الحكمة ، وتثبيت مبدأ التعايش
كان صعبا وضد طبيعة الامور ٠٠ فمما لاشك فيه ان نظاما في السلطة له
حسابات تختلف تماما عن حسابات قوى ثوريه تعيش معه فوق أرض
واحدة ٠٠ ومما لاشك فيه ايضا ان بعض المزايدات والمواقف المتطرفة كانت
تدفع بقية المنظمات الفدائية للجنوح الى انتهاج مواقف وأساليب لا تتفق
مع الظروف الواقعية القائمة . وذلك خشية اتهامها بالتفريط في حق
القضية .

كل قوى المقاومة الفلسطينية أجمعت على رفض قرار مجلس الامن ٠٠
ولكنها لم تنفق على نهج النضال وأسلوبه في المستقبل ٠٠ والوحدة التنظيمية
أصبحت هدفا عسيرا .

دخلت خلافات الانظمة العربية وتناقضاتها الى الساحة الفلسطينية .
فكل منظمة كان لها اتصال مع دولة أو قوة سياسية عربية ٠٠ الامر الذي
فتح فرصة التسرب الى صفوف المناضلين ، وتشتتت جهودهم بالخلافات
المحلية .

وظهرت بوادر صدام المقاومة الفلسطينية مع النظام الاردني عندما
أعلنت الصحف عن وجود خلاف بين المقاومة والملك حسين في ١٢ فبراير
١٩٧٠ بعد اجتماع قمة المواجهة الذي عقد في ٧ فبراير عقب زيارة
عبد الناصر السرية الى موسكو والتي تم الاتفاق فيها على زيادة التعاون مع
الاتحاد السوفيتي في مجال الدفاع الجوي .

وأسرع عبد الناصر بالتدخل فعدت الاسلحة الى وضع الراحة بدلا
من وضع الاستعداد ٠٠ واستجاب الطرفان للزعيم الذي كان الفلسطينيون
يتحركون تحت مظله . والذي كان الملك حسين يخشى الصدام به .

ولكن الهدوء لم يستقر طويلا ٠٠ فرض الصدام نفسه ٠٠ انطلقت
ذخيرة البنادق نحو صدور العرب بدلا من الاسرائيليين ٠٠ ونشرت الصحف
ان القتال قد اندلع في عمان وضواحيها ٠٠ وبلغ عدد القتلى ١٢٢ قتيلا ،
٥٨٤ جريحا ٠٠ وكان ذلك في شهر يونيو ١٩٧٠ بعد أن رفضت المقاومة
قرار السلطات الاردنية بحظر حمل السلاح الا لأفراد القوات المسلحة .

ومرة أخرى أسرع الوسطاء . وهدأت الامور مؤقتا بعد أن أبعد الملك
اثنيين من كبار الضباط اشتهرا بالعصداء للفلسطينيين واجتمع مع ياسر
عرفات ٠٠ ولكن الذخيرة لم تنزع من البنادق ٠٠ وظل الرجل يغلي .

وجاء قبول القاهرة لمبادرة روجرز ، وما صحب ذلك من ظهور معارضة المقاومة الفلسطينية .

وتفجر الموقف دون تقدير سليم لأهداف عبد الناصر من قبول المبادرة .

عمت المظاهرات عددا من المدن العربية . . وتبادل المتظاهرون شعارات ولافتات بعضها يؤيد عبد الناصر والبعض يهاجمه .

وكتبت وقتها مقالا في مجلة (الحوادث) - عدد ٧ أغسطس ١٩٧٠ - جاء فيه :

(الظواهر المثيرة التي حدثت في الوطن العربي خلال هذا الاسبوع ليست جديدة او طارئة . . بل كانت متوقعة .

انها تعبير عن خلافات أصيلة في الاستراتيجية الفكرية للقوى السياسية طفت الى السطح بعد أن كانت في الاعماق . . وتبادل الناس الحديب عنها علنا وصراحة . بعد أن كانوا يدورون حولها في حرص واستحياء .

وتنبعث الخلافات - في رأيي - حول تقدير قضية السلام في المنطقة خلال هذه المرحلة التاريخية الحاسمة .

وما أظن الحديث عن السلام - كما يتصور البعض - يمكن أن يكون موضع خجل أو حساسية . . ولا أعتقد ان المناضلين من أجل السلام أقل تضحية من المغامرين .

وقلت :

(الظاهرة المميزة لسياسة القاهرة التي قبلت الحل السلمي هي الاستعداد المستمر خلال السنوات الثلاث الماضية لتطوير قواتها المسلحة، والوصول بها الى مستوى الكفاءة القتالية . . وكان الاستعداد العسكري الجاد هو وسيلة الذين قبلوا الحل السلمي للضغط على العدو من أجل تحرير الارض المحتلة)

ثم تساءلت :

(ماذا يحدث اذا فرمنا جدلا احتمال الوصول الى حل سلمي؟

كانت الاجابة الغالبة استبعاد هذا الاحتمال . ثم القاء كلمة صاخبة متطرفة بعيدة عن الاتزان المطلوب في مواجهة أمور شديدة الحساسية والحوية تتعلق بمستقبل الملايين .

مجرد توجيه السؤال كان يصيبهم بالحساسية . . وضاعت الشهور والسنوات دون محاولة جادة لمجابهة هذا الاحتمال الذي بدا في ذهنهم خيالاً كالسراب .

وهذه هي الاستراتيجية الفكرية التي يصعب تجريدتها من الحماس والوطنية والتضحية . . ولكنه لا يصعب تجريدتها من عمق الوعي وأصالة الفكر الواقعي .

هذه الاستراتيجية الرافضة لكل شيء الا القتال حتى النصر . . .

أو الموت .

وإذا تجاوزنا الخشية من أن تكون هذه الاستراتيجية الفكرية امتدادا للظاهرة العربية التي سادت خلال ربع القرن الأخير ، واعتادت أن تقف موقف الرفض مع كل قرار لا يتفق تماما مع رغبتها ٠٠ والتي تجعل كلمة (لا) تسبق كل كلمات القاموس في أى حوار سياسى .

اقول اذا تجاوزنا ان يكون موقف القوى الجديدة امتدادا لهذه الظاهرة القديمة . . فاننا نصل مباشرة الى قلب الموضوع فى صراحة وبلا حساسية .

هل يمكن ان يكون هناك تناقض بين الوصول الى حل سلمى وبين ماتصر عليه بعض قوى المقاومة ؟

وبالمنطق الهادئ البسيط لا يمكن أن نجعل من تحرير القدس وسيناء والضفة الغربية والجولان خطوة الى الوراء ٠٠ ولا يمكن أن نقول أن تنفيذ قرارات الامم المتحدة فيما يتعلق بحقوق شعب فلسطين اعتداء على هذا الشعب .

ولذا يصبح الرفض المطلق والتناقض المصطنع ظاهرة غريبة ٠٠ مثالية وبعيدة عن الواقعية

ظهر هذا المقال فى وقت عمّت فيه الخلافات وسادت ، وتصارعت الآراء فى المنابر وفوق صفحات الجرائد ٠٠ وتحولت فوهات البنادق من صدور الاعداء الى ظهور الذين يفترض فيهم أن يكونوا أصدقاء ورفقة نضال .

وخشى عبد الناصر ان يستغل الملك حسين الفرصة ويوجه ضربه الى الفدائيين فطلب منه الحضور لمقابلته فى القاهرة ٠٠ وحضر الملك يوم ٢٠ أغسطس يحمل سيلا من الشكاوى ضد المقاومة التى تحاول أن تخلق (دولة داخل الدولة) .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (الطريق الى رمضان) ان عبد الناصر قد قال له :

(أنا لأريد منك أن تصفى المقاومة ، ولا من المقاومة أن تصفك ٠٠ أنا أعلم ان لديك من القوة ما يجعلك قادرا على ضربهم ولكن هذا سوف يدفعك الى تصفية ١٠٠ شخص وبذا تصبح مملكتك - مملكة الاشباح - وسأبلغ الفدائيين بالا يعملوا ضدك لانهم لا يستطيعون ان يوفروا ماتوفره حكومتك لهم من تعليم وتموين ومواصلات وغيره ٠٠ وكلاهما يجب أن يتعاشى فهذا هو الطريق الوحيد) .

وحضر ياسر عرفات يوم ٢٤ أغسطس ٠٠

لم يكن جمال عبد الناصر فاتحا صدره لهذه المقابلة ٠٠ فقد كان ياسر عرفات قد زار العراق وقابل السيد احمد حسن البكر .

وكان عبد الناصر يقاسى من هجمات سوريا والعراق على مصر لقبولها المبادرة ٠٠ ولذا اعتبر أن ذهاب أبوعمار لمقابلة البكر انحيازاً منه الى الجانب

الآخر ، وهو الذى قدم له كافة المساعدات السياسية والعسكرية الممكنة التى تبنت أقدام المقاومة .

رفض جمال عبد الناصر فى هذه المقابلة إعادة فتح محطات صوت (فلسطين) التى أغلقها قبل ذلك بثلاثة أسابيع .

وحذر أبوعمار من أنهم بسياستهم سوف لابلومون الا أنفسهم اذا انقضى الملك حسين عليهم .

وفى نفس الوقت أعطى لأبوعمار تفسيراً للدوافع التى أدت الى قبول مبادرة روجرز وأبغىه أن احتمالات نجاحها - كما قال لبريجنيف - لا تتجاوز $\frac{1}{3}$ ٪

وبعد هذه المقابلة التى قال عنها ناتنج فى كتابه ناصر انها كانت (باردة) .

وبعد موقف الحكومة العراقية الذى كان يتبلور فى رفض المبادرة بعد هذا وذاك أصبح موقف أبوعمار مرتبطاً أشد الارتباط بموقف القوى الفلسطينية الأخرى وفى مقدمتها (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) التى كانت تدین المبادرة والانظمة وتجعل الفلسطينيين فى الساحة وحدهم يحاربون وظهورهم الى الحائط .

واتخذ أبوعمار قراراً بأن المقاومة الفلسطينية لا نلتزم مطلقاً بوقف إطلاق النار الذى تفرضه مبادرة روجرز .

ويشير هيكل الى أن عبد الناصر لم يصارح الفلسطينيين (طبعا) بأن السيادة الحوية الاسرائيلية قد تجعلنا ننزف حتى الموت فى حرب الاستنزاف ، وأن حلقة النجاة هى الوصول بحائط الصواريخ الى الضفة الغربية .

ولكن أمام تطور الاحداث السريع ، أرسل عبد الناصر وفداً يمثل الاتحاد الاشتراكي يضم أحمد بهاء الدين ومحمود أمين العالم وعبد اللطيف بلطية وعبد الهادي ناصف والدكتور وليم سليمان لمقابلة القيادات الفلسطينية أثناء اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى فى الاردن . وقد حاول هذا الوفد اقناع هذه القيادات بالهدوء والتراجع عن موقفها المندفع، ولكن الامور كانت قد تجاوزت الحدود التى يمكن للعقل فيها أن يسيطر ويتحكم على جموح العاطفة .

ويقول هيكل ان الملك حسين سافر وهو غير سعيد . وهنا لابد من الوقوف عند هذه الظاهرة . . ظاهرة عدم الثقة وعدم المبادرة الى تنسيق العمل فى ظروف خطيرة . والحرص على السرية أمر مطلوب وضرورى وهام . .

ولكن كان يمكن تفادى كثير من ردود الفعل التى حدثت نتيجة قبول المبادرة ، بمصارحة القيادات الفلسطينية قبل اعلان قبولها بأهمية ذلك وحيويته من الناحية العسكرية ، والوصول معهم الى اتفاق كامل على موقفهم منها وحدود معارضتهم لها . ولكن تركيز القرار فى قمة السلطة ، وعدم وجود كادر حزبي متفهم

وممارس للعمل السياسي .. صعب الامور وعقدها .. وجعل بعض كبار المسؤولين في مصر يتارجحون فجأة من موقف المعارضة للمبادرة الى موقف التأييد دون تفسير .. وجعل بعض المسؤولين العرب تأخذهم المفاجأة والدهشة ويتصورون أن في وقف القتال لعبة ما .. كما انه أعطى لبعض المتطرفين من قادة حركات المقاومة فرصة فريدة للهجوم والتشهير .
ربما كانت هناك اعتبارات أمن تدفع الى الحذر من التصريح أو التلميح بالاسباب الحقيقية الموحية بقبول المبادرة .. ولكن احتمالات ردود الفعل ماكان يمكن أن تخفى على القائد السياسي .

وما حدث في الواقع كان تأكيدا بأن هناك نوعا من عدم الثقة لم يستطع النضال المشترك ان يبده وأن هناك خطأ ما قد وقع في انضاج وعي بعض القادة العرب والفلسطينيين من ناحية الاقتناع بقبول المبادرة .. وأن ذلك قد انتهى الى كوارث مدمرة .

وخلق الثقة ، وتفسيق النضال ، أمور لا تنشأ فجأة ، وانما تتم عبر مراحل نضال طويلة .. وثلاث سنوات من القتال تعتبر مدة كافية لذلك . ولكن غيبة التنظيم الحزبي والعمل السياسي من الجانب المصري .. وغيبة الوحدة التنظيمية وتناقضات التنظيمات المختلفة من الجانب الفلسطيني كانت اسبابا جوهرية في الحالة التي وصل اليها الموقف بعد قبول المبادرة .

وكل ما قام به جمال عبد الناصر من دعم للمقاومة الفلسطينية قد انتهى في لحظة نتيجة لخطاء ونقط ضعف سابقة . ولم يقدر بعض القادة الفلسطينيين أن الحكومة الاسرائيلية نفسها قد اخذت تناور لتحطيم مبادرة روجرز التي خرج الشعب الاسرائيلي في مظاهرات فرح صاخبة يوم اعلانها لانها ائنت التوتر الذي ساد جبهة سيناء ، ووضعت حدا لخصائر حرب الاستنزاف اليومية ، وفتح باب الامل في تحقيق السلام .

ولكن الحكومة الاسرائيلية كانت تريد الخروج من (حصار السلام) فافتعلت من نقل الصواريخ قضية أحاطتها بدعاية هائلة ، وجعلت أمريكا تنقض شرطها الخاص بعدم امداد اسرائيل بالسلاح خلال أيام وقف اطلاق النار ، كما أعلن أنور السادات أمام أساتذة الجامعة يوم ٨ يناير ١٩٧١ عندما قال :

(انتهزت أمريكا هذه الفرصة علشان تقول أن القضية مش قضية احتلال اسرائيل لأرض عربية .. لا دي قضية خرق مصر لوقف إطلاق النار !

(وعلى هذا الأساس بدأ سيل الأسلحة يتدفق على اسرائيل مخالفا الكلام اللى قالته أمريكا بأنها لن تسلم اسرائيل خلال فترة وقف إطلاق النار أى سلاح) .

وهكذا تعثرت مبادرة روجرز ، ولم يقم يارنج بمهمته .. ولم ينفذ منها سوى وقف إطلاق النار .

والغريب ان المبادرة قد حوربت من بعض القيادات الفلسطينية . .
وحوربت أيضا من الحكومة الاسرائيلية ثم الامريكية رغم انها قدمت من
وزير خارجية أمريكا .

وهذا دليل على أن المبادرة كانت تحوى فى مضمونها ما يعطى لجمال
عبد الناصر فرصة المناورة وحرية الحركة استعدادا لتوجيه ضربته التحريرية
وتحقيق سلام من فوهة البندقية .

الفصل الثاني

خريف عبد الناصر

الخريف يبدأ في سبتمبر •
أوراق الشجر تتساقط •• ويختلط اللون الأبيض للسحب الطائرة مع اللون الأزرق للسماء الصافية •• وترطب نسمات الهواء البارد حرارة شهور الصيف •• وتغسل الأرض برذاذ المطر •• والخريف عندنا هو الربيع •• لا يحمل الأتربة ولا يعرف الحر •• وهو الفصل الذي يستقبل الناس فيه العمل بعد استرخاء الاجازات •• يقبلون على الحياة في نشاط وسلام •
ولكن خريف ١٩٧٠ في الوطن العربي كان شيئاً آخر •
بدأ شهر سبتمبر والموقف يتردى في الاردن •• يسقط القتل والدماء تروى الارض مع رشات المطر •
واللحظة التي تصور جمال عبد الناصر انه سوف ينتهي فيها من الوصول بالصواريخ الى ضفة القناة الغربية لتأمين القوات المسلحة •• ليبدأ اياما يلتقط فيها النفس •• استعدادا لتنفيذ خطة التحرر •
هذه اللحظة لم تبدأ أبدا •
ولم يذق جمال عبد الناصر طعم الراحة التي طلبها منه اطباء حماية لصحته •
كان الأطباء المصريون والسوفييت قد الحوا عليه في أن يقضى شهرا كاملا بعيدا عن ممارسة المسئولية •• بعيدا عن المقابلات والاحاديث والتليفونات •
ورضخ جمال عبد الناصر •• واختار شهر سبتمبر ليمضى منه عشرة ايام في مرسى مطروح •

ولكنه لم يخلع مسئولياته وهمومه قبل السفر .
قال لى الفريق اول محمد فوزى انه ذهب اليه هناك حاملا تفاصيل
الموقف والخطه بعد الوصول بحائط الضواريح الى شاطئ القناة . . وعندما
حاول عرض الامر عليه فى حضور حسين الشافعى ركله فى قدمه نحو
المائدة ، ونظر اليه نظرة فرضت عليه الصمت .
لم يكن جمال عبد الناصر راغبا فى كشف أسرار الخطه لشخص غير
مستول عن تنفيذها حتى ولو كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا ، وزميلة
فى مجلس قيادة الثورة .
هل هو الحرص على السرية الذى لازم جمال عبد الناصر فى كل قراراته
وخطواته الهامة ؟

هل منحتة مسئولية الحكم خبرة أن تكون المعلومات الهامة فى حدود
المستولين عنها فقط ؟

أم . . هل كان هناك موقف خاص من زميله السابق يدفعه الى هذا
التصرف ؟

رويت لى قصه ماظن ان مجال نشرها هذا الكتاب . . ولكنها تؤكد
الحقيقه الموضوعيه القائمه . . وهى ان الدين تربعوا فى قمة السلطه حول
الزعيم . . لم يكونوا - رغم دورهم التاريخى - أشر الناس قدرة ووعيا . .
وانهم ظلوا فى مواقعهم رغم سيحات الشعب المطالبه بالتغيير . . لان الزعيم
قد استكان اليهم وارتاح لتصرفاتهم معه . .
لم يعرض الفريق اول محمد فوزى تفاصيل الخطه فى هذه الجلسه ،
وعرضها بعد ذلك .

لم ينعم جمال عبد الناصر بلون البحر الفيروزى . . ولا بالهدوء الشامل
فى مرسى مطروح . . اقتحمت الاحداث عليه خلوته ، وفرضت الكارنه
نفسها عليه .

كان الملك حسين قد بدأ عملياته ضد الفدائيين . . وأسرع بعض قادتهم
فى القاهره - رغم موقفهم المعادى لعبد الناصر بعد قبول المبادرة - يقولون انه
اذا لم يتدخل عبد الناصر ، فان هذا سوف يكون بمثابة الضوء الاخضر
لزيد من جموح السلطه الاردنيه .

كان الموقف يتدهور ساعه بعد أخرى . . ونزيف الدماء بدأ يختلط
بمياه الامطار وتراب الارض وعدد الذين تفقدهم المقاومة يتزايد .
واجتاح الغضب أرجاء الوطن العربى . . وأخذت الدهشه الرأى العام
العالمى . . لان العرب بدأوا تصفيه المقاومة الفلسطينيه .
وعقدت جلسه طارئه لمجلس الجامعة العربيه ، بعد أن اتصل بهم خالد
الحسن مندوبا عن منظمة التحرير ، موضحا لهم خطورة الموقف .
تشكلت فى نفس اليوم لجنة خماسيه من سليم اليافى أمين الجامعة
المساعد ، وأمين الشبلى سفير السودان فى الجامعة ، وعثمان نورى سفير
مصر فى الجامعة وسفيرها السابق فى الاردن . . ومندوب الجيوش . . ومندوب
ليبيا .

سافرت اللجنة الى عمان يوم ٧ سبتمبر واختارت أمين الشبلي رئيسا لها . . . وكانت المناوشات قد بدأت . ولكنها لم تصل حد المذبحة .
 وقامت اللجنة باتصالات مكثفه بين الملك حسين من جهة وبين أبوعمار وقادة المقاومة من جهة أخرى في محاولة مستميتة لتفادي تفجير الموقف .
 كان الملك مصرا على تأكيد سلطته في دولته ، وكان قادة المقاومة مصرين على عدم التراجع عما كسبوه من حقوق خلال سنوات مابعد العدوان، معتقدين في قدرتهم على هزيمة قوات الملك واحتلال عمان .
 قال أبوعمار لأعضاء لجنة الجامعة العربية ان قواته تستطيع أن تحتل العاصمة الاردنية في ساعتين . لان نصف الجيش الاردني سوف ينضم اليهم اذا حدثت بين الطرفين معركة .
 وكان هذا تفاؤلا مبالغا فيه .

استقبل عبد الناصر الموقف في أسى فظيع . . وتبددت أحلامه في أن يهجع قليلا الى الراحة ، لمواجهة أعباء الحرب من جديد بعد انقضاء ٩٠ يوما على وقف إطلاق النار .
 وتأن جمال عبد الناصر في هذه الفترة قد أصبح مريضا . . ثقله أعباء المسئوليات العديدة .
 والنظام الذي فرضه على نفسه لم يتح له تفريخ أصدقاء جدد . ولم يعد بجانبه الا عدد محدود من الاصدقاء القدامى .
 بعد الهزيمة انتحر عبد الحكيم عامر . . وترك موته أثرا بالغا في نفسه . . فقد كان رغم كل شيء - أقرب الأصدقاء وأعزهم .
 واستقال زكريا محيي الدين ولم يلتق بجمال عبد الناصر مطلقا .
 والذين استمروا في العمل معه تعرضوا لمواقف منه، صعب على بعضهم أن يجد لها تبريرا .
 الفضيحة التي وضع فيها على صبرى عمدا ، لم تستخدم من قبل مع الاصدقاء . وعودته مرة أخرى الى العمل حتى وصل عضوا في وفد مصر أثناء زيارته في يونيو الى موسكو ما أظن انها قد جعلت الجرح يلتئم .
 وأنور السادات الذي عينه نائبا له أمضى أياما في قريته بعد رفضه لمبادرة روجرز . . وهو تصرف ما أظن أن نائب رئيس للجمهورية يغمره بسهولة في بحر النسيان .

وتعرض محمد حسنين هيكل أيضا الى موقف لم يتعرض له من قبل، عندما فوجيء في شهر أبريل ١٩٧٠ بتعيينه وزيرا للإرشاد بدلا من محمد فايق الذي أصبح وزير دولة للشئون الخارجية . . في نفس الوقت الذي أصبح فيه حسن التهامي وسعد زايد وسامى شرف وزراء أيضا .
 وهيكل يقول الى فؤاد مطر في كتابه (بصراحة) - كنت في حالة صعبة من الضيق وقتها بسبب قرار توزيرى .
 وبعد أيام صدر قرار باعتقال لطفي الخولى رئيس تحرير الطليعة وسكرتيرة هيكل نوال المحلاوى وهما يتبادلان حديثا مليئا بالهجوم على عبد الناصر نتيجة لهذا التعيين الذي لم يوافق هوى في نفوسهم ولا نفس هيكل أيضا .

كانت تصرفات عبد الناصر قد تركت في نفوس هؤلاء جروحا . .
استطاع البعض أن يعلو عليها ويعبرها . . وبقيت غائرة لا تلتئم في نفوس
البعض الآخر .
وهي تصرفات تبدو فيها عصبية الارهاق وتوتر المرض . لان عبد الناصر
كان يراجع نفسه فيها ، ولا يصبر عليها .
وفي هذه الفترة كان قد قرب اليه عبد اللطيف البغدادي . . والتقى
الاثنان كثيرا في سهرات خاصة .
قال لى عبد اللطيف البغدادي انهما كانا يتناقشان في السياسة كثيرا
لتقريب وجهات النظر . . وانه كان يعد له رحلة لزيارة الاتحاد السوفيتي
للتعريف على زعمائه الجدد وعلى ابعاد الصداقة الوثيقة بين الدولتين . . وقال
لى أيضا انه تحدث اليه في موضوع ترشيحه رئيسا للوزراء .
ولكن هذه الصلة لم تثمر شيئا . . فقد كان البغدادي غير متحمس
للتعاون مكتفيا بتجديد الصداقة . . وعبد الناصر كان يريد صديقا يفكر
مثله .

وتثبتت هذه الصلة الطارئة ان جمال عبد الناصر قد حاصر نفسه خلال
سنوات حكمه بقيود جعلته لا يتعرف الى شخصيات جديدة يمكن ان تصبح
له في موضع الصديق . . واسلوب يجعل الوصول الى صداقته امرا
عسيرا .

وتثبت أيضا ان النظام لم يفرخ قيادات مؤمنة بالتحول الاشتراكي
يمكن ان تفرض نفسها . . وأن محاوله اعادة البغدادي للعمل ، تشير الى أنه
كان يحاول تغيير أفكاره أولا ثم الاعتماد عليه بعد ذلك . . وهذا أمر يتناقض
تماما مع بعث القيادة في مجتمع اشتراكي فهي لا تورث . ولا تتم
بالاختيار .

ولذا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر قد واجه كارثة محاولة تصفية
المقاومة وحيدا . . ومريضا . . وتتنازعه عدة عوامل نفسية .
الموقف يتدهور في سرعة .

وعلى الساحة العربية بدأ جمال عبد الناصر يستشعر أشياء غريبة .
المقاومة الفلسطينية التي اختّضنها وفتح لها ذراعيه أصبحت تهاجمه
بعنف . . سوريا والعراق تشدد أيضا في الهجوم .
المواقف الاستفزازية لبعض المنظمات تعقد الامور وتجعل الصدام امرا
حتميا لاسبيل لتفاديه .

وعبد الناصر في أزمته النفسية حريص على بقاء المقاومة لدورها الايجابي
في معركة التحرير . . تعييس للمتسزق الذي تعيشه منظماتها . . حزين لان
احدا في صفوفها لم يعد قادرا على الدفاع عنه .
كان جمال عبد الناصر شديد الايمان بما قام به . . ولكنه كان عاجزا
عن اقناع الآخرين .

وأسهمت (الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين) في اشعال الموقف المعادي
لعبد الناصر وللانظمة العربية . . وأسهمت أيضا بشكل رئيسي في استفزاز

النظام الاردني ٠٠ وفي وضع المنظمات الاخرى وخاصة فتح تحت نيران الانهزام
باتت غريطة .

وتعشرت العمليات الفدائية داخل اسرائيل ٠٠ بعد أن أصبحت حماية
المقاومة داخل الأردن هي المسئولية الاولى للجميع .
واختارت الجبهة الشعبية طريقها (الخاص) لتصعيد المعركة بعيدا عن
قبضة الملك حسين .

وقامت يوم ٦ سبتمبر بخطف طائرة بوينج أمريكية كبيرة هبطت في
القاهرة ثم نسفت بعد اخلائها من الركاب .

ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد خطفت بعد أيام طائرتين واحدة
أمريكية والاخرى سويسرية تبعتهما ثلاثة بريطانية وهبط الجميع في مطار
مهجور بالأردن أطلقوا عليه اسم (مطار الثورة) . وطلبت الجبهة من حكومات
انجلترا واسرائيل وسويسرا والمانيا الغربية اطلاق سراح الفدائيين المعتقلين
قبل الافراج عن الركاب ٠٠ ولكن جميع الحكومات رفضت الخضوع .

ورغم ان منظمة التحرير والحكومات العربية قد أدانت هذا الاسلوب
الا أن أحدا لم يستطع أن يتدخل لانقاذ الركاب الذين اضطرت الجبهة للانفراج
عنهم بعد أربعة أيام عقب نفس الطائرات الثلاث .

وكان هذا الحادث هو أكثر الحوادث استفزازا للنظام الأردني ، استغله
الملك حسين الذي قال له جمال عبد الناصر في معرض مطالبته بأن يحافظ
على المقاومة انه يمكن اطلاق لفظ (صير حسين) مثل (صبر أيوب) ٠٠ ولم
يقبل الملك أن يصل الاعتداء على مملكته الى هذا الحد باقامة (دولة داخل
الدولة) .

وارتكبت الجبهة الشعبية بهذا الحادث خطأ تاريخيا ٠٠ فهو عمل بعيد
تماما عن مقاومة العدو ٠٠ مثير لعداوة الشعوب والرأي العام العالمي .

وكانت الجبهة الشعبية قد بدأت أسلوب خطف الطائرات منذ يوليو
١٩٦٨ عندما خطفت طائرة بوينج اسرائيلية كانت في طريقها من روما الى
تل أبيب ، وأجبرت بوساطة المسلحين الفلسطينيين على الهبوط في الجزائر
حيث بقي ١٢ راكبا اسرائيليا في الحجز لمدة شهرين قبل اطلاق
سراحهم .

وبعد خمسة شهور استولى الفدائيون على طائرة بوينج اسرائيلية
أخرى في مطار أثينا حيث قتل أحد الركاب قبل أن يعقل البوليس اليوناني
المختطفين .

ورد الاسرائيليون على ذلك بتدمير ١٣ طائرة عربية فوق أرض مطار
بيروت .

ومع ذلك لم تتوقف الجبهة الشعبية عن انتهاج هذا الاسلوب ٠٠ فقد
هجم مجموعة من أفرادها في مطار زيوريخ على طائرة اسرائيلية فجرحوا ستة
من الركاب وأفراد الطاقم ، وقتل أحد الفلسطينيين واعتقل البوليس
السويسري الباقين وذلك في فبراير ١٩٦٩ .

ولم تفتح محاولات أبو عمار في وقف مثل هذه العمليات التي كانت
تشوه وجه المقاومة وتسيء الى أهدافها النبيلة ، فقد اختطف طائرة أمريكية

نانت في طريقها الى تل أبيب في أغسطس ١٩٦٩ وهبطت في دمشق ، وفي
سبتمبر هوجم مكتب شركه (العال) في بروكسل ودمر تماما ، وهو جرم
بعد ذلك مكاتب اسرائيلية في بون ولاهاي ثم في أثينا خلال شهر نوفمبر
١٩٦٩ حيث هوجم مكتب شركه (العال) ايضا وجرح ١٥ شخصا .
وفي يناير ١٩٧٠ خطفت طائرة أمريكية أخرى في طريقها بين باريس
وروما ، وفي فبراير هوجمت عربة شركة طيران في مطار ميونيخ ظلنا بان
ابن موسى ديان هو أحد الركاب .
وقد أبارت هذه الحوادث المتكررة غضب كثير من الدول العربية .
ومنظمه فتح وغيرها . . . وخلقت موجة من الرفض العالمي لهذا الاسلوب الذي
يعرض المدنيين للخطر ، ويفعل أحداثا مقيرة في دول يحرص العرب على كسب
الراى العام فيها وليس تنفرد واجباره على اتخاذ موقف العداء .
وأعلن رئيس وزراء الاردن ادانته لكل هذه الاعمال وأعلن انه سيعتبر
القائمين بها خارجين على القانون .
واضطر ابو عمار لاصدار بيان في يونيو ١٩٧٠ باسم المجلس الوطني
الفلسطيني يعلن فيه ان عمليات خطف الطائرات المدنية منافيه للهدف
الفلسطيني ومتناقضة مع سياسة منظمة التحرير الرسمية .
ولكن الجبهة الشعبية أرادت أن تثبت استقلالية سياستها فخطفت
طائرة يونانيه لم تفرج عنها الا بعد أن أفرجت الحكومه اليونانية عن سبعة
من الفدائيين المعتقلين .
تاريخ طويل في خطف الطائرات لايمكن تدوينه ضمن النضال ضد
الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية .
ولو كان خطف الطائرات سبيلا لتحرير الارض لكان الفيتناميون قد
خطفوا كل الطائرات الامريكية ، ولم يواصلوا النضال الشاق في حرب
مريرة أكثر من ثلاثين عاما .
ولكنها فيما يبدو كانت فترة لم تنضج فيها بعض القيادات الفلسطينية
ولم تصقل بالخبرة والتجربة . . . فأرادت أن تلفت نظر الراى العام العالمى
للقضية شعب فلسطين بهذه الاحداث المثيرة التى لم تثمر شيئا نافعا .
وكان حادث الجبهة الأخير هو الفرصة النادرة للملك حسين . . . اذ ابلغ
أمين الشيلي رئيس لجنة الجامعة العربية عندما قابله يوم ١٢ سبتمبر انه اذا
لم يحدث اتفاق قبل يوم ١٥ سبتمبر فانه سوف يصدر الامر لقواته
المسلحة بضرب المقاومة .
وكانت الجبهة الشعبية قد منحت بعض ركاب الطائرات المحتجزة
(ناشبرات دخول) خاصة على جوازات سفرهم .
وفي يوم ١٥ سبتمبر توصلت لجنة الجامعة الى اتفاقية مشتركة أعلنتها
الإذاعة الأردنية .
واعتقد البعض ان الامور تمضى الى هدوء وسلام .
ولكن الملك أصدر قرارا في الثانية من صباح يوم ١٦ سبتمبر بتغيير
وزارة عبد المنعم الرفاعي وتعيين اللواء محمد داود رئيسا لوزارة عسكرية
أعلنت الاحكام العرفية .

ويقول أمين الشبلي ان محمد داود قد أمضى يوم ١٦ سبتمبر وهو يتصل به في نقابة المحامين بعمان . التي اختارها مقرا للجنة الجامعة العربية مطالباً بسرعة تنفيذ الاتفاقية التي كانت تنص على خروج الفدائيين من المدن وعدم حملهم السلاح .

ولكن اللجنة التنفيذية المشكلة من ١١ منظمة فلسطينية رفضت الحضور متخذة من التعيين الوزاري دليلاً على عدم جدية النظام الاردني ، أو رغبته في اقرار الهدوء . واعتبرت أن تشكيل الوزارة العسكرية دليل لايعوزه التأكيد على أن الملك سادر في خطته لضرب المقاومة . وأصدرت اللجنة التنفيذية التي اجتمعت في الاشرفية بياناً بذلك رغم محاولات أمين الشبلي وأعضاء اللجنة في عقد اجتماع مشترك مع ممثلي السلطة لتنفيذ الاتفاقية .

وفي يوم ١٧ سبتمبر الساعة الواحدة صباحاً اتصل أبوعمار بأمين الشبلي وأبلغه ان الضرب قد بدأ . وتفجرت العاصمة الاردنية بأصوات القنابل وطلقات الرصاص . وانفضت اللجنة الخماسية للجامعة العربية .

أصدر الملك الاوامر لقواته المسلحة بالهجوم على معسكرات الفلسطينيين ومراكز تدريبهم وقواعد المقاومة ومخابئها .

وتحركات قوات البادية تدمر كل شيء وتقتل كل فلسطيني .
مأساة . . وكارثة .

وتحركات القوات السورية الى بلدة (الرمثا) على الحدود الاردنية . . ولم تقابل هذه الحركة بالصمت من جانب الولايات المتحدة . أبلغت عن طريق الاتحاد السوفيتي بأنها لن تسمح بدخول القوات السورية الى الاردن . . وانها سوف تحمي نظام الملك حسين .

ووصلت الى جمال عبد الناصر معلومات تفيد بأن القوات الجوية الامريكية في تركيا قد وضعت في حالة استعداد لسحب الامريكيين من الاردن . . واعتبر ان هذا غطاء لعملية غزو مرتقبة . . وطلب من حافظ اسماعيل مدير المخابرات العامة في ذلك الوقت متابعة كافة التحركات الامريكية .

وقد صرح نيكسون فيما بعد بأن الولايات المتحدة لم تقترب من خطر صدام عالمي مثلما اقتربت في هذه الفترة .

عاد عبد الناصر الى القاهرة ليواجه الموقف المتردى . . وفكر للوهلة الاولى بالذهاب شخصياً الى عمان لفرض وقف اطلاق النار ، ولكنه أرسل الفريق محمد أحمد صادق رئيس الاركان في ذلك الوقت الى عمان ليبصر الملك باخطار تصفية المقاومة ، وليقنعه بأن الحرب الاهلية لن تكون الا في صالح اسرائيل .

قال لي الفريق محمد احمد صادق انه ذهب ومعه طائرتان تحملان الادوات الطبية ، وانه وجد من الملك حسين رفضاً واضحاً لقبول تصرفات

المقاومة الفلسطينية . وانه مصر على تحرير ارادة حكومته من كل هذه الضغوط .

ظل الموقف يتدهور بطريقة مفرجة ، وساد الظلام في الاردن . وتحول شهر سبتمبر الى شهر كئيب حزين أسود . . وتجاوز عدد الذين سقطوا قتلى برصاص السلطة الاردنية ، عدد الفدائيين الذين استشهدوا في عملياتهم داخل اسرائيل والارض المحتلة . . وفي كافة المعارك الخالدة مثل (الكرامة) وغيرها .

وصل رئيس سوريا نور الدين الاتاسي الى القاهرة يوم ٢١ سبتمبر ، وهو يحمل معه الرغبة في دخول الاردن . . ولكن جمال عبد الناصر حذره من الموقف الامريكى ، ومن الخطوات غير المحسوبة . . ولم يجد عبد الناصر سبيلا لمواجهة الموقف سوى بالدعوة لمؤتمر قمة عربى .

مؤتمر القمة الاخير :

استجاب الملوك والرؤساء ، واجتمعوا في القاهرة مع يومى ٢٢ و ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠ . مؤتمر القمة ينعقد قبل مضى عام على مؤتمر الرباط (ديسمبر ١٩٦٩) .

تجبر الظروف جمال عبد الناصر على عقد هذا الاجتماع . . وهو الذى أطلق التساؤلات الحرجة في وجه هؤلاء المجتمعين قبل تسعة شهور . . ثم غادر اجتماعهم ليواصل الاستعداد للمعركة .

ولكن فظاعة الكارثة كانت تفرض نفسها على الجميع . . عار تاريخي يلحق بهؤلاء الرؤساء والزعماء . . المقاومة الفلسطينية التى نمت وتضاعفت وفرضت نفسها على العالم بعد مؤتمر الخرطوم - أغسطس ١٩٦٧ - وبعد تغير قيادتها عقب استقالة احمد الشقيرى . . تذبح اليوم علنا برصاص العرب . . وكل القيادات عاجزة عن حمايتها . . المؤتمر ينعقد في ظروف قاسية . . والدهشة تعقد الالسنة امام جسامة المأساة .

الملوك والرؤساء يتوافدون الى فندق هيلتون على نيل مصر . والمذبحة مازالت مستمرة في الاردن . . وأحصرار العالم يحتجون في مظاهرات صاخبة .

التاريخ يسجل الأحداث بقلم من الدم . . وأنظار الجميع تتجه الى الفندق الكبير ، تتسابق لمعرفة الاخبار . . وما يصدر عن المجتمعين من قرارات يمكن أن توقف النزيف . قبل أن يهدم جسد المقاومة .

الملك حسين لا يحضر ويرسل اللواء محمد داود رئيس الوزراء مندوبا عنه يوم ٢٣ سبتمبر .

البعض يحاول ان يدين النظام الاردنى ويتخذ موقفا ضد الملك حسين ، وخاصة معمر القذافى . . وجمال عبد الناصر يدرك ان هذه القرارات لن توقف

نزف السماء ، وستدفع الملك حسين لمواصلة مايقوم به .
ويرسل المؤتمر جعفر نمري مندوبا عنه على رأس وفد يضم الباهي
الادغم رئيس وزراء تونس وأمير الشبلي سفير السودان في الجامعة العربية
وزير العدل السابق في وزارة ٢٥ مايو والفريق محمد أحمد صادق سافر
الى عمان يوم ٢٢ سبتمبر ٠٠ وصرح نمري لانطوني ناتنج بأنه لم يواجه
موقفا أكثر صعوبة من هذا الواجب الذي كلف به .
لم ينجح الوفد في وقف اطلاق النار .
كما يقول الفريق محمد أحمد صادق أن أسلوب العملية يدل على أن
النية كانت مبيتة لها .

وعندما يعجز الوفد عن الوصول الى تسوية بين العرب المتحاربين .
أوبين جيش الملك ومعظمه من البادية وقوات الفدائيين ، يعود الى القاهرة
ليفضي الى المجتمعين بصعوبة الموقف وخطورته .
وتتبلور عند جمال عبد الناصر معلومات تفيد ان ما يحدث في الاردن ،
وما قاله عنه الباهي الادغم بأنه أمر لا يحدث في أية دولة متحضرة كعملية
بوليسية وانما هو عملية حربية شاملة .٠٠ انما هو تدير وتخطيط من
المخابرات المركزية الامريكية بالتعاون مع بعض العناصر الاردنية مثل وصفي
التل .٠٠ خاصة وأن بوارج الاسطول السادس كانت تواجه الشواطئ
الاسرائيلية واللبنانية وضمنها حاملتا طائرات .
وكان جمال عبد الناصر على أشد الحذر من انزلاق الامور الى تدخل
أمريكي اسرائيلي مشترك .٠٠ ولذا فقد صرح السوريين عندما أظهروا رغبتهم
في دفع قواتهم للاردن بأن مصر لن ترسل أي قوات لسوريا أو الاردن في
حالة تدخل أمريكا .
وكان جمال عبد الناصر صائبا في رؤيته .٠٠ فان الامريكيين أخذوا
الامر على محمل الجد ، وأوضحت التقارير الواردة من واشنطن ونيويورك أن
نيكسون قد يرسل الى الاردن بقوات أمريكية في أية لحظة .٠٠ كما ان قادة
الاتحاد السوفيتي قد طالبوا عبد الناصر بضبط النفس تفويها للمؤامرة .

أكد نيكسون ذلك بعد انتهاء الازمة كما أشرنا .٠٠ ولم تثبت المعلومات
أن الملك حسين قد طلب مساعدة أمريكية .
وأضح أن القوات الاردنية كانت قادرة - وحدها - على تنفيذ المهمة
التي كلفت بها .

ولم يعد أمام المؤتمر من سبيل سوى الارتفاع عن كلبات الادانة ،
ومطالبة الملك حسين بحضور المؤتمر ، وخاصة بعد أن عاود جعفر نمري
سفره الى الاردن يوم ٢٤ سبتمبر على رأس وفد يضم حسين الشافعي والباهي
الادغم والشيخ سعد العبدالله الصباح وزير دفاع وداخلية الكويت .

وكان محمد داود الذي عينه الملك حسين رئيسا لوزارة عسكرية قد
أرسل الى الملك استقالته لان ابنته المتزوجة في بيروت حضرت اليه أثناء
انعقاد المؤتمر في القاهرة وتمثيله للاردن وطالبته بالا يكون مخلص القط

الذى يضرب الفدائيين .. ولأن معمر القذافي واجهه بمسئوليته فى خيانة القضية العربية .

استقال وحصل على الجنسية الليبية .

وينصل جمال عبد الناصر بالملك حسين طالبا منه الحضور الى القاهرة مقتنعا بأن حضوره يخفف من غلواء بعض أقاربه والمحيطين به الذين يدفعونه فى تعصب أحق الى تصفية الفلسطينيين .. حتى الذين يعيشون المأساة فى خيام اللاجئين .

تحدث عبد الناصر الى الملك حسين وبجانبه الامير صباح السالم الصباح أمير الكويت .. وحرص أثناء الحديث أن يثنى على الملك حتى يغريه على الحضور .

وكان عبد الناصر مقتنعا بأن مسئولية المذبحة البشعة تقع على عاتق النظام الاردنى أساسا ، ولكنه كان مقتنعا أيضا بأن تصرفات الجبهة الشعبية قد دفعت الامور الى ذلك .

الوفد المفوض من مؤتمر القمة يلتقى مع ياسر عرفات فى السفارة المصرية أثناء زيارته الاولى وخلال الزيارة الثانية يقوم الوفد بتهريب ياسر عرفات فى طائرتهم الى القاهرة بعد أن أمر الشيخ سعد العبد الله ولى عهد الكويت حاليا ووزير دفاعها فى ذلك الوقت - أحد أعوانه بخلع جليابه أو ! دشداشته) والباسها لأمى عمار الذى ما كان ليفلت من القوات الاردنية التى صوبت نيرانها على مقر إقامة وفد مؤتمر القمة عندما علمت انه لا يريد أن يغادر البلاد الا بعد وقف إطلاق النار تماما .

وعندما استجاب الملك حسين لرغبة عبد الناصر وحضر الى المؤتمر يوم ٢٥ سبتمبر .. دخل قاعة الاجتماع يحمل مسدسه وكذلك أبر عمار ... وأراد الملك فيصل ترطيب الجو فقال انه يجدر بنا أولا نزع سلاح المتحاربين .

وتوصل المؤتمر يوم ٢٧ سبتمبر الى اتفاق وقعه الملك حسين وياسر عرفات ويقضى بالآتى :

أولا : الوقف الفورى لإطلاق النار .

ثانيا : انسحاب الجيش الاردنى والفدائيين من كافة المدن قبل مغرب نفس اليوم .

ثالثا : تكليف لجنة برئاسة الباهى الادغم تسافر الى الاردن يوم ٢٨ سبتمبر لتشرف على اجراءات التنفيذ .

وانتهى أطول مؤتمر قمة فى تاريخ العرب .. امتد أسبوعا كاملا .
وغادر جمال عبد الناصر فندق هيلتون يوم ٢٧ سبتمبر الى داره ليكون قريبا من المطار أثناء توديع الملوك والرؤساء .

الباب السادس

عبد الناصر... مات

انتهى مؤتمر القمة الذي عقد تحت ضغط المذبحة ، واختلطت كلمات المناقشة فيه بأصوات الرصاص .
وافق الملك على وقف المذبحة . . وقبل أبوعمار سحب الفدائيين من المدن .

وأصبح واضحا أن الأردن لم تعد أرضا صالحة للفدائيين . . ولم تعد نقطة انطلاق الى داخل الارض المحتلة .
كان هذا المؤتمر هو أكثر مؤتمرات القمة ارهاقا لعبد الناصر . . فقد أجبر على عقده لان قبوله لمبادرة روجرز هو الذي فجر الاحداث ، ووصل بها الى هذه المأساة الانسانية .
ولذا حمل العبء كله . . وفي أعماقه شعور بأنه مسئول -مسئولية غير مباشرة - عن التدهور الذي انزلت اليه الامور . . وعن دماء ألوف من الفلسطينيين قتلهم رصاص النظام الأردني .
ورغم أن عبد الناصر لم يكن مسئولا في حقيقة الامر عن شيء من ذلك ولكنه ارتبط بالمأساة . وأصبح طرفا فيها .

ومع أن مذبحة الأردن لم تكن في هول هزيمة ١٩٦٧ وبشاعتها ، إلا أن مؤتمر القاهرة (سبتمبر ١٩٧٠) قد انعقد تحت ضغط عصبي يفوق كثيرا .
بمسا لا يقيم وجها للمقارنة مع مؤتمر الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧) .
كان شعب السودان قد استقبل عبد الناصر استقبالا تاريخيا خالدا،

لا يمكن أن يستقبله شعب لقائد مهزوم .. وكان ذلك تعبيرا عن ثقة شعوب
الامة العربية فيه قائدا يتحمل مسئولية النضال والتحرير في المستقبل .
اما مؤتمر القاهرة فقد عقد ، وبعض القوى تهتف بسقوط عبدالناصر
وتلقى جانبا من مسئولية المذبحة عليه .
وكان الامر على نفسه قاسيا .. بل شديد القسوة .. ففسد امضى
السنوات الثلاث التي أعقبت الهزيمة في كفاح مستمر لامتنصاص الهزيمة
وازالة آثارها .. وانتصر في ذلك بما جعل قواتنا المسلحة قادرة على إلحاق
الخسائر بالعدو ، وأشاعاره بأن نصره السريع في يونيو ١٩٦٧ ليس
دائما أو أبديا .

وكانت فترة وقف اطلاق النار التي أتاحتها مبادرة روجرز .. هي
فترة التقاط الانفاس والاستعداد النهائي .. لمواصلة القتال ، وتنفيذ خطه
تحرير الارض .
وعاش جمال عبد الناصر في هذا الامل .. ولم يتصور - فيما اعتقد -
أن طعنة بمثل هذا العنف يمكن ان توجه اليه من هذا الاتجاه ، فتطيح بامله
وتهدد خطته . وتجعله يقف وحيدا فوق بركة من الدماء ، يحاول دفع
المأساة .

ولاشك ان عدم تنسيق الاستراتيجية العربية بين كافة الانظمة والقوى
السياسية .. وعجز المقاومة الفلسطينية عن توحيد فصائلها بما يجعل لها
سياسة واحدة .. كان من الاسباب الرئيسية التي أتاحت لمؤامرة النظام
الأردني ان تنجح .

حمل جمال عبد الناصر عبء المؤتمر - سياسيا ونفسيا وماديا - ووصل
به - رغم كل شيء - الى تحقيق :
وقف اطلاق النار وقطع نزيف الدماء .

تفويت الفرصة على أى تدخل امريكي مباشر .
هذا ما يمكن - رغم سلبيته - أن يعتبر ايجابيا في قرارات اطول
وأصعب مؤتمر للقمة العربية .

ولعل ما قاله معمر القذافي ، أثناء المؤتمر ، من أن الملك حسين مجنون
يقتل شعبه . وأن على المجتمعين أن يرسلوا من يقبض عليه ويدخله المستشفى
.. وما دار بعد ذلك من حوار سجله محمد حسنين هيكل تفصيلا في كتابه
(الطريق الى رمضان) ، والذي قال فيه الملك فيصل (ربما كنا جميعا مجانين)
ثم ما انتهى اليه الحوار من قول جمال عبد الناصر :

(أحيانا عندما نرى ما يحدث في العالم العربي ، فاني اعتقد ان ذلك قد
يكون صحيحا يا صاحب الجلالة .. ولذا فاني أقترح ان ننتدب طبيبا للكشف
علينا دوريا ، ومعرفة المجنون فينا) .

أقول .. لعل هذا الحوار الذي خرج عن حده المعتاد بين الرؤساء
والملوك .. يعطى احساسا بسخونة الموقف داخل قاعة الاجتماع .. ويدفع
الى التساؤل في نفس الوقت .

هل هو جنون فرد الذي فجر هذه المأساة .. أم خيانة طبقة ونظام ؟

وهل افرخت المأساة والمذبحة بين المجتمعين في قاعة المؤتمر .. أم أنها امتدت الى قادة بعض القوى التي الهبت المشاعر واخطت التقدير .. ولم تحضر المؤتمر ؟

مهما حاولنا من تعليق الخطايا في رقاب المتهمين .. فان الشهداء لن يعودوا للحياة .. ووصمة العار لن تمحوها الايام من جبهة النظام الاردني، ولا من حياة بعض الذين لجأوا الى الاستفزاز وحده من بين بعض فصائل المقاومة الفلسطينية .

ضاعت الفرصة الى الأبد في أن يعود الفدائيون أحرارا في الاردن . وأغلقت حدود الضفة الغربية فلم يعد يتهدد الخطر أحدا داخل - أثيل من هذا الاتجاه . وبدأت لجنة يرأسها الباهي الادغم تشرف على تنفيذ الاتفاق الذي وقعه الملك حسين وياسر عرفات .

وبدا الملك والرؤساء يغادرون القاهرة الى بلادهم في نفس اليوم . وأصبح يوم جديد .. يحمل تاريخا له وقع حزين في نفوس المهتمين بقضايا الامه العربية .

٢٨ سبتمبر .. يوم انفصال سوريا عن مصر بانقلاب عسكري .. يوم تمزقت الجمهورية العربية المتحدة .. التي اعتبرت ولادتها انتصارا تاريخيا للقومية والوحدة العربية .

٢٨ سبتمبر .. ذلك اليوم الذي انتقل فيه جمال عبد الناصر من سد سبع سنوات الى دار الاذاعة لأول مرة ليتابع أخبار الحركة الانفصالية . ٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أصدر فيه جمال عبد الناصر تعليمات بارسال قوات لمقاومة الانفصاليين في سوريا ، ثم أصدر أمرا بعودتها وهي بعد مازالت في الطريق .. حتى لا يقتتل العرب .. ويهدر الرصاص العربي دماء عربية .

٢٨ سبتمبر .. اليوم الذي أغلق فيه جمال عبد الناصر غرفته على نفسه ، وأجهش بالبكاء لان دمشق التي أحبها ضاعت .. وكانت أول هزيمة للزعيم صاحب الانتصارات الصاعدة .

استيقظ جمال عبد الناصر مرهقا في ذلك اليوم - ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ - ولكنه لم يتردد في توديع الملوك والرؤساء في مطار القاهرة . وعند الوداع الأخير للأمير الكويت كانت طاقة جمال عبد الناصر على الاحتمال قد نفذت .. ولم يعد قادرا على الوقوف .. طلب الطبيب وهرعت اليه العرب التي أسرعته الى داره في منشية البكري فوصلت في الثالثة والنصف .

الاسرة تنتظره على الغداء .. ولكنه مرهق .. مرهق .. يدخل غرفته ويخلع ملابسه وينام على السرير ويكتشف الطبيب أن أزمة قلبية قد هاجمتا .. وأن الموقف خطير .

ويتوالى حضور الاطباء والمسئولين . وبعد أن كان يقف الى جانبه شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد أحمد

بوالى وصول محمد فوزى وأنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى ..
 وبقيت الاسرة خارج الغرفة .
 وبدأت محاولات الطب لانقاذ حياة الزعيم .. والذهول يعقد السنة
 الحاضرين .
 وقفوا ساعتين حول عبد الناصر .. وهم لايتصورون أن عبد الناصر
 قد مات .
 وعندما انهار أحد الاطباء ، اكتشف الحاضرون الموقف .. وانفجر
 البكاء .
 بكى رفاق عبد الناصر عليه .. فى نفس اليوم الذى بكى فيه هو منذ
 تسع سنوات لفراق سوريا .
 عبد الناصر .. مات .
 وليس امام الموت عظيم .

• جنازة .. الزعيم

اعلن أنور السادات نائب رئيس الجمهورية الخبر الحزين على جماهير
 الشعب من ميكرفون الاذاعة وشاشته التليفزيون .
 وكان الخير صدمة مذهلة .. فقد شاهده الناس منذ ساعات يدوع
 امير الكويت فى المطار .
 وزحف الناس الى بيته .. مئات الآلاف .. تم الملايين امتلات بهم
 شوارع القاهرة .
 وعقدت الوزارة مع اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي اجتماعا
 مشركا فى قصر القبة لاعداد ترتيبات الجنازة التى تقرر ان تشيع يوم اول
 اكتوبر .
 وتقاطر الزعماء والرؤساء على القاهرة لتوديع جمال عبد الناصر .
 وامضى الشعب المصرى ثلاثة ايام حزينة .. تسير جموعه تغنى اغنيات
 تنضح بالاسى والفجيعة .. كل الذين ارتبطت آمالهم به أصابتهم الفاجعة
 فى الصميم .
 ولم يعرف تاريخ مصر أياما مثل هذه الايام الثلاثة التى سبقت
 الجنازة .
 ولم تفلح كافة الاجراءات والترتيبات الادارية فى اخراج جنازة رسمية
 .. احتضن الشعب جثمان الزعيم ، واختلط البكاء مع الصراخ والنحيب
 والدعاء والهتاف .
 ودفن جمال عبد الناصر فى المسجد الذى أقامه مجاورا للقيادة العامة
 للقوات المسلحة التى زحفت اليها قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
 عبد الناصر .. مات .
 وشيع شعب مصر جنازته فى موكب تاريخى رهيب .
 وانتهت صفحة قائد ثورة يوليو .
 ولكن (قصة ثورة ٢٣ يوليو) لم تصل نهايتها بعد .

الباب السابع

تقييم لدور البطل والزعيم

عبد الناصر .. مات ..
لم يعد صاحب الرأي والارادة .. ومركز حركة الاحداث ..
نام في صمت أبدى .. وترك الحديث للناس ..
مفجر ثورة يوليو وقائد مسيرتها .. مات .. قبل أن ينتهي الطريق
ونكتمل القصة فصولا ..
غاب المخرج والمؤلف والبطل .. وبقي المشاهدون .. لم يسدل الستار
بعد ..
غاب الزعيم .. وبقي الشعب .. ولم تنته قصة ثورة ٢٣ يوليو ..
والدور الذي قام به جمال عبد الناصر حفر له مكانا بارزا في
تاريخ مصر ..
لم يكن جمال عبد الناصر هو البطل الوحيد على خشبة المسرح ..
ولكنه كان يلعب دور الفتى الاول الذي جذب الأضواء وسحر الجماهير ، وتلقى
أكاليل الفار .. حتى وقع من الهزيمة القاسية ، ثم نهض كبطل اغريقى
يحارب من أجل مجده وحرية وطنه ، فوق أرض روثها الدماء .. وسط شعب
اهتزت ثقته .. ولكنه ظل يبلور أمله في هذا الرجل الاسمر القادم من صعيد
مصر ، الذى اقام الجمهورية وأصبح أول رئيس منتخب بها بعد حكم للقراعة
والاباطرة والخلفاء والملوك امتد آلاف السنين ..
فرض عبد الناصر نفسه على عصره .. وأصبح يبع الناس في الخارج
يقولون (ناصر) اذا ذكرت (مصر) ..
كان بطلا قوميا ألهم مشاعر العرب .. وساند .. بهم التحررية ..

واقام أول دولة للوحدة ج ٢٠٠٠ م .
 وكان أحد ثلاثة من كبار زعماء العالم ، أسسوا الحياذ الايجابى وعدم
 الانحياز . . . نهرو وعبد الناصر وتيتو .
 وكان زعيما وطنيا جريئا كسر القيود التى فرضتها الامبريالية على
 وطنه . . . وانتصر على العدوان الثلاثى . . . وتعاون مع الدول الاشتراكية فى
 مجالات التصنيع والاقتصاد والتسليح .
 وفوق أرض مصر . . . تغيرت معالم الحياة . . . ولعب عبد الناصر فى
 ذلك دورا رئيسيا .
 تحرر الفلاح من سيطرة الاقطاع . . . وأصبحت ثلاثة أرباع الارض
 يملكها الذين يزرعونها . . . وسقط السيد المعبود الذى كان يملك الارض .
 ومن عليها .
 وارتفعت مداخل المصانع من الاسكندرية الى أسوان . . . وقامت قاعدة
 صناعية قوية ، يعمل فيها ٧ ملايين عامل ، وأصبحنا ننتج ما يمكن تصديره
 للخارج . . . بعد أن كانت مصر تستورد كل شيء حتى ابر الخياطة .
 ودخلت مصر مجال الصناعة الثقيلة . . . وأقامت بالتعاون مع الاتحاد
 السوفييتى مجمع الحديد والصلب فى حلوان ، ومجمع الألمنيوم فى نجع
 حمادى ومئات المصانع .
 كما دخلت عصر الكهرباء باقامة السد العالى الذى وفر لنا كل الكهرباء
 لمصانعنا ، وأضاف مليون فدان لرقعتنا الزراعية التى تحاصرها الصحراء .
 وأخذ العمال بعض حقوقهم . . . أصبحت مدة العمل ٧ ساعات يوميا .
 وامتنع الفصل التمسقى . . . وشارك العمال فى الارباح وفى عضوية مجالس
 الادارة . . . وتشكل الاتحاد العام لنقابات العمال بعد تعذر تشكيله قبل
 ٢٣ يوليو .
 وأصبح التعليم مجانا فى مختلف المراحل بما فيها الجامعات . . . ولم تعد
 هناك قيود مادية او اجتماعية تحول بين الموهوبين ومواصلة التعليم .
 وضمنت الدولة حق العمل لكافة خريجي الجامعات والمعاهد . . .
 وتراجعت البطالة التى كانت تزحف على المجتمع .
 وانتشرت الجامعات فى الدلتا والصعيد . . . وأصبح لدى مصر مايكيفها
 من الأطباء والمهندسين والعلماء والاداريين . . . وما يمكن توفيره ايضا لعدد
 من الدول العربية الاخرى .
 كان جمال عبدالناصر هو القوة الدافعة الرئيسية وراء كل هذه المكاسب
 والانجازات .
 ولكن الزعيم وحده - دون محاولة التقليل من دوره - لا يستطيع أن
 يقبض على كل الخيوط . . . ويعجز مهما كانت قدراته وعظم اخلاصه . . . أن
 يبنى المجتمع وحده .
 وجمال عبد الناصر اعتمد فى بناء المجتمع الجديد أساسا ، على الذين
 يحيطون به من العسكريين . . . وتشكلت (أوتوقراطية عسكرية) تربع فى
 قمتها بغير منازع .

اختار الطريق السهل .. الذى يعتمد فيه على القرارات الادارية ،
ينفذها له مجموعه من العسكريين ، الذين نشأوا ودرّبوا فى أجهزة الامن
والمخابرات ، كما أوضحت ذلك تفصيلا فى الجزء الثانى (مجتمع جمال
عبد الناصر) .

والمعارك السياسية الداخلية التى خاضها اعتمد فيها على القرارات
الادارية وحدها .

ألقى الاحزاب جميعا ، دون أن يفرق بين التى لعبت دورا وطنيا ، والتى
قامت لخدمة المحتلين والسراى (الوفد وأحزاب الاقلية) .. وهاجم فكرة
الحزبية فى مجتمع كانت الطبقات فيه مازالت تتصارع .. ولكنه احتكر
العمل السياسى فى يد تنظيمات ورفية أشرف عليها العسكريون ... ولذا
سقطت الحياة السياسية فى فراغ رهيب حتى عام ١٩٦١ .

حاکم الاخوان المسلمين والشيوعيين وبعض رجال الاحزاب السابقين،
ولم يدرك ان هذه الاجراءات الادارية لايمكن أن تعنى تصفية سياسية ...
فالافكار لا تقهرها الا أفكار أخرى .. والذين ينظمون أنفسهم فى خدمة طبقة
لاينتهى دورهم الا اذا صفيب تماما هذه الطبقة .. أما اذا كانت طبقة لها
مستقبل فان كل الاجراءات الادارية تنتهى الى عدم مع الذين ينظمون انفسهم
فى خدمة حقوقها .

وجمال عبد الناصر مثل كل زعيم لابد وأن ينتمى الى طبقة يعبر فى
النهاية عن مصالحها .

واذا كانت حركة الجيش قد حاولت أن تكون مظهريا فوق كافة
الطبقات ، فانها انتهت الى دورها الطبيعى فى خدمة البرجوازية الصغيرة التى
انتمى اليها الضباط الاحرار .. وهى الطبقة التى مازال لها رصيدها فى
النضال الوطنى والاجتماعى ، التى رفعت فى مراحل التغير الاجتماعى شعارات
وطنية وتقدمية ولكن عناصر كثيرة فيها نضل حبيسة ضيق الافق وقصر النظر،
وتنتهز الفرص المتاحة للانجذاب الى البرجوازية الكبيرة .

وجمال عبد الناصر كان ابناً وفيّاً لهذه الطبقة .. بل هو من أكثر
ابنائها وطنياً وميلاً الى اليسار .. تطور مع الزمن .. فلم ينحرف الى اليمين
ولم يراجع عن اتجاهه التقدمى ولكنه كان يصير على أن يعمل من موقع
طبقتة للعمال والفلاحين .. وليس بهم .

وما أسفرت عنه حالة المجتمع من شعور طيفي عند جمال عبد الناصر
من أن الامور والنفوذ يعود من جديد الى البرجوازية الكبيرة، وكبار الرأسماليين
.. هو الذى دفعه الى قرارات وقوانين تأميم يوليو ١٩٦١ .

أصدر جمال عبد الناصر هذه القوانين (الاشتراكية) والاشتراكيون
الحقيقيون المدافعون عن مصالح الطبقة العاملة والفلاحين ، قد أغلقت عليهم
قضايا السجون والمعتقلات بتهمة الشيوعية .. واستمر الامر كذلك أكثر
من سنتين بعد صدور هذه القوانين ، مما يشكل انفصاما فى شخصية المجتمع
الذى ينادى بالاشتراكية .. ويعتقل الاشتراكيين الحقيقيين .

وقد حول جمال عبد الناصر (الاشتراكية) من كلمة يدخل المبشر بها

الى السجن قبل ٢٣ يوليو ، الى شعار ترفعه حركة الجيش ٠٠ يتغير مع الايام من اشتراكيه ديموقراطيه نعاونيه ٠٠ الى اشتراكيه علميه كما ورد فى الميثاق ٠

وقد أدى هذا التطور الى موقف فريد ٠٠
 حلت التنظيمات الشيوعية نفسها فى بداية عام ١٩٦٥ ، وهى ظاهرة لم تحدث من قبل ٠٠ تماما كما حل حزب البعث فى سوريا نفسه بعد اقامة دولة الوحدة فى فبراير ١٩٥٨ ٠

كان هذا دليلا مؤكدا على الثقة التى حصل عليها جمال عبد الناصر وقت اتخاذ هذه القرارات التاريخيه الضخمة ٠

عندما اعتقد الشيوعيون انه قد بدأ عملية التحول الاجتماعى فى طريق الاشتراكية العلمية ، سلموا له علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاق نضال معه فى الاتحاد الاشتراكى وطنييته ٠

وعندما قامت دولة الوحدة ، اطمان البعثيون ، وسلموا له أيضا علم القيادة ، وارتضوا أن يكونوا رفاقا له فى الاتحاد القومى ٠

وكان القراءان - من الوجهة السياسية - خطأ ٠٠ فقد أثبتت الايام أن الوحدة لم تتم ، وأن الاشتراكية التى بشر بها الميثاق لم تتحقق ٠ وكانت الصخرة التى تحطم عليها الأملان هى (الديموقراطية) ٠

وليس المقصود بالديموقراطية هذه الصورة الليبرالية المطلقة التى اقترنت بالنظام الرأسمالى فى الدول الغربية ٠٠ فلم تكن الحال فى مصر بعد الخطوات التى اتخذت تسمح بذلك ٠٠

ويجب ألا نبتعد كثيرا عن الاصل الذى نهض عليه نظام جمال عبد الناصر ، حتى لانخطئ الحساب ٠

حركة الجيش ليلة ٢٣ يوليو هى حركة عسكرية ، بدأت انقلابا ، ثم تحولت مع الوقت الى ثورة ، يقودها أصحاب الرتب الصغيرة من الضباط الذين لا ينتمون للطبقات الحاكمة فى ذلك الوقت ٠

وعسير أن يتحول انقلاب عسكرى الى نظام ديموقراطى وسليم ، مهما حقق من انجازات وطنية واجتماعية ٠٠ لم يحدثنا التاريخ عن مثال واحد - الى الآن - بدأ الامر فيه انقلابا ثم انتهى بنظام ديموقراطى ٠

ولايعنى وجود دستور وانتخاب مجلس أمة عام ١٩٥٧ أن ديموقراطية قد تحققت فى مصر ٠٠ فقد كان الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى يقبضان على حرية الترشيح والانتخاب بيد من حديد ٠

والاوتوقراطية العسكرية كانت لها اليد العليا دائما ٠

وفى التنظيمات التى قامت لم تتوفر الديموقراطية أيضا ٠٠ فلم تكن المعارضة مقبولة ومستساغة داخل التنظيم ٠٠ وظل الامر فى قبضة العسكريين الذين تجزهم طبيعتهم الصارمة عن التفاعل الحى مع الجماهير ٠٠ والذين اعتمدوا فى قهر بيروقراطية الدولة على الاسلوب الادارى الحازم وحده ٠٠ وهو ما يمكن اعتباره - اذا لم ينسج مع العمل السياسى - سرايا لا يصل اليه انسان ٠

كان غياب الديمقراطية هو نقطة الضعف الرئيسية التي جعلت البناء الاشتراكي يقوم على قاعدة سلبية .

ساعد على ذلك أيضا أن جمال عبد الناصر لم يكن شديد الحرص على بناء حزب مناضل يحمل معه مسئولية التحول الى المجتمع الاشتراكي . . . وتجربه طلعه الانسراكيين - رغم ماكانت تبشر به من أمل - انتهت الى طريق مسدود .

غيبة الديمقراطية ، وغيبة الحزب السياسى المناضل ، وتغفل الاووقراطية العسكرية فى أجهزة الحكم، ونمو البرجوازية الصغيرة ورسوخ أقدامها فى قمة التنظيمات القائمة دون اهتمام باطلاق طاقات العمال والفلاحين السياسية والاجتماعية . .

كل هذا أضعف دور الرقابة الشعبية ، وفتح بابا عريضا للانحرافات : سرقة المال العام ، الاعتمال بغير حساب ، فرض الحراسة بالتقارير . تعذيب المعتقلين حتى الموت أحيانا .

ورغم قسوة هذه الانحرافات وتأثيرها السيئ على نفسية الجماهير . . فانها ظلت فى الاغلب اعمى ، تأخذ مركزاً ثانياً من اهتمام الجماهير بعد نقتها بالزعيم وتأييدها لخطوات الثورة الوطنية والتقدمية .

كان البعض اذا سمع عن الخطأ أو الانحراف ، تصور انه لابد وأن يزول اذا وصل الامر الى سمع جمال عبد الناصر .

وربما كان هذا صحيحا . . ولكن .

من الذى كانت تتاح فرصة وصول صوته الى الزعيم وحوله أعوان متورطون فى هذه الانحرافات ؟

ولو كان هؤلاء الاعوان يعرفون ان الزعيم - مثلاً - يرفض الاعتقال والتعذيب فهل كانوا قد لجأوا اليه أسلوبا للتعامل ؟

وهل توقف التعذيب بعد مصرع عدد من الذين ضمتهم المعتقلات ومنهم شهدى عطية الشافعى وغيره ؟

يعيدنا ذلك الى الحديث عن عجز الزعيم - أى زعيم - حنى ولو بلغ مرتبة جمال عبد الناصر التى لم يرفى اليها زعيم آخر فى بلد عربى مع بدايه انتصاراته الوطنية والقومية فى منتصف الخمسينيات . . عجز الزعيم عن أن يلمس كل شئ، ويحرك كل أمر فى مجتمع كبير يزيد مليوناً كل عام . . وانما يصبح نفسه مع الوقت أسيراً لطبيعة تكوين النظام من حيث التركيب الاجتماعى والاقتصادى والسياسى .

ولاشك أن أكثر ظاهرة أفرزها هذا المجتمع وضوحاً . . هى هزيمة ١٩٦٧ التى يتحمل جمال عبد الناصر مسئوليتها الاولى - كما أصر هو نفسه على ذلك - حيث جنح الى مرضاة صديق عمره المشير عبد الحكيم عامر معتمداً عليه فى قيادة القوات المسلحة ، رغم عدم توافر صفات القيادة العسكرية فيه ، ورغم أخطائه عام ١٩٥٦ . وأنحاء حركة الانفصال عام ١٩٦١ .

قد يكون جمال عبد الناصر قد أدخل في حساباته تأثير عامر الانساني على الضباط .. ولكن الاسلوب الاوتوقراطي الذي يرضى ويغضب ، يصفح ويعاقب ، بغير حساب الا الرؤية الشخصيه .. والذي يقاوم بناء مجتمع ديموقراطي أصيل .. هو الطريق الذي يؤدي الى ان يصبح الزعيم أسير بعض أعوانه وأتباعه .

وهنا نقول ان مثل هذا الزعيم يصعب عليه أن يحسن اختيار أعوانه .
لانه يتيح فرصة التقرب للمنافين .. ويرضى عن الخاضعين .. ولا يحاسب أحدا على انحرافه لان هذا الانحراف يريده خضوعا وركوعا .

وليس التعميم صائبا في هذا المجال .. فهناك من يقترب من الزعيم بطاقته وكفاءته وإخلاصه ونكران ذاته .. ولكنه لا يمثل الحركة المؤثرة في مجال السلطة .. ولا يرفى الى أكثر مما يسمح به الزعيم .

وجمال عبد الناصر - رغم أسلوب حكمه الاوتوقراطي - لم يكن ديكتاتورا .. بل كان زعيما يعمل من أجل مصلحة الجماهير .. وقد استطاع أن يكسب ثقة بل الذين عاشوا وأمالهم معلقه بخطوانه وقرارات هذا الرجل انذى لم يقف أبدا مع المستغلين ، وإنما دافع دائما عن الفقراء والمستضعفين .

وربما كانت نشأة جمال عبد الناصر في أسرة متواضعة سببا من الاسباب التي جعلته يقف في يسار طبقته ، أقرب الى أحلام الكادحين منه الى حياة المرفهين .

وإذا كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع خلال سنوات حياته أن يتخلص مما لحق به من عيوب .. وبقيت الفروقات الطبقة قائمة وواضحة .. الفلاح التبعيس في بيت الطين الذي عاش فيه منذ آلاف السنين .. والفقير في المدينة ضائع مسكين .. والعامل ينكدس مع أسرته في غرفة واحدة .. والسيادة لبعض المنحرفين .. والامية تكبل أكثر من نصف المجتمع .

أقول ان كان التطبيق الاشتراكي لم يستطع أن يفصد الدم الفاسد .. وأن يحقق أهداف الاشتراكية السامية .. فانه يكفي أن الانطلاق كان قد بدأ .. وأن القاعدة الصناعية القوية قد رسخت .. وأن الطبقة العاملة قد وجدت .. وأن الفلاح قد تحرر ماديا ومعنويا من حق الملكية المقدس .

المدة التي انقضت على ثورة يوليو ١٩٥٢ لم تكن قد تجاوزت ١٨ عاما حتى وفاة جمال عبد الناصر .. ومع صدور قوانين التأمين ١٩٦١ بدأت المؤامرات تضرب أول نظام يحاول الوصول للاشتراكية في منطقة التحرر الوطني خلال طريق خاص .. ويخطو في هذا السبيل خطوات هائلة ... الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ .. خطة استنزاف جهد مصر في حرب اليمن بالتعاون بين الامبريالية والنظم الرجعية .. قطع المعونة الغذائية الامريكية ١٩٦٥ .. وأخيرا العدوان المسلح ١٩٦٧ الذي شنته الصهيونية التوسعية والامبريالية الامريكية .

الوقت لم يكن كافيا لانصاج التجربة .
ومؤامرات الامبريالية لم تترك فرصة للنفس الهادى .
كان استمرار عبد الناصر بعد الهزيمة ، بارادة الشعب المصرى فشلا
لمؤامرات اسقاط نظامه التقدمى وتأكيدا لدوره التاريخى وبلورة لثقافة الناس به
رغم كل شئ .
ولكن .. عبد الناصر مات ..
وقصة ثورة ٢٣ يولية لم تكتمل بعد .
الاسكندرية شى ٢٤ سبتمبر ١٩٧٧

شكر وعرفان

ما كان لهذا الكتاب ان يظهر لولا هؤلاء السادة الذين تفضلوا بمنحوني بعض وقتهم للبحث والمناقشة ومعدرة اذا كانت الاسماء قد ظهرت بلا ترتيب تفضيه التقاليد المربعة ، فاني قد حرصت على تدوينها تبعا للوقت الذي سجلت فيه .
وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فردا .

١ - العسكريون :

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
محمد نجيب	لواء أركان حرب	رئيس جمهورية مصر
عبد اللطيف بغدادى	قائد جناح	نائب رئيس جمهورية
زكريا محيى الدين	بكباشى أركان حرب	رئيس جمهورية
كمال الدين حسين	بكباشى أركان حرب	نائب رئيس جمهورية
حسن ابراهيم	قائد سرب	نائب رئيس جمهورية
خالد محيى الدين	صاغ	عضو مجلس الثورة
بوسف صديق	قائمقام	ورئيس ادارة (أخبار اليوم)
عبد المنعم أمين	صاغ أركان حرب	عضو مجلس قيادة الثورة
كمال رفعت	صاغ	عضو مجلس قيادة الثورة
ابراهيم الطحاوى	صاغ	عضو مجلس رئاسة ثم سفير
أحمد لطفى واكد	صاغ	رئيس جمعية الشبان المسلمين
أحمد انور	بكباشى	رئيس تحرير جريدة (الشعب)
حسن فهمى عبد المجيد	صاغ	سفير بالخارجية
أحمد كامل	يوزباشى	سفير بالخارجية
حسنى عبد المجيد	صاغ أركان حرب	ئيس المخابرات العامة
حسين عرفة	صاغ	اواء بالجيش
توفيق عبده اسماعيل	يوزباشى	مدير المباحث الجنائية العسكرية
أحمد المصرى	يوزباشى	مدير عام برئاسة الجمهورية
أماز المرصقى	يوزباشى	مؤسسة السينما
أمين هويدى	صاغ	مدير المسرح القومى
توفيق عبد الفتاح	بكباشى أركان حرب	وزير حربية ووزير دولة
ثروت عكاشة	صاغ أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير مساعد رئيس جمهورية

آخر رتبة عسكرية آخر منصب الاسم

عضو مجلس امة	صاغ	محمد ابو الفضل الجيزاوى
وزارة الاسكان	قائد سرب	شوقى نهى حسين
نائب رئيس وزراء ووزير داخلية	يوزباشى	شعراوى جمعه
مندوب حكومة قطر في مصر	يوزباشى	محمد رياض
وزير مفوض بالخارجية	يوزباشى	سميد حليم
فريق بالقوات المسلحة قائد القوات البرية	فريق بالقوات المسلحة قائد القوات البرية	عبد المحسن مرتجى
سفير بالسودان	بكباشى	محمد التامى
سفير بالعراق	بكباشى	عبد المنعم النجار
محافظ مرسى مطروح	يوزباشى	فؤاد المداوى
مدير ادارة الجوازات	لواء بالشرطة	محمود الحمزاوى
محافظ الجيزة	يوزباشى	حامد محمود
عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال	قائمقام	عبد الرؤوف نافع
سفير باليابان	صاغ	محسن عبد الخالق
محافظ بالسويس	صاغ	محمد البلهاجى
سفير بالهند	صاغ	زكريا العادلى امام
سفير بلبيبا	عميد	عبد الحميد صبور
سفير بقطر	صاغ	نؤاد هلال
عضو مجلس امة	بكباشى	حسن حائط مهمى
رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات	قائمقام مهندس	صدقى سليمان
رئيس مجلس مدينة الجيزة	يوزباشى	طلعت حسين
الجامعة العربية	صاغ	حسن الدمنهورى
أعمال حرة	بكباشى	حسنى الدمنهورى
محافظ القاهرة	يوزباشى	ابراهيم بغدادى
نائب مدير المخابرات العامة	صاغ اركان حرب	فريد طولان
أعمال حرة	صول طيار	فؤاد حبشى
وزير سياحة	صاغ	امين شاكى
الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى	صاغ	عبد الفتاح ابو الفضل
سفير في بنجلاديش	صاغ	وفاء حجازى
المحرر الرياضى لجريدة الاخبار	قائد سرب	عبد المجيد نعمان
رئيس مؤسسة الافتراض الزراعى	يوزباشى	فتح الله رفعت
رئيس شركة الاخشاب	يوزباشى	محمد ابو نار
فريق اول ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة	بكباشى	محمد فوزى
سفير فى تشيكوسلوفاكيا	صاغ	مجدى حسنين
أمين تنظيم الاتحاد الاشتراكى	يوزباشى	عبد المجيد شديد

الاسم	آخر رتبة عسكرية	آخر منصب
منير موافى	ملازم أول	مؤسسة روز اليوسف
صلاح الحديدي	مريق أول	رئيس المخابرات الحربية
محمد علي بشر	صاغ	رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترو
ممدوح جبه	صاغ	سفير سوريا
عبد الحميد الدغيدى	لواء جوى	قائد القوات الجوية بسيناء
حسن خليل	صاغ	قائد المباحث الجنائية العسكرية
مصطفى بهجت بدوى	صاغ	رئيس مجلس ادارة دار التحرير

٢ — السياسيون :

الاسم

آخر منصب

رئيس مجلس ادارة بنك مصر
رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
وكيل وزارة الداخلية
وزير الثقافة
عامل
وزير داخلية سابق
صحفى بروز اليوسف
رئيس مجلس ادارة اخبار اليوم
رئيس تحرير الاخبار
محرر بالاخبار
وزير دولة
محامى
مساعد رئيس الجمهورية
رئيس تحرير الاخبار
وكيل بنك الائتمان العقارى
محامى
وكيل وزارة الاعلام بقطر
وكيل وزارة التعليم بقطر
وزير خارجي ثم سفير ليوغسلافيا
عضو امانة الاتحاد الاشتراكى
رئيس تحرير الاهرام
نقيب الصحفيين المصريين
مدير صوت العرب
وزير التموين السابق

احمد فؤاد
عز العرب عبد الناصه
محمد رياض
فحى رضوان
محمد شطا
مواد سراج الدين
منضى خليل
محمود امين العالم
موسى صبرى
سعد كامل
ابراهيم فرج
ركى مراد
عزيز صدقى
حسين ميمى
محمد الغتيت
مصطفى مرعى
محمود الشريف
كمال ناسى
مراد الب
ابراهيم سعد الدين
احمد بهاء الدين
عبد المنعم الصاوى
احمد سعيد
دكتور فؤاد مرسى

المراجع العربية

المؤلف	الكتاب
جمال عبد الناصر	فلسفة الثورة
انور السادات	خطب جمال عبد الناصر
حسن عزت	اسرار النورة المصرية
راشد البراوى	اسرار معركة الحرية
لورد كرومر	حقيقة الانقلاب الاخير فى مصر
كمال رفعت	النورة العرابية
عبد الله امام	حرب التحرير الوطنية
محمد حسنين هيكل	الناصرية
محمد حسنين هيكل	ما الذى جرى فى سوريا
	عبد الناصر والعالم
	مذكرات ابدن
الدكتور محمد المعتمد	صلاح سالم
س . جوكوف وآخرون	العالم الثالث (تضاييا وآفاق)
لوتسكى	باربى الاقطار العربية الحديث
محمد النابعى	من اسرار الساسة والسياسة
الدكتور محمد مصطفى صفوت	انجلترا وقتناه السويس
محمد خالد	عبد الناصر والحركة النقابية
محمد عودة	ميلاد نوره
	السياسة الاستعمارية بعد الحرب
فاخرة شيف	العالمية الثانية
عبد الرحمن الرافعى	نورة ٢٣ يوليو
لينين	محاضر محادثات الوحدة
مىلز كوبلند وهـ . هانتز	المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى
أحمد حمروش	القرط السوفيتى فى الشرق الاوسط
موسى صبرى	أسرار معركة بورسعيد
دكتور ثروت بدوى	قصة ملك وأربع وزارات
على صبرى	ثورة ٢٣ يوليو
فاتيكىوتس	سنوات التحول الاشتراكى
	مصر منذ الثورة
	بيانات الجهاز المركزى
	للتعبئة والاحصاء

فهرست

٤	الاهداء
٥	مقدمة
٩	الباب الاول : مصر واسرائيل قبل يونيو ١٩٦٧
١١	الفصل الاول : ثورة يوليو واسرائيل
٣٥	الفصل الثاني : عدوان اسرائيل ١٩٥٦
٥٥	الفصل الثالث : ضغوط على النظام
٨٧	الباب الثاني : الهزيمة
٨٩	الفصل الأول : خطوات نحو المصيدة
١٤٥	الفصل الثاني : هزيمة عسكرية . . . بلا اعلام بيضاء
١٧١	الباب الثالث : رفض الهزيمة
١٧٣	الفصل الاول : رفض الهزيمة
٢١١	الفصل الثاني : المقاومة
٢٣١	الفصل الثالث : العرب . . وظلام الهزيمة
٢٥٧	الباب الرابع : عودة المعركة
٢٥٩	الفصل الأول : المعركة . . . في الخطوط الامامية
٢٨٣	الفصل الثاني : معركة الخطوط الخلفية
٣٣٧	الباب الخامس : السلام . . . من فوهة البندقية
٣٣٩	الفصل الاول : الحرب والسلام
٢٦٩	الفصل الثاني : خريف عبد الناصر
٣٧٩	الباب السادس : عبد الناصر . . . مات
٣٨٣	الباب السابع : تقييم لدور البطل والزعيم

المؤلف والكتاب

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد كتاب مصر اليساريين وهو من الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو اليسارية وهو ضابط بالجيش المصري قبل قيام الثورة وكان يعمل أيضاً بالكتابة في جريدة الاهرام ومجلة الفصول وهو من أوائل الضباط الذين انضموا إلى تنظيم الضباط الأحرار تحت قيادة جمال عبد الناصر .

أصدر ورأس مجلة (التحرير) أول مجلة لحركة الجيش صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، ومن بعدها أصدر ورأس تحرير مجلة (الهدف) عام ١٩٥٥ ، (الكاتب) عام ١٩٦١ ، (روز اليوسف) ١٩٦٤ ، وكذلك أصدر ١٢ كتاباً في السياسة والقصة والمسرح والرحلات .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في أربعة أجزاء أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي حصيلة جلسات مناقشة طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع الثورة ، وتحملوا مسؤولية مسيرتها ، ومع السياسيين الذين عايشوا أحداثها الكبرى .

انه تقيم صريح .. خطير وشيق ... لموضوع يحتاج إلى الصراحة والموضوعية .